أَنْوَارُ الإِمَامَة

فوائدُ وثمارٌ عقائديّة

مِن أبحَاثِ سَمَاحةِ المرجِع الديني الكبير
الشيخ حُسَين الوَحِيد الخُرَاسَاني حَفِظَهُ اللّه

بقلم
الشَّيْخُ مُحَمَّدْ مُصْطَفى مَصْرِيّ العَامِلي



أَنْوَارُ الإمَامَة

سلسلة العلم والإيمان (٧)

أَنْوَارُ الإمَامَة

فوائدُ وثمارٌ عقائديّة

مِن أبحَاثِ سَمَاحةِ المرجِعِ الديني الكبير

الشيخ حُسَين الوَحِيد الخُرَاسَاني حَفِظَهُ اللّه

بقلم

الشَّيخ مُحَمَّد مُصطَفى مَصرِيّ العَامِلي

www.aliiman.net

منشورات

الجمعيّة العامليّة لإحياء التراث

الطبعة الأولى

بيروت، لبنان ٢٠٢١ م

للحصول على الكتاب:

من داخل لبنان: ٠٣٠٣٠٠٩٢

من خارج لبنان: ٠٠٩٦١٣٠٣٠٠٩٢

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال الله تعالى مخاطباً نبيَّهُ محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ** مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ عن كتابه الكريم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ الله **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2].

فكان في ما أنزل الله سبحانه وتعالى مِن ذِكرٍ، وابتَعَثَ من رُسُلٍ، وضَرَبَ من أمثالٍ للتفكُّر، تِبياناً وبياناً لما يحتاجه الخلق، على أن يُعمِلوا الحجة الباطنة بتَفَكُّرهم، لتتكامل مع حججه الظاهرة وبراهينه النيِّرة في هداية الإنسان، فيتحقق الغرض من خلقته ببلوغه أعلى مراتب المعرفة، فالعبادة والطاعة والقرب من ساحته تعالى.

لهذا ولغيره، جرت سيرة العلماء، تبعاً لأنبياء الله وأوصيائهم، **على تِبيان الحقائق وعَرضِها بأوضَحِ لسانٍ وأشفى بيان**، مُستَمِدِّين بُرهانَهُم من كتاب الله وسنة نبيّه وأوليائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، لتتمَّ الحجة في كل زمانٍ على كلِّ عَقلٍ بشريٍّ ومخلوقٍ إنسانيٍّ أودع الله فيه فطرته التي فطر الناس عليها.

---

(١) النحل ٤٤.

(٢) الحشر ٢١.

وكان ممّن وفقه الله لذلك، عَلَمٌ من أعلامِ مَذهَب الحق، أستاذنا **سماحة المرجع الديني الكبير الشيخ حسين الوحيد الخراساني حفظه الله**، في مراحل مختلفة وسُبُلٍ عدّة، كان منها أن **خَصَّصَ في بُرهَةٍ من الزمن أبحاثاً عقائدية حول (الإمامة)**، ألقاها كسائر بحوثه في المسجد الأعظم في قم المقدسة، وكان **مِحوَرُها أدلة الإمامة (القرآنية والروائية)**، مع مناقشة أصحاب المذاهب الأخرى في مزاعمهم، **وبيان الحق في هذه العقيدة الجليلة**.

ولمّا كان **موضوعُ الإمامةِ على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية، بحيث يتوقف عليه تحقيقُ الغرض الإلهيّ من بعثة الأنبياء والرُّسُل كما تعتقد الإماميّة أعزّها الله، فهي أُسُّ الإسلام النامي، وفرعه السامي**، آثرنا نشر جملةٍ مما كنا قد سطرناه أثناء حضورنا عند سماحة الشيخ الأستاذ في محضر بحثه سنة ١٤٣٤ للهجرة (٢٠١٣ للميلاد) وما بعدها، لتتمّ الحجة، عَلَّ الله يهدي به لدينه مَن يشاء من خلقه.

وكنا قد نشرنا جملةً من هذه الأبحاث عبر شبكة الانترنت في (منتديات يا حسين)، ونُشِرَت بعد ذلك في بعض المواقع والقنوات، فلاقَت استجابَةً جَيِّدة، وكان لها **ثمرةٌ طيّبة، فعَمَدنا إلى جمعها في كتابٍ لتعمَّ الفائدة ويزيد النفع**، وكان هذا الكتاب: **(أنوارُ الإمامة)**.

ولأنّ العالِمَ مثلُ النخلة، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: **إِنَّمَا مَثَلُ العَالِمِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، تَنْتَظِرُهَا حَتَّى يَسْقُطَ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ**، وَالعَالِمُ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الصَّائِمِ القَائِمِ الغَازِي فِي سَبِيلِ الله[1]، فقد **ألحقنا بالكتاب بعضَ ثمار سماحة الشيخ** حفظه الله، وهي ما كان يلقيه على تلامذته من علومٍ ومعارف اعتقادية يبثُّها كالثمار، في

(١) الكافي ج١ ص٣٧.

مناسبات متنوّعة، جُلُّها في ذكرى المعصومين عليهم السلام.

ولمّا كان سماحة الشيخ المرجع على **قَدرٍ عالٍ من رِعاية الدِّقة في أبحاثه وكتاباته**، وكان قد ألقى هذه الأبحاث باللغة الفارسية، وكنتُ أقوم بكتابة مَتنِها عَرَبيّاً مباشرةً أثناء إلقائها، دون أن أعود لأطابقها مع ما ذَكَرَهُ كلمةً فكلمة، لَزِمَ لَفتُ النظر إلى أنّها ليست (تقريراتٍ) لأبحاثه حفظه الله، فتلك تحتاج إلى مزيدِ تدقيقٍ ومراجعةٍ لما قاله، وإلى أن تُعرَضَ على سماحته وهو ما لا يُساعد عليه الظّرف، وإنما هي **فَوائدُ مِن مجلس بحثه**، وثِمارٌ تساقطت علينا منه حفظه الله.

وقد يلاحِظ القارئ الكريم عند مطالعة الكتاب أنّه **مزيجٌ من أسلوب الكتابة وأسلوب المحاضرة**، ولكلٍّ منهما خصوصيته، **فدَمَجنَا بين الأمرين** لنحافظ على جمالية وإبداع ما ألقاه سماحة الشيخ المرجع، ولم نلتزم بحرفيّة كلامه حفظه الله، فتَصَرَّفنا فيه بشكلٍ جُزئيٍّ، وإن لم نَخرُج عن روحه وجوهره، لننقل الفكرة ناصِعةً غير مشوّهة.

على أنّ العبارة إن تُرجِمَت حرفيّاً فقد تفقد شيئاً من عُمقِها ورَونَقِها، وإن وَقَعَ التصرُّفُ فيها فقد تفقد شيئاً من دقّتها.

فما كان في هذا الكتاب من صوابٍ وفائدةٍ، فمما أفاضه الله على سماحة الشيخ الجليل من بركات وعلوم آل محمد عليهم السلام.

وإن كان فيه من عَثرَةٍ أو ثغرةٍ، فمن راقم السطور، **وقاهُ الله وأهلَه وأحبتَه وسائرَ المؤمنين عثرات الموت وشِدّة يوم القيامة.**

وقد سعينا إلى توضيح العبارة قَدر الإمكان، لكن إن وَجَدَ بعضُ القرّاء

صعوبةً في بعضها، فعُذرُنا هو **ما أشار إليه سماحة الشيخ الوحيد** حفظه الله في بعض الأبحاث: (**أنّ البحث وِفق أدقّ موازين العلم، التي لا يعرِفُها إلا مَن وَصَلَ إلى مراتب التحقيق والتعمُّق العالية**)، ولَمْ نَعمد إلى التفصيل والإستطراد في مواطن إشارات وتنبيهات سماحة الشيخ، لأنَّ العالِمَ يتنبه للإشارة، وسِواهُ يكتفي بالعبارة.

وغالِبُ الظنِّ أن **ما طَرَحَهُ سماحة الشيخ الوحيد في مقامِ إلقاء الحجَّةِ على علماء الأزهر والسعودية وسائر علماء العامة حول الإمامة سيبقى بلا جواب**، وقد قال حفظه الله في طيَّات بعض الأبحاث: (لو اجتمع كل علماء الأزهر، واتّفق كل علماء السعودية، **هل عندهم قدرةُ الإجابة على هذا المطلب؟** هذا الكلام ينتشر إلى الدنيا، ولا يبقى محصوراً بين هذه الجدران الأربعة).

تغمَّدَ الله موتانا وموتى سماحة الشيخ وموتى المؤمنين بواسع رحمته، **وأرسَلَ إليهم ثوابَ هذا العمل اليسير أجراً عظيماً مقبولاً مُبارَكاً بحق أهل الفضل محمدٍ وآل محمد** عليهم السلام.

في ذكرى شهادة الصديقة الكبرى عليها السلام

ليلة الإثنين ٤ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ الموافق ١٧-١-٢٠٢١ م

جنوب لبنان، بلدة أنصار

محمد مصطفى مصري العاملي

الفصل الأول: الإمامة والقرآن الكريم

الآية الأولى: وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

البحثُ في **حُكمِ القرآن، وكلام الله تعالى في مسألة الإمامة**، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

هذه الآية فَصلُ الخطاب في هذا البحث المهم، وهي تشتمل على جهات:

الجهة الأولى: أن **الإمامة منوطةٌ بشخصيّةٍ خاصّة**، فما هي الخصوصيات التي ينبغي أن تجتمع في الإنسان ليكون لائقاً بهذا المقام؟

الجهة الثانية: أن هذه الإمامة إمامة الناس، فينبغي أن يتّضح طَرَفا الإضافة، حيث أحدهما الإمام، والآخر عُموم من يُطلَقُ عليه كلمة (الناس).

الجهة الثالثة: أنّ **هذه الامامة باختيار الذات القدّوس تعالى حصراً**، وليس لأحدٍ من البشر حقُّ إبداء الرأي فيها، ولا يَتَسَنَّمها أحدٌ إلا بتنصيبٍ من الله تعالى، بحيث ينصبُ فيها تعالى مقامَ إمامة الناس.

شخصيّةُ إبراهيم ومزاياه

ينبغي النظر في موضوع كلام الله تعالى بالنسبة لهذا المقام، فما هي هذه

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ الموافق ٦-٤-٢٠١٣ م.

(٢) البقرة ١٢٤.

الشخصية؟ **وما المزايا التي حازها إبراهيم عليه السلام فكانت سبباً لاختياره؟**

بعد ذلك ينبغي فهم تلك الكلمات ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾: وبِفَهمِ ذلك البلاء والابتلاء يصل الإنسان إلى **حدٍّ لائقٍ لإدراك حقيقة الإمامة.. المسألة عميقةٌ إلى هذا الحدّ.**

أمّا معرفة إبراهيم عليه السلام، فإنّ المرجع فيها هو نفس القرآن الكريم حصراً، فينبغي استنباط الخصوصيات من القرآن الكريم، وأما خصوصيّات اختيار التعابير في القرآن الكريم، فَحَلُّ لُغزِهَا مُتاحٌ للحكماء أصحاب المقامات والفقهاء، ومِفتاح حلِّها عندهم هو الكتاب والسنة.

الآية الأولى

لقد استُعمِلَت كلمة (أحسن) في القرآن الكريم، وكانت موردَ عِنايةٍ إلى حَدِّ أَنَّهُ تعالى استخدمها مراتٍ عديدة أحدها قوله تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**[1].

ومنها: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً** وَاتَّخَذَ الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[2].

وفي كلِّ جملةٍ خَزنَةٌ يعرفها أهلها، لكن للأسف وقتنا ليس كافياً.

وينبغي أولاً معرفةُ الدّين، ثم فَهمُ رأي القرآن الكريم بالدِّين: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلامُ﴾ وفي مقام العنديَّة (عند الله).

(١) فصلت٣٣.

(٢) النساء١٢٥.

وفي قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً﴾ في الآية المباركة ثلاث مطالب أُنيطَ قبول الدين بها:

١. ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله﴾: أي أَنَّهُ **سَلِمَ مِن كلّ الأخطاء الفكريّة والزّلات الأخلاقية والسيّئات العمليّة**، فعند سلامة العقل والقلب والجسم، وبعد التَنَزُّه والتَقَدّس يصبح مصداقاً لهذه الجملة ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله﴾، ثُمَّ إنّ السلامة من كلّ الجهات لا تكفي، بل **يجب أن يكون ذلك لله تعالى**، وهنا يُفهَمُ معنى: العُلَمَاءُ **كُلُّهُمْ هَلْكَى إِلَّا العَامِلُونَ، وَالعَامِلُونَ كُلُّهُمْ هَلْكَى إِلَّا الُمخْلِصُونَ، وَالُمخْلِصُونَ عَلَى خَطَر**[1]، فآخر ما يخرج من قلوب الصديقين حبُّ الجاه!

إنّ فَهمَ القرآن ليس سهلاً، ويتَّضِحُ معنى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله﴾ ببركة الاستمداد من الروايات، وهذه هي الكلمة الأولى.

٢. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: يَصل فيه إلى مقامٍ لا يصدر منه سوى الحسن والإحسان.

٣. الثالثة التي تُحيِّر العقول: ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ فبعد أن ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله﴾ وبعد الوصول لمقام الإحسان المطلق ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يذكر الشرط الثالث: **اتّباع ملة إبراهيم!**

هذا ما ينبغي على الفخر الرازي أن يفهمه أولاً، وهو موضوع الإمامة، **فلو فَهِمَ العامّة هذه الآية هل كانوا سيلعبون بمنصب الإمامة؟ وهل كانت ستظهر**

---

(١) مجموعة ورّام ج٢ ص١١٨.

سقيفة بني ساعدة؟

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ إبراهيمُ الذي كان اتِّباعُ ملَّتِه الشرط الأخير للدّين، لم يكن قد أصبح لائقاً لمقام الامام حتى تحقيق تلك الكلمات، فصار مناسباً لهذا المنصب!!

الآية الثانية

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

هذا كلام الله تعالى، **وفَهمُ القرآن ليس سهلاً** وإن كانت قراءته سهلة، ودَركُ عُمقِهِ **يُحيِّرُ رجال العلم والحكمة والفقاهة.**

لم يكن إبراهيم فرداً، لم يكن شخصاً، كان أُمَّةً، ولكن أيُّ أمَّة؟

﴿أُمَّةً قَانِتاً لله﴾: هذه هي الآية الثانية بالنسبة لشخصيّة الرجل الذي اختاره الله لمنصب الإمامة فكان:

١. ﴿أُمَّةً﴾.
٢. ﴿قَانِتاً لله﴾.
٣. ﴿حَنِيفاً﴾.
٤. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: بالشرك الجليِّ والخفيّ.

---

(١) النحل ١٢٠-١٢٢.

٥. ﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾: بشهادة الله تعالى.

٦. ﴿اجْتَبَاهُ﴾: فقد اجتباه ربُّ الأرباب لنفسه، ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٧. ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: فَهمُ هذه الحسنة بنفسه له شأنٌ، فكلُّ مَن أراد أن يوجِّهَ قلبَه وبدنه إلى الله تعالى عليه أن يُقبِل على ما بناه إبراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة، وإلا فإنّ صلاته باطلة، والصلاة ركن الدين، هذا قوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، فينبغي النظر في الحَسَنة التي أعطاه الله إياها، هذه واحدةٌ، والباقي له وقته.

٨. ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

فَهَل فَهِمَ مفسروا العامّة هذه الآية بهذه الخصوصيات؟

بقيت أمور ينبغي التعرض لها[1]، ومنها:

أنَّه **لا مقام أرفع وأعلى من مقام الخاتم** صلى الله عليه وآله **عقلاً ونقلاً**، وهو غير ممكن التحقُّق لأنه خُلفُ الخاتمية، فكلُّ الأنبياء والمرسلين آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وآله، حتى إبراهيم عليه السلام.

والمخاطَب في الآيات هو الخاتم صلى الله عليه وآله، والخطاب: ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[2]، فمَن كان مَتبوعاً من كلّ الخلق والمُلك والملكوت أُمِرَ باتِّبَاع ملّة إبراهيم بنصّ القرآن، وفي ذيل الآية بيانُ الإمام أن الملّة التي أُمِرَ النبي الخاتم

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ الموافق ٨-٤-٢٠١٣ م.

(٢) النحل١٢٣.

صلى الله عليه وآله باتّباعها هي **الشريعة الحنيفية التي لا تُنسَخ إلى يوم القيامة.**

لو فُهِمَت هذه المطالب لم يكن ليجتمع من اجتمعوا، واختاروا من يعترف بنفسه أنّه **صار حاكماً وإماماً وهو ليس أفضل من المأموم!**

وما كانوا لَعِبُوا بالإمامة! فهناك فرقٌ بين الإمام والمأموم مفهوماً ومصداقاً.

لَستُ بِخَيرِكُم: هذه الكلمة برهانُ بطلان خلافة أبي بكر، ولكن للأسف لم تقع هذه المسائل مورد تأملِّ نُخبة أمّة الإسلام، فمِن جهةٍ تُثبِتُ الآية الإمامة لابراهيم عليه السلام، **ويُثبتونها في المقابل لمن يقرّ بنفسه بعدم صلاحيته لها!**

الآية الثالثة

قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(١).

الأمر غير العهد، ودِقَّةُ الآيات في هذه الكلمات، فإنَّ متعلق العهد في الآية هو طهارة بيت الله لأربع فرق: الطائفين والعاكفين والراكعين والساجدين.

والطواف يجب أن يكون حول البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام، والاعتكاف يكون بعد تطهيره، والركوع والسجود من كل العالمين يجب أن يكون متوجهاً نحو البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام.

فأيُّ مقامٍ هذا؟ هذا كله وقد **بقي منصب الامامة!!**

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ

(١) البقرة١٢٥.

السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[١].

للقرآن أهلُهُ الذين يطالعونه، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾ فإنّ أفضل أمّةٍ وُجِدَت على الكرة الأرضية كانت نتيجة دعاء إبراهيم عليه السلام!

هذا ما يحير العقل ويعجزه!

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[٢].

ذلك الوجود لأفضل الكائنات وأشرف المخلوقات **وإمام جميع الأنبياء والمرسلين كان بدعاء إبراهيم،** ونتيجة دعائه عليه السلام! **فأيُّ مكانةٍ لإبراهيم عند الله تعالى!**

هذه الآية في السورة الثانية من سور القرآن (البقرة)، وجواب الدعاء في السورة ٦٣ من القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

الدعاء في سورة البقرة، والإجابة في سورة الجمعة، ومورد الدعاء وجودُ وبَعثة **نقطة دائرة الخلق، خلاصة الآدميّة، وعُصارَةُ النبوّة والرسالة،** كلُّه ببركة دعاء إبراهيم.

ههنا ينبغي على علماء الإسلام **التأمل ورؤية القرآن،** ثم بعد ذلك يقرؤون

---

(١) البقرة١٢٧.

(٢) البقرة١٢٩.

(٣) الجمعة٢.

هذه الآية: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

فقد اختير أوّلاً لمقام الخلّة فصار خليلاً، **ولم يكن قد تحقّق منصبُ الإمامة بعد،** وتَقَدُّمُ الخِلّة يكشف ما هي الإمامة، لكن من هو الذي يفهم ذلك؟!

كان عند إبراهيم مضافةٌ، وكان يغلق الباب عند خروجه ويفتحه بنفسه عند دخوله، وقد عاد يوماً فوجد باب المضافة مفتوحاً، دخل فرأى شخصاً جالساً، قال: بإذن من وضعت قَدَمَك في هذا البيت المغلق؟ أجابه: بإذن مالك البيت ومالك صاحبه! أنت نفسك مملوكٌ، وأنا جئت بإذن المالك المطلق.

أدرك حينها أنه جبرائيل الأمين، فسأله: لم جئت؟

كان جواب جبرائيل عجيباً، قال: جئت للأرض في مهمة، جئت لأعطي البشارة لعبدٍ من عبيد الله اتَّخَذَهُ الله خليلاً!

هل فَهِمَ الفخر الرازي والبيضاوي وأمثالهم مقدّمات الإمامة هذه؟

عندما سمع الكلمة قال: عرِّفه لي كي أخدمه في حياتي، **فإبراهيم يعرف ماذا يعني خليل الله!**

لم يقل في البداية أنت الخليل، ومَن يفهم سير الأحداث يُدرك قيمة ذلك، قال: عبدٌ اتَّخَذَهُ الله خليلاً.

إبراهيم الذي كان صِدِّيقاً ونبيّاً ورسولاً وبانياً للبيت الحرام **يريد أن يكون خادماً عمره للخليل.**

---

(١) البقرة ١٢٤.

حينها قال له جبرائيل: هذا الشخص هو أنت!

قال: لِمَ اتخذني ربي الحكيم على الاطلاق خليلاً؟

أجابه جبرائيل: لأمرين، **فكِّرُوا وانظروا من الذي وصل إليها.**

سأل: ما هما؟

أجابه: في كل عمرك لم تطلب شيئاً من أحدٍ غير الله، فماذا يعني هذا؟ **دون فهم هذه الكلمات خرط القتاد!**

يعني **الإنقطاع المطلق عن كلِّ ما سوى الله ومَن سوى الله،** مِثلُ هذا يمكنه أن يقول ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً﴾[1].

الثانية: لم يسألك أحدٌ في كل زمانك وسمع منك كلمة لا، فلم تسأل أحداً، ولم تُجِب أحداً إلا بنعم، **هذا منشأ الخلة.**

بعد أن صار خليلاً: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾، ويأتي الكلام في الجعل والمجعول.

ابتلاء إبراهيم

كان البحث[2] في هذه الآية ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

قلنا أنّه ينبغي النظر في موضوع الآية، وما الذي يتعلق بذلك الموضوع،

(١) الأنعام٧٩.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٤ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ الموافق ١٥-٤-٢٠١٣ م.

وبعد هذين الأمرين ما هي نتيجة الموضوع والمحمول.

يُستفادُ من القرآن الكريم أنّ خلق الموت والحياة كان للابتلاء: ﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[1]، وهذه سُنَّةُ الله تعالى بالنسبة للبشر: ﴿أَ حَسِبَ النَّاسُ **أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾، فإنّ عموم مَن يندرج تحت عنوان (الناس) العام قد خُلِقَ للفتنة والابتلاء، ليُعلَمَ من يخرج منه غانماً.

ولهذا المطلب حكمةٌ بنظر العقل والنقل، فينبغي أن يذهب الإنسان للاستخلاص شاء أم أبى، حتى **تذهب الكدورات ويبقى الجوهر** الخالص: **النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّة**[2]، وجوهر الحكمة في الكتاب والسنة، ففي كلِّ كلمةٍ عبارةٌ وإشارة.

النَّاسُ مَعَادِنُ: فينبغي أن تُبتلى تلك الجواهر لتخلُص وتطهر.

وهذه كلمة سيِّدِ العلم والعرفان عليه السلام، في سَفَرِه لعاشوراء: إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لَعْقٌ عَلَى السِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، **فَإِذَا مُحِّصُوا بِالبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون**[3].

هذا أساس الحكمة عقلاً وكتاباً وسنة، وذلك الابتلاء وتلك الفتنة ليسا على السواء بالنسبة للجميع: **يَا كُمَيْلُ إِنَّ هَذِهِ القُلُوبَ أَوْعِيَة**: فالظرفيَّةُ مختلفةٌ، وكلُّ ظرفٍ يرى الإبتلاء بمقدار ظرفيّته، لذا فإنّ المهم فَهمُ هذه الآية، وقد كتب

(١) الملك٢.

(٢) الكافي ج٨ ص١٧٧.

(٣) تحف العقول ص٢٤٥.

العامة كل هذه التفاسير، لكن إلى أين وصلوا من سِرّ هذه الآية؟

لقد اتّضح موضوع الآية إلى حدٍّ ما، وصار معلوماً مَن هو إبراهيم، وهذه مقدَّمة بحث الإمامة في القرآن: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ فمن هو المبتلي؟ والمُبتَلى؟ وما البلاء؟

ذاك الذي يَختَبِر هو (رَبُّهُ)، فما النكتة التي ينبغي فهمها هنا؟ حيث أنّه تعالى في الواقع رَبُّ الجميع، رَبُّ الجمادات والنباتات والحيوانات، ورَبُّ الإنسان بمراتب الإنسانية، لذا فإنّ **ربوبيّة الله تعالى لإبراهيم** عليه السلام **تختلف عن ربوبيته تعالى بالنسبة لداوود.**

فالمختبِرُ هو ربُّه، وتلك الربوبية تقتضي هذا الابتلاء.

أما **المُبتَلى فهو مثل هذا العبد:** إبراهيمُ بانِي بيت الله، مَن كان **مقامه مُصَلَّى أهل المعراج إلى الله**، المبتلى مِثلُ هذا.

فينبغي أن يُفهم عندما يكون هذا هو المبتلي، وذاك المبتلَى، على أيِّ حَدٍّ من العظمة سيكون الابتلاء؟ وما مورد الابتلاء؟

الكلمات التي ابتُلي بها

﴿بِكَلِمَاتٍ﴾: عندما تكون الجملةُ في كلام الله نكرةً تكشف عن عظمةٍ لا تُدرَك ولا توصف، **فهي فوق معرفتنا نحن.**

ما هي تلك الكلمات؟ للمفسرين أقوالٌ في ذلك، لكن ليس عند أحدهم دليل، لقد أخذوا عن ابن عباس والجبائي وآخرين، ولكن ما ادُّعِيَ كان دون دليل.

يجب أن يستند المطلب إلى القرآن الكريم وبيان أهل البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1]، فيجب النظر في ما قاله أولئك المطهَّرون عن الخطأ، والمفسِّرون لكلام الله.

الكلمة الأولى: اليقين وذبح اسماعيل

إنّ أدنى المراتب هي الوهم، وإذا خرج الإنسان منه يصل إلى الشك، وهو تساوي الطرفين المحتملين، ثمَّ تصل النوبة للظنّ وهو النقطة المقابلة للوهم، وهو الرجحان، فالمرجوحُ وهمٌ والراجح ظَنٌّ، ومتساوي الطرفين شكٌّ.

فيُبتَلَى الفكرُ أولاً بالوهم، ثم يترقّى فيصل للشك، ثم يترقّى فيصل للظّن، وبعد وصوله للظنّ: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً**﴾.

وبعد أن يتجاوز الوهم والشك والظنّ، يصل الى مقام اليقين، وهي مرتبة الكمال عقلاً، واليقين **أقلُّ ما قسم بين الناس**: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

فأوّلُ كلمةٍ من بلاء إبراهيم كانت مع اليقين!

للأسف فان الفخر الرازي والعامة **لم يَشُمُّوا رائحة هذه الحقائق!**

لقد فسَّروا الآيات **لكنهم لم يفهموا الكلمات،** لا بتمامها، ولا بنتيجتها وهي جَعل الإمامة.

وبالعودة للقرآن الكريم، فإنّ ذلك اليقين لم يكن لَعباً، فمن أين جاء؟

يجب قراءة متن الآيات المباركة لأن للترتيب خصوصيّاته، قال تعالى:

---

(١) الأحزاب٣٣.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١]، فما هو الملكوت؟

اقرؤوا سورة يس، حيث كان التسبيح في البداية: ﴿سُبْحانَ﴾، وفي كلِّ مكانٍ يشرع فيه بالتسبيح يكون المطلب مهماً جداً، ونموذجه هذا ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾، فبدأ بالتسبيح.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وتُبَيِّنُ سورة يس عظمة هذا الملكوت: ﴿فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وإنّ لكلِّ شيء ملكوتاً، فما هو ملكوت السماوات؟ ملكوت كل الكواكب والمجرات؟ ملكوت كلِّ ذلك قد أري لإبراهيم، فقد وصل بَصَرُ وبصيرةُ إبراهيم من الأرض للعرش، أراه الله هذا الملكوت ثم وصل إلى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

اختبار اليقين

كان البحث[٢] في ابتلاء خليل الله، ومورد الابتلاء الذي هو مقدَّمةٌ لمقام الإمامة عشر كلمات: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، وليس عندنا فرصةٌ للتعرض لكلّ هذه الكلمات، فهذا **البحث بَحرٌ لا يُدرَكُ قعره**، ولكنّا نكتفي بقدر الميسور، على أن يكون المرجع هو نفس القرآن الكريم، والسنة المعتبرة.

الكلمة الأولى كانت اختباراً إلى أن وصل إلى مقام اليقين: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، وقد تمّ بحث هذه الكلمة مختصراً.

---

(١) الأنعام٧٥.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٩ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٠-٤-٢٠١٣ م.

والآن يجب أن يُختبَر هذا اليقين، فقد قال هذا القول المحيّر للعقول: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(١).

وتوجيه الوجه له تعالى ينبغي أن يُختبَر ويُمتَحن، وقد ذُكِرَ قسمٌ من الإمتحان الأول في سورة إبراهيم، وقسمٌ آخر في سورة الصافات.

أما في سورة إبراهيم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾(٢).

أين الشام وأين مكة؟ لقد أُمِرَ أن يُحضِرَ أعزَّ جوهرٍ إلى مثل هذه الأرض التي ليس فيها ماءٌ ولا عمران، ولا يضع إنسانٌ قدَمَهُ في تلك المنطقة، هذا أوّل الإمتحان في الكلمة الأولى، والباقي يتضح من نفس الآية: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾(٣)، ولتكرار لفظ (رَّبَّنَا) إشاراتٌ.

لماذا أحضرتهم؟ مثل هذا الولد الذي دعوتُ الله ليعطيني إياه وضعتُه هنا ولا تزال ولادته حديثة: ﴿**رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ**﴾، فقط لكي يذكروك ويصلوا لك.

قال تعالى للخاتم ﷺ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ

(١) الأنعام٧٩.
(٢) إبراهيم٣٥.
(٣) إبراهيم٣٧.

شَطْرَهُ..﴾[١]، هذا أثر ذاك العمل، أنْ **أصبَحَت تلك الأرض قِبلةَ العالم** ومطافَ كل الأنبياء: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

وما يُحرِقُ القلب كثيرٌ، فعندما قال هذا الكلام كان مأموراً أن يضع المرأة والطفل بين الصفا والمروة ويذهب مباشرة، فماذا فعل؟

هذا ما ينبغي أن يفهمه البشر فيعترفوا بالقصور والتقصير، ويعرفوا كيف كان هؤلاء وماذا فعلوا حيث **يعجَزُ العقل عن إدراك كنه وجودهم**: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى الله مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء * الحَمْدُ لله الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء﴾[٢].

وخَتم الكلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي﴾ **كلُّه فناءٌ في الله**، لا يرى نفسه ولا ابنه ولا طفله العزيز، كم مرةً ذُكِرَت الصلاة من الأول للآخر؟ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي **مُقِيمَ الصَّلاَةِ** وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء﴾[٣].

هذا القرآن، أما السنة، فالرواية من جهة السند صحيحةٌ أعلائية، في الكافي ج٤ ص٢٠٢: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا خَلَّفَ إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ عَطِشَ الصَّبِيُّ**: تَرَكَ الطفل وذهب فعطش، وهذا الحديث وبهذا السند له مضمونٌ عجيب.

فَكَانَ فِيمَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ شَجَرٌ، فَخَرَجَتْ أُمُّهُ حَتَّى قَامَتْ عَلَى الصَّفَا:

---

(١) البقرة١٤٤.

(٢) إبراهيم٣٨-٣٩.

(٣) إبراهيم٤٠.

كان الولد قرب البيت، وذهبت أمُّه إلى الصفا، ونادت هناك.. ما من أنيسٍ! **تصوُّرُ ذلك يُعجز الإنسان،** مثل هذه المرأة لوحدها في الصحراء مع مثل ذلك الطفل.

فَقَالَتْ: هَلْ بِالبَوَادِي مِنْ أَنِيسٍ؟ فَلَمْ تُجِبْهَا أَحَدٌ، فَمَضَتْ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى المَرْوَةِ، فَقَالَتْ: هَلْ بِالبَوَادِي مِنْ أَنِيسٍ؟ فَلَمْ تُجَبْ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى الصَّفَا، وَقَالَتْ ذَلِكَ حَتَّى صَنَعَتْ ذَلِكَ سَبْعاً، **فَأَجْرَى الله ذَلِكَ سُنَّةً.**

بعد المرّة السابعة رأت أحداً، مَن هو؟ إنه أمين وحي الله جبرائيل.

وَأَتَاهَا جَبْرَئِيلُ فَقَالَ لَهَا: مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: **أَنَا أُمُّ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ:** يجب الدقة في متن كلام الإمام عليه السلام، فقد قالت: أنا أم ولد إبراهيم.

قَالَ لَهَا: إِلَى مَنْ تَرَكَكُمْ؟

فَقَالَتْ: أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ، لَقَدْ قُلْتُ لَهُ حَيْثُ أَرَادَ الذَّهَابَ: **يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَرَكْتَنَا؟** فَقَالَ: **إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ.**

فَقَالَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام: **لَقَدْ وَكَلَكُمْ إِلَى كَافٍ.**

قَالَ: وَكَانَ النَّاسُ يَجْتَنِبُونَ المَمَرَّ إِلَى مَكَّةَ لِمَكَانِ المَاءِ، **فَفَحَصَ الصَّبِيُّ بِرِجْلِهِ فَنَبَعَتْ زَمْزَمُ:** المهم هنا، لقد ترك امرأةً في تلك الصحراء، فذهبت بين الصفا والمروة، **فجعلها الله تعالى سنةً يبطل حجّ كلّ الأنبياء والأوصياء ما لم يسعوا سبع مراتٍ بين الصفا والمروى تبعاً لما عملته:** ﴿فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

وكما صار الطواف ركناً، **صار السعي بين الصفا والمروة كذلك، كما سعت**

امرأةٌ مسكينة، حتى للنبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، **هذه هي المعاملة مع الله عز وجل.**

أما ذلك الولد، فما مستقبله؟ صار في المستقبل نبيّاً، ذلك **الولد الذي خرج ماءُ زمزم بضربة قدميه** وصل إلى **ثمرةٍ** تتمتها في سورة الصافات: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

دقِّقُوا جيداً، هنا طَلَبَ ذلك الولد من الله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فكان تعبير الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ﴾، وإذا بَشَّرَ ذاتُ الله تعالى فما الخبر؟ وما هو مورد البشارة؟ ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾ **أنا عاجزٌ عن درك المطلب**، فماذا كان هذا الولد حتى يقول تعالى ﴿بَشَّرْنَاهُ﴾.

نَفسُ وجود هذا الولد بشارةٌ من الله، وذاته تعالى عرّفه بهذا الاسم وهذه الصفة ﴿**غُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾.

ولما كبر الولد، وهو الذي عندما نظر اليه إبراهيم فرح به: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾: **المطلبُ عظيمٌ جداً**، شابٌّ وَصَلَ الآن إلى ثمرته، يقول له والده مثل هذا القول، وهو الذي رؤياه وحيٌ، قال له ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، **أجاب بلا تأمل**، قال إبراهيم: انظر، **وأعطاه مهلةً ليتأمّل ويفكر، فأجابه بأنّ الأمر لا يحتاج إلى تفكير**: ﴿**قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾ هذه الكلمة مهمةٌ بقدر أنّ الإمام الثامن عَلَيْهِالسَّلَامُ في رواية العيون والأمالي يقول: **قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ، وَ لَمْ يَقُلْ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا رَأَيْت**[2]: فما كان أمرَ الله **افعله بلا تأمُّلٍ أو سؤال!**

---

(١) الصافات٩٩-١٠٠.

(٢) عيون أخبار الرضا ج١ ص٢١٠.

هذا بشرٌ ونحن بشر؟!

يجب قراءة القرآن وفهمه، **نحن لَمْ نصل لشيءٍ وقد مرّ العمر**، فكيف كانوا وماذا فعلوا؟ وكيف نحن؟ وماذا نفعل؟!

انظروا الى الفَهم: ﴿ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي﴾ **هنا ينبغي أن ينتحر القلم** ﴿إِن شَاء الله مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ستراني من الصابرين، لكن أيضاً بإرادة الله ومشيئته: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ﴾.

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: أسلما كلاهما لأمر الله، وتَلَّهُ للجبين فأنامه على التراب، ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ **ناداه الله تعالى، ليس جبرائيل ولا ميكائيل،** ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ**﴾.

كل هذه المقدمات لأجل هذه الجملة، هكذا افهموا القرآن، هناك قال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، وهنا قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ﴾ ذاك البلاء الذي قلنا أن إبراهيم **يجب أن يُبتلى به ليصلح للإمامة هو هذا البلاء.**

لو كان الفخر الرازي يفهم القرآن لعرف أن الإمامة منصبٌ لمثل هؤلاء، ولما قال بأنّ مثل أبي بكر وعمر من أهلها!!

أين الفهم والعلم؟! لا خبر عن ذلك.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ﴾ إنّ للتأكيد، واللام للتأكيد مجدداً: ﴿الْبَلَاء الْمُبِينُ﴾.

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: عندما حرك السكّينة بكامل قدرته نزل جبرائيل وأحضر ذبحاً عظيماً.

الكلمة الثانية: الابتلاء بالنفس

كان البحث[1] في الكلمات التي ابتُلي بها إبراهيم وصار مستحقاً لجعل الإمامة، وكانت الكلمة الأولى الابتلاء بذبح إسماعيل، والتي قال فيها القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ﴾.

الكلمة الثانية هي الابتلاء بالنفس، وفي هذه الكلمة أيضاً ينبغي أن يُفهم الكتاب والسنة لتتضح عظمة هذا الابتلاء، وقد ذُكِرَ الأمر مفصَّلاً في موردين في القرآن الكريم، أحدهما في سورة الأنبياء وفيها ابتداءُ أمر الابتلاء وانتهاؤه، فينبغي فهم البداية من كلامه تعالى كما النهاية، وما بينهما.

قال تعالى: ﴿ولقد﴾ بدأ بلام التأكيد وقد التحقيق: ﴿آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ﴾[2].

أيُّ قوَّةٍ هذه عند هذا الشخص وأيُّ شجاعةٍ ليقابل بها كلّ الناس حيثُ **لم يكن هناك مُوَحِّدٌ غيره على الأرض؟!**

طريق الاحتجاج هذه توضح ما هو ذلك الرشد الذي أعطاه الله إياه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، ففي هذه الجملة بيّن بطلان كلّ تلك العقائد، استخدم كلمة (ما) المستعملة لغير ذوي العقول، **فنفى العقل والفهم والإدراك عن آلهتهم،** ثم بيّن بعد ذلك ماهيتها وحقيقتها بهذه الكلمة ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾، هكذا كان منطقه.

أما منطقهم: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، فكان البرهان الذي

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١١ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٢-٤-٢٠١٣ م.

(٢) الأنبياء٥١.

استندوا إليه هو **التقليد والتبعيّة العمياء.**

﴿قَالَ لَقَدْ **كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾: هذا برهانه، ربُّكُم ربُّ السماوات والأرض، وفي هذه الجملة تَمَسَّكَ بأقوى برهانٍ في معرفة الله، وهو برهان النَّظم، النِّظَام ووحدة النَّظم، فالآفاقُ والأنفُسُ تحت تصرُّفِ واحدٍ فقط ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾.

ولمّا رأى أنّ البرهان لم يؤثّر قال قولته، وأيُّ قدرةٍ هذه التي عنده؟ وعلى ماذا يستند ليتكلم بهذه الطريقة: ﴿**وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم** بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾.

تَالله: هنا بحثٌ مفصَّلٌ، وللأسف أن لا فرصة له، بُحورٌ من الحكمة، لم يقل: (والله) بل قال (تالله)، وفي تبديل الواو بالتاء بحارٌ من العلم والحكمة، ثم مع لام التأكيد ونون التوكيد وذلك القَسَم الخاص، وصل الدور للعمل بعد القول: ﴿**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً** إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ لتتم الحجة.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ يُفهَمُ من هذه الجملة أنّه كان في عنفوان شبابه.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: المُدَّعِي هم تمام الناس، والمُدَّعَى عليه فتىً، **والمحكمة محكمةُ نمرود.**

﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا

فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ نفس هذا العمل برهانٌ آخر، فرمى التهمة عليه وقال: اسألوهم، احتجّ بهذه الطريقة فأفهمهم **أن الموجود الذي ليس عنده قدرة النطق**، ولا يتمكن من الدفاع عن نفسه وعن أصنامه الصغار، **كيف يمكن أن يكون معبوداً وأن تعتقدوا بأنه المؤثر في الوجود؟!**

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾: أسقط في يدهم هنا، فَكَّرُوا فوجدوا أنّ كلامه غير قابل للجواب المنطقي.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ﴾: فلما وجدوا أن ليس عندهم قدرة على المبارزة العلمية مع هذا الفتى **لجؤوا إلى كلام الزور**.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: وهنا البلاء الذي يحيّر العقول، **الذي يفهمه الأنبياء وليس نحن**: ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ**﴾، لا تقتلوه، أحرقوه، لأنهم لم يجدوا أسوأ من الاحراق: ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ فصمّموا على الإحراق.

أيُّ غوغاءٍ هذه.. أمَّةٌ عابدةٌ للأصنام، مع نمرودٍ حاكمٍ للعالم، وكما كان سليمان مُسَلَّطاً على كل الأقاليم، كان نمرود مقابلاً له.

فأرسل النمرود الجميع لجمع الحطب حتى الرجل العجوز، وجمعوا حطباً لفرسخين، **مثل هذه الواقعة التي لم يُرَ مثلها في العالم، ثم أشعلوا هذه النار التي لا نظير لها**، تحيَّروا في كيفيّة وضع إبراهيم فيها، هنا ظهر الشيطان فصنع المنجنيق، ولم يكن بغير المنجنيق سبيل، هذا في سورة إبراهيم.

أما في سورة الصافات: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ﴾ وهذا قسمٌ آخر من الاحتجاج يختلف عن ذاك، **فهل يعقل أن يكون ما صنعتم صانعاً لكم؟** لقد خلقكم الله أنتم ومصنوعاتكم، **مَن الذي صنع مواد هذه الأصنام؟ مَن عنده القدرة على إيجاد ذرّةٍ واحدة؟** الذي خلقكم وما تعملون هو الذي عنده **قدرةٌ لا تتناهى**.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَالقُوهُ فِي الجَحِيمِ﴾: وذلك البنيان هو المنجنيق، وهنا إشارة إلى ذلك العمل الذي رسمه لهم إبليس في الموردين، وأكّدَ تعالى على جملة: **﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾**.

وفي سورة الأنبياء: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾.

وفي سورة التوبة: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا﴾[1].

رحمة إبراهيم

والآن يجبُ النَّظَر[2] إلى أين وصلت الأمور، بحيث نأخذ ما حصل من حديثٍ صحيحٍ عن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرائيل عليه السلام، الذي كان شاهداً على القضية من أوَّلِها إلى آخرها، حيث كان فيها وذَكَرَها للنبي صلى الله عليه وآله، ولكن نذكر مقدَّمة لنصل إلى ذي المقدمة.

أما المقدمة: **فإنَّ اللائق للإمامة هو الذي يكون محلَّ رحمة ورأفة الله تعالى**

(١) التوبة٤٠.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٦ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٧-٤-٢٠١٣ م.

للخلق، لأنّ أحد الأسماء الإلهيّة التي ذُكِرَت في البسملة بعد (الله) اسمُ الذات الحاوي لجميع صفات الجمال والجلال والكمال ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحيم**﴾: **إِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ، غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِم**[1].

فينبغي أن **تظهر تلك الرحمة التي وسعت كلَّ شيءٍ في إمام الأمة**، لذا تشير هذه الرواية إلى رحمة إبراهيم لخلق الله تعالى، وكيف كانت بالنسبة لنفسه، وكلٌّ منهما في روايةٍ صحيحة، الأولى في كمال الدين ص١٤٠:

حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: وكلاهما **من أركان الفقه والحديث**، فالصدوق ينقل عن أبيه ابن بابويه، وعن شيخ المشايخ ابن الوليد، وهذان ينقلان أيضاً عن آخرين من أركان الفقه والحديث.

قَالا حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ الله وَعَبْدُ الله بْنُ جَعْفَرٍ الحِمْيَرِيُّ جَمِيعاً، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى: وهو من وجوه الطائفة وأعيان المذهب.

عَنِ الحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ: وهو أعلى من التوثيق والتوصيف.

عَنْ مَالِكِ بْنِ عَطِيَّةَ: وهو أيضاً موثَّقٌ بتوثيق مِثل النجاشي.

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ: وهو من حواريي الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ومثل هذا السند في الأحاديث في نهاية الندرة.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام ذَاتَ يَوْمٍ يَسِيرُ فِي البِلَادِ لِيَعْتَبِرَ، فَمَرَّ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ يُصَلِّي **قَدْ قَطَعَ إِلَى السَّمَاءِ صَوْتَهُ**، وَلِبَاسُهُ شَعرٌ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، فَعَجِبَ مِنْهُ، وَجَلَسَ يَنْتَظِرُ فَرَاغَهُ، فَلَمَّا

(١) نهج البلاغة ج٢ ص١٦٠.

طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَرَّكَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ لِي حَاجَةً، فَخَفِّفْ.

قَالَ: فَخَفَّفَ الرَّجُلُ وَجَلَسَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: لِمَنْ تُصَلِّي؟

فَقَالَ: **لِإِلَهِ إِبْرَاهِيمَ**.

فَقَالَ: وَمَنْ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ؟

قَالَ: الَّذِي خَلَقَكَ وَخَلَقَنِي..

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ لِإِبْرَاهِيمَ: لَكَ حَاجَةٌ؟

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: نَعَمْ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: وَمَا هِيَ؟

قَالَ لَهُ: تَدْعُو اللهَ وَأُؤَمِّنُ أَنَا عَلَى دُعَائِكَ، أَوْ أَدْعُو أَنَا وَتُؤَمِّنُ أَنْتَ عَلَى دُعَائِي.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَفِيمَ نَدْعُو اللهَ؟

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: **لِلْمُذْنِبِينَ الْمُؤْمِنِينَ**.

قَالَ الرَّجُلُ: لَا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَلِمَ؟

فَقَالَ: لِأَنِّي دَعَوْتُ اللهَ مُنْذُ ثَلَاثِ سِنِينَ بِدَعْوَةٍ لَمْ أَرَ إِجَابَتَهَا إِلَى السَّاعَةِ، وَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَدْعُوَهُ بِدَعْوَةٍ حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَجَابَنِي.

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَفِيمَا دَعَوْتَهُ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: .. فَدَعَوْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ ذَلِكَ **وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُرِيَنِي خَلِيلَهُ**.

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: **فَأَنَا إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ**، وَذَلِكَ الْغُلَامُ ابْنِي.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ: الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ الَّذِي أَجَابَ دَعْوَتِي.

قَالَ: ثُمَّ قَبَّلَ الرَّجُلُ صَفْحَتَيْ وَجْهِ إِبْرَاهِيمَ وَعَانَقَهُ، ثُمَّ قَالَ: الآنَ فَنَعَمْ، وَادْعُ حَتَّى أُؤَمِّنَ عَلَى دُعَائِكَ.

فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ المُذْنِبِينَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ بِالمَغْفِرَةِ وَالرِّضَا عَنْهُمْ، قَالَ: وَأَمَّنَ الرَّجُلُ عَلَى دُعَائِهِ..

ما هو هذا الدعاء الذي دعا به إبراهيم عليه السلام؟ هنا يتّضح كيف ينبغي أن يكون **الشخص اللائق لمنصب الإمامة بالنسبة لمساكين العالم**، وهو مَظهَرُ رحمة الله، حيث دعا لهم بالمغفرة أولاً، ورضا الله ثانياً، ودَعوَتُهُ هذه للعاصين من أهل الإيمان.

وفي آخر الحديث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: **فَدَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ بَالِغَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ المُذْنِبِينَ مِنْ شِيعَتِنَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.**

وهنا ينبغي فهم الحديث ومعرفة إبراهيم ومن هو اللائق للإمامة، هذا هو إبراهيم وهذا دعاؤه للمذنبين المؤمنين، هذا **مَظهَرُ رحمة الله تعالى.**

أما رحمته لنفسه، فالمرجع فيها أيضاً النصُّ المعتبر، ورجال الحديث **من الأعاظم وأعيان الثقات:**

عَنِ ابْنِ بَابَوَيْهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الله، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله عَنْ جَبْرَئِيلَ عليه السلام قَالَ: لَمَّا أَخَذَ نُمْرُودُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لِيُلْقِيَهُ فِي النَّارِ قُلْتُ: **يَا رَبِّ، عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ لَيْسَ فِي أَرْضِكَ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرُهُ**، قَالَ الله تَعَالَى:

هُوَ عَبْدِي آخُذُهُ إِذَا شِئْتُ.

وَلَمَّا أُلقِيَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: والمتحدث هنا هو جبرائيل وهو يخبر النبي صلى الله عليه وآله.

فِي النَّارِ: ماذا كانت النار؟ في سورة الصافات: ﴿**فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ**﴾ كانت **جحيماً وليست ناراً**، فلم يبق أحدٌ من نمرود إلى العجزة إلا جَمَعَ حطباً لإحراقه تقرُّباً إلى آلهتهم، ووضعوه على المنجنيق.

تَلَقَّاهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فِي الهَوَاءِ وَهُوَ يَهْوِي إِلَى النَّارِ، فَقَالَ: **يَا إِبْرَاهِيمُ أَ لَكَ حَاجَةٌ؟**

فَقَالَ: **أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا**: هنا يجب التفكر، ذلك المستغرِقُ في محبّة الخلق هناك، **غافلٌ عن نفسه هنا، فانٍ في الله، منقَطِعٌ عن خلق الله.**

أين الفخر الرازي ليفهم من هو اللائق للإمامة؟ هذا هو بِنَصّ القرآن؟ **أم أبو بكر الذي قضى عمراً في عبادة الأصنام؟ أم عُمَر الذي عبد الأصنام وشرب الخمر؟** هذا أم ذاك؟

وفي روايةٍ أخرى عن الصدوق أيضاً في الأمالي وعيون أخبار الرضا عليه السلام:

فَأَهْبَطَ الله عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهَا خَاتَماً فِيهِ سِتَّةُ أَحْرُفٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى الله، أَسْنَدْتُ ظَهْرِي إِلَى الله، حَسْبِيَ الله[1].

وفي ترتيب الأحرف ما فيه من المعرفة، وقد خُتِمَت كلُّ الأحرف باسم الله بترتيبٍ خاص، فما معنى ذلك؟

---

(١) الأمالي ص٤٥٨، وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٥٥.

من قال (لَا إِلَهَ إِلَّا الله) لا يمكن إلا أن ينتهي إلى (حَسْبِيَ الله).

عند ذلك: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، ثلاثةُ أيامٍ لم تؤثر فيه أيُّ حرارة، **صارت جهنمٌ جنةً على إبراهيم، صارت برداً وسلاماً.**

هاتان كلمتان من عشرة: الامتحانُ في نفسه، والامتحانُ في زوجته وأبنائه، وبقيت ثمانية كلمات، وبعد ان امتُحِنَ بالعشرة ونجح فيها، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾، **هذه هي الإمامة.**

كان إبراهيم أمّةً

ينبغي ليُفهَمَ كلُّ بابٍ[1] أن يفهم فيه مطلبان للوصول إلى كنهه، وكان الكلام في الإمامة وحكم القرآن فيها، وهذه الآية هي حجةٌ إلهيةٌ بالغةٌ في هذه المسألة التي تُعَدّ **من أهمّ المسائل والمباحث، لأنّ كمال الدين مرتبطٌ بها.**

وهذان الأمران:

١. إدراك العمل.

٢. إدراك العامل.

فإذا عُرِفا تحصل النتيجة.

أمّا العمل فكان: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، هذا نوع العمل الذي نجح فيه إبراهيم.

أما العامل، فالحكم فيه أيضاً من القرآن والسنة، وينبغي النظر فيما قاله تعالى في شأن هذا العامل وشخصيّته، وينبغي الدقة في كلمات الآية كلمةً كلمة،

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٩-٤-٢٠١٣ م.

مع الاستمداد من كلمات أهل بيت الوحي عليهم السلام.

أما كلامه تعالى عن العامل فهو: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً** لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

﴿إِنَّ﴾: يشرع في حرف التقرير والتأكيد والتثبيت، وهو الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ههنا يقف العقل عاجزاً، فمن كان إبراهيم؟ لم يكن شخصاً، بل كان أمّةً، ماذا يعني هذا؟ **كيف يكون شخصٌ واحدٌ عشرة أشخاص**؟ أو مئة شخص؟ **كيف يكون أَمَّةً؟**

مقدار ما يُستفادُ من الكتاب والسنّة أن ذلك الشخص **قام بدور أمّة.**

إنّ قيمة الأمّة بعملها، **فيصبح الشخص أَمَّةً حينما يقوم بما يُنتظر أن تقوم به أمَّةٌ**، فيوصِلُ ما عنده من مرحلة القوّة إلى مرحلة الفعلية، فقد **هدم الأصنام وحده بلا شريك**، وكان الوحيد في العالم القائل: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.

هذه جهةٌ، والجهة الأخرى أنّ إنسانيّة الإنسان ليست بهذا الجسم، فمواد هذا الجسم موجودةٌ في التراب أيضاً، بل حتى في أبدان الحيوانات، إنّ **إنسانية الإنسان تتم بالمعرفة والكمال العقليّ والعِلميّ والعَمَليّ.**

هذا الشخص كان في السّنة الخامسة عشر، في مثل هذا السنّ وفي تلك البُرهة من عمره **جُمِعَت في وجوده جميع دلائل العلم والإيمان**، فوصل إلى مكانٍ

(١) النحل ١٢٠-١٢١.

أُرِيَت له ملكوت السماوات والأرض، وصل إلى مكانٍ رأى طبقات السماء، وتجاوزت رؤية بصره وبصيرته السماوات والأرض، **ليصل إلى اللوح والقلم، ويتجاوزه إلى الكرسيّ ثم إلى العرش**، هذا كله **في تلك الفترة من عمره!!** فشاهَدَ صروحَ العلم وملكوت الوجود: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

﴿ قَانِتاً للهِ﴾ أيُّ قنوت هذا؟

﴿حَنِيفاً﴾ لكلِّ وصفٍ من هذه الأوصاف شرحٌ مفصّل ولكن ليس لدينا وقتٌ لذلك.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ **فتجاوَزَ الشِّرك الجليَّ والخفيّ.**

﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾: ما هي الأنعم؟ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ الله **لاَ تُحْصُوهَا**﴾ فتجاوَزَ شُكرُهُ كلَّ شُكرٍ، هذا ما يحيّر العقول.

بعد ذلك ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: فصار مجتبى الله، أي مَن يختاره الله ويجتبيه ويقبَلُه.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: بعد أن طوى كل تلك المقامات ووصل إلى مرتبة الإجتباء أعطاه الله حسنةً، ولهذه النكرة معنىً عظيم، لماذا نكرة؟ لأنها غير قابلة للتعريف!

ومن نماذج هذه الحسنة، أنّ الصلاة معراجُ كلّ مؤمن، وبالصلاة يبلغ العبد الدرجة القصوى، **والصلاة هي عمود دين الله**، وهذا محلُّها مع أنبياء الله في القرآن، فمن عيسى عليه السلام إلى موسى عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام ﴿**رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاة**﴾ وأما عيسى ﴿وَأَوْصاني بِالصَّلاة﴾ ولمّا تصل للخاتم صلى الله عليه وآله: ﴿**أَقِمِ الصَّلاَةَ** لِدُلُوكِ

الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[١].

ذلك المقام المحمود الذي وُعِدَ به أحمد صلى الله عليه وآله لا يصل إليه صاحبه ما لم يُصَلِّ لبيتٍ بناه إبراهيم عليه السلام، هذه: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، فهل تكون قابلة للتعريف؟

وعظمة حجِّ بيت الله مما لا يقبل الإدراك: ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾، وقد جاء أحدُهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: فاتني الحج هذا العام فماذا أفعل لأعوّض ذلك، فأشار لأبي قبيس وقال: **لَوْ أَنَّ أَبَا قُبَيْسٍ لَكَ زِنَتَهُ ذَهَبَةٌ حَمْرَاءُ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا بَلَغْتَ مَا بَلَغَ الحَاج**[٢].

من أين يبدأ حج البيت وأين ينتهي؟ هناك تُعرَفُ الآية: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، فشروعه من الوقت الذي يقول فيه : لبّيك اللّهمّ لبيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك، لا شريك لك لبّيك.

ما هي (لبّيك) هذه؟ كلُّهُ جواب كلمةٍ: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ﴾، **فالشروع في العمل يبدأ من جواب دعوة إبراهيم عليه السلام**.

وختام هذا العمل ما هو؟ واقعاً **إنّ فهم القرآن معجِزٌ ومُحيِّر**، ختمه هناك، بعد أن قَطَعَ كل ذلك: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، فينبغي الصلاة خلف مقامه عليه السلام، من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى إمام الزمان عليه السلام قطب دائرة الإمكان،

---

(١) الإسراء٧٨-٧٩.

(٢) الكافي ج٤ ص٢٥٨.

ينبغي عليهم جميعاً أن يتّخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

الأول جواب دعوته، والآخر العروج إلى الله، وهذا نموذجٌ للحسنة.

الإمامة أرفعُ المنازل

كان البحث[1] في شخصيَّة مَن جعله الله تعالى إماماً للناس، ومِن دقائق البحث أنّه كما كان في العمل عَشرُ مطالب، ففي العامل في هذه الآية عَشرُ مطالب أيضاً، **إنّ في القرآن حقائق ولطائف وإشارات، وكلٌّ منها لطبقةٍ خاصة.**

كانت الكلمات التي ابتُلي بها إبراهيم عشرَ كلماتٍ بحسب النص، وقد عرضنا لكلمتين منها فقط.

أما بالنسبة للعامل نفسه ففي هذه الآية من سورة النحل عشر مطالب، ويجب النظر في بدايتها أولاً بماذا كانت، وبماذا كان خَتم الكلام.

أمّا البداية: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾وهذا بنفسه له بحثٌ مفصل، والثاني ﴿قَانِتاً لله﴾، والثالث ﴿حَنِيفاً﴾، وأصلُ الحنيفية التي يُنسَبُ إليها ههنا، والرابع ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بإطلاق الشرك الجليّ والخفيّ، والخامس ﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾، فوصل إلى مقام الشكر ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور﴾، والسادس ﴿اجْتَبَاهُ﴾، والسابع ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وكان ذلك الصراط في حَدِّ الاستقامة المطلقة، وله أيضاً بحثٌ مفصل، والثامن: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، **نموذجها الكعبة، ونموذجها الآخر كون الخاتم ﷺ من صلبه**، والتاسع ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وإذا لم نكُن في حَدِّ فهم المقام الدنيوي لإبراهيم عليه السلام،

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ الموافق ٦ أيار ٢٠١٣ م.

فكيف بمقامه الأخروي؟

أما العاشر، وهذا **ختام المطلب**، وهذه الجملة محيِّرةٌ، فإنّ من كان خلاصة العالم، وخلاصة آدم، هو الخاتم صلى الله عليه وآله، والخلقة والبَعثة **مقدَّمة له** صلى الله عليه وآله، **هو المتبوع من تمام عالم الوجود،** ذلك الإنسان الكامل، الذي كان متبوعاً من جميع الأنبياء والمرسلين، وكان **إمام الأنبياء والأوصياء،** قال له تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[1].

يجب أن تتَّبع أنت أيضاً ملّة إبراهيم عليه السلام، تلك الملّة هي **ما لم يُنسخ ولا يُنسَخُ أبداً،** ينبغي على النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وعلى كلّ الأمّة أن تكون على ملّة إبراهيم الخليل عليه السلام.

لو فَهِمَ علماء العامة القرآن **لما صارت مسألة الامامة مورداً للتلاعب كما صارت.**

مِثلُ هذا الشخص وهذه الشخصية هو الذي يستحق مرتبة: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾، **فأيُّ مراتب قد قطعها حتى أصبح لائقاً للإمامة؟**

تأمّلوا بفهمٍ دقيقٍ فيما ورد في الكافي (كتاب الحجة) عن أبي جعفر عليه السلام: **إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً:** فما هي العبودية؟ المادّة في العَبد والعابد العبادة، لكن مع التدقيق فإنّ العَبد غير العابد، وقد ذَكَرَ الراغب في المفردات في تفسير العبادات أنّها غاية التذلل، فلِمَن تكون غاية التذلل؟ تكون لمن له غاية الإفضال، **فالعبودية غاية التذلل لمن له غاية الإفضال،** وهذه المرتبة

(١) النحل١٢٣.

الأولى ولها شرحٌ في وقتٍ آخر، ولو أردنا أن نُبيِّنَ كل مسألة من فقه الحديث مع مناسبتها لبيان الإمام فلا يكفينا الوقت.

لو أراد أيُّ أحدٍ أن يفسِّر العبودية فليرجع للقرآن الكريم، ولِرُكن الدين وهي الصلاة، ففي القرآن كانت العبودية في أوّل الإسراء والمعراج: ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرام إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾، وفي آخره أيضاً: ﴿فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى﴾، وعندما نُصَلِّي الصلاة أيضاً نقول في التشهد بعد الشهادة بوحدانية الذات القدوس: وأشهد أن محمداً **عبدُهُ ورسوله**.

هذه هي العبودية: **إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً، وَإِنَّ الله اتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا، وَإِنَّ الله اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا**: فاتّخاذه رسولاً كان قبل اتخاذه خليلاً، وينبغي التأمُّل في أنّ كلّ هذه المقامات من **الأمور المشكِّكَة، فللعبوديّة مراتب**، وكذا النبوّة والرسالة، وبعد طَيّ المرتبة ما دون الخاتم ﷺ وفوق تمام الأنبياء عليهم السلام في النبوة والرسالة اتخذه الله خليلاً، فكان مقام خلَّته بعد كل هذا.

وختم الكلام ههنا، في نفس الرواية المرويّة عن خامس الأئمة في أصول الكافي: **وَإِنَّ الله اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَاماً**: فكان منصب خلَّةِ الله قبل منصب الإمامة، هذه هي الإمامة في القرآن، ونصُّ كلام الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾.

فهل تُناسب هذه الإمامة ابن أبي قحافة وعُمَرَ بن الخطاب؟

أيكون اللباس الذي ألبسه الله لإبراهيم بعد كلِّ تلك الكلمات والمقامات لائقاً بمثل هؤلاء؟

يقولون عنه من جهةٍ أنَّه إمامٌ، ومن جهةٍ أخرى يقولون أنّه قال بنفسه: **أقيلوني فلست لائقاً بهذا المقام!!** حينما أعلَنَ قائلاً: لست بخيركم!

ينبغي سؤال الفخر الرازي: من هو الأعلى مرتبة؟ إبراهيم عليه السلام أم سعد بن أبي وقاص؟ إبراهيم عليه السلام أرفع أم الأفراد **النكرة في المدينة؟**

الذي يعترف بأنّه ليس أفضل من أدناهم هل يكون لائقاً لمقام إبراهيم؟

هذا يعني أنّ **التَعَلُّم يختلف عن العلم والفهم** ونيل الحقائق، **فالعلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء.**

فلماذا لم تصل أنظار أولئك المفسرين والكُتَّاب إلى أن تفهم أنّ **الإمامة محتاجةٌ إلى جعلٍ من الله تعالى؟** وأنّ شخص الإمام ينبغي أن يكون قد تجاوز مثل هذه الاختبارات، ووصل الى مثل هذه المناصب ليصل الى مقام الإمامة.

هل هذا تعصُّبٌ أم هذا تمسُّكٌ بنص القرآن؟ هل ذاك عِلمٌ أم تهكُّم؟

هذا منطق الشيعة، وهكذا يَثبُت بطلان العامة، وأحقيّة الخاصة، بالنصِّ الصريح من الكتاب والسنة القطعية، لكنّ هذا **موقوفٌ على الإحاطة العلمية** والتتبع والتحقيق، والآية المتقدمة وحدها كافيةٌ لإثبات ذلك.

البرهان الثاني: لا ينال عهدي الظالمين

وصل البحث[1] إلى هذه الجملة ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

في هذه الآية برهانان على عصمة الإمام المطلقة، وقد مرّ أولهما بشكلٍ

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٦ رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٧-٥-٢٠١٣ م.

(٢) البقرة١٢٤.

مفصل، وأما الثاني فهو أنه **لا يليق بعهد الله أحدٌ ممّن تَلَبَّسَ بالظلم**، مطلق التلبس بالظلم يسُدُّ طريق الإمامة، **ونَفيُ مطلق التلبُّس يثبت العصمة**، لأن الأفراد ينقسمون بالنسبة للظلم إلى أقسام:

الأول: قسمٌ منهم ظالمٌ طيلة عمره.

الثاني: كان عادلاً في بداية أمره ثم انقلب إلى الظلم.

وفي هذين الفرعين **الظالمُ ظالمٌ بالفعل**، فلا يمكن أن يطلب مِثلُ إبراهيم الإمامة لظالمٍ بالفعل، **هذا محالٌ**.

وأدنى مراتب الظلم تنفي عن الظالم صلاحية الإمامة، لذا فإنّ مورد سؤال إبراهيم بعد قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ **لا يشمل من تَلَبَّسَ بالظلم من القسمين**، لأنّ إطلاق ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ يشملهما معاً، **فمَن تلوَّثَ بالظلم ولو على نحو الموجبة الجزئية لا ينال هذا المقام، فينحصر مقام الإمام بمن لم يصدر منه أيُّ ظلمٍ قولاً ولا عملاً**.

لذا فإنَّ **البرهان الثاني هو سيفٌ قاطع يقطع ظهر علماء المذاهب الأربعة**.

ولأنّ المسألة مهمة جداً، وفيها مذهبان: الخاصة والعامة، نُبيِّنُها على مبنى الطرفين **لكي يتأمل العلماء المتبحِّرون من المذاهب الأربعة في هذه الكلمات المباركة، ويسيروا وفق فطرة الإنسانيّة**، ويعملوا بكلام الله تعالى، دون تعصُّبٍ ولا تهكُّم.

ينبغي أولاً النظر في حدود (الظُّلم) في القرآن الكريم نفسه، ما مبدأه ومنتهاه ووسطه؟ وينبغي على رجال العلم والدِّقة التأمل في كلّ هذه الآيات،

ونذكر شيئاً بمقدار ما يسمح به الوقت: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

التعبير مُحَيِّرٌ هنا، لم ترد مثل هذه الجملة وبهذه الشدّة في سائر آيات القرآن الكريم، إلهُ الكون يحمد نفسه لهذا العمل، قَطعُ دابر القوم، هذا حدُّ الظلم في كلام الله تعالى، وفي آيةٍ أخرى: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[٢]، وقد وصلت شِدَّة الأمر إلى حَدٍّ أنّه صُدِّرَ بسين (سوف)، وذلك في اليوم الذي ورد فيه ﴿**وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى**﴾، فإنّهم ينقلبون إلى منقلبٍ لا يمكن بيانه بعد تنكيره.

ومَن نُنَاقشهم في هذا البحث أمثال الفخر الرازي والتفتازاني والعضدي وأضراب هؤلاء.

ونحن نذكر أولاً هذه الآيات، ثم مذهب العامة حتى يتضح الحق والباطل، قال تعالى: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣]، **فهل يمكن للضالّ أن يكون هادياً؟ هل يُعقَل ذلك؟**

وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤]، فالله لا يهدي قوماً تلبسوا بالظلم أبداً، وينبغي رعاية مطلبين من الناحية الفنية هما: أنّ هناك آيةً تنفي الهداية بالمطابقة، وتثبت الضلال بالدلالة الإلتزامية، وأنّ هناك آيةً أخرى ينقلب

---

(١) الأنعام٤٥.

(٢) الشعراء٢٢٧.

(٣) لقمان١١.

(٤) البقرة٢٥٨.

المطلب فيها، وهذا هو القرآن الحكيم، فتثبت الآية الثانية الضلال بالدلالة المطابقية، وتنفي الهداية بالدلالة الإلتزامية، فلماذا هذه الدقة في كلام الله تعالى؟ قال تعالى: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ في ضَلالٍ مُبينٍ﴾ ﴿والله لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمين﴾.

ولا شك أنّ **مفهوم الإمامة يقتضي مَعيّة المأموم للإمام**، يا من تكتبون التفاسير، هل فهمتم أنّ **تَبَعيَّة المأموم للإمام مُقَوِّمٌ لمفهوم الإمامة ومقوِّمٌ لمصداقها**؟ هذا بالبرهان العقليّ، أما نصُّ القرآن الكريم: ﴿رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمينَ﴾، فهل هذه الآية صريحةٌ في نفي المعيّة أم لا؟

وقال تعالى: ﴿فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

ونهاية الأمر: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[2]، **فهل يمكن أن يكون الملعونُ إمام الأمة؟ هذا نَصُّ القرآن.**

أمّا عقيدة كلّ أئمة المذاهب الأربعة فهذه هي: قال الباقلاني في التمهيد: **قال الجمهورُ من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بهذه الأمور: بفسقه وظلمه**: هذه هي إمامة أئمة العامة!

بغصب الأموال: فإذا غَصَبَ كلّ الأموال أيضاً لا ينخلع عن الإمامة، فهل هذا الدين؟ هذا المذهب؟ هذا الإسلام؟ هذا القرآن؟

وضَربِ الأبشار وتناول النفوس المحرّمة: فإذا قتل أشخاصاً دون ذنب، من النفوس التي حرّم الله قتلها **يبقى إماماً! هذا إمامُ كلِّ سنّة العالم!** هذا المذهب

(١) الأنعام٦٨.

(٢) غافر٥٢.

المخالف لنا، وإذا **غلب الجهلُ وذهب العلم تكون هذه هي النتيجة.**

وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود: فإذا ضيّع الحقوق والحدود الإلهيّة أيضاً لا ينخلع!! فماذا تكون النتيجة؟ أنَّ لإمام العامة الحقّ في أن يُذهِبَ الدين والأمة!

هذه حجةٌ على علماء المذاهب الأربعة.. فهل عندهم جواب؟ وهذا متن كلام الباقلاني في التمهيد ص٤٧٨.

أما التفتازاني في شرح المقاصد ج٢ ص٢٧٢ فيقول:

إذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعةٍ واستخلاف، وقَهَرَ الناس بشوكةٍ انعقدت له الخلافة!!

والخاتمة عنده: **وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر!**

هذا مذهبكم؟ أيها الفخر الرازي: هل عندك عقلٌ أم لا؟ عقيدتكم كلُّكم أنّه لو تسلط أحدٌ بالقوة يصبح إماماً ولو كان فاسقاً وجاهلاً!

ما هي الإمامة؟ هل ينبغي اتباع من يصبح إماماً أم لا؟

إذا لم يكن اتباعه لازماً فليست هناك إمامة، هذا **جمعٌ بين النقيضين**: إمامٌ ولا يُتَّبَع! متبوعٌ ولا يَتَّبع! **هل تفهم أيها التفتازاني ما تقول؟!** وهذا إمام العلم والأدب والكلام والحديث!

هذا نص القرآن: **﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾**، فهل يصلح لإمامة الأمة من لا يكون خبره معتبراً بنصِّ القرآن؟! هل تفهم ما تقول؟

يقول تعالى في الجاهل الذي يصبح إماماً: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾، ويقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الالبَابِ﴾.

هذا القرآن الكريم، وهذه الإمامة التي يعتقد بها العامة، فمن هم الأشخاص الذين أحضروهم واعتبروهم خلفاء النبي ﷺ دون خجل وحياء؟! **لسنا أهل فُحشٍ وتَعَصُّبٍ، بل أهلُ العقلِ والمنطقِ والقرآن.**

هذه الإمامة عند علماء المذاهب الأربعة، أما الإمامة عندنا: فالإمام **معصومٌ من الخطأ والمعصية**، فهل نَصُّ القرآن معنا أم معكم؟ إذا كان معكم فنحن نُحني رؤوسنا، وإذا كان معنا، **فهذا برهانه وهذا كتاب الله.**

لقد نصبتم شخصاً **أتى إلى باب بيتٍ ينصّ الله تعالى في كتابه على تطهير أهله:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، والجميع يعتقد أنّ **فاطمة كانت ممن نزلت فيهم هذه الآية**، وكلُّكُم اتفقتم أيضاً أن عائشة وحفصة وأم سلمة خارجات عنها، وأنّه ليس لهنّ هذا المقام.

أما فاطمة الزهراء عليها السلام، التي شهد الله لها بالطهارة من الرجز، وبالطهارة المطلقة والعصمة التامة، فقد أحضرتم وجعلتم خليفةً من جاء إلى باب بيتها ليقول: **اخرج يا علي وإلا أحرقنا الدار بمن فيها!**

كلُّكم أيضاً كتبتم: قالوا في الدار فاطمة. ماذا يعني ذلك؟ فاطمة..

يعني **من كانت أذيتها أذية النبي** ﷺ بنصّ القرآن وصحيح البخاري، فقد اتّفق الكتاب والسنة على ذلك، ونتيجة تلك الأذية (لعنة الله).

وكُلُّكُم كَتَبتُم أيضاً بعد أن قالوا له (في الدار فاطمة) أنّه قال: (وإن): أي **ولو كانت فاطمة سأحرقها أيضاً!! هذه الإمامة، وهذا إمام العامة!**

الآية الثانية: طاعة أولي الأمر

قال تعالى[١]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٢].

عَطَفَ في الآية ﴿أُوْلِي الأَمْرِ﴾ على ﴿الرَّسُولَ﴾، ومع أنّ العطف في قوة التكرار لكنّه اكتفى بـ ﴿أَطِيعُواْ﴾ واحدة ولم يكررها، ليُبَيِّن أن **إطاعتهم وإطاعة الرسول من سِنخٍ واحد، وحقيقةٍ واحدة**، فكما أنّ إطاعة الرسول **غير مقيّدة بقيدٍ ولا شرطٍ** في الوجوب، ولا حدٍّ في الواجب، فكذلك إطاعة أولي الأمر.

ومثل هذا الوجوب **لا يكون إلا مع عِصمة أولي الأمر**، لأن إطاعة كلِّ أحدٍ مقيَّدةٌ لا محالة بعدم مخالفة أمره لأمر الله تعالى، وإلا لزم الأمر بعصيان الإله، ولمّا كان أمر المعصوم ـ بمقتضى عصمته ـ غير مخالفٍ لأمر الله تعالى، كان وجوب إطاعته غير مقيدٍ بقيد.

ثم مع الاعتراف بأنَّ الإمامة عند الجميع خلافةٌ للنبي ﷺ في تطبيق الدين وحفظ كيان الأمة، وأنَّ الإمام واجب الطاعة على جميع الأمة، ومع ملاحظة قوله تعالى: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾، وقوله: ﴿يأمرهم

---

(١) تعرَّض سماحة الشيخ للبحث حول هذه الآية قبل البحث حول آية إبراهيم والإمامة المتقدِّمة، ولم يتيسَّر لنا عرض الاستدلال بهذه الآية مما عرضه في بحثه، فنعرض مختصر الإستدلال حولها كما ورد في مقدمة منهاج الصالحين لسماحة الشيخ ج١ ص١٤٢-١٤٣، ثم نكمل ما سطرناه من مناقشته لأبحاث الفخر الرازي وإشكالاته عليها مما ألقاه في مجلس بحثه.

(٢) النساء٥٩.

بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾، يتّضح أن **الإمام يجب أن يكون معصوماً**، وإلا **لزم من الأمر بطاعته المطلقة الأمر بالظلم والمنكر**، والنهي عن العدل والمعروف، سبحانه وتعالى.

ومن جهةٍ أخرى، إذا لم يكن الإمام معصوماً فقد يخالف أمرُه أمرَ الله ورسوله، وفي هذه الحالة يكون الأمر بإطاعة الله ورسوله والأمر بإطاعة وليّ الأمر، بمقتضى إطلاق الأمر والمأمور به فيهما، **أمراً بالضدين، وهو محالٌ، فوليّ الأمر على الإطلاق عقلاً ونقلاً لا يكون إلا المعصوم على الإطلاق.**

والنتيجة: أن أمر الله سبحانه بإطاعة ﴿أُوْلِي الأَمْرِ﴾ بلا قيدٍ ولا شرط، **دليلٌ** على عدم مخالفة أمرهم لأمر الله ورسوله، وهذا دليلٌ على عصمتهم، وتعيينُ المعصوم لا يُمكِنُ إلا من قبل العالم بالسرّ والخفيات.

إشكالات الفخر الرازي على الشيعة

قال الفخر الرازي[1]:

وأما حمل الآية على الأئمة المعصومين على ما تقوله الروافض ففي غاية البعد لوجوه: ..

الثاني: أنّه تعالى أمَرَ بطاعة أولي الأمر، وأولو الأمر جمعٌ، وعندهم لا يكون في الزمان إلا إمامٌ واحد، **وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر**[2].

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٤ ربيع الآخر ١٤٣٤ الموافق ٢٥ -٢-٢٠١٣ م.

(٢) تفسير الرازي ج١٠ ص١٤٦.

فنسأل الفخر الرازي: هل تعتبرون الخلفاء من أولي الأمر أم لا؟

كلُّ العامة ومنهم الفخر الرازي قائلون بوجوب طاعة الخلفاء الراشدين لأنهم أولوا الأمر، وهذه العقيدةُ خلاف الظاهر (من الآية بحسب إشكاله)، لأنّ أولي الأمر جمعٌ، والخلفاء وإن كانوا جمعاً، لكنَّ تعدُّد الخليفة في عصرٍ واحدٍ باطلٌ بإجماع العامة.

فما أجبتم به أجبنا به على إشكالكم، وهذا النقضُ غير قابل للجواب، إلا أن تقولوا أنّ أحداً من الخلفاء ليس من أولياء الأمر، وهذا خلاف مذهبكم. **هذا النقض.**

وأما الحلّ: فبِأنَّ ﴿أُوْلِي الأَمْرِ﴾ جمعٌ، والآية تُثبِتُ تَعَدُّدَ أولي الأمر، لكن أين يوجد في الآية أنّه يجب أن يكون أولوا الامر جميعاً في زَمَنٍ واحد؟

ما في الآية هو طاعة أولي الأمر وهُم جمعٌ، ولا إشكال في هذا المقدار، لكنّ الإشكال هو أنه **لا يجب اجتماعهم في زمانٍ واحد، لا في القرآن ولا في السنة**، إذ لم يتعرّض القرآن ولا السنة لإثبات ذلك، فاعتقاد الخاصة بتعدُّد أولي الأمر موافقٌ لنفس القرآن، وما قاله الفخر خارجٌ عن مدلول القرآن.

ثم نُشكِلُ إشكالاً آخر على الفخر الرازي: هل أنّ طاعة الرسول ووليّ الأمر واجبةٌ في كلّ زمانٍ أم في زمانٍ واحد؟ **والجواب: في كلّ زمانٍ بالضرورة.**

والرسولُ واحدٌ بمقتضى النصّ القطعيّ من الكتاب والسنة، أما وليّ الأمر فإنّه لازمٌ في كل زمانٍ بلا إشكال، ولا يمكن أن يبقى وليٌّ واحدٌ دائماً، وفي المقابل أثبت القرآن الولاة دائماً، **فمقتضى القرآن تعدُّد الأولياء في كلِّ زمن، وهذا عين**

مذهب **الشيعة**. فتمَّ الرد على إشكاله الثاني نقضاً وحلاً.

الاشكال الثالث للفخر الرازي، قال:

﴿فان تنازعتم في شيء فرُدّوه إلى الله والرسول﴾، ولو كان المراد بأولي الأمر الامام المعصوم لوَجَبَ أن يقال: فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الامام، فثبت أن الحق تفسير الآية بما ذكرناه[1].

هذا الإشكال أيضاً مردودٌ نقضاً وحلاً.

أما النقض: فهل في مذهبك أيها الفخر أن الخلفاء الراشدين من أولي الأمر؟

مذهبك باطلٌ بقولك أنت! لأنّك قلت أنّه يجب ذِكرُ الردِّ إلى أولي الأمر أيضاً، وليس الردُّ إلى الخليفة مذكوراً في الآية، **فمذهبك باطلٌ بالضرورة وبكلامك أنت، ويُثبِتُ أن الخليفة ليس ولياً للأمر.**

ثانياً: ينبغي على من يُشكِل أن يكون محيطاً، وإشكالك أنّه: لماذا لم يُذكَر الرَّدُ إلى أولي الأمر في الآية؟ واقتصر على الرد الى الله والرسول، والجواب على عدم الذِّكر أنه في الآية ٨٣ في نفس السورة (النساء) ذُكِرَ الرَّدُّ إلى أولي الأمر توأماً مع الردّ إلى الرسول: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ** لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

هذا نَصُّ القرآن، وينبغي أن تفهَمَ هذا المقدار: أنّ جميع المقاصد الإلهية مذكورةٌ في القرآن، ولكن ليس في آيةٍ واحدة، **فَضَمُّ هذه الآية لتلك الآية يُثبِتُ أنّ**

---

(١) تفسير الرازي ج١٠ ص١٤٦.

أولي الأمر عِدلُ الرسول، هذا الجواب الثاني.

فكلُّ إشكالاته على المذهب قد أجبنا عليها نقضاً وحلاً، وسيأتي الكلام في الإشكالات على بقية كلامه.

عصمة إجماع الأمة عند الرازي

قال مفكّر العامة الفخر الرازي:

المسألة الثالثة : اعلم أن قوله: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ يدلُّ عندنا على أنّ إجماع الأمّة حجة، والدليل على ذلك أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهيٌّ عنه، فهذا **يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وانه محالٌ**، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بدّ وأن يكون معصوماً، ثم نقول: ذلك المعصوم إمّا مجموع الأمة أو بعض الأمة، لا جائز أن يكون بعض الأمة؛ لأنا بيّنا أنّ الله تعالى أوجب طاعة أولي الأمر في هذه الآية قطعاً، **وإيجاب طاعتهم**

قطعاً مشروطٌ بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أنّا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك **علمنا أن المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بَعضاً من أبعاض الأمة، ولا طائفة من طوائفهم**. ولما بطل هذا **وجب أن يكون ذلك المعصوم** الذي هو المراد بقوله ﴿وأولي الأمر﴾ **أهل الحلّ والعقد من الأمة**، وذلك **يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة**[1].

فادّعى الفخر الرازي أن مدلول الآية عصمةُ إجماع الأمة.

ويَرِدُ على كلامه:

الإشكال الأول: أنَّ صَدرَ كلامه مناقِضٌ لذيله، حيث قال في صدر الكلام أنّ المستفاد من الآية **إجماع أولي الأمر**، وفي ذيله قال أنّ المراد **أهل الحلّ والعقد**، فهل أهلُ الحلّ والعقد تمام الأمة أم بعضها؟

هذا معنى ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾، فيبطلُ نفسَه بنفسه.

في الصدر يقول أنّه **ليس المقصود بعض الأمة** لأنه لا يمكن أن نعرفهم، فيجب أن يكون المقصود كل الأمة، وفي الذيل يقول **أنّ المقصود بعض الأمة** وهم

(١) تفسير الرازي ج١٠ ص١٤٤.

أهل الحلِّ والعقد!!

الاشكال الثاني[1]: اختار الرازي أنَّ إجماع الأمة هو الرأي العام المجموعي، أي أنه عبارةٌ عن إجماع كل الأمة.

والإشكال غير القابل للدفع هو أنه **ليس للكلِّ وجودٌ إلا بوجود أجزائه،** فليس للأمة وجودٌ خارجي، وما في الخارج هم أفراد الأمة، ولا يخلو الأمر من حالتين: **إما أن ينتهي هؤلاء الأفراد إلى المعصوم،** أي أن يكون بين هؤلاء شخصٌ معصومٌ، **أو لا**، ولا واسطة بين النفي والإثبات.

فإذا كان في الأمة شخصٌ معصومٌ، يكون ضَمُّ البقيّة للمعصوم كضَمّ الحجر إلى جنب الإنسان، ولا يكون الاعتبار والعصمة للإجماع، **فما بالعَرَض ينتهي إلى ما بالذات،** ويكون **رأيُ المعصوم هو الحجّة والباقي ساقطٌ**، هذا **الشق الأول**.

الشق الثاني: أن لا يكون هناك أيُّ شخصٍ معصوم، وحينها تكون **عصمةُ كلّ الأمة محالة،** لأن كلَّ الأمة ليس لها وجودٌ في الخارج إلا بوجود أفرادها، وكلُّ فردٍ بنفسه ليس معصوماً، **فيستحيل أن يكون إجماع الأمة معصوماً بالبرهان العقلي**.

الشق الثالث ليتم البرهان: وهو أن يكون كلُّ أفراد الأمة معصومين، وهذا **خلافُ ضرورة العقل والوجدان والاجماع،** فيثبت بالبرهان **البطلانُ القطعيُّ لدعوى الفخر** في دلالة الآية على عصمة إجماع الأمة.

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٩ ربيع الثاني ١٤٣٤ هـ الموافق ٢ آذار ٢٠١٣ م.

الإشكال الثالث: أنّ هذا القول مخالفٌ لنفس إجماع الأمة.

بيانه: قال الفخر:

> فان قيل: المفسرون ذكروا في ﴿أولي الأمر﴾ وجوهاً أخرى سوى ما ذكرت:
> أحدها: أنّ المراد من أولي الأمر الخلفاء الراشدون.
> والثاني: المراد أمراء السرايا..
> وثالثها: المراد العلماء الذين يفتون في الأحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم..
> ورابعها: نُقِلَ عن الروافض أن المراد به الأئمة المعصومون.
> ولمّا كانت أقوال الأمة في تفسير هذه الآية محصورة في هذه الوجوه، وكان **القول الذي نصرتموه خارجاً عنها كان ذلك بإجماع الأمة باطلاً**[1].

نقول للفخر: ما ذكرتَه من أهل الحلِّ والعقد خارجٌ عن الأقوال الأربعة، فيكون مخالفاً لإجماع الأمة.

وإذا كانت مجموعةٌ من الأمة قائلةً بإمامة الأئمة المعصومين، **فلماذا قلت عنهم الروافض؟**

وإذا كانوا روافض فلماذا عدَدتهم من الأمة؟

هذا أعلَمُ علماء العامة **لا يعرف كيف يتكلم!** فمن جهةٍ يقول أنّهم

---

(١) تفسير الرازي ج١٠ ص١٤٤.

روافض، ومن جهةٍ أخرى يقول أنّهم من الأمة!

خارجون وداخلون! جَمعٌ بين الضدين!

الإشكال الرابع: أنَّ الأقوال الأربعة التي عددتَها أقوالَ الأمة مخالفةٌ للقرآن، باستثناء القول الأخير الذي نسبتَه للرافضة، **وقولُهم فقط هو الموافق للقرآن، فبأيّ دليلٍ جعلتَهم روافض؟**

أنت بنفسك قلت أنَّ مدلول الآية أنّه **ينبغي أن يكون أولوا الأمر معصومين،** لأنّهم لو لم يكونوا معصومين لجاز عليهم الخطأ، وإذا جاز عليهم فإنه يعني أمراً بالخطأ، وهو مخالفٌ لأمر الله بالضرورة، فصَدرُ الآية يأمر بطاعة الله، وذيلُها يأمر بما هو خطأ، وهذا تناقض.

أما القول الأول أنّ المعصوم هم الخلفاء الراشدون، **فأيُّ خليفةٍ معصومٌ؟ الخليفة الأول؟ فإنّه ليس معصوماً باتفاق تمام العامة!** وأخطاؤه أيام خلافته مذكورة في صحاح العامة.

أم الخليفة الثاني؟ وهو بإجماع جميع الأمة وكلِّ العامة ليس معصوماً كالأول، وهو القائل بنفسه: **إن أحسنتُ فأعينوني، وإن زِغت فقوِّموني!**

أم الخليفة الثالث؟ وعِصمته مخالفةٌ للإجماع، وأخطاؤه في الصحاح والسنن ما شاء الله.

فيبقى الخليفة الرابع، وهو باعتقادكم غير معصومٍ عند ثلاث طوائف، ومعصومٌ عند طائفة.

فهناك **ثلاثة أقوالٍ مخالفةٌ لنَصِّ القرآن،** وقولٌ واحدٌ موافقٌ لنَصِّ القرآن،

وهو القول بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام.

الإشكال الخامس: قال الفخر:

والجواب: أنّه لا نزاع أنّ جماعةً من الصحابة والتابعين حملوا قوله: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ على العلماء، فإذا قلنا: المراد منه جميع العلماء من أهل العقد والحلّ لم يكن هذا قولاً خارجاً عن أقوال الأمة، بل كان هذا اختياراً لأحد أقوالهم(١).

وقد اختار أنّ أولي الأمر هم أهل الحلّ والعقد، وهذا قولٌ من أقوال الأمة، وليس مورداً لإجماعها، وقد اعترف أن **المعصوم هو إجماع الأمة**، وأما غير المعصوم فلا اعتبار له.

وبعبارة أخرى: هل أن اختيارك العلماء من أهل الحل والعقد مورد إجماع الأمة أم لا؟ بنص كلامك أيها الفخر، فان اختيار أهل الحلّ والعقد هو قول بعض علماء الأمة لا كلها، فقولك يبطل مختارك.

الإشكال السادس: هل أن علماء الأمة (وهم أهل الحلّ والعقد) معصومون عن الخطأ أم لا؟

يجمع الكلُّ على عدم عصمتهم من حيث كونهم علماء، فيكون **الخطأ جائزاً عليهم**، ويكون **في طاعتهم تناقضاً مع طاعة الله عز وجل**، ويكون هذا باطلاً باعترافك.

(١) تفسير الرازي ج١٠ ص١٤٥.

الاشكال السابع[1]: قال الفخر في ص ١٤٤ من الجزء العاشر:

المسألة الثالثة: اعلم أن قوله: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ يدلّ عندنا على أن إجماع الأمة حجة.

وقال في ص١٥٠:

الفرع الأول: مذهبنا أن الاجماع لا ينعقد إلا بقول العلماء الذين يمكنهم استنباط أحكام الله من نصوص الكتاب والسنة، وهؤلاء هم المسمّون بأهل الحلّ والعقد في كتب أصول الفقه، نقول: الآية دالة عليه لأنه تعالى أوجب طاعة أولي الأمر، والذين لهم الأمر والنهي في الشرع ليس إلا هذا الصنف من العلماء، لأن المتكلم الذي لا معرفة له بكيفية استنباط الأحكام من النصوص لا اعتبار بأمره ونهيه، وكذلك المفسر والمحدث الذي لا قدرة له على استنباط الأحكام من القرآن والحديث، فدلَّ على ما ذكرناه، فلما دلت الآية على أن اجماع أولي الأمر حجة علمنا دلالة الآية على أن ينعقد الاجماع بمجرد قول هذه الطائفة من العلماء. وأما دلالة الآية على أن العاميّ غير داخل فيه فظاهر؛ لأنه من الظاهر أنهم ليسوا من أولي الأمر.

وهنا نسأل الفخر:

أولاً: هل عامة الناس هم من الأمة أم خارجون عنها؟ النتيجة عنده أن

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين٢١ ربيع الثاني ١٤٣٤ الموافق ٤ آذار ٢٠١٣ م.

جميع العوام خارجون، فهل أمة النبي صلى الله عليه وآله تشمل عامة الناس أم لا؟

لا يُعقل لأدنى من له اطلاع على العِلم أن يُخرِجَ السواد الأعظم من المسلمين من أمّة الاسلام.

ثانياً: هل جميع المتكلّمين والمفسرين والمحدِّثين من أصحاب السنن والمسانيد (عدا الفقهاء) من عُلماء العامة من أمّة الاسلام؟

لا شك أنّ أهل الحديث والمفسرين وأرباب كتب التفاسير ممن ليسوا من الفقهاء هم من أمّة الاسلام بحكم الكتاب والسنة ومقتضى الاجماع.

وقد أخرج الفخر أربع طبقاتٍ من الأمة، وحَصَرَ الأمّة بمقتضى هذا الفرع بطبقةٍ خاصة وهم المستنبطون للأحكام الشرعية.

قال هناك أن مدلول الآية إجماع الأمة، وهنا أخرج هذه الأصناف الأربعة وحصرها بالمستنبطين، **فقُدرَتُهُ العلمية ضعيفةٌ إلى حدّ مخالفته للقرآن الكريم خلال صفحات**: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾، فكلُّ الناس في جهةٍ وأمّة الرسول صلى الله عليه وآله في جهة.

هذه حدود إدراك إمام الكلّ! تناقضٌ بَيِّن!

خليفة النبي لا يستحي من الله

الإشكال الثامن: دَقِّقُوا جيداً، فالمطلب يُبَيِّنُ قدر المذهب ويبطل مذاهب أهل العامة، افهموها أنتم وفَهِّمُوها، قال في الصفحة ٢٣١ من الجزء التاسع:

المسألة الأولى: كثر أقوال الصحابة في تفسير الكلالة، واختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنها عبارةٌ عمن سوى الوالدين

والولد، وهذا هو المختار والقول الصحيح، وأما عمر رضي الله عنه فإنه كان يقول: الكلالة من سوى الولد.

أجمعت العامة بمن فيهم الفخر الرازي أن **القدر المتيقن من أولي الأمر هما أبا بكر وعمر**، وأنهما مقدَّمان على جميع مَن عداهما، واعترف الفخر أنّ لهذين الإثنين **رأيان مختلفان في آيةٍ من آيات القرآن**، فيقول أبو بكرٍ أنّ الكلالة من الورثة غير الوالد والولد، في حين يقول عمر أن الكلالة محصورةٌ بغير الولد.

وكم الفارق بينهما في مسائل الإرث؟

ثم إن الفخر الرازي يعترف ويُكمل كلامه عن عُمَر فيقول:

وروي أنه لما طُعِنَ قال: كنت أرى أن الكلالة مَن لا ولد له، **وأنا أستحي أن أخالف أبا بكر**، الكلالة من عدا الوالد والولد.

فإنه لم يكن يصرِّح بحقيقة ما يراه، **فهل هذا منافق أم لا؟**

هذا كَذِبٌ في حكم الله ونصّ القرآن باعتراف الفخر الرازي، وهو على مسند خلافة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

ومنشأ الكذب والنفاق عنده: أنني خالفت حكم الله وكان عذري: وأنا أستحي أن أخالف أبا بكر!! هذا ليس كلام الكليني والطوسي والمجلسي!

أفتيتُ كل هذه المدة خلافَ رأيي واعتقادي لأني كنت أخجل من مخالفة أبي بكر!! أيها الفخر الرازي هل عندك جواب؟

هل يتمكن كل علماء الحجاز وسائر الأمصار من الإجابة على ذلك؟

خليفةُ النبي صلى الله عليه وآله يستحي من أبي بكر ولكنه لا يستحي مِن إلَهِ أبي بكر!

لا يخالف أبا بكر حياءً منه، ولكنه **يخالفُ الله ورسولَه دون حياءٍ من الله أو رسولِه!** هل يمكن أن يعترف عاقلٌ بهذا ثم يقول بأن عُمَر فاروق الأمة وأنّه الخليفة الثاني للنبي الخاتم؟ هذا مذهب أهل السنة، ومذهب أعلم علمائهم.

وفي آخر عمره يقول: ليتني سألت النبي عن معنى الكلالة! وهذا حديثٌ صحيحٌ بالاتفاق.

ويكمل الفخر:

> وكان يقول: ثلاثةٌ، لأن يكون بيّنها الرسول صلى الله عليه وسلم لنا أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها: الكلالة، والخلافة، والربا.

ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن **عنده شكاً في خلافته وفي خلافة أبي بكر!** ثمّ رجّح قول عبد الرحمن في استخلاف عثمان مع قوله: ليتني سألت النبي لمن كان حق الخلافة؟ **فهل لمثل هذا صلاحية الخلافة؟** وهل يكون ولياً للأمر وطاعته واجبة على الأمة؟

الإشكال الأخير على الفخر: قلتَ من جهةٍ أن الآية تأمر بطاعة من لا خطأ في قولهم وفعلهم، ومن جهةٍ أخرى تعترف بخطئ عمر، وتعتقد أنّ عُمَر من مصاديق أولي الأمر في الآية المباركة: ﴿أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، فأيُّ أهليّة لمثلك؟ وهل لك أن تتعرَّضَ لعقيدة الخاصة في أولي الأمر؟

هذه **قمّة انعدام الخجل والحياء.. ومنتهى الجهل! هذا حال أعلم العلماء عندهم!** فما حال سائر علماء الحجاز وأزهر مصر أَمامَهُ؟!

هذه عظمة هذا المذهب (الشيعي)، وتظهر عظمة عقيدة الخاصة بالتأمل في

معنى الآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وقد استندنا في كل ما قلنا على الدليل والبرهان، وليس في كلامنا جسارةٌ على أحدٍ أو مقام، فكلُّه من اعترافات الفخر نفسه واعترافات عُمَر بن الخطاب.

آية الكلالة وبطلان خلافة عمر

تتميماً للكلام[1] حول الكلالة مما تعرَّضنا له في البحث السابق، ننقل كلام الفخر الرازي بعد ذكره لهذه الآية: ﴿قُلِ الله يُفْتيكُمْ فِي الكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَك﴾[2]، قال:

> واحتجّ عمر بن الخطاب بهذه الآية على أن الكلالة مَن لا ولد له فقط، قال: لأن المذكور ههنا في تفسير الكلالة: هو أنه ليس له ولد[3].

وبحسب نقل الفخر فقد استدل عمر بالآية على ما ذهب إليه من أن الكلالة لمن لا ولد له، مقابل القول الأول وهو الذي يقول بأنها لمن لا والد له ولا ولد، ثم يجيب الفخر على استدلال عمر فيقول:

> إلا أنّا نقول: هذه الآية تدلّ على أن الكلالة من لا ولد له ولا والد، وذلك لأنّ الله تعالى حكم بتوريث الأخوة والأخوات حال كون الميت كلالة، ولا شكّ أن الاخوة والأخوات لا يرثون حال

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٨ ربيع الثاني ١٤٣٤ هـ الموافق ١١ آذار ٢٠١٣ م.

(٢) النساء١٧٦.

(٣) تفسير الرازي ج٩ ص٢٢٢.

وجود الأبوين، فوجب أن لا يكون الميت كلالةً حال وجود الأبوين.

فهذا نص كلام الفخر، وهو يدلُّ على أنّه **ليس لِعُمَر مقدارٌ من الفهم ليفهم آية من القرآن!**

لذا فسر الآية مع عدم التنبُّه لهذه الجهة، واختار أنّ الكلالة مَن لا ولد له فقط، مع أن الآية دالة بهذا الدليل المتقَن على أن الكلالة من لا ولد له ولا والد.

ونتيجة كلام الفخر:

أولاً: أن عُمَر قد بلغ حداً من الجهل خطّأه فيه الفخر الرازي! فكان جاهلاً إلى هذا الحدّ بحسب إمام المذاهب! بحيث لم يفهم أمراً واضِحاً لا شك فيه!

وأنت أيها الفخر، الذي ترد على عُمَر في هذا المطلب، **كيف تعتقد أن عُمَر خليفة النبي الخاتم ﷺ؟ كيف تجمع بين هذين الأمرين؟**

إذا كان هذا حال الفخر الرازي فهل يبقى مجالٌ لأن يناقشنا رجالُ الدين في السعودية أو مصر؟! هكذا **تصبح حجة الله تامة على تمام العامة.**

هذا ليس من أصول الكافي ولا كتاب المجلسي، هذا اعترافُ الفخر الرازي نفسه أنّ لأبي بكرٍ وعُمَر استنباطان مختلفان من آيةٍ واحدة!

وهنا السؤال: هل الكلالة قول أبي بكر أم قول عُمَر أم قولهما؟

إذا كانت قولهما فهو **اجتماع الضدين والنقيضين**، فهي إذاً إما قولُ عُمَر أو قول أبي بكر، **وعلى أيِّ تقديرٍ أخطأَ أحَدُ هذين الشخصين.**

وإذا ما **ثبت خطأهم بالبرهان القطعيّ** وباعترافك أنت أيها الفخر، وبما أنّه

ينبغي أن يكون أولوا الأمر في الآية معصومين عن الخطأ، فثبت بالضرورة وبحسب اعتقادك أنّ قول أبي بكر مقدَّمٌ، فإن قول عمر خطأٌ وباطلٌ ومخالفٌ لنصّ القرآن.

وفي المقابل اعترفتَ أن ّوليّ الأمر **إن لم يكن معصوماً عن الخطأ يلزم أن يأمر الله بالضدين،** فنتيجة برهانك أنت أنّه **ليس لعُمَر حقٌّ ولاية الأمر،** فيكون ساقطاً عن الخلافة بإقرارك، هذه **عصارة البحث.**

وتكون النتيجة بحسب اعترافات الفخر الرازي أن **خلافة عُمَر بن الخطاب بلا حقٍّ،** وينبغي على كافة علماء المذاهب الاربعة أن يعترفوا بذلك، هذه نتيجة البحث، والقول الفصل.

وينبغي على الجميع أن يعرفوا أحقية هذا المذهب (الشيعي) ويعرفوا قدر هذه النعمة، **ولا ينبغي الإنحناء أمام جماعةٍ من الجهلة الذين يعتقدون بخلافة الأول والثاني،** بل ينبغي إثبات صحّة المذهب بالدليل العلميّ والبرهان والمنطق مع الإلتزام بكامل الأدب.

قال الفخر في ذيل الآية ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[1] أن أقلّ مدة الحمل ستة أشهر:

> المسألة الثانية: دلت الآية على أنّ **أقل مدة الحمل ستة أشهر،** لأنّه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهراً، قال: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ (البقرة ٢٣٣)

(١) الأحقاف١٥.

فإذا أسقطت الحولين الكاملين وهي أربعة وعشرون شهراً من الثلاثين، بقي أقل مدة الحمل ستة أشهر..

واعلم أن **العقل والتجربة يدلان أيضاً على أن الأمر كذلك**، قال أصحاب التجارب[١]..

ونقل كلامهم بمن فيهم ابن سينا وأرسطو وسائر الحكماء، وخلاصته أن العقل والتجربة أيضاً يُثبِتَان أنّ أقل مدّة الحمل ستة أشهر.

والنتيجة أن من لا يفهم هذا لا عقل له ولا تجربة! أليس كذلك؟ هذه كبرى، **فمن الذي لم يفهم ذلك**؟ بنص الفخر وفي نفس الصفحة، هو عُمَر بن الخطاب، قال:

روي عن عُمَر أنّ امرأة رُفِعَت إليه، **وكانت قد ولدت لستة أشهر، فأمر برجمها**، فقال عليّ: لا رجم عليها، وذكر الطريق الذي ذكرناه، وعن عثمان أنه هَمَّ بذلك، فقرأ ابن عباس عليه ذلك[٢].

لماذا أمر برجمها؟ **لأنه لم يُدرِك ما يدلّ عليه العقل ولا التجربة ولا القرآن.**

هذه حجة الله، وهل فوق هذه الحجة حجة؟

هذا ما نقله الفخر الرازي، أما الباقي فقد نقله جميع أئمة الحديث عندهم، فبعد أن تركها نادى أمام جميع الأصحاب: **لولا عليٌّ لهلك عمر!**

فبأيِّ منطقٍ يصبح هذا الجاهلُ إماماً؟ ويصبح ذلك العالِمُ مأموماً؟!

---

(١) تفسير الرازي ج٢٨ ص١٥.

(٢) تفسير الرازي ج٢٨ ص١٥.

هذا البحث **حجةٌ لله على جميع علماء العامة**، فليتفكروا ويروا هل أنّ هذه المطالب حقٌ أم لا؟

إذا كانت حقاً، فإنّ أكثرَهم تعصباً وهو الفخر الرازي ينقل هذا الكلام بنفسه! وأقول أنه كذلك (أكثرهم تعصباً) لأنه هو نفسه الذي يستدلّ على أن الدعاء في كل صلاة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ هو **طريق أبي بكر!!**

ونصّ القرآن يقول: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الالبَابِ﴾ ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾**[1].

فمن كان الهادي إلى الحق؟ باعتراف الفخر والجميع هو علي بن أبي طالب.

من هو الذي **لا يهدي إلا أن يُهدى؟ عُمَر بن الخطاب.**

هذا نصُّ القرآن، والقرآن هو الحَكَم على **صحّة خلافة عليٍّ** عليه السلام **وبطلان خلافة عُمَر.**

(١) يونس ٣٥.

الفصل الثاني: الإمامة والسنة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

كان بحثنا في الإمامة، وقد تعرّضنا في الأبحاث السابقة لمدلول آيات الكتاب بالنسبة لموضوع الإمامة، **والبحث الآن في دلالة السنة النبوية**، لأنّ **المرجع** في تمام المباحث بحكم البرهان هو **الكتاب والسنة**.

وفي هذا المقام يقع البحث في عِدَّةٍ من الروايات، ومعيار البحث هو كون الروايات **صحيحة السند عند مذاهب المسلمين**، كي يُراعى مقتضى الحكمة في البحث.

الرواية الأولى: من أطاع علياً فقد أطاعني

متن الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله:

مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله، وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى عَلِيّاً فَقَدْ عَصَانِي.

وقد نقل هذه الرواية الفريقان من العامة والخاصة، ونَظَرُنا في البحث جهة العامة، والبحث في هذه الرواية من جهتين:

الجهة الأولى: سند الرواية.

الجهة الثانية: دلالة الرواية.

وذلك **ليتم الجمع بين الرواية والدراية**، فمن جهة الرِّجال يُراعى السند،

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٥ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢١-٩-٢٠١٣ م.

ومن جهة فِقه الحديث يُحَقَّقُ مدلول كلام الخاتم صلى الله عليه وآله.

مصدر الرواية وسندها

أما مصدر الرواية، فالعُمدَةُ على نقل الحاكم في المستدرك (الجزء الثالث ص١٢١)، وعلى نقل إمام نَقد رجال الحديث في التلخيص (ص١٢٨)، علاوةً على المحدِّثين مثل كنز العمال (ج١ ص٦١٤)، وذخائر العقبى، وينابيع المودة، وقد نقلها المؤرخون أيضاً: تاريخ مدينة دمشق (ج٤٢ ص٢٧٠).

أما سند الرواية: أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ مِنْ أَصْلِ كِتَابِهِ، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ الرَّازِيُّ، بِمِصْرَ، ثَنَا الحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ الحَضْرَمِيُّ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ يَعْلَى، ثَنَا بَسَّامٌ الصَّيْرَفِيُّ، عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو الفُقَيْمِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله، وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى عَلِيّاً فَقَدْ عَصَانِي.**

هَذَا حَدِيثٌ **صَحِيحُ الإِسْنَادِ**، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

وقد صحَّحَ الروايةَ الحاكمُ بطريق البخاريّ ومسلم، وهو من أئمة محدِّثي العامة، وعَدَّه مما فات البخاري ومسلم بن حجاج أصحاب الصحيحين المعتمَدَين عند الكلّ، فاستدركه.

والمهم أيضاً أنَّ **الذهبيّ الذي دأب على نقد أحاديث الفضائل حَكَمَ بصحة سند هذا الحديث، فقال بضرسٍ قاطع: صحيح.**

وللحديث مِزيةٌ أخرى من الجهة الفنية: أن الرواية مرويةٌ عن أبي ذرٍّ

الغفاري، ولأبي ذر خصوصيةٌ، فإذا نَقَلَ شيئاً عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لا يكون قابلاً للقياس مع روايات غيره من الرواة، وإذا تأمّل علماء المذاهب الأربعة بهذه الرواية بالطريقة التي نطرحها تُحَلّ المسألة.

وجه ذلك: معرفة من هو أبو ذر؟

يقول إمام أهل الرجال عند جميع المذاهب الأربعة: **أبو ذر الغفاري: جندب بن جنادة على الصحيح أحد السابقين الأوّلين**[1].

ينبغي أن يفهم علماء العامة هذا الأمر في عِلم الرجال، فعندما يقول مثل شمس الدين الذهبي عن أبي ذرّ أنّه: **أحد السابقين الأولين**، يجب أن يفهموا من هم السابقون؟ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2].

ويقول الذهبي: أسلم في أول المبعث خامس خمسة، ثم رجع إلى بلاد قومه، ثم بعد حينٍ هاجر إلى المدينة، وكان **رأساً في العلم والزهد والجهاد وصِدق اللهجة والإخلاص**.

هذا تعبير الرجاليين من غير الإمامية، رأسٌ في العلم أولاً، وفي الزهد ثانياً، وفي الجهاد ثالثاً، وفي صدق اللهجة رابعاً، وفي الإخلاص خامساً، فأبو ذرّ هو مَن كان عند علماء المذاهب الأربعة (رأساً) في هذه الأمور.

يقول الذهبي: **ومناقبه شهيرةٌ منها قول المصطفى**: والعمدة في عبارته هذه، وقد أرسلها إرسال المسلمات، أنّ النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قال دون ترديد في البحث

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص١٧.

(٢) الواقعة ١٠-١١.

والمطلب: **ما أظلّت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجةً من أبي ذر**[١].

هذه شهادة إمام أهل الحديث والرِّجال، فراوي الحديث عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِثلُ هذا.

مَتن الرواية

أما مَتن الرواية، فإنّ قول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيها محيّرٌ، وفيه بحثٌ مفصَّل، والرواية مشتملةٌ على قياسٍ بُرهانيٍّ من الشَّكل الأول، بديهيِّ الإنتاج عند كل الحكماء والمناطقة.

المتن: **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى عَلِيّاً فَقَدْ عَصَانِي**.

لماذا قال (**فَقَدْ**)؟ إنّ الفاء للتفريع، و(قَد) للتحقيق، وفَهمُ كلام الخاتم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ودراية الحديث في قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**، لماذا؟

لأن كُلًّا من **العقل والكتاب والسنة** يحكم بأن **طاعة النبي طاعة الله تعالى**.

وأهميّة الرواية أنها تعرَّضَت لأربع دلالات، وللأسف **لو كان هناك فهمٌ لَمَا ضاع الحق كما أضاعوه**.

إذا ما ثبت أحد الضِدَّين عادةً يتضح تكليف الضدّ الآخر، فالدلالة المطابقية بالنسبة إلى الضدِّ الأول تشتمل على الدلالة الالتزامية بالنسبة لضدّه.

وأهمية هذه الرواية أن الخاتم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دقَّقَ إلى حدٍّ أنّه تعرّضَ للضدّين

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص١٨.

بالنسبة لنفسه وبالنسبة لعلي عليه السلام، فمن الجهة الفنية **لدينا أربع دلالات**:

فمن جهةٍ: **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله**: وتدلُّ هذه الجملة بالدلالة المطابقية على الطاعة، وبالدلالة الالتزامية على نفي الضدّ وهو العصيان، ولم يكتف صلى الله عليه وآله بهذا فتَعَرَّضَ للضدّ الآخر، فقال صلى الله عليه وآله:

وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله: إنّ الدلالة المطابقيّة حول العصيان، والدلالة الالتزامية تثبت وجوب الطاعة، وكل هذا أيضاً قاله عن علي عليه السلام: **وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً فَقَدْ أَطَاعَنِي**: حيث فرّع هنا صلى الله عليه وآله أيضاً بالفاء وأتى بـ(قد) للتحقيق: فطاعة عليٍّ تتحقق بطاعتي، بحكم الكتاب والسنة والعقل.

وَمَنْ عَصَى عَلِيّاً فَقَدْ عَصَانِي: هذا قِسمٌ من البرهان، فتصبح النتيجة أنّ طاعة عليٍّ عليه السلام أصبحت طاعة النبي صلى الله عليه وآله، وعصيان علي عليه السلام أصبح عصيان النبي صلى الله عليه وآله، وطاعة النبي بحكم صدر الرواية هي طاعة الله تعالى، وعصيان النبي معصية الله تعالى.

القياس البرهاني: بِضَمِّ المقدّمة الأولى إلى الثانية ينتج عنه: أن **طاعة عليٍّ عليه السلام طاعة الله تعالى، ومعصية عليٍّ عليه السلام معصية الله تعالى.**

أيُّ مقامٍ هذا؟ هنا يعجز العقل!

مقام عليٍّ عليه السلام هو مقام مَن كانت طاعته طاعةً لله مطلقاً، ومعصيته معصيةً لله مطلقاً، بلسان من نَصَّ القرآن على أنه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

(١) النجم٣-٤.

ثمار طاعة علي عليه السلام

كان بحثنا في الرواية الأولى[1] من السُنَّة الشريفة، وخصوصيّتها **أنها معتبرةٌ عند مختلف مذاهب العامة** مع مختلف مسالكهم في الرجال والسند، بحيث اتفقوا على صحتها، والخصوصية الأخرى أن راوي الحديث هو من شَهِدَ له خاتم النبيين صلى الله عليه وآله بالصدق، ليس الصدق وحده بل **الأصدقية!**

لذا فإن **هذه الرواية سُنَّةٌ ثابتةٌ عند كلِّ عالمٍ مهما كان مقامه العلمي.**

ووظيفة أهل التحقيق الدقة في فقه الحديث، ودراية مثل هذه الرواية.

كان متن الرواية: **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله**: وهذه الكبرى ثابتةٌ بحكم العقل والكتاب والسنة، أما التطبيق، ففي مورد الطاعة والتنزيل: **وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى عَلِيّاً فَقَدْ عَصَانِي.**

ويجب أوّلاً الرجوع إلى القرآن الكريم، لأنّ المستند القطعيَّ عندنا هو الكتاب والسنة، أي كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله.

أما القرآن فيقول عن موضوع طاعة الرسول وطاعة الله: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله﴾[2]، فالحديثُ إذاً كَنَصِّ القرآن الكريم، وإن كانت خصوصيته أنه كلام الله تعالى، وفي آية أخرى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ** إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ **أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٧ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٣-٩-٢٠١٣ م.

(٢) النساء٨٠.

(٣) النور٥١.

وقد أصبحت طاعة المؤمنين لعليٍّ عليه السلام طاعةً لله تعالى، ولكن: مَن هم المؤمنون هنا؟ اقرؤوا سورة المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]: المؤمنون المفلحون يقولون عندما دعاهم رسولُ الله ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

فما ينطبق على طاعة واتِّباعِ الرسول ينطبق على طاعة واتِّباع عليٍّ عليه السلام، **وطاعة أمير المؤمنين عليه السلام وظيفةُ كل مؤمن، أما مَن لا إيمان عنده فليس مشمولاً لبحثنا**، و الذين آمنوا وظيفتهم تجاه كلام عليٍّ عليه السلام أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

هذه النتيجة والثمرة الأولى لضمّ السنة الى الكتاب.

الثمرة الثانية: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[2].

طاعةُ عليٍّ عليه السلام صارت طاعةَ الله تعالى بحكم السُنَّة، **وثمرة طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ومِثلها طاعة عليٍّ عليه السلام هي الهداية، والتخلُّفُ عنه هو الضلال.**

تلك الهداية التي وردت في سورة الحمد: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الُمستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾[3].

الثمرة الثالثة: ﴿وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[4].

فمفتاح دخول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار هو طاعة علي بن أبي

---

(١) المؤمنون١.

(٢) النور٥٤.

(٣) الفاتحة٦-٧.

(٤) النساء١٣.

طالب عليه السلام بحكم الكتاب والسنة.

الثمرة الرابعة: ﴿**وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم** مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(١).

فمن يطع علياً يُحشَر مَع مَن أنعم الله عليه، ومن هم الذين أنعم الله عليهم؟ النبيّون والشهداء والصديقون والصالحون.

فطاعة عليٍّ توجب مَعِيَّة موسى بن عمران وعيسى بن مريم وإبراهيم خليل الله عليهم السلام **! هذا ما يُنتِجُه ضَمُّ القرآن للسنة.**

الثمرة الخامسة: ﴿وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٢).

لو أدرك البخاريّ ومسلم وفَقِهُوا تلك السُنَّة المُسَلَّمَة وكتاب الله فما الذي كان قد حصل؟ لقد جعل الله تعالى **الفوز العظيم في طاعة عليٍّ** عليه السلام، وكلُّ من ينكر ذلك فإمّا أنّه ينكر القرآن أو ينكر السنة الشريفة، والمسألة قائمةٌ على البرهان لا على الخطاب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله﴾(٣).

ضَمُّ تلك السُنَّة لهذه الآية من الكتاب يُنتِجُ أنّ طاعة عليٍّ عليه السلام هي طاعة الله والرسول صلى الله عليه وآله، **والتخلُّف عن طاعته نَقضٌ لغرض ربّ الأرباب مِن إرسال الرسول الخاتم** صلى الله عليه وآله، **هذا ما يُحيِّر العقل!**

فالرواية تعرّضت علاوةً على الطاعة لمعصيته عليه السلام، فمن عصى علياً عصى

(١) النساء٦٩.

(٢) الأحزاب٧١.

(٣) النساء٦٤.

النبي صلى الله عليه وآله وعصى الله تعالى، **تلك كانت نتائج الطاعة**: الهداية والفوز العظيم والمعية و.. فما هي نتيجة معصيته؟

نتيجة معصية عَليٍّ عليه السلام

ثَبَتَ بِحُكم السُنَّة أن **عِصيانَ أمير المؤمنين** عليه السلام **هو عصيانٌ لله** تعالى وللرسول صلى الله عليه وآله، **هذه الصغرى**.

أما الكبرى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ **فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً**﴾[1].

فمعصيةُ عليٍّ عليه السلام **تجعل العاصي ضالاً**، وليس الحديث عن مطلق الضلال، بل عن **ضلالٍ خاصٍّ هو الضلال المبين**، فتكون النتيجة أنَّ مَن يعصي علياً يدخل في الضالين، ونص القرآن الكريم: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[2].

أثرٌ آخر: الكبرى فيه: ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ **فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**﴾[3]، فشِدَّةُ الأمر وخطورته بهذا الحد، هذا من الكتاب، أما من السنة: **وَمَنْ عَصَى عَلِيّاً فَقَدْ عَصَانِي**.

فَضَمُّ هذه الصغرى لتلك الكبرى بالقياس من الشكل الأول ينتج أن معصية علي بن أبي طالب عليه السلام معصية الرسول صلى الله عليه وآله، ومعصية الرسول صلى الله عليه وآله معصية الله، ونَصُّ القرآن يدلُّ على أنّ من يعصي الله والرسول فجزاؤه نار جهنم، وأيُّ نارٍ تلك؟ **نارٌ مع الخلود الأبدي**.

---

(١) الأحزاب٣٦.

(٢) الفاتحة٧.

(٣) الجن٢٣.

إنّ دَركَ الأبديّة مُحيِّرٌ للعقول، حيث لا تناهي.. وعصيانُ عليٍّ على هذا الحدّ من الشدّة، هذه الصغرى والكبرى، وهذا الكتاب وهذه السنة.

إنّ الطَّرَفَ المقابل والمخاطَبَ في هذا البحث هم الفخر الرازي، وشمس الدين الذهبي.. فما هو الجواب؟

ثم تصل النوبة إلى لفظ (وَمَنْ) في الحديث، فما حدود عموم كلمة (مَن)؟

(مَنْ) **تَعُمُّ كلّ ذوي العقول، ولا أحد قابل للاستثناء**، فتكون النتيجة أنه يجب على أيِّ أحدٍ آمن بالله والنبي صلى الله عليه وآله أن يُسَلِّم مقابل أمر ونهي عليٍّ عليه السلام، وكلُّ من يتخلّف يَدخل في كلمة (مَنْ) دون استثناء.

هل مَن يتخلَّف داخلٌ فيها أم لا؟

إن لم يكن داخلاً فليس مخاطَباً، **وإن كان داخلاً فجزاؤه جهنم خالداً فيها**.

والسؤال الأخير الآن للفخر الرازي والبخاري ومسلم والحاكم والذهبي هو: **هل في إحراق بيت علي عليه السلام معصيةٌ لعليٍّ عليه السلام أم لا؟**

وإحراقُهم غير قابل للإنكار من المتقدمين إلى المتأخرين، ومن الأولين إلى الآخرين، فقد تفحّصنا فوجدناهم كلُّهم قد اعترفوا، وكان مِن كلامه بحسبهم كلهم: **سأحرق الدار إن لم يخرج علي**، قالوا: في الدار فاطمة: قال: **وإن! سأحرق الدار بمن فيها حتى فاطمة!!**

فهل هذه معصيةٌ لعلي عليه السلام أم لا؟ ومعصيته معصية الله والرسول أم لا؟

هذه حجة الله على كل المذاهب الأربعة، وكلُّ من كان عنده جوابٌ فنحن حاضرون.

ثم هل كان معاويةُ مطيعاً لعليٍّ أم عاصياً له؟ ولا منزلة بين النفي والإثبات، **فإذا كان عاصياً فجزاؤه جهنم خالداً فيها.**

ارجعوا لما جاء بنصّ صحيح البخاري، وليس عندهم أصحُّ من البخاري، ارجعوا وانظروا عندما قالت لهم الزهراء عليها السلام آذيتموني ولن أتجاوز عنكم، هذا متن صحيح البخاري: **فَغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ**[١].

فهل هذه معصيةٌ لعليٍّ عليه السلام أم لا؟ إن كانت معصيةً له عليه السلام فمعصيته معصية الله ومعصية الرسول صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ **مَن يُحَادِدِ الله وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا** ذَلِكَ الخِزْيُ العَظِيمُ﴾[٢].

ولا يقولَنَّ قائلٌ أنّ هذه الكلمات مُضِرَّةٌ بالوحدة!

على الجُهَّال أن يصمتوا، هذا محلُّ بُرهانٍ ومنطِق، وليسّ محلّ تَعَصُّب.

نحن **نعلن لأصحاب المذاهب الأربعة** أنهم إن أجابوا على هذا البحث فنحن نُسَلِّمُ لهم.

ونتيجة هذا البحث المنطقيّ المتكوّن من الكتاب والسنة الصحيحة: **أنّ مَن فعل ما فعل في الجَمَل كان في فعله معصيةٌ أم لا؟** إذا كانت معصيةً فما هي نتيجة ضم الكتاب والسنة؟ هذه الصغرى وهذه الكبرى وهذه النتيجة.

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٤٢.

(٢) التوبة٦٣.

عصمة عليٍّ عليه السلام

كان بحثنا[١] في مدلول الرواية الشريفة التي اتفق على صحتها العامة والخاصة، ويُستفاد في دراية فقه الحديث ثلاثة مطالب مهمة:

المطلب الأول: أنه اتضح حال العصاة والمتخلّفين عن طاعة أمير المؤمنين عليه السلام، وبَعضُ ما ورد في مصيرهم بحسب القياس من الشكل الأول بِنَصِّ كتاب الله تعالى، أنّ **كلّ مَن يعصي الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً**، والقدر المتيقن من قوله تعالى: ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[٢] هو الضلال المبين، هذه الكبرى.

والصغرى أن **طاعة عليٍّ** عليه السلام **بحكم سنة النبي** صلى الله عليه وآله **هي طاعة الله، ومعصيته معصية الله تعالى والرسول** صلى الله عليه وآله**، وكلُّ من تخلّف عن طاعته وعَصَاه فقد ضلّ ضلالاً مبيناً**، هذه الكبرى والصغرى وهذه النتيجة.

أما مَن هم الذين تخلّفوا وعصوا، فتُثبِتُه الروايات المعتمدة عند الفريقين، هذا المطلب الأول، وهو مما يرجع إلى العصاة.

أما ما يرجع له عليه السلام ففيه مطلبان:

الأوّل: إثبات العصمة المطلقة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

إنّ للعصمة مراتب متعددة، ونتيجة مدلول هذه الروايات ثبوت المرتبة العالية للعصمة، وهي العصمة المطلقة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، **هذا المدعى.**

وأما الإثبات، فإنه يحتاج إلى مقدّمة فنيّة، وهي أنّه **يجب أولاً فهم الإطلاق،**

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٢ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٨-٩-٢٠١٣ م.

(٢) الفاتحة٧.

فما هو الإطلاق؟ والطرف المقابل لبحثنا هم علماء العامة ممن كانوا فعلاً من أهل التحقيق، لا أياً كان منهم، فهؤلاء أعلام العامة، والمطلق عندهم جميعاً عبارة عن **اللفظ الموضوع للطبيعة**، غاية الأمر أن فيه رأيان:

أوّلهما وهو رأيُ عدّةٍ: أن **النسبة بين الاطلاق والتقييد نسبة التضاد**، فيكون المطلق والمقيد ضدّان.

والرأي الآخر رأي عدّةٍ آخرين، على رأسهم الفخر الرازي: **أن النسبة بينهما ليست نسبة التضاد، بل يقولون بأن المطلق جزءٌ من المقيد**[1].

وبتعبيرٍ فني: هناك نظريتان علميتان دقيقتان في المسألة: الأولى أن **المطلق نفس الطبيعة بنحو لا بشرط مَقسمي**، والثانية أنه **الطبيعة بنحو لا بشرط قِسمي**.

وبعد التحقيق فإنّ الجامع بين هذين القولين هو أنّ **مدلول كلّ لفظٍ موضوعٍ للطبيعة هو نفسُ الطبيعة**، وأنّ كلَّ قيدٍ خارجٌ.

مثلاً: لفظ الإنسان موضوعٌ لنفس ماهيّة الإنسان، أما الوَحدة والتعدُّد والعِلم والجهل والبياض والسواد وكافة الخصوصيات فهي أمرٌ زائدٌ خارجٌ عنه.

وإذا وقع الإنسانُ موضوعاً في كلام الشارع، فينبغي حمله على نفس الماهيّة، مع صدقه على تمام الموارد المشتملة على القيد، ويكون تخصيصه من أيّ جهةٍ وأيّ خصوصيةٍ أمراً زائداً محتاجاً لبيان.

هذا المطلب الأساسي، وبعد بيان الكبرى نبيّن الصغرى فنقول:

إن **الطاعة** لفظٌ موضوعٌ لطبيعيّ الطاعة، وتخصيصُه بأيِّ أمرٍ يحتاجُ إلى

(١) يراجع كتاب المحصول ج٣ ص١٤٢.

مخصِّصٍ وبيانٍ زائد، وكذا لفظ **العصيان**: فإن معنى الموضوع له طبيعة التَخَلُّف، وترك الإمتثال دون التقيُّد بأيّ خصوصيّة من الخصوصيات.

وبناء على هذا، فإنّ **حمل الطاعة والمعصية في السنة الشريفة على خصوص الشرك بالله أو معصية الله تعالى، أو إضافة أيِّ قيدٍ آخر، من أبطل الأباطيل.**

لماذا؟ لأنَّ **حمل اللفظ الموضوع لمطلق العصيان ومطلق الطاعة على الخاص يحتاج الى مخصِّص**، فهو موضوعٌ لكلِّ مصاديق الطاعة والعصيان بدءً من التوحيد إلى أن نصل إلى أرش الخدش.

هنا ينبغي الدِّقة جيداً، **وعلى أساس أدق الموازين العلمية** التي يُحتجُّ بها على جميع علماء العامة، فكلُّ من يقيِّد ويخصِّص هذه الطاعة والعصيان بمورد خاص يُسأل: أين هو المقيِّد؟

على أنّ في تأخير البيان وطرح الإطلاق بدون بيان المراد إذا كان مقيَّداً إضلالٌ وإغواء، وقد جاء النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ للهداية لا للإضلال.

فعندما قال صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ : **مَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً**: أي في مطلق الأمور، **وَمَنْ عَصَى عَلِيّاً**: أي في مطلق الأمور، وكلُّ من يدّعي التقييد فهو لم يَنَل نصيباً من أبسط المسائل العلمية، وهو مَحجوجٌ عقلاً ونقلاً.

وبعدما ثبت الإطلاق، **فما منشأ لزوم الطاعة المطلقة** والمنع من المعصية المطلقة؟ **إنّ العلم مهم جداً، ويحتاج الى كمال الدقة، وللأسف أنّ ذلك الجدّ والجهد والاجتهاد قد ذهب.**

بعد ثبوت إطلاق الطاعة، وبما أنّ لكلِّ طاعةٍ وعصيانٍ مبادئ خاصة بها،

نقل الكلام إلى المبادئ، فمبدأ الطاعة أمر الآمر، ومبدأ ذلك الأمر إرادة الآمر، هذه أمورٌ برهانية، ومبدأ العصيان هو النهي عن العمل، فما لم ينهَ لا معصية في البَين، وعند التخلُّف عن النهي تقع المعصية، ومبدأ ذلك النهي مبغوضية العمل وكراهته، ونص الرواية يثبت أن طاعة عليّ طاعة الله، ومعصيته معصية الله، فما نتيجة هذه الكلمة؟

نتيجتها أن إرادة عليّ عليه السلام إرادة الله تعالى، وكراهة عليّ كراهة الله تعالى، افهموا هذه الأمور جيداً. فإذا كان إطلاق الطاعة والعصيان تاماً، ولم يكن المبدأ غير الكراهة والرغبة، **فلا يمكن إلا أن يكون منشأ الإرادة إرادة الله تعالى،** ومنشأ الكراهة كراهة الله تعالى.

مَن كانت طاعته طاعة الله مطلقاً وطاعة الرسول في كل الأمور، ومعصيته معصية الله والرسول، **فإن إرادته وكراهته فانيةٌ في إرادة وكراهة الله تعالى، وهذا ما تعنيه العصمة.**

خلافة عليٍّ عليه السلام بلا فصل

وصل بحثنا[1] في فقه الحديث إلى أنّ **الأمر الأول** الذي بيّنه الرسول صلى الله عليه وآله **يثبت العصمة المطلقة** له عليه السلام من الخطأ والهوى، لأنَّ إطلاق أمره ونَهيِه دون **تَقَيُّدٍ** بأيِّ قيدٍ يعني أنه لازم الطاعة، لأنها طاعة الله والرسول، وهذا محالٌ ما لم تكن إرادة الآمر والناهي وكراهته **غير متخلِّفة عن إرادة وكراهة الذات القدوس تعالى، فتكون النتيجة العصمة المطلقة.**

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٤ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ الموافق ٣٠-٩-٢٠١٣ م.

الأمر الثاني: أن هذا النصّ الصحيح **يُثبت خلافة علي بن أبي طالب** عليه السلام **بعد النبي بلا فصل**، هذا **المدعى**، أما **دليلُ هذه الدعوى**:

يجب النظر في موضوع الرواية، لأن المحمول تابعٌ للموضوع سِعَةً وضِيقاً، ونصّ الرواية: مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله، وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى عَلِيّاً فَقَدْ عَصَانِي.

الموضوع الذي محموله الطاعة عنوانه (مَن)، وهذا العنوان **عامٌ لمطلق الإنسان العاقل** لغةً وعرفاً، لأنّ (ما) أعم الألفاظ لغير ذوي العقول، و(مَن) **أعم الألفاظ لذوي العقول.**

وعندما يقول صلى الله عليه وآله : **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله،** فهل هناك فردٌ مندرجٌ في عنوان (مَن) وغير محكومٍ بلزوم طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ؟!

لا معنى لذلك وفق كل المذاهب والمسالك، فكلُّ مَن دخل في دائرة طاعة الرسول وحُكِمَ عليه أنه مطيعٌ للخاتم صلى الله عليه وآله ، ينبغي عليه أن يكون مطيعاً لعلي عليه السلام ، وكلُّ من كان عليه ألا يعصيه صلى الله عليه وآله ، لا ينبغي عليه أن يعصي علياً عليه السلام ، هذا الأصل الأول.

ولّما لم يكن هناك أحدٌ مستثنى، تصل النوبة إلى النسبة بين المطيع والمُطَاع، فكلُّ من دَخَلَ في دائرة الطاعة للنبي صلى الله عليه وآله ينبغي أن يدخل في دائرة طاعة عليٍّ عليه السلام ، وتكون **النتيجة أن تمام الأمة مُطيعةٌ، وهو الوحيد المُطاع.**

وبعد أن ثبت بمقتضى هذه السنة النبويّة أنه مُطاعٌ من قبل كل الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ، فمَن دخل في الأمة يجب أن يكون مطيعاً، ويكون هو عليه السلام

مُطاعاً، **ومن المحال أن يكون أحد غيره خليفةً بعد النبي** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ **مع وجوده** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، لأنّ لازم ذلك أن يكون ذاك مُطاعاً وعليٌّ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ مطيعاً، وهذا مخالفٌ لضرورة هذه السُنّة.

فتكون النتيجة القطعية خلافَتُه للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ **بلا فصل**، وهو غير قابل للجواب، مَعَ فهم المطلب. **وفي الرواية دليلان على خلافته بلا فصل**:

الدليل الأول: عموم (مَن) بالبيان الذي تقدّم.

الدليل الثاني: العصمة المطلقة التي أثبتتها هذه الرواية له.

وكلُّ من كان من هذه الأمّة غير واجدٍ لمقام العصمة، **ينبغي أن يكون تابعاً لهذه العصمة المطلقة** عقلاً وكتاباً وسنةً.

وبعد البناء على ضروريات العقل، مِن أنّ على غير المعصوم من الخطأ والهوى أن يتّبع المعصوم من الخطأ والهوى، **تكون كلُّ الأمة بالضرورة تابعةً له** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ **لأنها فاقدةٌ للعصمة**، ويكون هو عَلَيْهِٱلسَّلَامُ متبوعاً لأنّه واجدٌ لهذه العصمة، فيكون في هذا البيان برهانٌ على خلافته بلا فصل.

على أنّ لهذه القضية لازماً عقلياً، وشرعياً، وعُرفياً، فإنّه **بعد ثبوت العصمة المطلقة لعلي** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وبعد كون نتيجة عموم (مَن) **خلافته للنبي** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ **بلا فصل**، وبما أن **الجمع بين الضدين محالٌ**، فإنّ **خلافة غير المعصوم مع وجود المعصوم مردودةٌ بحكم العقل والكتاب والسنة.**

فبعد إثبات خلافته عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يصبح بطلان خلافة مدّعي الخلافة بعد الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ تاماً.. هذا ما يتعلق بفقه الحديث.

الرواية الثانية: حديث المنزلة

قال رسول الله ﷺ لمّا خرج إلى تبوك، **وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا**: أي جعل علياً خليفة لنفسه: **أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**.

مع فَرقٍ في المنزلة، وهو أنّ لتنزيلك تلك المنزلة استثناءٌ، حيث كان هارونُ نبياً بعد موسى عليه السلام، لكنك فاقد النبوة، لأني خاتم النبيين.

والبحث في مقامات ثلاثة:

أولاً: في مصادر الحديث.

ثانياً: في سَنَد الحديث.

ثالثاً: في فِقه الحديث.

مصادر الحديث

هذا الحديث من الأحاديث التي اتّفقت عليها كافّة الفرق الإسلامية دون استثناء، وهو معروفٌ عند العامة والخاصة **بحديث المنزلة**، لذا فإن المصادر التي تعرّضت لنقل الحديث في حدّ التواتر، ونحن نتعرض لقسمٍ منها فقط:

صحيح البخاري وهو أصحُّ الكتب في موردين، في الجزء الخامس والرابع[1]، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن ابن ماجة، الخصائص في موارد متعددة، المستدرك للحاكم، تلخيص الذهبي، مسند امام الحنابلة ج١ في موارد

(١) الجزء الخامس ص١٢٩، الحديث رقم٤١٧٧، (باب غزوة تبوك) من (كتاب المغازي).

متعددة وج٣ وج٦، فضائل الصحابة، السنن الكبرى للبيهقي، مجمع الزوائد للهيثمي، مسند أبي داوود الطيالسي، مصنف عبد الرزاق، مسند الحميدي، مسند بن جعد، مصنف ابن أبي شيبة، مسند ابن راهويه، مسند سعد بن أبي وقاص، السنن الكبرى للنسائي، مسند أنس، صحيح ابن حبان، المعجم الأوسط للطبراني في مجلداتٍ عدة، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في موارد متعددة، نظم درر السمطين، شواهد التنزيل، الطبقات الكبرى، تاريخ بغداد في عدة مجلدات، تاريخ مدينة دمشق، أسد الغابة، تهذيب الكمال، تهذيب التهذيب، ذكر أخبار أصفهان، البداية والنهاية، السيرة النبوية لابن كثير، سبيل الهدى والرشاد، ينابيع المودة.. والعديد من المصادر الأخرى.

وعليٌّ أوّلُ مظلوم مع كل هذه الشواهد على حقّانيته، وهو القائل: **فَصَبَرْتُ وَفِي العَيْنِ قَذىً وَفِي الحَلْقِ شَجاً**.

سند الحديث

كان بحثنا[1] في حديث المنزلة، ولأنّ هذا الحديث حجةٌ إلهيةٌ بالغةٌ على إثبات حقّ أمير المؤمنين عليه السلام، ينبغي ملاحظة سنده ومتنه بدقة، دون أيّ تعصُّبٍ ورأيٍ مُسبَقٍ وحُبٍّ وبُغض.

لقد أشَرنا لِقسمٍ من مصادر الرواية، والنكتة المهمة في هذا البحث والتي تَلزم الفقيه في كل بحثٍ هي **فهم مراتب الحديث**، وفي كل حديث **احتمالان**:

١. أحدهما احتمال كذب المُخبِر.

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٩ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ الموافق ٥-١٠-٢٠١٣ م.

٢. وثانيهما احتمال خطأ المُخبر.

وما لم يرتفع هذان الاحتمالان لا يُعقل أن تتم الحجية.

أما مبنى دفع احتمال الكذب فهو عدالة الراوي، بناءً على حجية خبر العادل، ووثاقة الراوي بناءً على مبنى حجية خبر الثقة، لأن العامّة يشترطون العدالة، لذا فإنَّ **احتمال الكذب يُدفع بعدالة الراوي**.

وأما احتمال الخطأ فيُدفع **بأصالة عدم الغَفلَة، التي تثبتها سيرة العقلاء** في كلّ معاملاتهم وأخبارهم، والتي تقوم على أصالة عدم غفلة المخبِر.

وهذان الأصلان يتمّمان حجية خبر الواحد مع عدالة الراوي، لكنّ المهم **مرتبة الحديث**، وهو بحثٌ آخر، **فكلّما زاد عدد الرواة يضعف كلا الاحتمالين من الناحية العلمية**، فمثلاً إذا روى الخبر شخصان عادلان، فإنّ ذلك يختلف عمّا لو رواه شخٌص واحد، لأنّه **وبحسب الاحتمالات الرياضيّة فإنّ احتمال الخطأ مع تعدُّد الرواة يصبح أقل، ومثله احتمال مخالفته للواقع**.

وإذا وصل عدد المخبرين إلى عشرة أشخاصٍ، ينخفض ويضعف احتمال الخطأ وخلاف الواقع بهذه النسبة، إلى أن يصل الخبر إلى **حدّ التواتر**، وحينها **ينتفي الاحتمال بالوجدان، ويحصل العلم بإصابة الخبر للواقع ويتحقّق**.

كلُّ هذه المطالب قائمةٌ على البرهان، والدقة لازمةٌ في هذا البحث، لأنّ الطرف المخاطَب علماء المذاهب الأربعة، مع اختلاف مراتبهم.

وبالنسبة لهذا الحديث فينبغي أن يتم إثبات صحته، والتعرُّض لمرتبة الصحة أيضاً.

أما بالنسبة لصحة الحديث، فإن الكتب الروائيّة عند العامة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. أوّلها الصحاح، مثل الصحاح الستة، وفي أعلى درجاتها صحيحا البخاري ومسلم.

٢. ثانيها المسانيد، مثل مسند إمام الحنابلة أحمد، وأضراب هذه المسانيد.

٣. ثالثها السُنَن.

وإذا ورد حديثٌ في الصحاح وفي المسانيد وفي السنن معاً تكون مرتبة الحديث من هذه الجهة مرتفعة أيضاً عند أصحاب الدقة والعلم والحكمة، وبَحثُنا من هذا القبيل، ونتعرض لقسمٍ من ذلك:

يقول ابن عبد البر في الاستيعاب، وكلماتُ أمثاله لها حساب خاص:

وروى قوله صلى الله عليه وسلم: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» جماعةٌ من الصحابة، وهو من أثبَتِ الآثار وأصحّها[1].

العمدة في هذه الجملة: **وهو من أثبَتِ الآثار وأصحّها**، وهذه هي الحجّة الإلهيّة، ونحن نلتزم بأمانة النقل لأنّهم لا يقولون (وآله).

جماعةٌ من الصحابة: والصحابة عند أئمة المذاهب عدولٌ، ويستدلون على عدالتهم بالكتاب والسنة، أما من الكتاب فبقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾[2].

---

(١) الاستيعاب ج٣ ص١٠٩٧.

(٢) البقرة١٤٣.

وأما من السنة فبحديث: مَثَلُ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، وهذا استدلال امامهم الفخر الرازي.

وفي أسنى المطالب ص٥٣ عَبَّر الحافظ الجزري: **متّفق على صحّته بمعناه من حديث سعد بن أبي وقاص**: والصحّة لها مراتب، فالرواية قد تكون صحيحةً، وقد يُجمِعُ كل العامة على صحّتها، مع اختلاف تمام المشارب في الحديث، وهذا الحديث منها.

وينقل الحافظ أبو القاسم ابن عساكر فيقول: روى هذا الحديث جماعةٌ من الصحابة منهم عمر وعليّ وابن عباس وعبد الله بن جعفر ومعاذ ومعاوية وجابر بن عبد الله الأنصاري وجابر بن سمرة وأبو سعيد وبراء بن عازب وزيد بن أرقم .. وفاطمة بنت أبي حمزة.

فَمِن مزايا الحديث أنّ **من رواته حتى مَن بَذَلَ ما بذل لمحو فضائله** عليه السلام، **هذا ما يحيّر العقل**، فَمَن دفع مئات الآف الدنانير ليختَلِقَ حديثاً يفيد أنّ قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ الله﴾ قد نزل في ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام، مِثل هذا ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ علياً عليه السلام منه: **بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**، وسيُعرَف بعد ذلك معنى هذا الحديث، هذا هو معاوية بن أبي سفيان، وهو واحدٌ من الرواة، وواحدٌ آخر من الرواة عُمر بن الخطاب، وهكذا.

وفي شرح السنة للبغوي ج١٤ ص١١٣ بعد نقل الحديث: **هذا حديثٌ متّفقٌ على صحته**، وقال الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١ ص١٩٥: هذا هو حديث المنزلة، الذي كان شيخنا أبو حازم الحافظ يقول: **خرّجته بخمسة الآف إسناد**. هذا ما ينبغي أن يُفهم.

وبهذا[١] فإنّه علاوةً على نقل صحاح العامة كصحيح البخاري ومسلم ومسانيد وسنن العامة، فإن تعدُّد أسانيد الحديث قد وصل إلى حَدٍّ محيّر، ولا يوجد في روايات الخاصة والعامة سَنَدٌ بهذه القوة، وههنا مطلبان:

أحدهما: تعبير أبي حازم الحافظ بأنّ عدد أسانيد الحديث قد بلغ خمسة آلاف، **ومثل هذا المقدار منحصرٌ بهذا الفرد من الأحاديث** بعد تصريح مثل هؤلاء.

وثانيهما: تعبير الحاكم وهو من أعلام العامة: **هذا حديثٌ دَخَلَ في حَدِّ التواتر**[٢]. وهذه المزية تقطع حجة كل معاند، والتواتر من الناحية الفنية مُفيدٌ للعلم لا للعلميّ، وبينهما بونٌ بعيد.

إنّ الأحاديث الضعيفة إذا بلغت إلى حدِّ التواتر تكون حجةً عقلاً وعقلائياً وشرعاً، **فكيف بالحديث الذي يكون سنده صحيحاً أعلائياً بشرط البخاري ومسلم**، مثل هذا الحديث وبتلك الصحة إذا بلغ إلى حدّ التواتر يكون **برهاناً قاطعاً يُركِع كل معاند.**

هذا سند الحديث، وبهذا انتهينا من المرحلتين الأولى والثانية: مصادر الحديث، وسند الحديث.

فقه الحديث: منازل هارون

المرحلة الثالثة فقه الحديث ودراية الرواية، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ الموافق ٧-١٠-٢٠١٣ م.

(٢) كما نقله عنه الحافظ الكنجي في كفاية الطالب ص٢٨٣.

منه، والمهم هو فقه الحديث.

متن الحديث: **عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى.**

عَلِيٌّ مِنِّي: فالموضوع عليٌّ عليه السلام، ومنزلته ونسبته **مِنِّي**، وياء (**مِنِّي**) لمن تعود؟ **لعقل الكلّ وكلّ العقل**، عِلم الكلّ وكلّ العِلم، **إمام كافة الأنبياء والمرسلين، خلاصة الخِلقة، خاتم النبوة والرسالة**، في هذه الرواية تتبيّن منزلة عليّ عليه السلام بالنسبة لهذه الحقيقة المحمدية، فأيّ منزلة هذه؟

ثم ينزله: **بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**: فكما كانت منزلة هارون عليه السلام من موسى بن عمران عليه السلام، فإنّ لِعَلِيٍّ نسبة مثلها بالنسبة لي.

وههنا نكتتان مهمّتان من الناحية العلمية وتحوزان أهمية كبيرة:

الأولى: إطلاق المنزلة وعمومها، فكلّ المقامات التي كانت لهارون من موسى ثبتَت لعليٍّ عليه السلام من النبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

الثانية: حدود الإستثناء، فإنّ كلّ ما استثناه النبي صلى الله عليه وآله من منزلة هارون لموسى بالنسبة لعلي عليه السلام هو النبوّة.

فقد كان هارون نبيّاً، أما أنا فلأني خاتم النبيين، تُستثنى النبوّة وحدها من كل المنازل التي ثبتت لهارون من موسى عليه السلام، **فالحديث يدلّ على العموم**.

وتصل النوبة **لتحقيق منازل هارون من موسى** عليهما السلام، حتى تثبت هذه المنازل لعليٍّ عليه السلام بمقتضى هذا العموم والاستثناء، **والمرجع القرآن**، كلام الله، أصدق الكلام، فيجب الرجوع إليه، وأخذ **مفتاح قفل الحقائق من كلام الله**.

١. الوزارة

ينبغي التَنَبُّه إلى الخصوصيّات المهمّة التي وردت في سورة طه، حيث يلزم النظر فيما أعطاه الله أولاً لموسى عليه السلام كالعصا واليد، ثم قال له: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[1]، فأمَرَهُ أن يذهب بهذه الآيات إليه.

﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾: افهموا جيداً مِن أين يبدأ الدعاء وكيف يُختَم، **موسى نبيٌّ من أنبياء أولي العزم**، من **زُمرة خمسة أنبياءٍ هم سادات الأنبياء**، يسأل الله تعالى أن يشرح له صدره!

شَرحُ صدري أنا وصدرك أنت غيرُ شرحِ صدره هو عليه السلام، **دقِّقوا في ذلك** جيداً، ذلك **الصدر الذي وصل إلى مقام كليم الله**، يطلب موسى عليه السلام أيضاً أن يشرح الله له صدره.. هذه **أولاً**.

وثانياً: ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾: **أمرُ موسى هو بلاغ النبوة والرسالة الإلهية**، وهو الذي يدعو موسى عليه السلام الله تعالى بأن يُيَسِّرَهُ له، وبعد أن طلب هذين الطلبين، ما كان طلبه الثالث؟

ثالثاً: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾: لكلِّ هذه الآيات شرحٌ مفصل.

وبعد أن تمَّ كلُّ ذلك مما يتّصل بنبوته ورسالته كان **طلبه الأخير**: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي﴾، **فهل فهمت أيها الفخر الرازي؟**

واجعل لي وزيراً، وليكن هذا الوزير من أهلي، فينبغي أن يكون وزير

(١) طه٢٤، والآيات الآتية كلُّها لاحقة لهذه الآية حتى الآية ٣٦ من سورة طه.

موسى من أهله، **ووزير الخاتم ينبغي أن يكون من أهل الخاتم أيضاً**: عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى..

﴿هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾، وههنا **مطلبان آخران**:

١. اشدُد أزري بوزيري وهو هارون، وكل هذه المطالب ينبغي تحقيقها وسنتعرض لذلك لاحقاً إن شاء الله.

٢. والمهم قوله: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾: اجعل هارون وزيري شريكاً في أمري، وبعد أن تم ذلك قال تعالى: ﴿قَالَ **قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾ فقد أُعطِيتَ ما طلبت، وبعد أن تم كلّ ذلك ماذا تكون منزلة عليٍّ عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله باستثناء النبوة؟

يصبح شريكاً في أمر خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، ومشدِّداً لأزر النبي الخاتم صلى الله عليه وآله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾، هذا هو وزيرُ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وهذا معنى: **بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**. ويأتي بيان ضمّ القرآن إلى السنة.

معنى الوزير

بحثُنَا في فقه الرواية[1]، وفي المقامات التي ثبتت لهارون من موسى، وأنّ مقتضى عموم المنزلة يثبت تمام تلك المقامات، وبعد إثبات الاستخلاف قال موسى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي﴾، فينبغي معرفة ما معنى الوزير، والمرجع هو اللغة، وينبغي أن نرى ما قال أئمة أهل اللغة في هذه الكلمة.

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٦ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ الموافق ١٢-١٠-٢٠١٣ م.

كتاب العين للخليل بن أحمد ج٧ ص٣٨٠: **الوَزَرُ: الجبل يلجأ إليه**، يقال: ما لهم حصن ولا وَزَر، وينبغي الدقة جيداً في مثل هذه التعابير، فالوزير من الوَزَرُ، والوَزَرُ الجبل لأنه الملجأ والحصن، وعلى أهل الدقة والنظر التأمل في هذا الحديث، وتتمة كلام الخليل: **والوزير: الذي يستوزره الملك، فيستعين برأيه.**

وفي معجم مقاييس اللغة ج٦ ص١٠٨: وزر: الواو والزاء والراء أصلانِ صحيحان: أحدهما الملجأ، والآخَر الثِّقَل فى الشَّيء. الأوَّل الوَزَر: الملجأ. قال الله تعالى: كَلَّا لَا وَزَرَ... **والوزير سمِّى به لأنّه يحمل الثِّقل عن صاحِبِه.**

فوَجهُ التسمية هو حمله الثِّقل، وتلك المسؤولية التي يحملها الملك في إدارة المُلك، حيث أن سرّ تلك المسؤولية في عهدة الوزير.

وفي لسان العرب ج٥ ص٢٨٢: الوَزَرُ: المَلْجَأُ، وأَصل الوَزَرِ الجبل المنيع، وكلُّ مَعْقِلٍ وَزَرٌ.... قال أَبو إِسحق: الوَزَرُ في كلام العرب الجبل الذي **يُلْتَجَأُ إِليه**، هذا أَصله. **وكل ما التَجَأْتَ إِليه وتحصنت به، فهو وَزَرٌ**.. ووضعت الحربُ أَوْزارَها أَي أَثقالها.

هذه كلمات أهل اللغة، فالوزير حامل السرّ، ويُكمِل في لسان العرب ج٥ ص٢٨٣: وكذلك **وَزِيرُ الخليفة معناه الذي يعتمد على رأْيه في أُموره ويلتجئ إِليه**، وقيل: قيل لوزير السلطان وَزِيرٌ لأَنه **يَزِرُ عن السلطان أَثْقال ما أُسند إِليه** من تدبير المملكة **أَي يحمل ذلك.**

نتيجة هذا الكلام أن للوزير خصوصيتان: إحداهما **الخصوصية العلميّة**، بحيث يستعين برأيه من عيّنه وزيراً، وثانيهما **الخصوصية العمليّة** حيث يُلقي على كاهله ثقل المسؤولية فيتحملها ويؤديها، وما ينبغي الدِّقة فيه هو أنه **هل هناك**

مراتب في الوزارة أم لا؟

وبعبارة فنيّة: هل عنوان الوزير **من العناوين المتواطئة أو من العناوين المشككة**، وهذا البحث مهمٌ جداً.

مع التأمل في مقامَي الثبوت والإثبات يتضح أن **الوزارة معنىً مشكك**، حيث لا يعقل وحدة حال الوزير في مملكةٍ صغيرةٍ مع الوزير في المملكة التي تمتدّ من الشرق للغرب، لأنه يُطلَبُ من الثاني الكثير من الآراء، وتُلقى عليه مسؤوليات أكثر من الأول.

وإذا ثبت هذا المطلب بالبرهان والدليل العلميّ، **فينبغي المقايسة بين مرتبة موسى بن عمران** عليه السلام **مع مرتبة خاتم الأنبياء** صلى الله عليه وآله، حينها يُعلم في أيّ حدٍّ كان وزير موسى عليه السلام، وفي أيّ حدٍّ وزير الخاتم صلى الله عليه وآله، أما موسى: فمن كان؟

اقرأ القرآن وانظر من كان موسى: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً**﴾[1]، وقد أعطيَ موسى تسع آيات أحدها العصى مقابل القوم الذين: ﴿سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[2]، فما الذي كان قد حدث حتى وصف الله تعالى فِعلَهُم ذلك في قرآنه بالعظمة؟!

﴿ فَالقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ **تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾[3] هذه هي العصا.. وأما اليد: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ

(١) مريم٥٢.

(٢) الأعراف١١٦.

(٣) الشعراء٤٥.

وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[١].

ما هي آية وزير مثل هذا النبيّ؟ هذا المهم في البحث.

موسى عليه السلام مع عظمته هذه، عندما رأى مقام وليّ العصر، ورأى وصيّ الخاتم، بعد كل ذلك قال: يا إلهي هل يمكن أن تختارني لذلك المقام؟

موسى مع عظمته هذه جاءه الجواب: **أن هذا السؤال ليس على قَدرِك!!**

أمّا النسبة بين موسى عليه السلام والخاتم صلى الله عليه وآله بالبرهان: قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الالوَاحِ **مِن كُلِّ شَيْءٍ**﴾[٢]، و(مِن) للتبعيض، فما كتبناه في كتاب موسى عليه السلام بعضٌ من كل شيء، لكنّه تعالى قال في القرآن الذي أنزله على النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ **تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٣].

فانظر التفاوت بين (**مِن كُلِّ شَيْءٍ**) و(**كُلِّ شَيْءٍ**)، فوزير الخاتم هو مَن يعتمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله على رأيه، هذه معرفة عليٍّ عليه السلام.

قال تعالى في القرآن: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ **وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[٤]، ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٥]، ومَن يتّكل عليه النبي صلى الله عليه وآله علميّاً وعمليّاً هو علي عليه السلام، وهو قوله: عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وهذا نَصُّ

(١) النمل١٢.

(٢) الأعراف١٤٥.

(٣) النحل٨٩.

(٤) النساء١١٣.

(٥) القلم٤.

السنة القطعية، وفي كتاب الله: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي﴾[1].

فتكون النتيجة أن **علياً أصبح وزير عقل الكل، وزير خاتم الرسل**، مَن كان يتّكل ويرتكز ويركَنُ إليه كلُّ الأنبياء **أصبح متّكِئاً على عليّ بن أبي طالب** عليه السلام، **هذه نتيجة الكتاب والسنة.**

الوزارة في الروايات

كان بحثنا[2] في حديث المنزلة، وقد تقدم البحث في الوزارة، وبَيَّنا معنى الوزارة لغةً وإجمالاً، والبحث الآن فعلاً في الوزارة من جهة الروايات.

وقد تقدم أن مفهوم **الوزير عبارةٌ عمن يختاره أمير المملكة، ويساعده على تدبير أمورها**، ويكون رأيه معتمداً في مختلف المجالات في السَّلطنة.

وعلى هذا، **كيف ينبغي أن يكون وزير النبي الخاتم** صلى الله عليه وآله **الذي كانت دائرة حكومته شاملةً لكلَ أهل العالم؟** علماً وأخلاقاً وأحكاماً، وقد كانت **شاملةً للجنّ والإنس**، وفي خير أمةٍ أخرجت للناس.

لقد نقل المحدثون والمفسرون من العامة حتى أمثال الفخر الرازي الرواية التالية، التي **ننقل مَتنها لأنّ فيها لطائف ودقائق**، وينبغي أن تكون مورد نَظَرٍ دقيق عند أهل الفنّ، والرواية عن تفسير الرازي ج١٢ ص٢٦:

وروي عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنه قال: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) طه٢٩.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٩ محرم ١٤٣٥هـ الموافق ٢٣-١١-٢٠١٣ م، بعد بحث (منزلة الأخوّة)، وهو متمِّمٌ لبحث (منزلة الوزارة) فقدّمناه ليتّصل بما يرتبط به.

وسلم يوماً صلاة الظهر، فسأل سائلٌ في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: الّلهم أشهد أني سألت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فما أعطاني أحد شيئاً، وعليّ عليه السلام كان راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي صلى الله عليه وسلم: نَقلُ الرواية بهذا المتن محيِّرٌ، والمهمُّ من جِهَةِ فقه الحديث أن كلّ ما جرى كان أمام النبي ﷺ.

فقال: الّلهم إنّ أخي موسى سألك فقال: ﴿ربِّ اشرح لي صدري﴾ إلى قوله ﴿وأشركه في أمري﴾ (طه٢٥-٣٢) فأنزلتَ قرآناً ناطقاً ﴿سنشدُّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً﴾ (القصص: ٣٥).

الّلهم وأنا محمدٌ نبيّك وصفيّك: أنا الذي اصطفيتني على كل الأنبياء.

فاشرح لي صدري: فكما طلب موسى أن تشرح صدره أطلب منك أن تشرح صدري، وبالرجوع للقرآن نقرأ: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾، وشرح صدر موسى عليه السلام كانت نتيجته التوراة والألواح، أما **شرح صدره** ﷺ **وثمرته فهو القرآن**، القرآن العظيم، القرآن الحكيم، ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، هذا شرح صدره.

ويسِّر لي أمري: إلى هنا الكلام كُبرَويٌّ، ومن هنا يأتي الكلام في الصُغرى والبحث الجزئيّ، ومِن العجائب أنّ محدثي العامة وأئمة التفسير نَقَلوُا مثل هذه الرواية، ومنهم الفخر الرازي إمام المشككين، ونصل للمطلب وهو قوله ﷺ:

واجعل لي وزيراً من أهلي: من هم أهل النبي ﷺ؟ هل فهمتَ أيها الفخر أم لا؟ أهل النبي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً﴾(١)، فالوزير من أهله.

هل كان أبو بكر من أهله صلى الله عليه وآله؟ هل كان عُمَر من أهله صلى الله عليه وآله؟ لم يكتفِ بهذا بل صرّح فقال:

علياً اشدُد به ظهري: ليس الوزير من أهلي مطلقاً، بل خصوص عليٍّ عليه السلام.

قال أبو ذر: فوالله ما أتمَّ رسول الله هذه الكلمة: فوالله، وممن هذا اللفظ؟ ممن أقرّت كافة مذاهب العامة بأنّه أصدق الناس لهجةً.

حتى نزل جبريل فقال: يا محمد إقرأ ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ إلى آخرها.

هل هناك حجةٌ فوق هذا؟ **إنّ العمى والحيرة مِن إعماء الله لهم!**

هل هناك **نصٌ بَيِّنٌ على خلافة عليٍّ عليه السلام بلا فصلٍ أعلى من هذا النص** الشريف وهذه الآيات المباركة؟

لم يُكمِل النبي صلى الله عليه وآله **دعاءه وطلبه لوزارة عليّ عليه السلام** حتى أتى جبرئيل بالآية فصارت الولاية لله أولاً وللنبي صلى الله عليه وآله ثانياً ولعلي عليه السلام ثالثاً، فما الذي يمكن قوله مقابل هذه الحجة؟ هذا القرآن كتاب الله ينطق بهذا، وهذه سنة خاتم الرسل صلى الله عليه وآله، **ومدلول الحديث يثبت وزارة علي بن أبي طالب عليه السلام وشدّ أزر النبي صلى الله عليه وآله به.** في المقابل ماذا فعلوا؟

في مقابل هذا الحديث **وضعوا حديثاً لكي يطفؤوا النور**، ولكنه بدلاً من أن يُطفَأ النور، **صار كل ما حاكوه ونسجوه هباءً.**

---

(١) الأحزاب٣٣.

اختلاق الأحاديث مقابل وزارة علي عليه السلام

ثَبَتَ منصب[1] وزارة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام بما مرّ من السنة القطعية، وهو المطلب الذي ليس لكافة أئمة العامة خيارٌ بعدم قبوله، لأن السُنَّة مُسَلَّمَةٌ عند الجميع سنداً ودلالة.

ولكن ماذا فعلوا في مقابله؟ وضعوا في قبال هذا الحديث في مصادرهم حديثاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال: **إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبرئيل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكرٍ وعمر**[2].

والآن ينبغي تحقيق حال هذا القول من الجهة العلمية، والبحث في اعتباره.

إنّ أحد شرائط حجية الرواية أن لا تكون مخالفةً للعقل والكتاب والسنة، فإذا خالف حديثٌ العقلَ القطعيَّ لا يمكن أن يكون معتبراً، وكذا لو خالف الكتابَ والسنة القطعية.

أما **العقل القطعيّ**، فقد دل على أنّ **إقرار كلِّ عاقلٍ على نفسه أو بما فيه ضرره نافذٌ**، وهذا الأمر **يحكم به العقل عند كل الأمم والملل**، وأساس القضاء في درجته الأولى قائمٌ على الإقرار.

وأما **السنة القطعية فقد اتفق كل أئمة الفقه على أن كلَّ أحدٍ يؤخذ بإقراره،** فإن كان إقراره بما فيه نفعه يحتاج لشاهدٍ، أمّا إن كان بضرره فلا يحتاج لأيِّ أمرٍ

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢١ محرم ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٥-١١-٢٠١٣ م.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٢٦٤، سنن الترمذي٥: ٢٧٩، وغيرهما.

آخر، وهذه القضية **ثابتةٌ في فقه جميع المذاهب.**

ومع هذه المقدّمة ينبغي ملاحظة الرواية التالية بدقّة، وهي من المصادر المسلّمة عند العامة دون مصادر الخاصة.

الرواية: **فصعد (عُمَر) المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: أيها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم، فمن زاد ألقيتُ زيادته في بيت مال المسلمين، فهاب الناس أن يكلموه**[1].

وههنا مطالب:

١. الأوّل: أنه نهى عن الزيادة في مهر النساء عن أربعماءة درهم.

٢. الثاني: أنّه قال أنّه سيأخذ تلك الزيادة.

٣. والثالث: أنه قال أنّه سيضع الزيادة في بيت مال المسلمين، فهاب الناس أن يكلموه.

فقامت امرأةٌ في يدها طول فقالت له: كيف يحلّ لك هذا والله تعالى يقول: ﴿وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾.

ما كان ردُّ فعله بعد أن استشهدت المرأة بكلامه تعالى؟ وقالت أنّه لا يحلّ لك أن تذهب إلى ما ذهبتَ إليه؟

فقال عمر رضي الله عنه: امرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ.

وقد نقل الباقلاني ذلك في التمهيد (ص٥٠١)، وهو من أعيان متكلمي العامة، بل نقلها مفسرو السنة ومحدِّثو العامة.

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ج١ ص١٠٥، وغيره من المصادر.

والمهم هذه الجملة عندما قال: **كلُّ الناس أفقه منك يا عمر!!**

وههنا **بحثان**: أحدهما سند هذه القضية، والثاني دلالتها.

فينبغي أن يكون السند تاماً من الناحية العلمية، وكذا الدلالة لتصبح حجةً على إثبات الدعوى.

أما السند، فقد عبَّرَ أئمة الحديث بقولهم: **تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**[1].

ولم ترد مثل هذه الجملة في مختلف روايات البخاري ومسلم، يعني أن يكون الحديث بهذه القوة، وينبغي على أهل الفن أن يفهموا هذه الأمور جيداً ليتمكنوا من إثبات الحق ومحو الباطل.

لا يشترط صحّة السند في التواتر من الجهة العلميّة، وذلك باتفاق أصوليي العامة والخاصة، **فإذا وصل الخبر لحدّ التواتر أفاد العلم، والعلم حجةٌ عقليةٌ**، لذا **فإن السَّنَدَ لا يُطرَحُ في باب المتواترات**، ولكنَّ المهم هنا هو أن **الأسانيد الصحيحة قد وصلت لحدّ التواتر**، وهذا ما قلناه أنّه **لا وجود لمثل هذا الخبر في تمام صحاح العامة ومسانيدهم وسُنَنِهم**، وذلك بتصديق إمام أهل النقد، فالذهبيُّ أيضاً اعترف به. فبلغ السند من القوّة إلى هذا الحد.

أما الدلالة: لقد عُلِم بالضرورة أنّه **ليس هناك من أمرٍ في الدين أعلى من حقّ الناس**، لأنَّ كل معصية تُغفَرُ بالتوبة إلا حقّ الناس، وأوّل قطرةٍ تسقط من دم الشهيد، حتى الشهيد الذي يسقط مع الإمام المعصوم، تُغفر له بها كلُّ ذنوبه، إلا

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص١٧٧.

حقّ الناس! فبأيِّ حقٍ يأخذ خليفة المسلمين مال الناس خلافاً لِنَصِّ القرآن؟!

هل هناك جهلٌ أكبر من ذلك؟

ثم بعد أن أخذه أراد أن يضعه في بيت المال!! **هذا الخطأ الثاني.**

أما **الخطأ الثالث**: فعندما يضع المال في بيت المال سيُقَسَّمُ على المسلمين، **فيكون سبب أكلهم جميعاً للحرام هو عمر بن الخطاب!**

لو اجتمع كل علماء الأزهر، واتّفق كل علماء السعودية، **هل عندهم قدرةُ الإجابة على هذا المطلب؟**

هذا الكلام ينتشر إلى الدنيا، ولا يبقى محصوراً بين هذه الجدران الأربعة.

فكيف بكلام امرأةٍ مقابل أمير المؤمنين؟ عندما تتكلم امرأةٌ أمامه فتُبَيِّنُ خطأه خلاف القرآن، ثم يصل الأمر إلى إقراره على نفسه، وأيُّ إقرار: **كلُّ الناس أفقه منك يا عمر!!**

هل هذا نص القرآن أم لا؟ ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1]، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ **أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى** فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[2].

فبحكم العقل والقرآن والسُنَّة: يجب أن تكون تلك المرأة إماماً وعمر بن الخطاب مأموماً! مِثلُ هذا يصبح وزير النبي ﷺ!

---

(١) الزمر ٩.

(٢) يونس ٣٥.

عندما يُصاب العقل أو يُسلَب فماذا يمكن أن نفعل؟ مَن هو الوزير؟

العين للخليل وهو إمام أهل الفنّ بالاتفاق: **والوزير: الذي يستوزره الملك، فيستعين برأيه**[١].

هذا معنى الوزير، وهو مَن تستند أمور المملكة وتُدار بالاتّكاء إليه.

وفي معجم مقاييس اللغة: **والوزير سُمِّي به لأنّه يحمل الثِّقل عن صاحِبِه**[٢].

وفي لسان العرب: **الوَزَرُ: المَلْجَأُ، وأَصل الوَزَرِ الجبل المنيع**، وكلُّ مَعْقِلٍ وَزَرٌ.. قال أَبو إِسحق: **الوَزَرُ في كلام العرب الجبل الذي يُلْتَجَأُ إِليه**، هذا أَصله. وكل ما التَجَأْتَ إِليه وتحصنت به، فهو وَزَرٌ.. ووضعت الحربُ أَوْزارَها أَي أَثقالها[٣].

ويكمل في لسان العرب: وكذلك وَزِيرُ الخليفة معناه الذي يعتمد على رأْيه في أُموره ويلتجئ إِليه.

وقد مر تفصيل ذلك وبيان حقيقة الوزارة، **وتكون النتيجة أن وزير النبي الخاتم ﷺ عُمَر!!**

وزير عقل الكل، وزير مرجع تمام الأنبياء هو عمر! فالنبيّ يرجع إليه!

وهو الذي يجب أن تعتمد على رأيه هذه الأمة! **ثم يعترف هذا الوزير بنفسه أن النساء أفقه منه!** فهل هذا الحديث قابلٌ للقبول؟! هذا برهانٌ ناطقٌ.

---

(١) العين ج٧ ص٣٨٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة ج٦ ص١٠٨.

(٣) لسان العرب ج٥ ص٢٨٢.

فإذا كان جبرائيل وزير النبي في السماء، وقد قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾[1]، أفَهَل يُعقل أن يكون وزير خاتم النبيين في الأرض مَن كان **أدوَنَ من جميع أهل الدنيا وأقلَّ فهماً**؟

هكذا تحاربون علياً؟ ألا تخجلون حتّى من وُجدَانِكُم؟ تختلقون هذا الحديث مقابل وزارة عليّ عليه السلام؟ ألا تعلمون أن **سُمعتكم جميعاً** من المفسرين والمحدّثين كالذهبي، والمتكلّمين كالباقلاني، **ستذهب مع الريح بهذا الشكل؟!**

٢. الأخوة

كان البحث[2] في فقه حديث المنزلة، وكانت المنزلة الأولى الوزارة، وقد بُحِثَت إلى حَدٍّ ما، والثانية الأخوّة، لأنّ مدلول الحديث أنَّ علياً من النبيّ بمنزلة هارون من موسى، فمقتضى عموم التنزيل واستثناء النبوة من الجهة العلميّة أن جميع المزايا التي ثبتت لهارون من موسى قد ثبتت لأمير المؤمنين عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله قطعاً، وإحدى هذه المزايا هي الأخوّة: ﴿هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾.

فيكون مقتضى عموم هذا التنزيل إثبات أخوّة عليّ عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله، مع فارقٍ هو أن **تلك الأخوّة كانت نسبيّة**، وهذه الأخوة **ليست في النَّسَب لكنّها في جميع المراتب**، لذا حتّى لو لم يكن هناك أيُّ مستندٍ آخر فإنّ هذا الحديث بنفسه يثبت الأخوّة، وهو الذي اتفقت جميع المذاهب على صحته، علاوةً على كونه في حد التواتر.

---

(١) النجم ٥-٧.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٣ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ الموافق ١٩-١٠-٢٠١٣ م.

أنت أخي في الدنيا والآخرة

مضافاً إلى روايات الفريقين التي تثبت الأخوّة بشكل تامّ ومنها هذه الرواية:

عن عبد الله بن عمر قال: لما ورد رسول الله (ص) المدينة آخى بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله (ص): يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة.

أولاً: نتعرض لمصادر هذا الحديث إلى حدٍّ ما.

وثانيا: نتعرّض لفقه الحديث.

وردت هذه الرواية في الكتب التالية من متون العامة: سنن الترمذي، أسد الغابة، البداية والنهاية، مجمع الدقائق، فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر، تاريخ بغداد، نظم ودرر السمطين، كنز العمال، تاريخ مدينة دمشق، أنساب الأشراف، ينابيع المودة.. هذا قسمٌ فقط من مصادر الحديث في كتب العامة.

وخصوصية هذه الرواية أنها مرويّةٌ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

ما كان منشأ المؤاخاة؟ وما هي كيفية عقد الأخوّة منه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وبأيِّ مناط؟

لقد آخى بعد نزول قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وكان هذا أوّل عمل عمله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهو الذي فِعلُهُ فِعلُ الله: ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ الله رَمى﴾.

والعمدة على فَهم الحديث، فإنّ فِعل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو نفس فعل الله تعالى، فعلى أيِّ نحو آخى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بينهم؟

لقد آخى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه **بينهم على قدر منازلهم،** ولم تكن هذه الأخوّة دون حساب، لأنّ الأخوّة التي تحصل بيد الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وبعد نزول الآية **لا تكون اعتباطية، إنما بحسب المنازل،** فكلٌّ يؤاخى بينه وبين من يتناسب معه، وقد صرّح رواة العامة أنفسهم أن الأخوّة كانت بحسب منازلهم والتَنَاسُب بينهم.

وقد عقد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه **الأخوّة بين أبي بكر وعمر، وهنا المعجزة!!**

وآخى بين عثمان وعبد الرحمان بن عوف**!!**

إذا أدرك أحدٌ ما هذه **الحقائق فإنها الإكسير الأعظم،** طالِعوا قضية الشورى عندما جعلها ذاك بين ستة أشخاص وقال: إذا حصل خلاف بينهم فالمرجع رأي عبد الرحمان، وعبد الرحمان اختار عثمان**!**

هنا يتحيّر العقل، حيث أنّه في اليوم الذي هاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه إلى المدينة، وكان البناء على تعيين الأخوّة بين الصحابة آخى بين عثمان وعبد الرحمان**!!** وآخى بين أبي عبيدة وسعد بن معاذ**!** وهكذا **كانت المؤاخاة بين المتناسِبَين من الجهة النفسية والروحية.**

هذه الأخوّة كانت بحسب المراتب باعتراف الخصم إذاً، **وأصلُها وجذورها في النفوس، والسِّنخيَّةُ عِلَّةُ الإنضمام بناءً على برهان السنخية،** فإلى أيّ حَدٍّ كانت السنخيّة بين الأول والثاني حتى آخى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بينهما؟ بنفس ذلك الحدّ كانت السنخية بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف فآخى بينهما، أما السنخية بينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وبين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد كان جواب النبي محيراً لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فقال رسول الله (ص): يا علي أنت أخي: هنا على الفخر الرازي أن يفكِّر،

لَم يَقُل (**جعلتك أخي**) إنما قال (**أنت أخي**)، أولئك الأشخاص (جعلتُهُم) أخوةً، أما أنت فلستَ محتاجاً لجعل الأخوّة (**أنت أخي**)، هذه الإشارة الأولى.

والإشارة الثانية قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: **في الدنيا والآخرة**: هنا حِيرةُ العقول.

أولاً: بحسب نقل عبد الله بن عمر، وباتفاق تمام علماء المذاهب، فإنّ هذه **الأخوّة كانت بحسب السنخيّة والمنازل**، وينبغي التأمل في ذلك، **فماذا كانت منزلة خاتم النبيين؟ ومن هو الذي يكون لائقاً بأخوّته؟**

هنا الحجة البالغة لله تعالى، والتي **تُسكِتُ تمام أئمة المذاهب الأربعة**، هل كان هناك أحدٌ بهذا الحدّ من النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ؟

هنا البرهان، وهذا **بحثٌ عِلميٌّ وفَنيٌّ بناءً على أدقّ موازين الاستدلال**، لأنَّ الطرف المقابل هم أركان العامة من أئمة الفنون.

إذا كانت الأخوّة بحسب السنخيّة فهل كان بين أحدٍ من جميع أصحاب النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ سنخيةٌ للأخوّة مع النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ؟

الأمر بين النفي والإثبات، فإذا كان منهم من هو كذلك وقد افتخر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بأخوة عليٍّ **يكون فعله ترجيحاً بلا مرجح، وهو قبيحٌ** ومحالٌ من شخص الخاتم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، **فيثبت بالضرورة أنه لم يكن في مثل هذا الطرز والمستوى أحدٌ من جميع الأصحاب وجميع الأمة**، هذا **أولاً**.

وثانياً: من الجهة الإثباتية، فإنه عَلَيْهِالسَّلَامُ قد صار من نفس طراز من قال فيه تعالى ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾، فليس عَلَيْهِالسَّلَامُ من طراز موسى عَلَيْهِالسَّلَامُ، بل شأنه أجلّ من ذلك، وليس من طراز

عيسى عليه السلام، ولا إبراهيم الخليل عليه السلام، بل من طراز **الشخص الأول لعالم الإمكان** صلى الله عليه وآله، فهل هذا برهانٌ أم لا؟

إذا كان برهاناً، فارجعوا، وإن لم يكن برهاناً أجيبوا، نحن على استعداد.

هذا الكتاب، والسنة، والعقل والمنطق والإستدلال.

إنها أخوّة عقل الكلّ، وكلّ العقل، علم الكل وكل العلم، **أخوّة أشرف الأنبياء**، أخوّة من كان أفضل من الملائكة، أخوة من قال: **أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي،** وقال فيه تعالى: ﴿دَنا فَتَدَلَّى﴾، مَن وصل إلى قاب قوسين، كان عليّ عليه السلام من طرازه صلى الله عليه وآله، وعندما وصل صلى الله عليه وآله إلى هناك (وهذا من مصادر الخاصة) **خاطبه الله تعالى بلهجة علي** عليه السلام، إلى ما قبل هذه النقطة كان الكلام من مصادر العامة، وهذه النقطة كانت من مصادر الخاصة.

ما كان مبدأ هذه الأخوّة؟ وما منتهاها؟ العمدة هو البحث في المبدأ والمنتهى.

مبدأ الأخوّة

كان البحث[1] في هذه الجملة: **يا عليّ أنت أخي في الدنيا والآخرة.**

ولهذه الأخوّة بين الشخص الأول في العالم صلى الله عليه وآله وبين عليّ عليه السلام مبدأٌ ومنتهى، أما مبدأ وأصل هذه الأخوة ففي الرواية التي نقلها أعلام أهل العامة، كما في: كنوز الحقائق، أخرجه الطبراني، وكنز العمال أخرجه الديلمي، ونحن ننقله عن جلال الدين السيوطي وهو من أعلام العامة وذلك من تفسير الدر

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٥ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢١-١٠-٢٠١٣ م.

المنثور، في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ..﴾(١).

والرواية: **يَا عَلِيُّ، النَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَأَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَة.**

فالناس عموماً أُخرِجوا من أشجارٍ شتّى، لكنّي وأنت قد جئنا إلى الوجود من شجرةٍ واحدة.

نفس هذا المبدأ كافٍ ليتضح أصل هذه الأخوّة، وأصل ذلك في قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا..﴾**(٢).

ينبغي فهم الكتاب والسنة معاً: **أَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَة**، الشجرة التي خُلِقَ منها خاتم الأنبياء وأشرف مَن عليها صلى الله عليه وآله **أصلها ثابتٌ، لأنها مستندةٌ إلى الذات القدّوس**، وفرعها في السماء، وتلك السماء هي سماء الوحي والتنزيل **﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾**.

ثمرة هذه الشجرة **غير قابلة للإنقطاع**، في كل زمان تُخرِجُ فاكهةَ العلم والحكمة والهداية، بالأمس واليوم وغداً.

إذا دُقِّقَ في المسألة جيداً، فإن **القرآن ونهج البلاغة ثمرتان، الأوّل ثمرة الأصل الأول، والثاني ثمرة الأصل الثاني، فهل هما قابلان للزوال؟**

وتظهر الحاجة الى ثمار هذه الشجرة عند كلِّ عقلٍ وفي أيّ مرتبة، شاء من

(١) الرعد٤.

(٢) إبراهيم٢٤-٢٥.

شاء وأبى من أبى.

أَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَة: إذا كانت تلك الشجرة قد ميّزت الخاتم ﷺ بالنسبة للأنبياء، فإنها ميّزت علياً عليه السلام بالنسبة للأوصياء.

وكان من ثَمَرِ تلك الشجرة العلم والحكمة: أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها.. أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. وكل هذه الأمور ترجع إلى جملةٍ واحدة: يَا عَلِيُّ.. أَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَة.

لا تَمَايُزَ هنا، التمايُزُ في صورة تعدُّد الأصل، فإذا كان الأصل واحداً، وبما أن الفرع منبعثٌ عنه، يكون لا محالة **متَّحِداً في كلّ الخصوصيات**، لهذا قال ﷺ: **عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**، والمستثنى هو النبوّة فقط.

أمّا بعد وصولهم إلى هذه الدنيا، ففي تاريخ الطبري والبلاذري وجامع الترمذي وفضائل الصحابة ومسند إمام الحنابلة، عن زيد بن أرقم وابن عباس قالا: قال النبي ﷺ: **أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعِي عَلِيّ**.

كلُّ هذا مبنيٌّ على حسابٍ دقيق، ويُطرَحُ من الجهة العلميّة والفنيّة.

أمّا معنى هذه القضية: فإنّ الصلاة معراج المؤمن، ومعراجُ كل شخصٍ بحسبه، **ولا يُعقل أن تتحدَّ صلاة المعصوم مع صلاة غيره**، هي معراجُ وطريقُ عروج تلك الروح، وهذه طريقُ عروج هذه الروح.

وقد خاطب الله تعالى الخاتم ﷺ في القرآن، ولأن الآية موجِبةٌ للسجدة لا نتلوها، ولكنّ مضمونها أن القرب مني في حالة السجود[1].

---

(١) العلق١٩: ﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

إن الصلاة التي أتى بها الدين تبدأ من تكبيرة الإحرام، وفيها سبع تكبيراتٍ، ورَفعٌ لتمام الحُجُب، ومن ثمّ الإبتداء باسم الله الرحمن الرحيم، وأمّ الكتاب، والتي فيها تمام القرآن، واسم الله الأعظم مُقَطَّعاً، وبعد هذه السورة تصل النوبة للركوع ونهاية الأمر السجدة، وهناك مقام القرب.

وأما صلاة الخاتم، ففيها كان هو الإمام، وكان المأمومُ شخصاً واحداً هو عليٌّ عليه السلام، ومع تلك السجدة وتلك التكبيرات إلى أين يمكن الوصول؟

المطلب مهمٌ بقدر أن الحِميري فَحل الأدب يقول في بيانه:

ألم يصلِّ عليٌّ قبلهم حججــاً * * وَوَحَّدَ الله ربَّ الشمس والقمر

وهؤلاء ومن في حزب دينهم * * قومٌ صلاتهم للعــود والحــجر

هذا كافٍ لأن يفكِّرَ المتفكِّرُون في مَن كان أوّل مَن صلى مع النبي صلى الله عليه وآله؟ **في مَن كان يعبد رب الشمس والقمر لسنواتٍ حينما كان الأول والثاني يسجدان لهُبَل واللات تلك السنوات؟**

هذا سرُّ الحديث، وفيه يصرِّحُ عبد الله بن عمر أنّ النبي صلى الله عليه وآله آخى بين الأصحاب بحسب المشاكلة، وبهذا آخى بين أبي بكر وعمر.

إن كان هناك عقلٌ، فهل أخ النبي صلى الله عليه وآله الذي كان وجوده عليه السلام ووجود الخاتم صلى الله عليه وآله من شجرة واحدة، ومَن لم يسجد لغير الله طيلة عمره بالاتفاق، **يكون هو الرابع؟** ومن كانت أخوّته بذلك الحدّ **وسَجَدَ للأصنام سنواتٍ يصبح الخليفة الأول؟**

العقل هنا أم هناك؟ الكتاب هنا أم هناك؟ السنة هنا أم هناك؟

إنّ برهان بطلان خلافة غيره بلا فصل، وأحقيّة خلافته بلا فصل، هو العقل والكتاب والسنة.

أَنْتَ أَخِي: أليس مَن كان أخاً للخاتم صلى الله عليه وآله أولى من الجميع بالخاتم في الدنيا والآخرة؟ هذا حكم القرآن والسنة القطعيّة، وكفاه بأنّه سَبَقَ الناس بفضل الصلاة والتوحيد، وقد نُقِلَ أنّه جاء جبرائيل بأعلى مكة فانفجرت من البادية عينٌ حتى توضأ جبرائيل بين يدي رسول الله، ثم توضأ النبي صلى الله عليه وآله نفسه، أولاً جبرائيل ثم الخاتم صلى الله عليه وآله، وبعدهما **كان عليٌّ أول شخصٍ يتوضأ.**

هذه السنّة وهذا القرآن: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولئِكَ الْمُقَرَّبُون﴾.

بين الباب والجدار يُسلَبُ حقُّه، لكن أين العينُ التي ترى؟

منتهى الأخوّة

كان البحث[1] في الأخوّة، التي كانت ثاني مِزيَةٍ من مزايا هارون، لكنّها كانت في هارون أخوّةً في النسب وفي المشاكلة الروحية والنفسية، والأخوّة الأولى ليست قابلةً للإنتقال، أما الأخوّة الثانية فإنها ثابتةٌ لأمير المؤمنين عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله بمقتضى حديث المنزلة، غاية الأمر أن هذه الأخوة أخوّة في الدنيا والآخرة.

والأخوة في الآخرة ليست قابلةً للإدراك، لأنّه وفق الروايات العامة والخاصة، **فإن أول من يُنادى من قِبَل الله تعالى هو خاتم النبيين** صلى الله عليه وآله، **والثاني هو أمير المؤمنين** عليه السلام، **والثالث هو إبراهيم الخليل** عليه السلام.

لواءُ الحمد في يد عليّ عليه السلام، **والحوض تحت يده،** كلُّ هذه مظاهر الأخوّة

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٠ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٦-١٠-٢٠١٣ م.

الأخروية، وهذه الأخوّة من الضروريات بين العامة والخاصة، ولا تحتاج إلى بحث، ونفس حديث المنزلة كافٍ لإثبات هذه الأخوّة، وقد بُيِّنَت بألسِنَةٍ مختلفة.

مناقشتان

وفي الرواية التي كانت مورد بحث عن عبد الله بن عمر مناقشتان:

أولاهما: النقاش السندي.

وثانيهما: النقض بتحقق هذه الأخوة بين النبي صلى الله عليه وآله وغير أمير المؤمنين عليه السلام، وينبغي الجواب عليهما.

المناقشة في سند رواية الأخوّة

أما الاشكال السندي: فإنّ هذه الرواية قد رويت عن جميع بن عمير، ورواها عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ووقع جميع بن عمير في إشكالٍ سنديٍّ حيث يقول البخاري: **فيه نظر**[1]. وابن عدي يقول: هو كما قاله البخاري. وضعّفه ابن نمير. وقال الذهبي أنه متّهم[2]. هذا ما ورد في قدح هذا الرجل.

أما **أبو حاتم الذي يعدُّ عَلَمَ أعلام رجال العامة** فيصرِّح بأنّه: **كوفيّ تابعيّ.. محلُّه الصدق، صالح الحديث.**

فشَهِدَ له بالصدق، وشهد لأحاديثه، **وبين هذين الأمرين فرقٌ**، فقد يكون الراوي صادقاً لكنّ مضمون أحاديثه مورد تأمل ونقاش، فلا إشكال أنه **لا**

(١) تاريخ البخاري ج٢ ص٢٤٢.

(٢) أو واهٍ كما في الكاشف ج١ ص٢٩٦، وفي مورد آخر: روى الناس حديثه وأحسبه صادقاً، وقد رماه بعضهم بالكذب، فالله تعالى أعلم (المغني ج١ ص٢١٥).

ملازمة بين صدق الحديث وصحة مضمونه، وشهادة أبي حاتم لهذا الرجل كانت في الجهتين: **هو صادقٌ بنفسه، وحديثه سالمٌ ولائقٌ**، ومورد قبولٍ من حيث المضمون.

وقال الساجي: صدوق. وقال العجلي: تابعي ثقة[1].

فعنده شهادةٌ على صِدقه وصَدوقِيَّتِه، وكونه ثقة، وعنده شهادةٌ على أنّ أحاديثه من جهة المتن موافقةٌ للكتاب والسنة، **وميزان صلاح الحديث هذين الأمرين**. والعمدة أنه **ينبغي رفع مشكلة ذلك الجرح**.

والجرح على قسمين من الجهة الفنية: **تارة يُجرَحُ بأصل عدالة الراوي وصِدقه**، فيُتَّهَمُ بالكذب، وهذا أحد وجوه إلغاء الحديث أو التوقف فيه.

وعند العامة وجهٌ آخر وهو **مخالفة الشخص في مذهبه لمذاهب العامة**، والعمدة على تحقيق هذه الجهة، **فهل تضعيف البخاري وغيره من جهة كذبه؟ أم من جهة مذهبه؟** لأن هناك فرقاً دقيقاً بين هذين الأمرين بحسب مباني العامّة، فتارةً يكون الجرح من جهة كونه كاذباً وليس ثقة، وتارة يكون الجرح من الجهة المَذهبيّة، وفي هذه الحالة يكون الجرح مذهبياً، لماذا؟

لأن ابن حِبان يقول: **كان رافضياً**.

لأنه رافضي لا تُقبَل روايته، وتحقيق المسألة من الناحية العلميّة مهمٌّ، فمع شهادة أبي حاتم بصدقه، والساجي بصدوقيته، وشهادة العجلي بوثاقته، **يكون الجَرحُ مستنداً لمذهبه لا محالة**، أي **لأنّه كان شيعياً جُرِحَ من هذه الجهة، لكنّ هذا**

(١) معرفة الثقات ج١ ص٢٧٢.

الجرحَ ساقطٌ، ليس تعبُّداً على مباني الشيعة، لكن **برأي نفس محققي العامة**.

إن جملة من علمائهم مثل القاضي وغيره يقولون: **إذا كان من أهل القبلة ولكن لم يكن يوافق العامة في المذهب لا تقبل روايته**.

لكن رأي محققي العامة من قبيل الفخر الرازي (وهذا تحقيق أعلام العامة): أن الكافر لا تقبل روايته بالإجماع. وأما أهل القبلة فإنهم على قسمين: قسمٌ يقول بجواز الكذب، وروايتهم ساقطة، ووجه السقوط هو أنهم مع هذا الاعتقاد لا يُضمن الخبر الذي يروونه من جهة الصدق والكذب.

وقسمٌ يعتقدون حرمة الكذب فتكون روايتهم مقبولة حتى لو لم نشترك معهم في المذهب مثل الرافضة.

فتكون النتيجة: أنه علاوةً على الشهادة بالوثاقة والصِّدق والصَدوقيّة من أعيان المعدِّلين في الرجال، يكون هذا الرجل **مقبولَ الرواية**، وجَرحُ البخاريّ إما مستندٌ إلى قول إبن حِبان أنّه من الروافض، أو محتَمَلُ الإستناد، ولا إشكال أنَّ هذا **الراوي ليس من الذين يقولون بجواز الكذب اتفاقاً**، فتكون النتيجة أنَّ رواية جميع بن عمير **حجةٌ على مسلك أعلام فنّ الفقه والأصول والرجال**.

فالمناقشة من الذهبي وحتى من البخاري مردودةٌ، لأن غايتها **اتّهامه بالرفض**، والاتّهام بالرفض **لا يُسقِطُهُ مع وجود شهادة أبي حاتم بصدقه**، وأنّه صالح الحديث، فتكون **شهادته حجةٌ بلا إشكال**.

وعلى كلِّ حالٍ، نقاشنا مع محققي العامة مثل الفخر الرازي وأمثاله، **ويكون الإشكال في السند ساقطاً**.

على أنَّ قضيّة أخوّة أمير المؤمنين للنبي صلى الله عليه وآله **ليست محتاجةً إلى سند،** لأن الروايات على قسمين: قسمٌ يدل بالمطابقة على الأخوّة، وأنه عليه السلام أخ النبي صلى الله عليه وآله، وقسمٌ يدلّ بالدلالة الإلتزامية والأولويّة القطعية.

وهذا القسم جزءٌ من روايات الأخوّة من الجهة العلميّة أيضاً، لأن الدلالة على الأخوة من الجهة العلمية لا يلزم أن تكون بالمطابقة، **فالحجة تشمل الدلالة مطابقيةً كانت أو تضمُّنيَّة أو التزاميّة.**

وهذه الرواية (الآتية)، واحدةٌ من تلك الروايات الدالة بالملازمة القطعية أن **المسألة قد تجاوزت الأخوّة أيضاً** بين أمير المؤمنين عليه السلام وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله، فالنسبة بينهما **أشدُّ من الأخوّة،** وهذه الروايات قد صحَّحَ الجميعُ سَنَدَها، ولأنّ هذا الرجل هو الوحيد الذي يضعِّفُ كلَّ حديثٍ من الأحاديث التي فيها منقبةٌ لأهل البيت عليهم السلام إن كان ممكناً، أو يُناقش فيه، ننقله عنه، وهو يقول عن الحديث: **صحيح.**

متن الرواية بنقل **الذهبي،** ونَقَلَهُ عنه الآخرون، ولكن لأنّه هو إمام الناقدين ننقل روايته:

عن أبي إسحاق قال سألت قصب بن عباس: كيف ورث عليٌّ رسولَ الله دونكم؟

أي أن السائل يسأل قصب بن عباس: أنت ابن عم النبي صلى الله عليه وآله، وهو (عليٌّ) ابن عمه، فماذا حصل حتى صار هو وارث النبي صلى الله عليه وآله ولم تصبحوا كذلك؟ **السؤال ذو معنى عميق.**

وعلى مسلك العامة لم يكن للنبي ميراثٌ من المال، وإنّما ترك ميراث العلم، وذاك هو علم الخاتمية، هذا مسلك العامة، والسؤال: **ماذا حصل حتى ورث ذلك العلم، وأيُّ علم؟** العلم الذي عبر عنه القرآن: ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً﴾، فعلم الخاتم ﷺ يعني علم ١٢٤ ألف نبيّ، كلُّهُ جُمِعَ فيه، وهذا الميراث وصل لعلي عليه السلام، لماذا؟

هو هنا يرى أن **الأقرباء إن لم يرثوا ذلك فالغرباء لن يرثوه بطريقٍ أولى**، لذا لم يسأل: لماذا لم يرثه أبو بكر وعمر؟ فإنهما **ليسا طرفاً في الميراث**، ومَن يُحتَمَل فيه ذلك هو ابن عم النبي ﷺ، فهو من الأصحاب، بل من كبار الصحابة.

والجواب يتضمن علّتين:

قال: لأنّه كان أوّلنا به لحوقاً، وأشدَّنا به لُصوقاً: العلَّةُ في مطلبين: أنه عليه السلام أوّل من كان ملتَحِقاً بالنبي ﷺ بينما نحن تأخرنا، فيكون إرث النبي ﷺ له هو، مهما كان الإرث، والثاني أنّه كان أكثر التصاقاً منّا بالنبي ﷺ، وأيّ التصاقٍ ذلك؟ إنّ أشدّنا كلّنا التصاقاً واتحاداً معه ﷺ هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

هكذا ينبغي فَهم القرآن، لا كما يفهمه الفخر الرازي! نَصَّ القرآن على أنَّ **علياً** عليه السلام **نفس النبي** ﷺ، فهل هناك أشدّ من هذا؟ وهل **تكون الأخوّة محلاً للتأمل مع ذلك؟** هذه الشبهة الأولى وجوابها.

أما الشبهة الثانية: فإنهم قالوا أنّه كان هناك شركاءٌ آخرون في الأخوّة مع النبي ﷺ، وهذا بحثٌ مهم، ونحن سنُثبِتُ إن شاء الله بشكل ندعوا معه جميع علماء العامة معاً للجواب عليه: وهو **أن كلّ ما في الصحاح الستة** حتى في صحيح البخاري **مما روي في فضل هذين الشخصين الأول والثاني كله بمقتضى نص**

القرآن ونص السنة القطعية باطلٌ، هذا أيضاً جواب المسألة الثانية.

تتميم

كان بحثنا[1] في هذه الرواية، وهي قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: **أنت أخي في الدنيا والآخرة**. وقد تمت مناقشة سند الرواية والتفصيل بين أمرين: الأول من جهة البخاري والذهبي وهو قولهم عن الراوي أن فيه نظر أو أنّه مورد تهمة، ومن جهة التصريح بأنّه من الكذابين.

أما القسم الأول **فلا يعارِض شهادة أبي حاتم بصدقه** وقول العجلي بوثاقته، **لأنّ البخاري لم يصرح بتضعيفه وإنما قال أنّ فيه نظر**. وكلام البخاري نفسه مردودٌ، حيث أنه **في تاريخه يروي عن امرأةٍ بتوسط هذا الشخص**.

فننقض أولاً، ثم نقول: أنّ قوله (فيه نظر أو أنه متهم) **هو قولٌ مجمَل**، لأن إحدى المناقشات التي وقعت حول هذا الشخص هي التدليس، وإحدى المناقشات هي أنه من أهل الرفض، وإحدى المناقشات هي أنّه من القدرية.

بناء على ذلك فإن **شهادة مثل البخاري والذهبي تصبح مجملةً مردّدةً بين النقاش المذهبي وكونه من القدرية**، ولا محالة **لا يكون كلامهم قابلاً لمعارضة المبيَّن لأنه مجمل**، فشهادة أبي حاتم والعجلي **مبينة**، وجرح هؤلاء الأشخاص مجمل، **ولا يعقل التعارض بين المجمل والمبين، هذا حل الإشكال الأول**.

الإشكال الثاني: وهو قول مثل أبي حِبان أنّه من الكاذبين، وإن تمت هذه الشهادة تصبح معارضة للشهادة بصدقه، **ولكن هذه الشهادة أيضاً مخدوشةٌ**،

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٢ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٨-١٠-٢٠١٣ م.

لماذا؟ لأن أبي حِبان نفسه **يصرِّح أنّه روى كذبه عن مكتوم، ومكتوم مورد اختلاف، له توثيق وله تضعيف**، فقد نُقِلَ عن جماعةٍ بأنهم ضعّفوه، فيكون مستند القائل بكذبه ساقطاً عن درجة الاعتبار، **وتكون الشهادة بصدقه ووثاقته بلا معارض، هذا الجواب السندي.**

والمهم أن مُستندنا في بحث الأخوّة الروايات المتعددة، **وخبر المنزلة الصحيح كاشفٌ عن أن المقصود في المنزلة هو كلُّ ما كان لهارون من موسى، وإحدى مقامات هارون هي الأخوّة**، غاية الأمر أن أخوّة هارون كانت على قسمين: إحداهما الأخوة النسبية، وهي غير قابلة للسراية بحديث المنزلة، وثانيهما الأخوة من جهة المشاكلة النفسانية، وهذه الأخوة تَثبُتُ بحديث المنزلة.

المناقشة الثانية: برهان قاطعٌ على أهل الخلاف

البرهان القاطع هو أنّ أهل الخلاف قد سعوا إلى أن يخدِشوا بأخوّة عليّ عليه السلام بالرسول صلى الله عليه وآله، ويُثبِتُ البرهان وِفق القواعد الفنيّة رجاليّاً وأصوليّاً أنّ مِثل هذه المناقشات التي قيلت مُختَلَقَةٌ، غاية الأمر أنّ **قدرة الحق تتجلى في أنه لو لم يكن هناك قمرٌ لأشرقت الشمس**، وكلُّ تلك المقامات التي أنكروها أو اختلقوا مثلها للآخرين، ثبتت له عليه السلام، بل ثبت له مقامٌ أرفع منها وأعلى.

تلك الشمس التي مع طلوعها ذهبت بكل ما حاكوه، حيث صنعوا أخوّةً للنبي صلى الله عليه وآله قِبال عليٍّ عليه السلام، وناقشوا في حديث الأخوّة، تلك **الشمس التي محت كل شيء هي هذا:** في صحيح البخاري ج٣ ص١٦٨، كتاب الصلح: بعد أن كُتِبَ الصلح بيد أمير المؤمنين عليه السلام، وتمت تلك القصة، لأن الرواية من البداية مفصلة، ومورد الشاهد هو:

فَخَرَجَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فَتَبِعَتْهُمُ ابْنَةُ حَمْزَةَ: يَا عَمِّ يَا عَمِّ. فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ، احْمِلِيهَا. فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهْيَ ابْنَةُ عَمِّي. وَقَالَ جَعْفَرٌ ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي. وَقَالَ زَيْدٌ ابْنَةُ أَخِي. فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) لِخَالَتِهَا. وَقَالَ «الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ». **وَقَالَ لِعَلِيٍّ «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»**.

هذه الجملة حجةٌ قاطعة، غاية الأمر: ﴿خَتَمَ الله عَلى قُلُوبِهِمْ﴾.

قَالَ لِعَلِيٍّ: أَنْتَ مِنِّي، ليس هذا فقط، بل: **وَأَنَا مِنْكَ.**

هذا المطلب نقله البخاري في الصحيح، لا في التاريخ، في صحيحه الذي **يُعَدُّ أوّل مرجعٍ عند العامة بعد القرآن**، نقلها في كتاب الصلح، وفي باب عمرة القضاء.

النكتة التي يفهمها أهلها هي أنّه نقلها في هذين الموردين بنحوٍ مُسنَدٍ، والسندُ تامٌ، وأسانيد البخاري **غير قابلةٍ للمناقشة عند كلّ أصحاب مذاهب العامة**، ونقلها أيضاً في كتاب مناقب الصحابة (مناقب المهاجرين وفضلهم) دون سَنَد، يقول: **قال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ: أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ.**

إذا كان هو من النبي ﷺ، والنبي ﷺ منه، **فمِثلُ هذا أقرب من الأخ**، وهو قوله: أنت مني وأنا منك.

سأعرض لشرح هذا الحديث مفصلاً لاحقاً إن شاء الله، غاية الأمر ولأجل أن نقطع دابر كل شبهة، ونُثبت كلّ المقامات والمناصب نشير إلى أنها كلّها مندرجة في هذه الجملة، الأخوّة والوزارة والشركة والوصاية.

هل عندهم قدرةٌ للإجابة على هذا؟ ذهب النبي ﷺ من الدنيا، **فكيف جلس أبو بكر مكانه؟ مع وجود من كان النبي منه وهو من النبي؟** بأي منطق؟ وبأي حجة؟ إذا كان عند علماء المخالفين قدرةٌ على الجواب فليجيبوا.

بعد رحلة النبي ﷺ، ومع وجود من كان وجوده من وجود الخاتم، ووجود الخاتم منه، **يعني عين أحمد** ﷺ، **أفلا يكون تصدي أيّ أحد غيره لأمر هذه الأمة مخالفاً للكتاب والعقل والسنة القطعية؟** تمام البحث في هذه الخلاصة.

وأصل هذه الجملة وهذه السُنَّة (**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**) مِنَ الله تعالى.

أين ذلك؟ قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ **وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ** ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ الله عَلَى الكَاذِبِينَ﴾[1].

هذا حكم القرآن بأن علياً عليه السلام نفس النبي ﷺ، لاتفاق تمام المذاهب على أنّه ما كان معه غير ابنته وولديه وأمير المؤمنين عليهم السلام، وقالوا كلُّهم أنّه كان مصداق (**أَنفُسَنَا**)، فهذا القرآن وهذه دلالته على أنه عليه السلام نفس النبي ﷺ، وهذا صحيح البخاري وروايته أن علياً عليه السلام من النبي ﷺ، والنبي ﷺ منه عليه السلام.

أوليس الفصل بينه ﷺ وبين نفسه عليه السلام بأبي بكر وعُمَر وعثمان مخالفاً للقرآن ولصحيح البخاري؟

---

(١) آل عمران ٦١.

٣. شدّ أزر النبي صلى الله عليه وآله

﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[١].

المطلب الثالث[٢] من مقامات أمير المؤمن عليه السلام، والذي يُثبِتُه ضمُّ القرآن للسنة، بعد الخلافة والوزارة والأخوة هو **شَدُّ الأزر**، وكان موسى عليه السلام قد طلب من الله تعالى وزيراً من أهله يشدُّ به أزره (يعني ظهره)، وقد طلب النبي صلى الله عليه وآله عين هذا الطلب بنصّ الرواية المعتبرة عند جميع الفرق.

والبحث المهم هنا هو **مقدار ثقل حمل الرسالة**، فهي **الوساطة بين الخالق والخلق**، ومقدار مسؤولية هذه الواسطة، على أن **دائرة الرسالة تختلف بحسب اختلاف الرسل**، فإنّ دائرة رسالة الأنبياء المرسلين في حَدٍّ، ودائرة رسالة أولي العزم في حدٍّ أعلى، بمقدار رِفعة مقامهم، إلى أن تصل إلى الخاتم صلى الله عليه وآله.

لا يمكن تصوّر هذا المطلب لكلِّ أحد، فإن دائرة رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، ترتبط بالأمة التي بُعثَ فيها ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[٣]، هذا من جهة الكميّة، وجهة الكيفيّة، أما من جهة الزمان فهو إلى يوم القيامة، فكَم هو ثِقل هذا الحمل الذي به تهتدي هذه الأمة؟ إنه **يتضمن المعارف المرتبطة بالمبدأ والمعاد والنفس** ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾[٤]، فإنَّ

---

(١) طه٢٩-٣١.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٦ محرم ١٤٣٥هـ الموافق ٣٠-١١-٢٠١٣ م.

(٣) آل عمران١١٠.

(٤) فصلت٥٣.

نفس الإنسان مهمةٌ بقدرٍ حيث أن كل الآفاق في جهة والأنفس في جهة أخرى.

أتزعم أنك جرمٌ صغيرٌ ❊ ❊ وفيك انطوى العالم الأكبر

فكم يكون ثِقل حمل هداية هذه النَّفس لأعلى المراتب والمقامات؟!

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ فما لم يساعده في الحمل لا يصل الحمل إلى محلّه.

مَن شَدَّ عضُدَ الأنبياء جميعاً من آدم إلى عيسى هو خاتم النبيين ﷺ، ولكن من الذي شَدَّ عضد خاتم النبيين ﷺ؟

طلب ﷺ بحسب الرواية التي نقلها العامة أنفسهم أن يَشُدَّ الله تعالى أزرَه **بشخصٍ من أهله**، وقال أبو ذرّ أنه ما أتم كلامه حتى نزل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وعيّن علياً عليه السلام، **والعمدة والبرهان القاطع ههنا:**

بماذا يُشَدُّ الأزر في نشر معالم الدين؟

يُشَدُّ بطريقين: أحدهما **باللسان**، وثانيهما **باليد، فبِيَدِ مَن انتشر الدين في الدنيا؟ وبلسان من حُلَّت مشكلات دين الأمة؟**

البرهان الواضح على هاتين الكلمتين هو أمران: أحدهما إحقاق الحق، وثانيهما إبطال الباطل.

أما **إحقاق الحق** فإنّ مطالِبَهُ متّفَقٌ عليها، **لا يخالفها إلا من كان بلا عقلٍ ولا علم، فمَن بات مكان النبي ليلة المبيت وحفظ روح النبي ﷺ؟** مَن كان؟

لمن كانت تلك اليَدُ التي **ضربت خراطيم الخلق** في بدرٍ وحنينٍ والخندق وخيبر حتى قالوا لا إله إلا الله؟ لسانُ مَن كان ذلك اللسان الذي **حلَّ كلَّ مشكلةٍ**

من مشاكل الأمة؟ هذه القضايا من باب اثنين واثنين أربعة.

ومن حيث المثال، ولأن البحث مع أمثال الفخر الرازي لا أيٍّ كان، ننقل هذه الرواية التي **اتفقت كافة الصحاح والسنن** وحتى الكتب الكلامية عند العامة على نقل قضيتها، وفي سند الرواية نقلٌ بطريق البزاز وكل رجاله من أصحاب الصحاح، وفيها شخص يعبرون عنه بأن: محله الصدق.

وفي الرواية أن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أعطى الراية في اليوم الأول لأبي بكرٍ في خيبر، **لكنه رجع منهزماً هو ومن معه.**

لماذا فعل ذلك صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ؟ لكي **يشير لمثل الفخر الرازي إلى حقيقة من كان يشدُّ أزر النبي فعلاً،** وإلى **من لم يكن لائقاً لهذا المقام..** ففيه جهة النفي والإثبات.

وهذا **برهانٌ وليس كلاماً خطابياً،** فكلُّ هذه القضايا وقعت مورد اتفاق، وقد ابتُلِيَت الأمة بعد النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بمثل هؤلاء.

لذا فإن البراهين على بطلان خلافة هؤلاء الخلفاء، وبراهين إثبات خلافة أمير المؤمنين عَلَيْهِالسَّلَامُ بعد النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ بلا فصل هي **آلاف آلاف الأدلة،** ليس دليلاً ودليلين، وهذه القضية واحدةٌ منها.

وفي اليوم الثاني أعطى صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ الراية لعمر، ماذا يعني فعله هذا؟

ما عبروا عنه بالنسبة لهذا الرجل: **فرجع هو وأصحابه منهزمين، يُجَبِّنُ أصحابَه وأصحابُه يُجَبِّنُونه،** فمن كانوا فاقدين لكلِّ شيءٍ مقابل مَرحَب، هل عندهم قدرة حمل الثقل الكبير ومسؤولية النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ؟ **إنّ العقل مُهمٌّ!!**

والمهم هنا: أنّ **تمام الصحاح والسنن تنقل هذا المتن:**

لأعطين الراية: أولا اللام، ثم نون التوكيد الثقيلة.

غداً رجلاً: لكلّ كلمةٍ معنى: ماذا يعني رجلاً؟ **يعني لا رجل غيره، لم يكونوا رجالاً!** ينبغي فهم الحديث، رجلاً، وأيُّ رجل؟ يتمتع بخصوصيتين، الخصوصية الأولى:

يُحِبُّ اللهَ ورسولَه: هذه الدلالة المطابقية، وما معنى الدلالة الالتزامية؟ **إنها تعني أن الشخصين لم يكونا قد أحبّا الله ولا رسولَه.**

برهانه أيضاً أنهم قدّموا أرواحهم على الله تعالى وعلى النبي ﷺ، فهاتان الدلالتان المطابقية والالتزامية، وما يحيّر العقل أن مسلم والبخاري وابن حنبل وغيرهم يروون هذا الحديث، أما عند العمل تجدهم **محرومين من فقه الحديث بهذا الشكل.**

ومقامه الثاني أنه هو محبوب الله والنبي ﷺ:

ويُحِبُّهُ الله ورسولُه: فإلى أيّ مقامٍ وصل حتى أصبح حبيبَ الله وحبيبَ رسول الله ﷺ؟ المطلب مهمٌ جداً إلى حَدٍّ أنَّ ذلك الرجل **أذهَبَ النوم من عيون الجميع**، حتى صاروا **في حالة ترقبٍ لمعرفة من هو ذلك الشخص.**

ولما طلعت الشمس كان الجميع بانتظار معرفته، كلّ هذا نص الكلمات التي نُقِلَت بطُرُقِهم، لما طلعت الشمس جاء ﷺ بين الأصحاب وأول كلمة قالها: **أين علي؟** اتضحت القضية حينها، والقصة مفصّلة، والأمر المهم المرتبط بالبحث هو شرح المواقف التي حصلت، **ومن المواقف المسلّمة أن الشخصان قد فرّا وتركا الراية** التي كانت راية فتح خيبرٍ، وأعطيت لعلي عليه السلام.

الآن فكّروا، لو فكّرَ أحدٌ ما هو كتاب المواقف؟ وشرح كتاب المواقف من جهةٍ أخرى، هذا كتابٌ **يُعَدُّ مفخَرَةَ علم الكلام عند العامة**، هو وشرحه.

والبخاري وشرح ابن حجر والسنن الكبرى للبيهقي من جهةٍ أخرى، كلّهم ينقلون: لأعطين الراية غدا رجلاً.. بهذه المقامات.

من يُشَدُّ به الأزر؟ عليٌّ أم الاثنان؟ هذا السؤال، فما جوابه؟ مَن دخل للميدان وقَتَل؟ ومِمَّن فرّ الإثنان عند الخوف؟

من الذي قلع باب خيبر؟ **وَاللهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ.. بِقُوَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، وَلَا حَرَكَةٍ غِذَائِيَّةٍ، لَكِنِّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةٍ مَلَكُوتِيَّةٍ، وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيئة.**

﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾: **ما استتمّ كلامه حتى نزل جبرئيل عليه السلام وقال: وزيرك عليّ بن أبي طالب.**

الآن ينبغي أن يُحكَّم العقل: هل ينبغي أن يجلس الإثنان الفراران محلّ النبي صلى الله عليه وآله **بعده؟** ويجلس عليٌّ في بيته؟

أيُّ عقلٍ وأيُّ دينٍ يمكن أن يؤدي إلى هذه النتيجة؟

البرهان القاطع يثبت أنهما **مفضولان وأنه الفاضل!**

أليس ترجيحُ المفضول على الفاضل باطلاً عقلاً وكتاباً وسنةً؟!

أما العقل: فلا يحتاج الأمر إلى بحثٍ، **فمن ذا الذي لا يلومك إن قدَّمتَ الجاهل على العاقل؟** إلا من لم يكن عنده وجدان الآدميين!

وأي عقل يُقرُّ عملك إن **قدّمت الجبان على الشجاع؟**

واذا رجعنا **للقرآن:** ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ

وَالُمجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ **فَضَّلَ الله الُمجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً** وَكُلاًّ وَعَدَ الله الحُسْنَى **وَفَضَّلَ الله الُمجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾[1].

فأين يستوون مع الذين جاهدوا في الله؟ هذا نصُّ القرآن.

أما **السُنَّةُ القطعية**: فحاكمةٌ أيضاً أنّ من تَسَلَّمَ الخلافة بعد النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه هو المفضول، وقد جلس الفاضل في بيته! هل هذا عدلٌ أم ظلم؟

ظُلمٌ بَيِّنٌ بلا ترديد.. أياً كان مَن فَعَلَ ذلك، وأيّاً كان من اعتقد ذلك **فهو ظالم**.. ﴿أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2].

العلم والحكمة عند من يُشدّ به الأزر

كان البحث[3] في شَدِّ أزر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه، والكلام في الحديث الذي وقع مورد اتفاق الفريقين: **عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**.

وإحدى الخصوصيات التي كانت في هارون هي شَدُّ الأزر ﴿هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾، فينبغي أن يكون الذي يجلس بعد الخاتم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه ممن يُشدُّ به أزرُ النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه بالضرورة، وهو من كان جامعاً لأمرين: أحدهما: **القُدرَةُ والصَّولة**، وأن يكون **كراراً غير فرّار**، وثانيهما: **العلم والحكمة**.

أما بالنسبة للقدرة والصولة فقد تقدّم بحثها، وأما بالنسبة **للعلم والحكمة**:

---

(١) النساء٩٥.

(٢) هود١٨.

(٣) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٨ محرم ١٤٣٥ هـ الموافق ٢-١٢-٢٠١٣ م.

فما كان مورد اتفاقٍ دون أن يناقش فيه أحدٌ، بل **لا يمكن لأحدٍ أن يناقش فيه**، هو أنّ **حلال المعضلات العلميّة والمشكلات الدينية هو علي بن أبي طالب حصراً**.

ولكن **إلى أي حدٍّ كان المستوى العلمي لمن جلسوا مكانه على** مِسنَد الخلافة؟!

ههنا روايةٌ نقلها أساطين محدّثي العامة، ورجال السند بأكمله مورد وثوق، والرواية من الجهة الفنية حجةٌ عند العامة، وهذه الرواية هي:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين إنّي غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى، فشاور عمر رضي الله عنه ناساً في رَجمِها: ومشاورته للأصحاب هنا لكونه محتاجاً في هذه المسألة.

فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إن كان لك عليها سبيلٌ فليس لك على ما في بطنها سبيل، فاترُكها حتى تضع: فإنّ ما قاله معاذ يعني أن المرأة إن كانت مقصِّرة لكن أيُّ ذنبٍ للطفل في رحمها؟ ألم يكن الطفل سيقتل في هذا الرجم؟ وإذا كان سيموت، فما الحال يوم الحساب الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة؟ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ أيُّ جوابٍ ستجيب به؟ هذا منطق معاذ بن جبل، فماذا فعل عمر؟

فتَرَكَهَا فولدت غلاماً قد خرجت ثناياه، فعَرَفَ الرجلُ الشبّه فيه، فقال: ابني ورب الكعبة، فقال عمر رضي الله عنه: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ.

إلى أيِّ حَدٍّ كان الجهل؟ ينبغي أن تُحَلَّلَ هذه المطالب جيداً بناء على العلم والبرهان، لا بالسب والشتم والتهكم.

إنّ أقلَّ إنسانٍ عاقلٍ يفهم أنّ الأم لو كانت مذنبةً فأيُّ ذنبٍ للطفل في رحمها؟ إذا كانت الأمّ مستحقةً للجزاء لِفعلٍ فعلته فأيُّ معصيةٍ للطفل في رحمها؟ هذه من أبجديات المطالب!

وقد **كان الخليفة جاهلاً** إلى حدٍّ وبعيداً عن العلم إلى حدِّ أن **كلمة معاذ جعلته يقول أنّ النساء عجزت أن يلدن مثله!!** هذا حَدُّ علم الخليفة الثاني**!** ثم ختم الكلام الذي نقله المحدثون: **لولا معاذ لهلك عمر**. وهذا اعترافه واقراره.

الخلاصة: أنت مَن ادّعيت أنك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأنك قد نجوت من جهنم بهذه الكلمة**!!** بأيّ منطق تجلس كخليفةٍ للنبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ؟

ههنا **يعجز الجميع**، لأن من نقل هذه القضايا قد نقلها عن الثقات، ونقلها أرباب الحديث وأساطين المحدثين وأرباب الفَنّ.

وههنا ظهرت **مشكلةٌ لعلماء العامة، وهي مشكلةٌ لا يمكن حلُّها بأيّ عقلٍ ومنطق**، فكيف تكون خلافة النبي هكذا؟

وبما أن لكلّ إنسانٍ فطرة، وبما أنّه **لا يُعقَل** أن تكون خلافة خاتم النبيين صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ الذي نزل عليه القرآن بهذا النحو، **ويكون الجالس مكانه** صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ **والآخذ لخلافته على هذا القدر من الجهل!** مع وجود من عنده ذلك المقدار من العلم؟!

إن ذلك لا يعقل، إذ كيف تتقبّل فطرة البشر مثل هذا؟!

وجدوا الحل لذلك فيما يلي، وقد ذكر ذلك أساطين أهل العامة ممن سنذكر أسماءهم وهم مورد اتفاق الكل والمرجع العلميّ لكافة أئمة المذاهب الأربعة في علم الكلام، ومنهم: الباقلاني صاحب التمهيد، والعضدي صاحب المواقف..

لقد وجد هؤلاء أنّ حلّ العقدة في أن يطرحوا هذه النظريّة في باب الخلافة، وهذه ليست نظريّة شخصٍ واحد.

فقالوا: **جوّز الأكثرون إمامة المفضول مع وجود الفاضل!**

ههنا يعجز الجميع ويظهر الحق كالشمس، **فمع وجود الفاضل** الذي يقول: **سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْض**، تكون **إمامة هذا المفضول جائزة!!** وهو الذي يقول: لولا معاذ لهلك عمر!!

وما يدعوا لتعجُّب أكابر أهل العلم فعلاً هو قولهم أنّ **إمامة المفضول مع وجود الفاضل جائزةٌ شرعاً**، فقولهم (جوّز الأكثرون) يعني شرعاً، **أن يكون الإمامُ جاهلاً مع وجود العالم! أن يكون الإمامُ فاسقاً مع وجود العادل!**

قالوا هذا لكنهم لم يلتفتوا إلى أنهم خالفوا نصّ القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الله **اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ** وَالجِسْمِ وَالله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، لقد قَدَّمَ الله طالوت عليكم جميعاً، **ووجه تقديمه أمران:** أحدهما **شجاعته** وثانيهما **علمه وحكمته.**

هذا نَصُّ القرآن الكريم، فماذا تفعلون مع نَصّ القرآن هذا؟

النتيجة: أنَّ **مذهب العامة مخالفٌ لنصّ كلام الله تعالى**، وقد صرحوا كلُّهُم أن **الجاهل يمكن أن يكون إماماً مع وجود العالم! ونَصَّ القرآن أنّه لا يمكن!**

هل لأحدٍ منهم قدرة الجواب على هذا؟

لقد تعلقت مشيئة الله تعالى بأن يَظهَرَ حقُّ عليٍّ عليه السلام، **ويظهر أن أبا بكر**

---

(١) البقرة٢٤٧.

وعمر في أسفل سافلي الجهل، وذلك بما يلي:

قال الجمهور: والكلام للباقلاني في التمهيد، وينبغي أن تفهم الدنيا حتى تعرف أين الحق وأين الباطل.

قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفِسقه: إذا صار إمام الأمة وخليفة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ فاسقاً تبقى إمامته محفوظةً مع الفسق**!!** هذه الكلمة الأولى.

وظلمِه: وإذا صار ظالماً أيضاً يبقى خليفةً وإماماً للأمة**!** حتى لو وصل ظلمه لهذا الحد:

بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرمة: أن يصل حدُّه حتى إلى أن يقتل تلك النفوس التي حرمها الله تعالى فلا يسقط بذلك عن إمامة الأمة وخلافة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ **!** هذا مذهبٌ**؟!**

وتضييع الحقوق: فلو ضيَّعَ حقَّ كلِّ صاحبِ حَقٍّ لا يخرج عن كونه إماماً**!** كلام من هذا**؟!** ليس كلام زيد وعمرو، إنه كلام الباقلاني**!!** وآخر كلمة:

وتعطيل الحدود: فلو عَطَّلَ كلَّ حدود الله تعالى لا يضرّ ذلك بإمامته**!!**

فهل هذه هي خلافة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ؟ هذا القرآن يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ** فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]، **فإلى هذا الحدّ انعَدَمَ الوَعي؟!**

عندما يكون حَدُّ إدراك الباقلانيّ هو هذا، **فما محل بقيّة العامة من**

---

(١) الحجرات٦.

الإعراب؟! هذا هو مذهب الحقّ؟!

ومن جهةٍ أخرى فإن إمام الجماعة الذي يأخذ بعهدته القراءة عن المأموم يجب أن يكون عادلاً! أما **خليفة النبيّ وإمام الأمة فإنه يبقى على إمامته في نظر متكلمي العامة ولو كان أفسق الفساق!**

هل الحق هنا أم هناك؟ ﴿قُلْ فَلله الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾.

٤. أشركه في أمري

﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[1] الشِّركة في أمر النبيﷺ ثابتةٌ في القرآن والسنة، فقد طلب موسى عليه السلام من الله تعالى إشراك هارون عليه السلام في أمره.

وبحسب الرواية التي اتفق العامة والخاصة على صحتها وهي حديث المنزلة، فإنّ كلّ ما ثبت لهارون من موسى ثبت لمن دعا له رسول الله ﷺ: **عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**، وضَمُّ هذا الحديث للقرآن الكريم يُثبت أنّ أحد **مناصب أمير المؤمنين** عليه السلام **الشّركة في أمر خاتم النبيين** ﷺ.

وفَهمُ هذا المطلب صعبٌ جداً، فمَن يُريد أن يُصبح فقيهاً في هذا الحديث ينبغي عليه أن يرى أولاً ما هو أمر الخاتم ﷺ، ثم بعد ذلك يبحث عن الشّركة في هذا الأمر.

أولاً: ينبغي أن **يُفهم التفاوت ما بين أمر موسى** عليه السلام **وأمر الخاتم** ﷺ، فبعثة موسى عليه السلام كانت محدودةً، وأَمرُهُ كان بدائرة التوراة والألواح، أما أمر الخاتم ﷺ فهو **فوق أمر تمام الأنبياء**، ونِسبَةُ تَفَوُّقِ وليِّ الخاتم عليه السلام على سائر

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٤ صفر ١٤٣٥هـ الموافق ٧-١٢-٢٠١٣ م.

الأولياء هي نفس نسبة تفوق الخاتم ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام، هذا أولاً.

وثانياً: أن أمر الخاتم هو **أمرُ جميع الأنبياء**، فقد جُمِعَ أمرُ آدم ونوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى كلّه في أمر الخاتم ﷺ.

عندما يُفهَمُ ذلك يُعرَفُ مقام الشّركة في مثل هذا الأمر.

والحل النهائي هو **الرجوع للقرآن**، فينبغي فَهمُ كلام الله تعالى ومعرفة أمر الخاتم ﷺ وما هو، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ **يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ** وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[١]، هذا الأمر الأول.

إن دائرة هذا البحث وسيعةٌ، والأمر الأول مؤلفٌ أيضاً من أربعة أمور: أولها ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾، ثانيها ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾، ثالثها ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ**﴾، رابعها ﴿**وَالحِكْمَةَ**﴾، فصار الأمر الأول أربعة أمور.. هذا مدلول كتاب الله تعالى.

ما هو أمر النبي إذاً؟

الأول: تلاوة آيات الله، **والثاني**: تزكية نفوس الأمة، **والثالث**: تعليم الكتاب، **والرابع**: تعليم الحكمة، هذا مجموع الأمر الأول، والعمدة في فهم هذا الترتيب، فلماذا كانت تلاوة الآيات في البداية؟ وبعدها التزكية ثم تعليم الكتاب فتعليم الحكمة؟

كُتِبَت كُلُّ تلك التفاسير للقرآن الكريم، لكن أين تَجِد هذه الحقائقَ في أقلام جميع المفسرين؟ ماذا تفعل تلاوة الآيات؟

---

(١) الجمعة٢.

إذا أرادت الأرض أن تُثمِر فينبغي أولاً أن **يأتي نسيم الربيع**، وهو مُقَدَّمٌ على كلّ شيء، وهو الذي يحيي الأرض، **وبعد إحيائها تصل النوبة للتزكية، ثم تُبذَر البذور**.. إنّ عِلمَ وحكمةَ القرآن هي البذرة، وأرضُ هذه البذرة الأرواح المُستَعِدَّة، فأوّل ما يفعله النبي صلى الله عليه وآله هو **إحياء القلوب**، وإحياء القلوب يتم بكلام الله تعالى، لكنّ **أعمارنا قد مرت ولم نفهم القرآن ولا الحديث**.

قال النبي صلى الله عليه وآله عن القرآن: **رَبِيعُ القُلُوب**، وتلك الكلمة التي قُلتُها أصلُها هنا، القرآن ربيع القلوب، هذا كلام معلم الكل صلى الله عليه وآله.

فينبغي أولاً أن تُتلى آيات الله تعالى كي تُحيي القلوب بِنَسيم الربيع.

ثم التزكية ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ فما هي تلك التزكية؟

ينبغي أن تُستَخرَجَ الصفات الذميمة من هذه الروح فتتزكى وتطهر، وترتفع موانع بذور العلم والحكمة، حينها يأتي قوله تعالى:﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾، فيبذر بذور العلم حينها، لكن ما هو ذلك العلم؟

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ﴾: في ألف ولام التعريف هنا ما فيها، فينبغي معرفة الكتاب: ما هو الكتاب؟ المرجع هو القرآن أيضاً، ونتعرض لقسمٍ من آياته على وجه الإجمال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[1]، **فإن النبيّ يُعلِّمُهُم الكتاب الذي أنزلناه بالحق**، الكتاب الذي كان بنفسه حقاً: مبدؤه حقٌ، وأُنزِلَ بالحق، وينتهي إلى الحق، إنّ أمر تعليم مثل

(١) المائدة٤٨.

هذا الكتاب عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه.

أما صفة الكتاب: ﴿**مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾ فهذا الكتاب مهيمنٌ ومسيطرٌ على كل الكتب السماوية، فهل فهم الفخر الرازي ماذا يعني ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾؟

مع كل هذه العلوم بقي الجميع **أجانب عن هذه الحقائق!**

ينبغي أن يكون المُعَلِّمُ لهذا الكتاب **مُهَيمِناً على كلِّ الكتب السماوية**، مِن صحف آدم إلى صحف شيث، وصحف إدريس ونوحٍ وإبراهيم، وزَبور داوود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، كلُّها تحت هيمنة الرسول العلمية.

فمن هو شريك هذا الأمر؟ **ههنا مكان محاكمة الفخر الرازي**: فمن الذي يناسب أن يكون شريكاً في هذا الأمر؟ هذا ما يعيّن المصداق.

إذا كان أمر الخاتم تعليم هذا الكتاب، وهو يعني تعليم كلّ ما نزل على كلّ الأنبياء، **فينبغي أن يكون النبي الخاتم** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه **عالماً بكل هذا، وينبغي أن يكون شريكه كذلك**، فمن هو صاحب هذا المنصب؟

قال تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1]، وأعمُّ المفاهيم هو مفهوم الشيء، وما فرطنا فيه من شيء، ويأتي بيانه إن شاء الله.

عظمة الكتاب

كان البحث[2] في الشّركة في أمر الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، وما هي الخصوصيات التي

(١) الأنعام٣٨.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٦ صفر ١٤٣٥ هـ الموافق ٩-١٢-٢٠١٣ م.

ينبغي أن توجد في شريك أمر خاتم النبيين.

قلنا **أولاً**: أنه ينبغي أن يُفهم ما هو أمر النبي الخاتم، والأمر بحسب القرآن في الرتبة الأولى هو تعليم الكتاب والحكمة بالكيفية التي تعرضنا لها مفصلاً في البحث السابق، وبعد تلاوة الآيات وتزكية الناس يأتي تعليمهم الكتاب.

وينبغي النظر أيضاً في حقيقة الكتاب الذي كان الخاتم معلِّماً له، وقد تعرّضنا لقسم من ذلك في الجلسة السابقة، ويجب أولاً **معرفة الكتاب كما هو حقّه**، لأنّه ما لم تُفهَم هذه المقدمة فإن المقصد الأقصى لن يُعلم، وينبغي استنباط عظمة الكتاب من جهة **الوقت والزمان والمكان**.

أما الزمان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ﴾، فقد نزل الكتاب في شهر الله تعالى، بل **في أفضل وأكمل زمانٍ فيه وهي ليلة القدر** ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ﴾[1]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[2].

أما المكان: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي **كِتَابٍ مَّكْنُونٍ**﴾[3]، هذا المكان الأوّل، فإنّ محلّ ومركز ثِقل الكتاب هو أيضاً كتابٌ مكنون، وهذا الكتاب ليس في متناول أيّ أحد﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾، وينبغي النظر في مكانه النهائي. **مَن هو قلب العالم؟**

قلبُ عالم الإمكان خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، **وقلبُ قلبِ عالم الإمكان** هو **محلُّ هذا الكتاب** بنص القرآن الكريم. فهذا زمان ومكان الكتاب.

---

(١) القدر١.

(٢) الدخان٣.

(٣) الواقعة٧٧-٧٨.

أما نفس الكتاب: ففي القرآن تعبيراتٌ محيّرة للعقول، ونُخبَةُ أسماء الله تُطلق على القرآن، الكتاب بهذا الحدّ.

بيانُ الله الحكيم: ﴿يس * **وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ**﴾(١) فقد تجلّت تلك الحكمة الإلهيّة في هذا الكتاب.

وعلاوة على ذلك: ﴿ق **وَالقُرْآنِ المَجِيدِ**﴾(٢)، هذا عنوانٌ أعطاه الله لهذا الكتاب.

﴿الَر كِتَابٌ **أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ** مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(٣)، ودِقَّةُ المطلب أن الإبتداء بالحكمة والإنتهاء بها أيضاً، المبدأ حكيمٌ، وما نزل من المبدأ الحكيم ﴿كِتَابٌ **أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾.

﴿الحَمْدُ لله الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ **وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**﴾(٤)، والذي يُعجِزُ عقلَ كل حكيمٍ أن الله تعالى عبَّر بأنّ الكتاب أنزِلَ على (عَبْدِهِ) (وأشهد أن **محمداً عبدُه** ورسوله)، ينبغي أن تُدرَكَ هذه الجملة وهذه الكلمة في القرآن الكريم، وههنا مطلبان: أحدهما الحمد، والآخر التسبيح، سبح الله نفسه، أين؟ ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾(٥).

فَلَيلَةُ المعراج تلك مهمةٌ لدرجة أنّ الله تعالى قال عن نفسه ﴿**سُبْحَانَ**

---

(١) يس١-٢.

(٢) ق١.

(٣) هود١.

(٤) الكهف١.

(٥) الإسراء١.

الَّذِي﴾ بالنسبة للعمل الذي فعله فيها، فهل وصل المفسرون إلى تلك الدقائق؟

هذا بالنسبة للعبد وتسبيح الله نفسه، أما بالنسبة للكتاب الذي أنزله على عبده فإنه يحمد نفسه: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ ﴿**الحَمْدُ لله الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ**﴾و أيضاً ﴿**عَلَى عَبْدِهِ**﴾، هكذا هي إشارات القرآن.

كلُّ ما في المعراج الذي يُعَدّ أهم مطلبٍ قوله تعالى: ﴿**بِعَبْدِهِ**﴾، ونهاية الأمر والمكان الذي ﴿**دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى**﴾ هناك أيضاً ﴿**فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ** ما أَوْحى﴾. هكذا ينبغي معرفة الكتاب.

﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[1]، فجعلنا الكتاب إرثاً، لكن لا لكلّ أحد، بل للّذين اصطفينا ممن انتخبناهم من كل الخلق، وأورثناهم الكتاب، **فمن هم المصطفون؟**

﴿**اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾: عبادُ الله في الدنيا إن وجدناهم فليسوا في هذا الحدّ، إذ المصطفى مِن العباد هم **نُخبَةُ نُخبَةِ العالم، أولئك هم حَمَلَةُ هذا الكتاب.**

هل فهمتَ أيها الفخر الرازي هذه الدقائق؟

هل أبو بكر بن أبي قحافة مصطفىً من عباد الله؟ وهل عُمَر بن الخطاب بهذا الحد؟ مع ذلك الجهل، ومع سابقة عبادة الأصنام؟

ينبغي ضَمُّ العقل إلى القرآن.

هذه الأقسام مهمة جداً: ﴿**الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ**

---

(١) فاطر٣٢.

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ..﴾[١]، فهذه هي العلّة الغائيّة لإنزال الكتاب، وهي منشأ فاعليّة الفاعل، يعني علّة إنزال الكتاب، ألا وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، **ومفهومُ الناس يشمل أفلاطون وأرسطو وابن سينا والفارابي**، من هو الذي يُستثنى من هذا المفهوم؟

كلُّهم في الظلمات بلا استثناء، الحكماء والفقهاء والعلماء، فالجميع في الظلمات، ومَن يُخرِجُ هؤلاء جميعاً من الظلمات هو شخصٌ واحد، ووسيلة الإخراج واحدة، **المخرِجُ هو خاتم النبيين** ﷺ، **ووسيلة الإخراج القرآن المبين.**

هذا نص الكتاب: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ **لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾، ثم ما هو النور؟

شرح النور في سورة النور: **الظلمات متعددةٌ لكنّ النور واحدٌ**، الظلمات هي التي غرق فيها الجميع، وينبغي إخراجهم منها بهذا الكتاب، وإيصالهم لذلك النور الواحد، **فما هو ذلك النور؟** ﴿الله نُورُ السَّماواتِ وَ الأَرْضِ﴾، أين عُرِفَ القرآن الكريم؟ ومع كلّ كلمةٍ يزداد العجز: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ **الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٢].

ولا مفهوم أوسع من مفهوم الشيء، فإنّه يطلَقُ حتى على الله تعالى، غاية الأمر أنه **شيءٌ لا كالأشياء**، وما في هذه الآية من الناحية الفنيّة أنه تم **اختيار أعمّ المفاهيم** وهو مفهوم الشيء، فلا شيء خارج عن مفهوم الشيء، كل ما هناك ففي هذا المفهوم، فاستخدم أعمّ المفاهيم مع إطلاقه، وعلاوةً على الإطلاق صُدِّرَ بأداة

(١) إبراهيم١.

(٢) النحل٨٩.

العموم، ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فينبغي أن يُبَيِّنَ كلُّ شيءٍ بهذا القرآن، وهذا عمل النبي صلى الله عليه وآله.

فهل يمكن أن يقوم أبو بكر بمثل هذا العمل؟ وهو الذي شهد جميع أعيان العامّة أنه كان **عاجزاً عن إدراك لفظٍ من ألفاظ القرآن؟** وهل **يتأتى هذا العمل من عُمَر بن الخطاب؟**

إنّ شريك أمر الخاتم في تعليم البشر ليس هذا ولا ذاك.. مَن هو؟ **إنّه مَن كان وارث علم النبي بالاتفاق،** وهذه المسألة مورد اتفاق أئمة المذاهب من المحدثين والمفسرين، فقد أجمعوا على أن ميراث علم الخاتم صلى الله عليه وآله وصل لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

وعلى هذا، **هل ينبغي أن يكون عليٌّ شريك أمره؟ أم يكون شريك أمره الأول والثاني؟**

ولأنّ البحث مبنيٌّ على أدقّ موازين المنطق، فلا مجال لعدم ذكر الأسماء، وليس هذا موضع السبِّ واللعن، إنما محلّ العلم والحكمة.

هل فهمتم ما هو القرآن والكتاب؟

نقل أركان وأئمة أهل الحديث هذه القضية[1]: إنّ عمر بن الخطاب **رُفِعَت إليه امرأةٌ ولدت لستة أشهر فهمّ برجمها، فبلغ ذلك علياً فقال: ليس عليها رجمٌ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه:** ولأنّه متن المحدّثين والمؤرخين لا نتصرف فيه.

فأرسل إليه وسأله.. فقال: قال الله تعالى: قال لم أقف أمامك أنا، إنما وقف

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٤٢ وغيره.

الله تعالى بوسيلتي، وأنا العالم بكلامه: ﴿**وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾ **وقال**: ﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً**﴾[١].

ولمّا وصل الكلام لِعُمَر اختلفت كلمات أئمة الحديث هنا، فنقل سبط ابن الجوزي ان عمر قال: **اللهم لا تبقني لمعضلةٍ ليس لها ابن أبي طالب**. والبقية نقلوا: **لو لا علي لهلك عمر**.

ولدينا سؤال ههنا: هل خصوصيات القرآن التي عرضنا لها كانت منّا أم من الله تعالى؟ ألا تقبلون خصوصيات القرآن هذه؟ ألا تنقلون أنتم أيضاً هذه القضية؟ وعليه: **هل ينبغي أن يجلس عمر مكان النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهو القائل: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب؟ أم ينبغي أن يجلس علي بن أبي طالب؟

أيهما؟ **ماذا يقول العقل؟ وماذا يقول القرآن؟ هل هذه الخلافة موافقةٌ لكتاب الله أم مخالفة له؟** هل هي موافقةٌ لعقل تمام البشرية أم مخالفة له؟

هذا كلام الله، وهذا كلام أئمة الحديث، وسؤالنا لمن نقل هذه القضية، **وهذه الحجة البالغة لله على كافة العامة.**

حكمة القرآن

كان البحث[٢] في شركة عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أمر ودور الخاتم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقلنا أنّ حلّ هذه المعضلة مربوطٌ بأن يُعَيَّنَ أمرُ الخاتم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والمرجع هو القرآن الكريم.

ووصل البحث إلى أن أمر الخاتميَة تلاوة آيات الله تعالى، وتزكية النفوس،

(١) الأحقاف١٥.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١١ صفر ١٤٣٥ هـ الموافق ١٤-١٢-٢٠١٣ م.

وتعليم الكتاب والحكمة، وذلك بنص القرآن الكريم ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾[١]، وقد اتّضح إلى حدٍّ ما ما هو الكتاب.

أما **الحكمة**: فقد عرّفها الحكماء أنها عبارةٌ عن **العِلم بحقائق الأشياء على قدر الطاقة البشرية**.

وقسموا الحكمة إلى قسمين: الحكمة النظريّة والحكمة العمليّة.

وقسموا النظريّة إلى قسمين: الإلهيّات والطبيعيّات.

وقسموا العملية إلى ثلاثة أقسام: تدبير النفس، وتدبير المنزل، وتدبير المدن.

هذا تعريف الحكمة وتقسيمها برأي الفلاسفة، لكن المرجع هو القرآن هنا أيضاً، فما هو قدر الحكمة فيه؟ إنّ الحكمة في القرآن تختلف عن الحكمة التي عرّفها الحكماء، فالحكمة في تعريف الحكماء هي العلم بالحقائق بقدر الطاقة البشرية، ولكنَّ **طاقة البشر من الجهة الفكريّة والعقليّة محدودةٌ جداً**، ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن العِلْمِ **إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[٢].

أمّا **حكمة القرآن** فهي عبارةٌ عن **نَيل الحقائق كما هي** عليها، والوصول إلى **واقع الكائنات ومبدأ ومنتهى الوجود**.

وتعبيرات القرآن عن الحكمة كاشفةٌ عن عظمة المطلب، فإذا طالعنا القرآن وجدنا أن استعمال اسم الله تعالى في أغلب الموارد كان مقروناً بأنه: **عزيزٌ وحَكيمٌ**،

(١) الجمعة٢.

(٢) الإسراء٨٥.

فالعِزَّةُ هي جانب **القدرة الإلهية، والحكمة** هي جانب **العلم الإلهي.**

ثم وُصِفَت التجليّات العلمية لله تعالى بعنوان الحكمة، فإنّ **التجلي العلمي للحقّ هو القرآن الكريم**: ﴿يس * وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ﴾ هذا مقام الحكمة بوصف الله تعالى ووصف كتاب الله الأعظم.

ولا تنتهي المسألة بهذا، فعندما يصل الله تعالى لمتاع الدنيا يقول لنبيه ﷺ أنه قليل: ﴿**فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[1].

هذه الدنيا التي لم يُعرَف أوّلها وآخرها، هذه الدنيا التي تضمّ كل تلك المجرّات والكواكب ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾، هذه الدنيا مع هذه العظمة بكل كواكبها ومجرّاتها **قليلةٌ بتعبير القرآن.**

أما عندما يصل للحكمة فإنه يعبّر: ﴿يُؤتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾[2]، فإنّ **الحكمة ليست متاحةً لأيٍّ كان**، حيث يؤتاها من يشاء الله.

تلميذُ ابن سينا حكيمٌ بالحكمة البشرية، ومَن كان لديهم استعدادٌ للدخول في الفلسفة يصبحون فلاسفةً دون قيدٍ وشرط، وعندما يطلب أحدٌ حكمة المشّائين، يصبح حكيماً بالحكمة البشريّة، أما **الحكمة في القرآن فليست كذلك**، فإنّ مَن تتعلق مشيئة الله بإعطائه الحكمة يُعطاها، لا أيّاً كان.

قال تعالى هناك ﴿مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ﴾ وقال هنا ﴿وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ **فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾، وهذه التعبيرات تشيرُ إلى حقيقة الحكمة في القرآن.

---

(١) التوبة٣٨.

(٢) البقرة٢٦٩.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لله﴾[١]، فقد أعطى الله الحكمة للقمان، وهي ليست متاحة لأيٍّ كان.

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾[٢]، فأوّلُ كلمةٍ هي الدعوة لسبيل الله بالحكمة، وما يحيِّرُ العقل: ﴿وَأَنزَلَ الله عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[٣].

أيُّ حكمةٍ هذه التي قال عنها الله تعالى أنّه أنزلها على النبي ﷺ، وعلّمه ما لم يكن يعلم؟! لم تكن لتصل إلى ذلك العلم، ونحن أوصلناك إليه، وكان فضل الله عليك عظيماً، **هذه هي الحكمة في القرآن.**

وبعد أن عرفتَ ما هي الحكمة، يتّضح لماذا كان شروع فعل النبي الخاتم ﷺ تلاوة آيات الله، وكان ختمه الحكمة، **فهذا المبدأ وهذا المنتهى**، هذا نصُّ القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ **يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ** وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

ولم يكن الرسول غير خاتم النبيين ﷺ، وكان أوّلُ أفعاله تلاوة الآيات، ثم تزكيتهم ثانياً، ثم تعليم الكتاب ثالثاً، ثم تعليم الحكمة رابعاً، وتمّ أمره بهذا.

هنا ينبغي أن يُحاكَم جميع أئمة أهل السنة:

هل أمرُ النبي ﷺ محصورٌ بزمنه ﷺ أم مستمرٌ دائماً؟ وأمره يتضمن

(١) لقمان١٢.

(٢) النحل١٢٥.

(٣) النساء١١٣.

(٤) الجمعة٢.

تعليم هذه الحكمة والكتاب الذي فصّلنا الكلام حوله في البحث السابق، ويجب أن يجيبوا على ذلك لكل العالم.

إذا كان منحصراً بذلك الزمان، فماذا يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ﴾؟ أوَهَل كان المؤمنون منحصرين بذلك الزمان؟

لقد نص القرآن أن الله مَنَّ على المؤمنين بإرسال النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ليتلو عليهم الآيات ويصفّي نفوسهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، **فهل يعقل أن يكون محصوراً بزمان خاص**؟ هل يبقى بعد النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أم لا؟

إن قلتم نعم، فمن هو معلّم الكتاب ومعلم هذه الحكمة؟ هذا سؤالٌ ينبغي على مثل الفخر الرازي أن يجيب عليه، **هل معلِّمُ هذا الكتاب هو عمر بن الخطاب**؟ إما نعم وإما لا.

البحث علميٌّ وليس خِطابيّاً.. البحث بُرهانيٌّ، أنت الذي تعتقد بأن عُمَر قد جلس محلَّ النبيّ الذي هو معلِّمُ الكتاب والحكمة: **هل ترى أن لعمر صلاحية تعليم هذا الكتاب وهذه الحكمة**؟

إن لم تكن عنده هذه الصلاحية فهو **غاصِبٌ بالضرورة، واعتقادك باطل**.

وإن كانت عنده الصلاحية، **فهل هو معلِّمُ هذا الكتاب والحكمة؟!**

هذا البحث يُعَجِّزُ العامة ويُفقِدُهم كلّ حجة، بهذه الطريقة وهذا المنطق.

إنّ بين أعيان علماء العامة اختلافٌ، بعضهم يقدِّم صحيح البخاري ثم صحيح مسلم، وبعضهم يقدِّم صحيح مسلم ثم يعدُّ البخاري ثانياً، وفي هذا المطلب بحثٌ، لكنهم **مجمعون على أنّ ما في صحيح مسلم** وما في صحيح

البخاري **سُنَّةٌ مُسَلَّمة**، وهذا اعتقاد **كافة مذاهب العامة وعلماؤهم**.

عمر والصلاة مع الجنابة

ونحن ننقل حديثاً عن مسلم في صحيحه ج١ ص١٩٣، يرويه بأربع طُرُق، وطرق الحديث أيضاً تختلف، فتارة يُروى حديثٌ في صحيح مسلم بطريقٍ واحد، وهو حجّةٌ، ورَدُّهُ رَدٌّ على النبيّ صلى الله عليه وآله عند كلّ العامة، وإذا روي الحديث بطريقين تضاعفت حجيته، وإذا روي بثلاثة.. وإذا روي بأربعة.. فبأيِّ حَدٍّ من الاعتبار تكون مثل هذه الرواية؟

أما متن الحديث: **أَنَّ رَجُلاً أَتَى عُمَرَ فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ**: هل للفخر الرازي قدرةٌ على الجواب على هذا التحقيق الذي نذكره في فقه الحديث؟

أولاً: متى حصلت هذه الواقعة؟ عندما جلس عمر على مسند الخلافة بعد وفاة أبي بكر.

فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً. فَقَالَ لاَ تُصَلِّ: هذا في صحيح مسلم، هل **يا ترى هناك جاهلٌ كهذا؟ بل أجهل الجُهَّال**، فكلُّ مسلمٍ يعلم أن الصلاة لا تسقط بالجنابة، فإلى هذا الحد يكون خليفةُ النبي جاهلاً؟ ألا تخجلُ أيها الفخر الرازي؟ تقول أنّ عمر خليفة النبي صلى الله عليه وآله ؟ وهو معلِّمُ الكتاب والحكمة مكان النبي؟

فَقَالَ عَمَّارٌ: أفتى عمر، لكن شخصاً قام، وهو عمار بن ياسر، وقال:

أَمَا تَذْكُرُ: والمسألة الثانية المحيّرة هي قوله له (أما تذكر؟) هل نسيت؟

أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: وهذا الدليل على ما قلتُه أنّهَا كانت وقت خلافته.

إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِى سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ: كلامٌ مُحيِّرٌ!

مسلمُ بنفسه ينقل هذه الرواية بأربع طرقٍ ثم يعتقد بخلافة هذا الرجل! بأيِّ عقلٍ وبأيٍّ منطق؟!

وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ وَصَلَّيْتُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: نذكره كما هو لأنه متن حديث عندهم.

إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الأَرْضَ ثُمَّ تَنْفُخَ ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفَّيْكَ: هذا أمرُ النبيّ ﷺ، وأنت الذي تقول للرجل لا تصلِّ لأنه جُنُبٌ، ألم تسمع بنفسك هذا الكلام من النبي ﷺ؟

من المعلوم أنّه سَمِعَه، ومع أنّه سَمِعَه يقول للرجل: **لاَ تُصَلِّ!**

فأيُّ توجيهٍ لهذا الكلام؟ هل لكلّ علماء العامة قدرة الجواب على ذلك؟ هل يحقُّ لمن كان على هذا الحدِّ من الجهل وقلّة التقوى أن يجلس محلَّ من قال فيه تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾؟!

فَقَالَ عُمَرُ: اتَّقِ اللهَ يَا عَمَّارُ: وهذا يحيِّرُ العقل، هَدَّدَ عمّاراً، فبَدَلَ قبول قوله هدَّدَه حيث قال: **اتَّقِ اللهَ يَا عَمَّارُ**، وما يحيِّرُ العقل قوله:

قَالَ إِنْ شِئْتَ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ: إذا كنت تتأذى من ذلك أسكُتُ ولا أحدِّثُ هذا الحديث لأحد، فهل هذا هو الدين؟ ولا تنتهي المسألة هنا، فبرهان بطلان كل مذاهب السنّة في العالم في هذا الحديث.

عمر والجنابة

نتيجة البحث السابق[1] أنّه بمقتضى الروايات التي تُعَدُّ حجّةً عند جميع

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٣ صفر ١٤٣٥ هـ الموافق ١٦-١٢-٢٠١٣ م.

مذاهب العامة، والتي أجمع كل فقهائهم على صحتها، فإن **عمر بن الخطاب في كلِّ مدة جنابته حتى في زمان خلافته كان تاركاً للصلاة**، هذه عصارة البحث السابق.

وهذا العمل من هذا الشخص **مخالفٌ لإجماع كل المذاهب الإسلامية**، لأنَّ كلَّ فرق المسلمين قائلون ببدليّة التيمم للجُنُب عند فقد الماء، وبَحثُ التيمم بحثٌ مهم، ومن أبحاثه أسباب التيمم، ونَفسُ التيمم وكيفيّته وفرائضه وسننه ومكروهاته، والشرائط التي ينبغي أن تتحقق.. **وقد كان خليفة النبي جاهلاً بكل ذلك!**

وقد اختلفت مذاهب العامّة بالنسبة لشروط التيمم: فشروط التيمم ثمانية عند الأحناف وأتباع مذهب أبي حنيفة، وفي مذهب الشافعية عشرة، وفي مذهب المالكية والحنبلية شرطان، ولكنّ **المذاهب الأربعة مُتَّفِقَةٌ على أصل التيمم** وكيفيته وواجباته، والاختلاف حاصلٌ في شرائطه فقط، فتكون النتيجة أنّ **عمل خليفة النبي ﷺ مخالفٌ لإجماع تمام أئمة المذاهب، وكافة علماء الإسلام، وتمام المسلمين في العالم. هذه الجهة الأولى.**

الجهة الثانية: أن عمل هذا الشخص **مخالفٌ للسُنَّةِ النبويّة القطعيّة**، فقد نقل صحيح البخاري وصحيح مسلم كيفية التيمم عن النبي ﷺ، وإحدى هذه الروايات التي ينقلها البيهقي أيضاً وغيره هي: أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، **وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوراً**، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ

الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً[1].

فمِمَّا أعطيَ النبي ﷺ أن تكون الأرض له مسجداً وطهوراً، وتكون النتيجة أنّ عمل هذا الشخص مخالفٌ لإجماع كل العلماء وأمّة الإسلام، ومخالفٌ للسنّة القطعيّة في تشريع التيمم.

الجهة الثالثة: مخالفته للقرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء **فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً** فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[2]، وهذا أيضاً نصُّ القرآن الكريم على مشروعيّة التيمم للجُنُب غير واجد الماء، وعلى كيفية التيمم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء **فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً** فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

نتيجة البحث: سؤالٌ لكل علماء العامة بلا استثناء:

---

(١) صحيح البخاري كتاب التيمم حديث ٣٣٥.

(٢) النساء٤٣.

(٣) المائدة٦.

هل يوجد شخصٌ في الدنيا لديه القدرة على الجواب على هذا السؤال بهذه الطريقة البرهانية؟ صغرى وكبرى ونتيجة، والقياس من الشكل الأول.

أما الصغرى: فإن **السُنَّة المُسَلَّمة أثبتت أن عمر بن الخطاب لم يكن يصلي حال الجنابة** بهذا العذر، وهو عدم وجود الماء، وعدم إمكان الغُسل.

كم مِن وقتٍ بين زمن نزول سورتي النساء والمائدة وبين أيام خلافته؟

كلُّ هذه المدّة كان الرجل تاركاً للصلاة في حال الجنابة مع فقدان الماء! وذلك **على خلاف ضرورة دين الإسلام، وعلى خلاف إجماع كل المسلمين، وعلى خلاف السنة القطعية، وعلى خلاف نص القرآن الكريم!! فخالَفَ الله تعالى! وخالف الرسول الخاتم ﷺ !**

ولا يخلو الأمر من **حالتين** في هذه المخالفة: إما أنّه كان يعلم، أو أنه لم يكن يعلم! **ولا ثالث بين النقيضين فهو محال،** فإمّا أن الفعل الذي صدر منه كان عن علمٍ أو عن جهل.

فإن كان عن علم: فهذا يعني أنّه **لم يكن عنده دِين.**

وإن كان عن جهل: فهل **لمثل هذا الجاهل صلاحية إمامة الجماعة** فضلاً عن صلاحية خلافة خاتم النبيين؟!

لو اجتمعت كلُّ الدنيا فإنّ جواب هذا السؤال محالٌ، إلا أن يقبلوا جميعاً أن هذا الرجل كان **جاهلاً إلى هذا الحدّ،** وجلس على كرسي الخلافة، ولم يكن مطّلعاً على شرط الصلاة التي هي عَمُودُ الدين، **فبأيِّ منطقٍ يستحق مثل هذا الشخص الخلافة؟!**

وليعرف ذلك أهلُ الحق، فيدافعوا عن الحق بقوَّةٍ ورجولة، **إنَّ الجهل مقرونٌ دائماً بالضّعف، وأمّا العلم فيولِّدُ قدرةً وشجاعة**، والمنطق يسقط حجة كلِّ العالم ويُعجِزُه.

لا يخلو الأمر من احتمالين: **الشقُّ الأول: إمّا أنَّهُ بلا دين، والشق الثاني: أو بلا علم**. فلا يمكن أن يخلو من أحد الأمرين، وأياً كان الاحتمال منهما، فإنَّهُ يكون **ساقطاً من الخلافة بحكم العقل والقرآن والسنة.**

من جهةٍ أخرى: فإن الرواية التالية مهمةٌ إلى حدِّ أنّ **كل أئمة علماء العامة قَبِلُوها**، ونحن **بمثل هذا المنطق نخاطب الدنيا**، وننقل السَّنَد بنقل إمام الناقدين الذهبي وقد أجمع الكلَّ على هذا المطلب:

(سمعت) قاضي القضاة أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يقول: سمعت أبا عمر القاضي يقول: سمعت إسماعيل ابن إسحاق القاضي يقول: وذكر له قول قَثَم هذا فقال: إنما يرث الوارث بالنسب أو بالولاء، ولا خلاف بين أهل العلم أنّ ابن العمّ لا يرث مع العمّ، **فقد ظهر بهذا الاجماع أن علياً ورث العلم من النبي صلى الله عليه وآله دونهم**[1].

فقد أجمع كلُّ العلماء ومحدثوا العامة على أن **شخصاً واحداً فقط ورث تمام علم النبي** صلى الله عليه وآله **وهو علي بن أبي طالب** عليه السلام، هذا من جهة أخرى.

فما هو العلم الذي ورثه عليّ عليه السلام؟ هل للفخر الرازي قدرةٌ في هذا البحث؟ **وَرِثَ عليٌّ العلم دونهم، إثباتٌ لعليٍّ** عليه السلام **ونفيٌ عمّن عداه.**

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٢٦.

لَم يرث الآخرون علم النبي صلى الله عليه وآله، وورثه عليّ عليه السلام فقط.

ما هو علم الخاتم؟ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، فعِلم الخاتم يعني علم تمام القرآن، وعلم تمام القرآن يعني ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، هذا علمُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذاك علم عمر بن الخطاب، **فهل هذا مذهب الحق أم ذاك؟ هل هذا الخليفة الحق أم ذاك؟**

٥. الخلافة

كان البحث[1] في فقه حديث المنزلة، وانتهى الكلام إلى بحث الشركة في أمر الخاتم صلى الله عليه وآله، ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾، **وخِتامُ كلِّ المناصب منصب الخلافة،** فقد كان مقام هارون بالنسبة لموسى هو الخلافة، وقوله صلى الله عليه وآله: **عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى،** يثبت مقام الخلافة لعلي عليه السلام.

ههنا ينبغي أن يركع ألفُ فخرٍ رازيّ، قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً **وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي** وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

فما هو المورد؟ هو الوقت الذي كان موسى مأموراً بالذهاب إلى ميقات الله، والغياب عن قومه ثلاثين ليلة، ثم أتمّها الله له أربعين ليلة، وهذه الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة هي متمِّمَةٌ لتلك الأيام.

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٩ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ١١-١-٢٠١٤م، وبعض فقراته تقدّم بحثها سابقاً لكن نُقِلَت إلى هنا لمناسبتها لهذا البحث.

(٢) الأعراف ١٤٢.

على مثل الفخر الرازي أن يدرك المورد، ففي مثل هذه الظروف، ومع الأخطار التي كانت محيطةً ببني إسرائيل، ومع ما جرى حتى دعا الله تعالى موسى عليه السلام إلى الميقات، فغاب عن قومه أربعين يوماً، **ماذا قال موسى في ذلك الظرف؟**

﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: فليضُمَّ علماء المذاهب الأربعة القرآن الكريم لهذه السنة ولينظروا من هو الخليفة؟

قال موسى عليه السلام: أنت يا هارون **خليفتي في قومي، أنت من ينبغي أن يكون الخليفة في أمتي،** ﴿وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾: فلما استخلف هارون ذهب لميقات الله تعالى، ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾: كلَّمَ الله موسى حينها فصار كليم الله، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

القضية هي مثل هذه القضية، والخلافة في مثل هذا الميقات، حيث طلب موسى أن يخلفه هارون في قومه، **فصار موسى المُستَخلِف، وهارون خليفة موسى، على أيِّ جمعٍ؟ على تمام أمّة موسى** عليه السلام، فهل كانت خلافته مع الفصل أم بدون الفصل؟

عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى: المطلب فوق الحدِّ الذي يمكن أن ندركه.

وههنا مقامان:

---

(١) الأعراف١٤٣.

المقام الأول: معنى الخلافة

المقام الأول: معنى الخلافة، فماذا تعني الخلافة؟

إنّ وجودَ الخليفة بالنسبة لمن استخلفه هو وجودٌ تنزيليٌّ، لماذا؟ لأنّ الخلافة هي **القيامُ مقامَ المستخلَف عنه، فيُملأ الفراغ بعد وفاة كلِّ نبيٍّ بمن يخلفه.**

هذا مفهوم الخلافة، فإذا اتّضح هذا المعنى يتّضح أن الخلافة من **المقولات المُشَكِّكَة**، فإن المفاهيم على قسمين:

١. **المفاهيم المتواطئة** وهي التي يكون صدقها على الأفراد متساوياً.

٢. **والمفاهيم المُشَكِّكَة** وهي التي لا يكون صدقها على أفرادها بالتساوي.

والخلافة من جملة هذه المعاني، فإنّ خليفة آدم ليس كخليفة نوح، وخليفة داوود ليس كخليفة موسى، إذ **كلّما كان مقام المستخلَف عنه أرفَع، كان مقام خليفته أرفع**، وتكون النتيجة من الجهة العلميّة البرهانيّة أنّ **خلفاء الأنبياء هم الذي تتجلى فيهم وِراثة العلم والحكمة ومقامات أولئك الأنبياء.**

ويملأ خليفةُ موسى الخلأ والفراغ الذي حصل بعد موسى بن عمران عليه السلام، ويُبَيِّنُ التوراة بدلاً منه، ويملأ خليفةُ عيسى الخلأ بعده ويُفَسِّرُ الإنجيل، ويملأ خليفةُ إبراهيم الخلأ بعده وتتجلى فيه صحف إبراهيم.

وتكون النتيجة على هذا القياس، وبحكم المنطق والبرهان، أنّ خليفة الخاتم يملأ الخلأ والفراغ بعد كلّ الأنبياء، لأنّ **كلَّ الأنبياء والمرسلين قد جُمِعُوا في مقام الخاتمية**، وهو صلى الله عليه وآله **إمام الأنبياء**، فيكون **خليفته بالضرورة بَدرَاً يعكس تلك الشمس.**

لو كان لعلماء العامة القدرة على إدراك هذه البيانات البرهانية، ثم راجعوا الأدلة، هل كانت تبقى المشكلة في مسألة الخلافة؟

المقام الثاني: مضمون الحديث: الاستخلاف

المقام الثاني: ما هو مضمون الحديث الذي يُعَدُّ سُنَّةً عن النبي صلى الله عليه وآله؟

ولأنّ البحثَ مع أعيان علماء كافّة الفرق، ينبغي أن يكون الدليل مورداً لإجماع الكلّ، وقد أجمع كلُّ علماء العامة وقطعوا بصحة أسانيد صحيحي البخاري ومسلم، **ودَورُنا هو أن نستدلّ على مطالبنا من هذين الصحيحين**.

ولأنّ البحث في **ميزان البرهان لا الخطابة، ينبغي إبعاد التعصُّب لأنَّهُ حجاب الحقيقة**، وينبغي أن تكون الحاكميّة للكتاب والسنّة والعقل والبرهان فقط.

تقول الرواية في صحيح مسلم ج٧ ص١١٩٨ ح٦٣٧٣: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ـ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ ـ قَالاَ: حَدَّثَنَا حَاتِمٌ وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ مِسْمَارٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟**

والحديث من عجائب الأحاديث، فبماذا يجيب عليه من كان معاوية في رأيه محترماً ولم يكن مشمولاً للعن الله تعالى؟ وهو الذي **سَنَّ سَبَّ عليِّ بن أبي طالب رسميّاً في مملكته!** وقد تورَّع أقربُ شخصٍ منه ـ وَمَن أتى بكلِّ فِسقٍ وفجور ـ عن سَبِّ عليٍّ عليه السلام، فآخذَه معاوية في ذلك سائلاً عن السبب.

فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلاَثاً قَالهنَّ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فَلَنْ

أَسُبَّهُ، لأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ: فقد سَمِعَه سَعد من النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، وهذا في صحيح مسلم، **فما جواب دنيا التَسَنُّن** مقابل منطق سعد بن أبي وقاص؟

راوي الرواية هو سعد بن أبي وقاص نفسه، وهو مِمَّن قام بأمور معاوية، والمخاطَب هو معاوية، والسَّنَد هو سَنَدُ مسلم بن الحجاج، فهل هناك حجةٌ قاطعةٌ أكثر من هذا؟ بهذا المخاطِب والمخاطَب والخِطاب.

سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم: والرواية تكون بالواسطة تارة، وتارة مباشرةً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال هنا: **سَمِعْتُ رَسُولَ الله**.

يَقُولُ لَهُ خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ: أي أنّه صلى الله عليه وآله جعل علياً خليفة له في بعض الغزوات.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله، خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نُبُوَّةَ بَعْدِي»: ألا ترضى أن تكون لك منِّي كلُّ المناصب التي كانت لهارون من موسى نبي الله؟ إلا منصباً واحداً أنّ هارون كان نبياً، ولكن بما أني خاتم النبيين، فإن النبوّة ليست قابلة للإنتقال، وكما أعطى موسى عليه السلام كلّ ما عنده لهارون، أعطيك كلّ ما عندي، ألا ترضى بهذا؟ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنّه لا نبوّة بعدي.

وهذا الاستثناء يُثبِتُ بلا ترديدٍ أنّ كُلَّ المنازل التي ثبتت لهارون من موسى كانت لعليٍّ من الخاتم صلى الله عليه وآله، وإحدى تلك المنازل **الخلافة**، ونَصُّ القرآن يقول:

﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ أنت خليفتي يا هارون في قومي وأمتي، فتكون خلافة الخاتم صلى الله عليه وآله في قومه متحقّقة بلا فصلٍ لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام.

هذا الحديث يُعجِزُ الدنيا، لكن أين الفهم؟ أين الإدراك؟

قال لمعاوية: كيف يمكن أن يتمكن لساني من سب عليّ بن أبي طالب مع ما سمعته بنفسي من النبي صلى الله عليه وآله ؟

هذا الأمر الأول الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وآله، ويبقى الثاني والثالث.

حُبُّ الله لعليٍّ عليه السلام

كان البحث[1] في هذه الرواية التي أجمع العامة على صحتها، مع اشتمالها على خصوصيةٍ أن مُبَيِّنَ الفضائل فيها هو سعد بن أبي وقاص، وأن المُخاطَب فيها معاوية بن أبي سفيان، والسبب هو استنكاف سعدٍ عن سبّ أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد تعرّضنا للقسم الأول منها، أما القسم الثاني منها:

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ».

قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيّاً». فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِى عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ الله عَلَيْهِ.

هذا هو القسم الثاني، أما **فقه الحديث:**

لقد وقعت هذه القضية بعد أن ذهب الأوّل في اليوم الأوّل فرجع مهزوماً وقد غلبه جيش اليهود، وذهب الثاني في اليوم الثاني، ورجع مع الجيش بعد أن

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١١ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ١٣-١-٢٠١٤ م.

هرب أمام جيش اليهود، وبعد أن امتُحن هذان الاثنان وعادا خائبين، قال حينها ﷺ هذه الجملة: **لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ**: لأعطينَّ راية الإسلام رجلاً يتّصف بصفتين: **الأولى أنه مُحِبٌّ لله ورسوله، والثانية أنه محبوبٌ مِنَ الله تعالى ورسوله.**

ينبغي على علماء العامة أن يُعمِلوا كمال الدقة في هذه الرواية، والنظر في الدلالة المطابقية والدلالة الالتزامية، واستنباط اللوازم والملازمات والملزومات، فقد وصف النبيُّ ﷺ الذي ضَمِنَ الله تعالى منطقه: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى﴾ مَن سيأخذ الراية غداً بهاتين الصفتين، وهنا يعجز كلُّ أعيان علماء العامة، **فهل كان له شريكٌ يا ترى في هاتين الصفتين أم لا؟**

يستحيل وجود منزلةٍ بين النفي والإثبات، والثالث بين النقيضين غير معقول، فإما أنَّهُ كان هناك أحدٌ واجدٌ لهاتين الصفتين أيضاً، أو لم يكن.

إذا كان هناك أحدٌ، فإنَّ **قول النبيِّ تخصيصٌ بلا مخصِّص**، وتعيينٌ بلا معيّن، وترجيحٌ بلا مرجّح، وكل هذا **باطلٌ عقلاً ومَنطِقاً وبُرهاناً**، خاصة من الشخص الأول في عالم الإمكان، ورأس تمام الأنبياء من آدم إلى عيسى بن مريم عليه السلام.

فيتعين أنّه لم يكن بين كل أولئك الذين كانوا في محضر الرسول ذلك اليوم **أحدٌ يتصف بهذه الصفات غيره**، فقط هذا الشخص هو الواجد لها، وهو الذي سيُعطى الراية غداً. هذا **أولاً**.

ثانياً: أن هذه القضية قد بُيِّنت بعد فرار الشخصين بالاتفاق، فتكون الرواية **نصّاً على أن هذين الإثنين ليسا مُحِبّين لله ورسوله، ولا يُحِبُّهما الله ورسولُه.**

فَتَطَاوَلْنَا: كلُّهم تطاولوا، وقد روي في روايات أخرى أنهم لم يناموا، على

أمل أن يُكتب لهم ذلك في اليوم التالي، وفي اليوم التالي قال النبي صلى الله عليه وآله: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: إنه أرمد العين، فأمر بأن يأتي مع رَمَدِ عينه، وعند قدومه وضع ماء فمه على عيني عليّ عليه السلام ففتحت عيناه مباشرة، لم يبق رمدٌ، كلَّ هذا متنُ شهادة سعد رَجُلِ معاوية بن أبي سفيان، وبعد أن شُفيت عينُه أعطاه الراية، وذهب إلى حرب اليهود، وقال لهم: **أنا الذي سمّتني أمي حيدرة.**

وارتجت الأرضُ تحت القوم، لأنه قد ذُكر في كتب السلف أنّ حيدر هو الذي سيجتث جذور الكفر، ويرفع عَلَمَ الإسلام في العالم، هو من أسمته أمه حيدرة.

ففعل ما جعل الفخر الرازي العاجز يقول أنّه عندما نزل للميدان لم يضرب سيفه بقوته البدنية بل **بقدرة نفسٍ بنور بارئها مضيئة،** هذا عين كلام الفخر الرازي، فالضربة التي ضربها لمرحب كانت بيدٍ مستمدةٍ من نفسٍ منوّرة بنور ربها، وسؤالنا للفخر: **مع تلك السابقة واللاحقة لعلي** عليه السلام، **ماذا يعني أن يكون ذلك الأول وذلك الثاني الجبان أولاً وثانياً، وأن يكون عليٌّ الرابع؟** بأيّ منطق وكتاب وسنة؟

قال سعد: لقد سمعت هذه الكلمات بنفسي من النبي صلى الله عليه وآله، وقد أعطاه هذه الراية لفتح خيبر فكيف أسبّه؟ ثم وصل للمطلب الثالث، وجَمعُ المطالب الثلاثة معجزٌ ومُحيِّر:

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دَعَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً فَقَالَ: «اللهمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي».

فعندما نزلت الآية عند المباهلة مع نصارى نجران، صَدَرَ **تفسيرٌ عَمَليٌّ من**

صاحب الوحي لهذه الآية الشريفة، حيث دعا أربعة أشخاص من كلّ الأمة والأصحاب والأقوام.

وكما نقل سعد بن أبي وقاص أنّ أوّل شخصٍ دعاه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو عليّ، ثم فاطمة، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **اللهمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي**، وأوّلهم عليّ. هذا المطلب الثالث.

وعندما نزلت الآية دعا هؤلاء الأربعة، فقالت أم سلمة: يا رسول الله أدخلني، فقال: أنت على خير، لكن هذا المحل ليس محل أحد سواهم، فانضمّ هؤلاء الأربعة إلى شخصٍ هو خاتم النبيين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فصاروا خمسة أشخاص، فحدَّدَ وعيَّنَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أهله بهؤلاء، فنزلت الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

جُمِعَت هذه المطالب الثلاث في حديثٍ نقله مسلم، **وأجمعت واتفقت عليه المذاهب الأربعة**، وهو حجةٌ قاطعةٌ على أن مستحقّ مكان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعده هو مَن كان واجداً لهذه الخصال الثلاثة حصراً.

ولكن بما أن هذه الحديث أعجزَ كل أولئك، ولأنّه **دليلٌ على بطلان كل شيء أصبحوا عاجزين**، ولما وجدوا أن ليس بإمكانهم مناقشة السند، وأنهم عاجزون عن مناقشة الدلالة، كانت العاقبة أن **قالوا أقوالاً أبرزت جهلهم بتلك الكلمات**، وإن شاء الله وبحول الله سوف أقول في الجلسة القادمة ما قالوا وما هي نتيجة البحث.

---

(١) الأحزاب ٣٣.

معاوية وسَبُّ أمير المؤمنين عليه السلام

كان بحثُنَا[١] في الرواية التي كانت مورد إجماعِ تمام أعيان علماء المذاهب الأربعة، وتشتمل هذه الرواية على عدّةِ خصوصيات، فعلاوةً على الصحة بهذه المرتبة، كان الراوي والناقل لهذه المطالب الثلاثة عن شخص النبي الخاتم ﷺ هو سعد بن أبي وقاص، وبما أنّ **الرواية سيفٌ قاطعٌ على سائر المذاهب**، ينبغي على أهل الدقّة التنبُّه إلى مرتبة سعد عند أعيان علماء العامة.

قال الذهبيّ وهو إمام أهل الرجال عند العامة: **سعد بن أبي وقاص، أوَّلُ من رمى بسهمٍ في سبيل الله**: هذه ميزته الأولى عند علماء هذه المذاهب.

وكان مجاب الدعوة: وهذه ميزته الثانية.

له مناقبُ جمّة وجهادٌ عظيمٌ وفتوحاتٌ كبيرةٌ ووقعٌ في نفوس المؤمنين[٢].

وينبغي **تحقيق المنازل التي ثبتت بالرواية:**

أولاً: أن معاوية آخَذَهُ لعدم مشاركته بِسَبِّ عليّ بن أبي طالب، والحيرة هنا، فإنّهم يقدِّسون معاوية، واليوم بحول الله وقوته ينبغي أن **يستقرَّ هذا الشخص في أسفل السافلين بالبرهان القاطع.**

الطرفُ المقابل لنا هم أمثال الفخر الرازي ومسلم بن حجاج والبخاري وأئمة أهل السنة.

السؤال: إن هذه الرواية حُجَّةٌ قطعيَّةٌ عندكم، وما فيها هو قول النبي

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٦ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ١٨-١-٢٠١٤ م.

(٢) تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٢.

ﷺ، وصريحُ الرواية أنّ **معاوية بن أبي سفيان هو من أسَّسَ سَبَّ عليّ بن أبي طالب** عليه السلام، هل حصل هذا أم لا؟

إن أنكرتم هذا البرهان القاطع فإنّ شأنيّتكم تسقط.

وإذا اعترفتم بذلك، فماذا يعني سبّ علي بن أبي طالب؟

من المُسَلّم أن معاوية قد أمر كل أئمة الجمعة حتى أطراف البلاد الإسلامية، **أن يسبوا في خطبة صلاة الجمعة أمير المؤمنين** عليه السلام، وهذا أمرٌ تامٌّ، وبرهانه هذه الرواية، والكتاب صحيح مسلم، هذه الكلمة الأولى.

ولكن ماذا يعني سبّه لعلي عليه السلام؟ تَذكُرُ الروايةُ المتفقُ على صحتها ما يلي:

(حدثنا) أبو جعفر أحمد بن عبيد الحافظ بهمدان، ثنا أحمد بن موسى بن إسحاق التميمي، ثنا جندل بن والق، ثنا بكير بن عثمان البجلي، قال: سمعت أبا إسحاق التميمي يقول: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: **حججت وأنا غلامٌ فمررت بالمدينة وإذا الناس عنقٌ واحدٌ، فأتبعتهم فدخلوا على أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي.**

فأجابها رجلٌ جلفٌ جاف: لبيك يا أمتاه.

قالت: يُسَبُّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله في ناديكم؟

قال: وأنّى ذلك؟

قالت: فعليُّ بن أبي طالب؟

قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا.

قالت: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن سبَّ علياً فقد

سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى[1].

المُحَيِّر أنّ كل الأعيان قد نقلوا هذا الحديث، **ثم يحترمون معاوية!**

أين العلم؟ هنا البرهانُ والمنطق، **والجملة الأخيرة تكسِر ظهر كل علماء المذاهب الأربعة**، فعندما قالت أم سلمة: **يُسَبُّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله في ناديكم؟** اتضح الأمر في الآخر، وهذه هي **الحجة القاطعة التي تذري علماء العامة مع الريح!** ومتن صحيح البخاري: **عليٌّ منّي وأنا من عليّ.**

وبحكم النصوص القطعيّة، **فإن معاداة علي** عليه السلام **معاداةٌ للنبي** صلى الله عليه وآله نفسه، ومعاداةٌ لله تعالى، ونتيجته ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ﴾، **وهي تشملهم جميعاً**، هذا هو معاوية، وهذا هو البرهان، فهل يمكن في دنيا العِلم أن تجد من يكون من أهل العلم والفَهم ثم يقدِّس معاوية؟!

لقد شَمَلَ الجهلُ الجميع، وترك عدم الإطلاع وانعدامُ الرجولة أثره عليهم.

وقد أدّى الجهلُ وعدم القدرة العلميّة إلى الخنوع والخضوع في مقابل مثل هؤلاء الناس، وهم من كانت قيمتهم بهذا الحدّ!

لقد دلَّ الدليل القطعيُّ على أنّ معاوية ملعونٌ من الله تعالى، ومن رسوله، ومن تمام الأنبياء والأولياء.

هذه هي معاداة عليٍّ عليه السلام، وهذه الكلمة الأولى في حديث سعد، والمطلب الثاني يأتي إن شاء الله.

---

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٢١.

من سَبَّ عليا فقد سبَّ اللّه

كان البحث[1] في فقه الحديث الذي نقله مسلم في الصحيح، وكان المطلب الأول هو حكم سبّ أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه رواية أخرى تُثبِتُ أنّ **سابّ عليٍّ** عليه السلام **سابٌّ للنبي الخاتم** صلى الله عليه وآله، وقد نَقَلَ هذه الرواية أعيانُ أهل السنة، كالإمام أحمد بن حنبل، والنسائي، والمتقي، وابن حجر، والحاكم، والذهبي، والرواية مورد اتفاق عندهم، وصحّتها مُسَلَّمَةٌ لديهم، ونَصُّها أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: **مَن سَبَّ عليّاً فقد سبّني، ومّن سبَّني فقد سب الله.**

ولأنّ البحث مهمٌ فإنه ينبغي أن يتّضح نحو النصوص والتعبيرات عند أهل فقه الحديث.

الروايات متعددةٌ، والأساطين الذين نقلوها متعدِّدُون أيضاً، وقد ذكرنا مضمون بعضها في الجلسة السابقة، والرواية التالية عن ابن عباس حبر الأمة والإمام عند الكلّ، يقول: **أشهد بالله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مَن سَبَّ عليّاً فقد سبّني، ومّن سبَّني فقد سَبَّ الله (عز وجل) ومن سَبَّ الله (عز وجل) أكبّهُ (الله) على منخريه في النار**[2].

هذه الرواية على درجة من الأهمية بحيث يقول ابن عباس: (أشهد بالله) فإنَّ أهميّة الأمر أوجبت أن يُصَدِّرَ الحديثَ بإشهاد الله تعالى.

فمَن سَبَّ عليّاً أكبّه الله على منخريه في النار، **هذا حال معاوية** بن أبي

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٨ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٠-١-٢٠١٤ م.

(٢) ينابيع المودة ج٢ ص١٥٦.

سفيان، وهو من ترضّوا عنه ولم يقبلوا أن تُقال كلمةٌ بحقه، وقد قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾(١)، وقد نُقِلَت هذه الروايات في الكتاب الذي كُتِبَ للردّ على الشيعة، وكاتبه من أكثر الأشخاص تعصّباً ضد مذهب الحق: **من سَبَّ أهل بيتي فإنما يرتدُّ عن الله والإسلام.**

هذا مُحيِّر، فإنّ من يَسُبّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وأولهم علي بن أبي طالب عليه السلام يرتدّ عن الله وعن الإسلام.. بالاتفاق عند الكل وبنصّ صحيح مسلم**!**

ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله، ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله، إنّ الله حرَّمَ الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبَّهم(٢).

وتكون النتيجة أنه **لا ترديد في أن سبّ معاوية لِعَلِيٍّ بن أبي طالب أذيةٌ له** عليه السلام، لا شبهة لعاقل في أن السبّ في خطب صلاة الجماعة لعلي عليه السلام أذيةٌ لعليٍّ عليه السلام، وأذيتّه أذيّة النبي صلى الله عليه وآله والله تعالى بالاتفاق، ونَصُّ القرآن: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾**(٣).

فبحكم الكتاب والسنة القطعية يكون **معاوية بن أبي سفيان ملعوناً** من الله ورسوله، **وهذا برهانٌ يقصِمُ ظهر كلّ المذاهب.**

خِتام الكلام في قضيةٍ ينقلها هذا الشخص نفسه مع كل عداوته للمذهب عن المنصور: أنّه رأى رجلاً بالشام **وجهه وجه خنزير** فسأله، فقال: إنّه **كان يلعن**

---

(١) إبراهيم٢٧.

(٢) الصواعق المحرقة ص٢٤٠.

(٣) الأحزاب٥٧.

علياً كلّ يوم ألف مرة، وفي الجمعة ألف مرة، وأولاده معه، فرأيت النبي، وذكر مناماً طويلاً من جملته أن الحسن شكاه إليه فلعنه ثم بصق في وجهه، فصار **موضع بصاقه خنزيراً وصار آيةً للناس**[1].

هذه ليست لعبة، إنّه سيفٌ قاطعٌ للحق، يُعجِزُ تمام أئمة المذاهب الأربعة.

ما معنى هذا الحديث؟

مَن يسبُّ عليّاً عليه السلام **خنزيرٌ**، غاية الأمر **أنّ الوجه الحقيقيّ لا يظهر الآن**، لكن لو قُيِّض للعين أن ترى الوجوه على ما هي عليها فإنها ترى وجهَهُ وجه خنزير، **مَن يسُبُّ عليّاً يصبح خنزيراً، وأنجس الحيوانات الكلب والخنزير**.

أما لو أسَّسَ أحدٌ لِسَبِّ عليٍّ، واستمرّ ذلك إلى زمن عمر بن عبد العزيز، كما فعل معاوية بسَنِّه سَبَّ عليٍّ على منابر المسلمين، **فما سيكون وجهه يا ترى؟**

هذه الرواية لم يروها الكليني والشيخ الطوسي، نَقَلَهَا مَن أَلَّفَ كُتُباً ضدّ مذهب الشيعة، هذه حجة الله تعالى، **وهذه حقيقة معاوية**.

النتيجة: أنه طِبق الروايات المسلَّمة، حتى عند ابن حجر الهيثمي، فإنّ **معاوية خنزيرٌ، معاوية مرتدٌ عن الله تعالى، معاوية مرتدٌ عن الإسلام**، معاوية علاوةً على كل ذلك **ملعونٌ من الله تعالى ونبيّه** بنص القرآن الكريم، هذا حال معاوية، **أما غير معاوية**، فلو كان هناك فهم!!

إن **الدلالة على قسمين**: دلالةٌ **مطابقية**، ودلالةٌ **التزامية**.

قرأنا نصّ الروايات وهي مورد اتفاق، ودلّت أنّ كل من آذى عترة النبي

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١٩٦.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فهو ملعون من الله ورسوله، وصحيح البخاري موجودٌ، والمطلبُ في صحيح البخاري مطبوع، **كم آذوا فاطمة الزهراء** عليها السلام**!**

الاعتراض الأول: الاستخلاف ليس على الأمة

تقدّم البحث[1] في حديث المنزلة، وأنّ الرواية تثبت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام من عدّة جهات: شَدُّ الأزر، الوزارة، الشركة في الأمر، الأخوّة.. فكل واحدٍ من هذه الأمور **دليلٌ مستقلٌ على الخلافة القطعيّة له** عليه السلام.

ولأنّ هذا الحديث **أعجَزَ أهل النظر من العامّة**، نتعرّض لما ذكروه حوله، وبما أن البحث **بحثٌ علميّ دون تعصُّبٍ وتهكُّم**، فإن الحاكم هو المنطق والقواعد العلمية، وما قيل مأخوذٌ من **الباقلاني**، وينبغي النظر في متن اعتراض الباقلاني ليتبيّن الحق في المطلب، وفيما يلي تمام كلام صاحب التمهيد:

فإن قالوا ما أنكرتم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على علي عليه السلام بقوله (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي) قيل لهم لا يجب ذلك لأن معنى ذلك أني أستخلفك على أهلي وعلى المدينة إذا توجهت إلى هذه الغزوة[2].

هذا كلُّ ما عندهم، حتى أنّ متأخري المتكلمين كرّروا ما ذكره الباقلاني.

وخلاصة كلامه أنّه لم يثبت كون الحديث دليلاً على الخلافة، لأنّ مدلوله أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد عيّن علياً عليه السلام في هذه الغزوة خليفةً على أهله وعلى المدينة، وهذا

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٣ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٥-١-٢٠١٤ م.

(٢) تمهيد الأوائل للباقلاني ص٤٥٧.

لا علاقة له بالخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. هذا تمام كلامه.

وعلى هذه الكلمة أربعُة إشكالات بل خمسة، فإنِ اجتمع تمام علماء المذاهب للجواب عليها وتَمَّ لهم ذلك كفانا، وإلا فلا.

أولاً: أنّه ينبغي أن يُفهَم التنزيل من الناحية العلميّة، فعندما يتحقق التنزيل يتحقق لدينا: مُنَزِّلٌ، ومُنَزَّلٌ عليه، ثم يُنزِّل المُنزَّل على المنزّل عليه، وحقيقة التنزيل من الناحية العلمية **تطبيقُ تمام آثار المنزَّل على المنزَّل عليه**.

فينبغي فهم مطلبين، أولاً **حقيقة التنزيل**، وثانياً **إطلاق التنزيل**.

أما متن الحديث فهو: **أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟**

ونحن نسأل الباقلاني: أليس بيان النبي صلى الله عليه وآله تنزيلاً؟ ولمن كان التنزيل؟ وبالنسبة لمن؟ وفي ماذا؟

إن التنزيل في الحديث إنما كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام، بالنسبة لنفس النبي صلى الله عليه وآله، فصارت النِسبة كنِسبة هارون من موسى عليهما السلام، أليست هذه الكبرى هي كلام النبي صلى الله عليه وآله؟ وفي كلامه صلى الله عليه وآله نزّل علياً بالنسبة لنفسه منزلة هارون بالنسبة لموسى، والسؤال: **هل كان هارون خليفة موسى في أهله وبيته فقط؟ أم خليفته في أمّته؟**

هذا هو العِلم، فإنّ إطلاق التنزيل مُحكَّمٌ، وينتج عن ذلك أن **كلَّ نسبةٍ كانت لهارون من موسى كان لعليٍّ مثلها بالنسبة للنبي** صلى الله عليه وآله.

ينبغي على الباقلاني أن يفهم أن **هارون لم يكن خليفة موسى على النساء والأطفال**، إنما **خليفته على بني إسرائيل**، فيكون مقتضى التنزيل أن **علياً خليفة**

الخاتم صلى الله عليه وآله **في الأمة**، ويثبت لعليٍّ من النبيّ في هذه الأمة ما ثبت لهارون من موسى في بني إسرائيل.

ثانياً: ألا يعرف الباقلاني أن هذه الكلمات تسيء لتمام العامة في ميزان العلم؟! فإنّ نَصَّ القرآن الكريم يفيد أن **الخلافة قد ثبتت لهارون في قوم موسى لا في أهله**، ولا في غزوة معينة، بل كانت خلافة هارون في قوم موسى عليه السلام.

ثالثاً: إن العلم تَفَقُّهٌ، ودراية الحديث مشكلة جداً، ولا يسلم صاحب التمهيد من المحاكمة، حيث **لا يمكن أن يُخَصِّص الواردُ الموردَ** من الجهة العلميّة، وههنا تظهر علميّة علماء أهل الحق، فقد نُقِّحَ في الأصول أن الدليل الوارد في موردٍ **لا يمكن أن يُقيِّد الإطلاق أو يخصِّص العموم الوارد**، وفيما نحن فيه: **المورد هو: خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ**، فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام خليفةً في بعض غزواته، وشاهَدَ الباقلاني هذا المورد، لكنّه لم يفهم أن هناك وارداً بعد هذا المورد.

وذلك **الوارد** هو: **فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله، خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟**

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى.

ههنا دقَّةُ البحث، وإلى هذا الحدّ لم يفهم هذا الرجل، فلو كان الاستخلاف في تلك الغزوة مقتصراً على الخلافة على الأهل والولد لم يكن فيه دليلٌ على استخلافه على الأمة، لكن ألم تُفَكِّر أيها الباقلاني أنّ **هناك وارداً على هذا المورد بعده**؟ وهي هذه الجملة: **مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟**

ههنا يظهر العلم، **حَدُّ عِلمِ أعاظم علماء العامّة هو هذا**، فلم يُشَخِّصُوا

حقيقة التنزيل، **ولم يفهموا أنه لا يُعقل تخصيصُ العموم الوارد بالمورد، فإن الصغرى لا تُحَدِّد أو تُقَيِّد الكبرى بنفسها** بأيّ منطق، وهذا البرهان الثالث.

رابعاً: والكلام للجميع، من الرأس للقدمين، من الباقلاني لأزهر مصر، **أليس لقوله** صلى الله عليه وآله: (ألا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى) **استثناءٌ؟** وهو قوله صلى الله عليه وآله (إلاَّ أَنَّهُ لاَ نُبُوَّةَ بَعْدِي).

فالنبوّة فقط هي التي لستَ شريكاً فيها، لأني خاتم النبيين، وسوى هذا الاستثناء، **فإنّ كلّ ما في المستثنى منه قد ثبت لك.**

وإحدى هذه الأمور في المستثنى منه هي أن **الاستثناء برهانٌ قاطعٌ على هذا الامر**، وهو عبارةٌ عن **خلافة هارون في بني إسرائيل** في غياب موسى عليه السلام.

خامساً[1]: أنه ينبغي على الباقلاني وغيره الرجوع إلى القرآن أولاً ثم التكلُّم، وقد نصّ القرآن الكريم أن **هارون خليفة موسى في قومه**، لا في أهله، فإلى هذا الحدّ من عدم الإدراك قد وصلوا؟!

هناك آيتان في سورة طه والأعراف، والتأمل فيهما كافٍ لتمييز الحق عن الباطل، فماذا قال موسى لهارون؟

قال: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾، ثم الكلمة الثانية: ﴿وَأَصْلِحْ﴾، وقد **جعل إصلاح بني إسرائيل بعهدة هذا الخليفة**، فإلى هذا الحدّ لم يكن عندهم إدراكٌ لمقدار التفاوت بين الخلافة على الأمة وإصلاحها وبين الخلافة على الأهل والبيت؟!

إذا ثبت أنّ **هارون كان خليفة موسى في قومه، أي في أمته**، وهم بنو

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٧-١-٢٠١٤ م.

إسرائيل، وكانت مهمته الإصلاح، يُطرَحُ السؤال على هؤلاء: ما معنى (وَأَصْلِحْ)؟ إن إصلاح الأمة يتم بأمرين: العلم والعمل، وحديث المنزلة يثبت لعليٍّ كلّ ما ثبت لهارون في القرآن بالاتفاق، ودَعوانا أن **علياً خليفة النبي** ﷺ **في إصلاح أمة الإسلام**، وهذا **نصّ القرآن وحديث المنزلة.**

يكفي الانغماس في الجهل إلى هذا الحدّ..

الاعتراض الثاني: هارون خليفةٌ في حياة موسى

الاعتراض الثاني: على حديث المنزلة، أن **هارون كان خليفة موسى في حياته، وقد توفي قبل موسى** بن عمران، فإذا كان كذلك عليكم أن تثبتوا أنّ خلافة عليٍّ ثابتةٌ بعد رحلة النبي ﷺ، فإنّ هارون قد توفي قبل رحيل النبي موسى عليه السلام، فكانت خلافته في حياته، **أما بعد وفاته فلا خلافة.**

وهذه أيضاً حِرفَةُ العاجز.

والجواب في كلمتين: أنّ سبب هذا الاعتراض هو **البُعدُ عن العلوم العقليّة** أولاً، **والجهل بالسيرة العقلائية** ثانياً، هذا إشكالنا على هذا الادعاء، وينبغي على أهل الدِّقَة النظر في ذلك، وإن شاء الله يصلُ عددٌ منهم إلى الثمرة المرجوّة، ويتمكنوا من بيان الحق، وإثباته أمام علماء المذاهب الأربعة.

بيان ذلك: ما هو موضوع البحث؟ **موضوع البحث**: هو أن لعليّ بن أبي طالب **الأهليّة لخلافة النبي الخاتم** ﷺ بعد رحلته، **هذه دعوانا.**

وقد كانت عنده الأهلية لهذا المنصب، وإذا كانت عنده الأهليّة وجلس غيره في محله تكون النتيجة أنّ **غير المؤهل جلس في مكان المؤهل، هذا تمام المُدَّعى.**

أما الدليل: إنَّ تَحَقُّقَ الأهلية للخلافة يحتاج إلى أمرين: أولهما: **المقتضي**، وثانيهما: **وجود الشرط**، وينبغي أن يكون البحث برهانياً من الجهة العقلية، ليتضح أن منشأ كلامهم هو فقدان العلوم العقليّة.

إن الأهليّة للخلافة تحتاج الى **مقتضٍ وشرط**، ووجود كلِّ موجودٍ مرتبطٌ بالعلّة، والعلّة مركبةٌ من المقتضي والشرط، وجودياً كان أو عدمياً، **والشرط مُتَمِّمُ الفاعل أو مُكمّل القابل**، فينبغي أن يتحقق المقتضي وأن يحصل الشرط الذي يُتِمُّ المقتضي ويوصل القابلية لنقطة تحقق المقتضي، حينها تظهر الأهلية.

وتتحقق أهلية الفتوى مثلا بالعلم، وينبغي ملاحظة **أهلية كل مقام بما يتناسب معه**، أي بملاحظة المقتضي والشرط، وكُلَّ ما كان الأمر أعلى وأرفع، فإنّ مرحلة الاقتضاء والشرط ترتفع بمقتضى التناسب بينهما.

وتتوقف أهليّة خلافة الخاتم على **التناسُب بين الخليفة والمستخلَفِ عنه**، وذلك في **العلم والكمالات النفسيّة والقوة والقدرة على إصلاح الأمة**.

أليس هذا الأمر برهانياً؟ **ألم تثبت أهلية الخلافة لعليّ بن أبي طالب بحديث المنزلة؟** هي **ثابتةٌ بالاتفاق**، غاية الأمر أنهم **يدّعون أنها كانت في زمان حياة النبي** صلى الله عليه وآله، كما كان هارون خليفة موسى في حياته.

والجواب: هل زالت الأهلية المحقَّقَةُ لعليٍّ ـ والتي اعترفتم بها ـ بوفاة النبي صلى الله عليه وآله؟ أم لم تَزُل؟

لا منزلة بين السلب والإيجاب والنفي والإثبات، فلا ثالث لهما، إما نفيٌ أو إثبات. **فهل سقطت هذه الأهلية برحلة النبي** صلى الله عليه وآله أم لا؟

أنتم تقولون: أنها سقطت، **والسقوط يحتاج إلى علّة!**

إلى هذا الحدّ **لم تدركوا أن الثبوت يحتاج إلى علة، والسقوط كذلك؟!** للأسف لم تصلوا للعلم، وهذه كلماتُ من تُطبَعُ كتبهم في مصر والسعودية ويُكتب عنهم أنّهم أئمةٌ ويُعطَون ألقاباً متعددة!

هل زالت أهلية خلافة عليٍّ برحلة النبي أم لا؟

إذا قلتم أنّها زالت، فقد صارت **علّةُ زوالها رحلة النبي!** وينبغي أن يكون هناك **سنخيّةٌ بين العلّة والمعلول، فما الربط بين رحيل النبي** صلى الله عليه وآله **وزوال أهلية خلافة عليٍّ** عليه السلام ؟

أين العقل؟ النتيجة أن **المعلول قد تحقَّقَ بلا علّة!**

نعم، زوال أهليّة خلافة عليٍّ عليه السلام يمكن أن يتحقق بأمرين: أحدهما: **بزوال العلم**، وثانيهما: **زوال العمل**، كما ثبتت بهما، **فهل ذهب عِلمُ عليٍّ برحيل النبي؟** وقد قال ذلك الشخص بالاتفاق: لولا عليٌّ لهلك عُمَر، وقال: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن!

هل ذهب علم من اتفق الجميع على أنه أعلم الأمة؟ علي عليه السلام.. ونَصَّت على ذلك عائشة وصريح كلام معاوية، **إذاً لم يذهب العِلم، والعَمَل كذلك،** فإنّه لم يذهب بالاتفاق أيضاً، فقد **بقيت هذه الأهليّة** إذاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله كما كانت في حياته، وذلك بحكم العقل والبرهان.

فإذا قلتم: إن علياً لم يتغيّر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يَزُل علمُه وعمَلُه، ولكن أهليّة خلافته ذهبت، **نسأل: ما هي علة زوال الأهلية؟**

إذا صَمَتُّم ولم تجيبوا: **يكون معلولاً بلا علة! وتَرَجُّحاً بلا مُرَجِّح!**

غاية الأمر أنه ينبغي ان تدركوا أنّ بين التَرَجُّح بلا مُرَجِّحٍ والترجيح بلا مرجحٍ فرقٌ، فكلٌّ منها من باب.

والإلتزام بأن **أهليّة علي بن أبي طالب للخلافة على القوم في حياة النبي** ﷺ ـ الثابتة بمقتضى نص القرآن وحديث المنزلة ـ قد سقطت بوفاة النبي، هذا الالتزام في نهاية **البُعد عن القواعد العقلية**، وهو **التزامٌ بتحقُّق المعلول بلا علّة**.

فلا خيار لكم، إلا أن تقولوا أنّه كما كان أهلاً للخلافة في زمان النبي ﷺ **تثبت له هذه الأهلية بعد وفاة النبي** ﷺ **بالبرهان العقلي**، ولو لم يثبت ذلك، ولم يجلس على تلك الكرسي.. فما هي لوازم ذلك؟ هذا يكفي، المهم هو هذا.

ثانياً: لا ترديد ولا تأمُّل لأيِّ عاقلٍ بأنّ **هارون لو بقي حياً بعد موسى** عليه السلام **فإنّه سيكون خليفته**، وهو الذي ورد عنه في نَصّ القرآن ﴿هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي﴾ وقال له موسى ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾.

ينبغي أن يُفهم أنّ هارون وإن ذهب في زمان موسى عليه السلام، إلا أنّ **أهليتّه لخلافة موسى لا تسقط بعد وفاته** عليه السلام، فإنّ **التفاوت بين ذهابه وذهاب أهليّته كالتفاوت بين السماء والأرض**، فهارونُ وإن ذَهَب، إلا أن أهليّته لم تذهب.

إلى هذا الحدِّ لا وَعيَ عندكم؟! ثم صار أحدكم باقلانيّ و..؟ وحصرتم الأهليّة بزمان حياة النبي ﷺ؟! وليس البحث في الخلافة، إنما في أهليّة الخلافة، مَن هو المؤهل ومن هو غير المؤهل.

مُدَّعَى هذا المذهب أنّ المؤهّل لخلافة الخاتم ﷺ **هو عليُّ بنُ أبي طالب**

عليه السلام، وبرهان الأهليّة **القرآن وحديث المنزلة، وزوال هذه الأهلية برحلة النبي محالٌ**، اثنان واثنان أربعة: **عليُّ بن أبي طالب** عليه السلام **أهلٌ لذلك، وأبو بكر وعمر وعثمان ليسوا أهلاً لذلك**. هذا البرهان، وهذه نتيجته.

النتيجة: ضلال المذاهب الأربعة

هذه الرواية[1] التي صَدرُها حديث المنزلة، مُذَيَّلَةٌ بذيلٍ، وهذا الذيل يوضح ملاك الخلافة المطلقة للخاتم صلى الله عليه وآله في حياته ومماته، والتوجُّه لهذا الذيل مهمٌ، حيث أن نسبة الذيل لصدر الحديث نسبة العلة للمعلول، وهذه العلّة هي العلة المحدِثة للخلافة، **وانفكاك المعلول عن علّته التامة محال**، وهذا برهان قاطعٌ وهو ختم الكلام.

متن الرواية: **ولمّا نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلي**[2].

وههنا مباحث:

الأول: أنّ نَصّ الآية يتضمن دعوة النبي صلى الله عليه وآله لتمام أساقفة نجران للمباهلة بحيث يدعو النبيُّ ﴿أَنْفُسَنا﴾ وتدعون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، وندعو ﴿أَبْنَاءنَا﴾ وتدعون ﴿أَبْنَاءكُمْ﴾، وندعو ﴿نِساءَنا﴾ وأنتم تدعون ﴿نِساءَكُمْ﴾ ﴿ثُمَّ نَبْتَهِل..﴾.

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١-٢-٢٠١٤ م.

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص١٢١.

والسؤال هنا: من دعا النبي صلى الله عليه وآله في مقابل دعوة الأبناء؟ إنّهم الحسن والحسين عليهما السلام بالإتفاق.

ومن دعا مقابل دعوة النساء؟ شخصٌ واحد بالاتفاق، هي فاطمة الزهراء عليها السلام، **وفي مقابل دعوة (أَنْفُسنا) دعا شخصاً واحداً هو عليٌّ المرتضى** عليه السلام.

فتعيّنت الكبرى والصغرى بحكم القرآن وبالنصّ الصحيح، **بحيث صار عليٌّ نفس النبي** صلى الله عليه وآله، **فهل يمكن مع وجود نفس الشخص أن يُملأ خلأ وجوده بغير هذه النفس**؟ هذا القرآن وهذا البرهان.

إذاً عَليٌّ بنصّ هذه الرواية، وبحكم الكتاب والسنة: هو **نفس الخاتم، وملاك وعلة الخلافة هي هذه النفسيّة**، وقد كانت هذه العلّة ثابتة له في حياة النبي صلى الله عليه وآله، وفصله عن الخلافة برحيل النبي صلى الله عليه وآله عن الدنيا يعني **تفكيك العلّة عن المعلول**.

ثانياً: دعا صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: **اللهم هؤلاء أهلي**.

لو فُهِمَت هذه الجملة هل تبقى شبهةٌ عند أحد؟ لو اجتمع كلُّ علماء المذاهب الأربعة فهل يمكنهم أن يجيبوا على هذه الجملة وعلى القرآن الكريم؟

اللهم هؤلاء أهلي: أثبَتَت أن **علياً أوّل أهله**، ونصُّ القرآن: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[1].

فهو تطهيرٌ من مُطلَق الرِّجس، فقد أذهب عنهم الرجس وطهَّرهم **بالتطهير الإلهي**، بالطهارة التي تفوق البيان والإدراك، والمرجع أيضاً هو القرآن الكريم:

---

(١) الأحزاب ٣٣.

﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[1]، ومدلول هذه الآية أنه لو كان لروحٍ أدنى مرض فإنها مبتلاةٌ بالرجس، أما **الروح المنزّهة عن الرجس** فهي التي تكون قد وصلت الى حدٍّ تنزهت فيه عن كلّ مرضٍ نفساني.

وتكون النتيجة أن الجهل مَرَضٌ للروح، والكبر مرضٌ للروح، وكلُّ معصيةٍ مرضٌ للقلب، **والمنزّه عن الرجس هو المنزّه عن الجهل والمعصية**.

هل كان أبو بكر منزّهاً عن الجهل والمعصية أم لا؟ هل كان عُمَر بن الخطاب منزهاً عن الجهل أم لا؟ هل كان عثمان منزهاً أم لا؟

لقد نصَّ القرآن والسنة على أنّ **علياً منزّهٌ عن كلِّ رجس**، ودلّت السنة القطعيّة أنّ **غير عليٍّ ملوّثٌ بالأرجاس!**

سبعون مرة: **لولا عليٌّ لهلك عمر، تُبَيِّن أيَّ أرجاسٍ حَمَلَها من الجهالات، فهل لِلَوثَةِ الجهل ملاكٌ لخلافة النبي** صلى الله عليه وآله؟ هذه الحجة البالغة.

اللّهم هؤلاء أهلي: ونصّ القرآن: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ ﴿**وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾.

فالنتيجة أن **علياً أصبح عقلَ الكلّ وكلَّ العقل**، لأنه **خالٍ من كلّ رِجسٍ**، والجهلُ بحكم القرآن رِجسٌ، فَعَليٌّ منزّه عنه.

والنتيجة **أنّه** عليه السلام **كلّ العلم وعلم الكل**، لأنّ كلّ جهلٍ رجسٌ، ومطلق الرجس زائلٌ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بِنَصِّ القرآن.

---

(١) التوبة ١٢٥.

وختم الكلام عن هذه الرواية: **ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيّفٍ وعشرين صحابياً**[١].

هذا الحديث قد روي عما يزيد عن عشرين صحابياً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وهذه كلماتُ من لم يأت مثله في تاريخ العامة في معاداة مذهب الشيعة! هذه الحجة البالغة.

قال (ابن حجر): **وفي روايةٍ صحيحة: إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما:** دقِّقوا جيداً، فإنّ الطرف المخاطب كلُّ الأمّة حتى القيامة، فكلهم مأمورون بالتبعية لأمرين: **كتاب الله وأهل بيتي عترتي**، وفي هذه الرواية قد اختار صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: **اللهم إن هؤلاء أهلي**: فأثبَتَ أنّ هؤلاء هم أهله وعترته، وفي تلك الجملة أَمَرَ كل الأمة باتباع شيئين: القرآن والعترة.

قال ابن حجر:

ثم أحقُّ من يُتمَسَّك به منهم: أنسب من يُتَمَسَّكُ به وهو قرين القرآن ويُتَّبَع:

إمامهم وعالمهم عليّ بن أبي طالب: ولأنّا نقرأ كلامه فإن الأمانة تقتضي أن نقرأ الكلام كما هو: **كرّم الله وجهه**: إنّ أنسب من ينبغي على كلّ الأمة التمسُّك به هو عليّ بن أبي طالب، لماذا وما الدليل؟

لما قدّمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته: والسؤال لهؤلاء جميعاً: إذا كان عليٌّ عترة النبي صلى الله عليه وآله، وقد قال النبي: إني تارك فيكم أمرين: كتاب الله وعترتي

(١) الصواعق المحرقة ص١٥٠.

لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما، وإذا كانت **كلّ الأمة مأمورة بالتمسك به واتباعه، فهل الخلافة غير ذلك؟!** أين العقل؟!

إن أقروا بذلك فلا اختلاف بعد ذلك، هذه الحجة البالغة.

ومن ثم قال أبو بكر رضي الله عنه: عليٌّ عترة رسول الله: هذا كلام أبي بكر بنقل ابن حجر الهيثمي! فكَونُ عليٍّ عترة رسول الله هي **الصغرى. والكبرى**: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما أبداً.

النتيجة: أنّ **كلَّ من قدّم غير عليٍّ عليه يدخل في أهل الضلال** بنصّ القرآن، **وينبغي البراءة منهم جميعاً**، لأن السنّة القطعية قد حصرت عدم الضلال بالتمسك بعليّ بن أبي طالب، وتكون النتيجة أنّ **مَن قدّم غير عليٍّ على عليٍّ** عليه السلام **قد وقع في الضلال**، وأصبح من الضالين كائناً من كان: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾.

نتيجة البحث القطعي: أنه ثبت بحكم القرآن والسنة القطعية، وثبت بقول أكثر علماء السنة تعصُّباً: **أن المذاهب الأربعة للعامة كلُّها من أهل الضلال، والصراط المستقيم في خلافة علي بن أبي طالب** عليه السلام **للنبي** صلى الله عليه وآله **بلا فصل**.

الرواية الثالثة: عليٌّ مع القرآن

الحديث الثالث[1] هو الحديث الذي التزم أصحاب المجاميع الروائية عند العامة بصحته سنداً، حتّى أنّ من كان دأبهم المناقشة في أحاديث الفضائل صرّحوا بصحته، وهذا متن الحديث: **عليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ، لن يتفرّقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض**[2]. وهذه الرواية صحيحة السند عند العامة، غاية الأمر أن **فقه الحديث مُشكِلٌ جداً**.

المطلب الأول: أن **المعيّة من المفاهيم الإضافية**، وليس للمفاهيم الإضافية وجودٌ استقلاليّ، بل إنّها قائمةٌ بغيرها، وموجودةٌ بوجوده، كالفوقيّة، والمهمُّ في هذا الحديث هذه الجهة: **عليٌّ مع القرآن**.

هذه المعيّة قائمةٌ بين هذين الطرفين بهما، وإذا قام مفهومٌ بمفهومين، فإنّه من الناحية العلميّة يوجب إقامة البرهان على أنّ المعنى الإضافي القائم بهذين الطرفين **يحقِّق الوحدة**، وهذا رمزٌ مهمٌ في فقه هذا الحديث.

المعيّة مفهومٌ، وإذا قام هذا المفهوم بطرفين فإنّ **قيام المفهوم الواحد بطرفين لا يُعقل إلا مع وحدة الطرفين**، لذا فإنّ المعيّة تختلف عن الفوقيّة، فالفوقيّة من المفاهيم الإضافيّة مختلفة الأطراف، والفوقيّة قائمة بالفوق، في قبال التحتيّة القائمة بالتّحت، أمّا **المعيّة فهي مفهومٌ واحدٌ** قائم بطرفيه.

غاية الأمر أن أحداً من علماء العامة لم يَنَل هذه الدقائق، ويمكن أن يبحث

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٣ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ الموافق ٣-٢-٢٠١٤ م.

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٤، المعجم الأوسط للطبراني ج٥ ص١٣٥ وغيرها من المصادر.

أهل التتّبع ليروا هل تعرّض أحدٌ لذلك؟

فقه الحديث هو المهمّ، قال الإمام عليه السلام: **اعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنَا عِنْدَنَا عَلَى قَدْرِ رِوَايَتِهِمْ عَنَّا وَفَهْمِهِمْ مِنَّا**[1]، وعنه عليه السلام: **حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ الفِ حَدِيثٍ تَرْوِيه**[2]، هذا المطلب الأول الذي ينبغي الوصول لشرحه لاحقاً.

العجزُ عن معرفة القرآن

المطلب الثاني: أن كلام الخاتم صلى الله عليه وآله الذي هو خَتم الكلمات، مشتملٌ على قضيّتين لا واحدة: القضية الأولى: **عليٌّ مع القرآن**، والقضية الثانية: **والقرآنُ مع عليّ**، وتندرج في هذا التعدد حقائق أيضاً، ولا يمكن فهم المعيّة ما لم يُفهم الطرف في هذا المفهوم، فتكون النتيجة أنّه ينبغي فَهمُ القرآن أولاً في قوله (**عليٌّ مع القرآن**)، وفهمُ عليٍّ في قوله (**والقرآنُ مع عليّ**).

وهذا البحث عميقٌ، ونحن نشرع فعلاً بقدرِ ما يشاء الله.

عليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ: كيف كان سيظهر الحق لو فُهِمَ هذا الحديث فقط؟ وبعد أن قال النبي صلى الله عليه وآله هاتين الجملتين قال: **لن يتفرّقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض**، والتعبير هنا أيضاً عميقٌ، لم يقل: لن (يفترقا)، إنما لن (يتفرّقا)، الهيئة هيئة تَفَعُّل، الوحدة مثل هذه الوحدة، فهل فَهِمَ مفسروا العامة القرآن مع كل التفاسير التي كتبوها والعمر الذي صرفوه؟ هل عرفوا القرآن وموطنه؟

ما بَلَغَهُ عِدَّةٌ منهم هو قشورُ بعض الأحاديث، وقد بقيَ لُبُّها!

---

(١) الغيبة للنعماني ص٢٩.

(٢) معاني الأخبار ص٢.

هنا **يمكن أن تُطرحَ شبهةٌ**، فقد قلنا أنّه ينبغي في الجملة الأولى معرفة القرآن، لأنه قال: **عليٌّ مع القرآن**. وفي الجملة الثانية ينبغي معرفة عليّ، **وهذا دورٌ**.

ولكنّ الدور يقع في **صورة وحدة الجهة**: فإذا أردتَ أن تُظهِرَ عظمة مُعَلِّمٍ ما، تنحصر الطريق بإظهار عظمة العِلم، وبعظمة العلم تتضح عظمة المعلم، أما لو أردت أن تُظهِرَ عظمة العِلم، فينبغي أولاً معرفة العالم، **هذا اختلاف الجهة**.

عظمة المُعَلِّم بعظمة الكتاب والعِلم الذي يفسّره، فمثلاً من يتمكن من شرح كتاب الجواهر يختلف عمّن يتمكن من تعليم المعالم أو شرح اللُّمعة، ومن يُعلِّم مكاسب الشيخ ويستخرج دقائق كلمات الشيخ يختلف عمّن يعلّم المختصر النافع للمحقق ويشرحه.

أين شَرحُ الجواهر وأين شَرحُ المعتبر للمحقق؟ أين تَعليمُ هذا وتَعليمُ ذاك؟ كم يختلف المُعَلِّم؟ **لذا ينبغي أن تُعلَم المَعيّة، عليٌّ مَعَ من؟** وبماذا معه؟

ذاك هو القرآن، **والقرآن ليس قابلاً للمعرفة عند أحد**، لا يُعقل أن يوجد أحدٌ يتمكن من أن يقول: أنا عرفت القرآن، لماذا؟ لأن للقرآن ظهراً وبطناً، وللبطن بطنٌ، **لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَلَا تُبْلَى غَرَائِبُه**، فمن وُجِدَ عنده العقل **لا يُمكن أن يدّعي الوصول إلى القرآن الكريم**، نَعَم أمثال الشيخ الأنصاري، والشهيد الأول، يمكنهم القول أنّا وصلنا إلى **مرحلةٍ من مراحل القرآن**.

هذا الكتاب لا يُدرَكُ ولا يُوصف، عظمته إلى هذا الحدّ، غاية الأمر أنّ **طريق معرفة العظمة أيضاً هي نفس القرآن**.

طلوع الشمس دليلٌ على الشمس، ففي معرفة الشّمس لا يمكن الرجوع

لغيرها، و**القرآن شمسٌ، هو سماءُ النبوّة، وعِلمُ وحكمَةُ الخاتميّة**، وينبغي أن تكون معرفته منه نفسه.

وينبغي أولاً فهم طرف الإضافة مع القرآن الكريم، فالنكتة المهمّة مثلاً أنّه في الأشهر الإثني عشر هناك شهرٌ واحدٌ هو شهر الله بالاتفاق، وهو شهر رمضان، وعندما أراد تعالى **التعريف بشهر الله كان التعريف بنزول القرآن** فيه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ﴾[1]، وليس في كلِّ أوقات السنة أعظم وأفضل وأشرف من ليلة القدر، وعُرِّفت **ليلة القدر بأنّها ظَرفٌ لِنَفسِ القرآن**: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ**﴾[2].

وتلك الليلة المباركة قدّ بُيِّنَت في هذه السورة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ﴾، ثم خاطب الله الخاتم صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ﴾ **فإذا كانت عَظَمَةُ ليلة القدر راجعةً إلى أن كونها ظرفاً**، وكان المظروف في هذا الظرف هو **القرآن الكريم! فما مقدار عظمته؟!**

لو كان الفخر الرازي يفهم هذا الكلام لفَهِمَ معنى: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ**. فإذا كان **شُكرُ نزول القرآن صيام شهر رمضان** الذي أنزل فيه، وأوجب الله ذلك على تمام الأمة إلى يوم القيامة، فما حال الشخص الذي **يكون مع القرآن ولا ينفصل عنه أبداً**؟ هذا من جهة الظرف.

---

(١) البقرة١٨٥.

(٢) الدخان٣.

معرفة القرآن وأثره

أما **من جهة القرآن نفسه**: فقد قال تعالى:

﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ﴾ وهنا يَحارُ العقل، الله سبحانه وتعالى عَرَّفَ نفسه بإنزال القرآن، الذات القدوس: **الله أكبر من أن يوصف**، يقول أنّي أنا نزَّلتُ ﴿أَحْسَنَ الحَدِيثِ﴾ وإلى أن يُفهم لفظ ﴿ أَحْسَنَ﴾! وأيّ أحسنيّة؟!

كلامُ الذات المحيط بتمام عوالم الوجود، والحديث الذي أنزلهُ أحسنُ مِن كلّ حَسَنٍ وكلُّ قولٍ من الأقوال بحَوله وقُوَّته، الإله الذي أنزل التوراة والانجيل والصحف ومزامير داوود، ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**﴾ جَمَعَ كلّ هذا وقال: ﴿**الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً**﴾ فصار هذا الحديث **كتاباً منزّلاً منه متّصفاً بأنه أحسن الحديث**. هذا نفس القرآن بالذات.

أما **أَثَرُ القرآن**، فأوّلاً: **لا جوهر في العالم أعلى من جوهر الهداية**، لماذا؟ ينبغي أن تكون كلُّ الكلمات مُتَوَائِمَةً مع المنطق والاستدلال، والدليل على ذلك: أنّ أمَّ الكتاب سورةُ الحمد، وكان ختم الدعاء في سورة الحمد: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾، وما هو هذا القرآن؟ ﴿**إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[1]، فصار بنفسه أحسن الحديث، **وما يهدي إليه صار أقوم الطرق**.

لو فَهِمَ وعَرفَ كلُّ علماء المذاهب الأربعة مَن هو الذي كان مع مثل هذا القرآن، وعالماً بكلّ بطونه، سيعرفون بعد ذلك لماذا قال صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ له: **يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَ الله إِلَّا أَنَا وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَنِي إِلَّا الله وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَكَ إِلَّا الله وَأَنَا.**

(١) الإسراء٩.

عليٌّ كالقرآن: يخرج الناس من الظلمات إلى النور

وصل البحث(١) في فقه الحديث إلى أنه ينبغي لمعرفة عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يعُرَف القرآنُ أولاً، يحكم بذلك المنطق والدليل، لأنّ مدلول الحديث الذي تمّت حجيته عند الفريقين: **عَليٌّ مع القرآن،** فينبغي لإدراك هذه المعيّة تعريف طرفها الآخر، ومعرفة القرآن مستحيلةٌ بغير القرآن نفسه، لذا ينبغي معرفة القرآن **بقدر الاستعداد** وذلك بالرجوع إليه، وإدراك حقيقة الكتاب.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ **لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾(٢).

فلو اجتمع الإنس بقدراتهم العقلية التي وُزِّعَت على كلّ الناس، وكلمة (الإنس) مُصَدَّرَة بالألف واللام، فتشمل **كلّ أفراد البشر** من صَدر الخِلقة إلى القيامة، مع الجنّ المتّصفين بتلك القدرة والإحاطة، وتشمل كلّ أفراد الجنّ، إذا كانا معاً **مجتمعين،** بأن تمركزت كلُّ القوى، على الإتيان بمثل هذا القرآن، **لا يأتون بمثله،** وههنا بحثٌ مفصل، ﴿علَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ﴾، لا نفس القرآن، إنما بالمماثِل للقرآن، فلا يأتون بمثله. فما معنى هذه الجملة؟

معناها أن **اللفظ والمعنى والقالب والمحتوى كلُّه فوق قدرة الإنسان، وفوق قدرة الجنّ،** وهذا نموذجٌ عن عظمة القرآن.

أما سرُّ المطلب: **فلماذا عَجِزَ الإنس والجنّ** ولم يقدروا على ذلك؟ إذا فُهِمَ ما

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٨ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ٨-٢-٢٠١٤ م.

(٢) الإسراء٨٨.

الذي في القرآن يُعرَف وجه عجز كلّ الجنّ والإنس.

﴿ألم﴾ ﴿حم * عسق﴾ ﴿كهيعص﴾ ﴿طس﴾ ﴿طسم﴾..

لو فُهِمَت هذه الحروف، وعُرِفَ تركيبها، لحصلت القدرة على التصرُّف في كلّ عالم الإمكان، **ومِن أين للإنس والجنّ معرفة تركيب وتأليف هذه الحروف** حتى يصلوا لبطون هذا الكتاب؟

وقد قال تعالى: **﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**(1).

كلُّ هذا إدراكٌ لعدم الإدراك، وهذا هو المهمّ.. منزِلُ الكتاب هو الله تعالى، يا هو، **يا من لا يعلم ما هو إلا هو**، المنزِلُ هو هذا، أما الْمُنَزَّلُ عليه، **﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾** لا إلى موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام، **المنزِلُ هو الذاتُ التي لا تتناهى، والمنزَلُ عليه هو عقلُ الكلّ**، وخَتم الرسل، أوّلُ شخص في عالم الإمكان.

ما هي **غاية الإنزال؟** **﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾** هنا يَحارُ العقل، الغايةُ هي إخراجُ كلِّ البشريّة، كلُّ من يُطلَق عليه أنّه من الناس، لتخرجهم كلّهم **﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾** فما هي تلك الظلمات أيضاً؟ ما أثر ألف ولام **﴿الظُّلُمَاتِ﴾**؟

﴿إِلَى النُّورِ﴾: فما هو النور؟ وما هي تلك الظلمات؟ **كلُّ هوىً وجهلٍ ظلمةٌ، وكلُّ أفراد البشر غرقى في هذه الظلمات، ظلمات الجهل.**

هل لدينا نحن معرفةٌ بأنفسنا؟ أبداً.. هذا الظُفرُ في حالة النموّ الآن، ثم يُقطَعُ لاحقاً، هل لدينا عِلمٌ بأظافرنا نحن؟!

---

(1) إبراهيم1.

كلّ هذه العربدة العلمية في الدنيا! ولم تُفهَم الغاية!

أهل العلم هم الذين فهموا مراتب الجهل! أمّا نحن فلا نعلم حال أظافرنا! وليس عندنا اطلاع على حال أعيُنِنَا! ولا نعرف ما جرى ويجري في عقولنا وأدمِغتنا، ولا دوران الدم في أبداننا! من أين جئنا؟ وإلى أين نذهب؟ أين نحن؟ ظلماتٌ وجهلٌ من الرأس إلى القدمين.

أُنزِلَ هذا الكتابُ إليك لتخرج كلَّ البشر من كلّ الظلمات وتوصلهم إلى النور المطلق ومطلق النور، وههنا بحثٌ مفصّل، **الظلماتُ جمعٌ، وأمّا النور فواحدٌ، فماذا يعني ذلك؟ هذه المباحث باقيةٌ على بكارتها!!**

لو فهم الآف فخرٍ رازيٍّ هذا لفهموا أن **الكتاب أبديٌّ**، ليس لزمان خاصٍّ ولا لأمّةٍ خاصّة، بل **لكلّ الأمم إلى يوم القيامة**، وههنا ينبغي أن يُحاكَموا ويجيبوا، أليس هذا نصّ القرآن: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ **لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾؟

كم أنت غارقٌ أيها الفخر الرازي في الظلمات؟ وهكذا غيرك، ألا ينبغي أن يُخرِج هذا الكتاب الجميع من ظلمات الجهالات؟ أليس هذا نصّ القرآن؟ ألا يكون **المخرِجُ الذي يخرج الناس من كلّ هذه الظلمات مع القرآن**؟ إن لم يكن كذلك، فإن نفس هذا الكتاب لغو!! لماذا؟ لأن الطِبَّ دون الطبيب، والعلم دون المُعلِّم، والقانون دون مُفَسِّر، لغوٌ بالضرورة!

إن كان هناك من سيخرجهم، **فهل هو أبو بكر؟ أنت تقول أنّه كان عاجزاً عن فهم كلمات القرآن!** هل هو عُمَر بن الخطاب؟ الذي تعترفون كلّكم أنه عاجز عن فهم آيات القرآن! قرأتم القرآن من جهةٍ، وكتبتم من جهة أخرى ذلك

الحديث: **عَليٌّ مع القرآن.**

ألم تفهموا هذا المقدار؟ أنَّ **مُخرِجَ الناس من الظلمات إلى النور** بعد الخاتم صلى الله عليه وآله هو **مَن كان بنصّ الخاتم مع القرآن والقرآن معه؟!**

هذا الكتاب وهذه السنة وهذه المبادئ القطعية، ولو نَظَرَ أيُّ أحدٍ من أهل المنطق: لَوَجَدَ الصغرى والكبرى **واستخرج النتيجة القطعية**، وهي نفيُ وإبطالُ الجميع، وإثبات ذلك الشخص: عليٌّ عليه السلام.

لا ينتهي المطلب ههنا.. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[1]، فقد نَصَّ الكتابُ أن موطن القرآن هو اللّوح المحفوظ، وينبغي أن **يكون الشخص الذي مع القرآن قد وصل إلى اللوح المحفوظ.**

إقرأ القرآن لتفهم أنّ ذلك الذي وصل إلى الكتاب المبين هو ذلك الذي قيل فيه أنّ **كلّ شيء أُحصيّ في الإمام المبين كما أحصي في القرآن المبين، فالكتاب المبين منضمٌّ للإمام المبين**، فهل كان لأبي حنيفة هذا المقدار من الإدراك ليفهم معنى أنّ كلّ شيءٍ قد أحصيناه في الكتاب المبين؟

ونفس القائل قال: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾[2]، لو كانوا قد فهموا هذا، لَفَهِموا الحديث الذي اعترفوا بصحته: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ**، فالإمام الذي أحصينا فيه كلّ شيء، والكتاب الذي أحصينا فيه كل شيء، يُجمَعُ كلُّه في: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ.**

---

(١) البروج ٢١-٢٢.

(٢) يس ١٢.

القرآن والأئمة المطهرون

البحث في الحديث الصحيح[١] الذي كان مورد اتفاق: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ، لن يتفرّقا حتى يَرِدَا عَليَّ الحوض.**

وصارت النتيجة من جهة فقه الحديث أنّ **معرفة عليٍّ ليست متيسِّرَةً إلا بمعرفة القرآن**، ومعرفة القرآن ليست مُيسَّرَةً إلا بنفس القرآن، وقد تعرَّضنا لقسم من الآيات، وهذا قسمٌ آخر: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾[٢]، ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[٣].

وهذه الآية تُحَدِّدُ مَحَلَّ القرآن، وأنّه مجيدٌ في لوحٍ محفوظ، أمّا قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، **فإنّ تعريف القرآن فيها بالمجد فوق التصور.**

ويظهر نموذج هذا المجد لو دقّقنا في سورة البقرة التي يبدأ فيها: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾ أي القرآن الذي بين الدفتين، وفي أيدينا، يُشار إليه بـ (هذا) لكنَّه **أشار إليه بلفظ البعيد**، وسِرُّ الإشارة للبعيد أن **القرآن في اللوح المحفوظ**، في كتابٍ مكنون، **والكتاب المكنون هو المحلُّ الأرفع وهو موطن القرآن.**

أما أوصاف القرآن فهو: **مجيدٌ، كريمٌ، عظيمٌ**، حكيمٌ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي **وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ ﴿يس * **وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾.

هذه الصفات الأربعة للقرآن، وهي من صفات الله تعالى، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٥ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١٥-٢-٢٠١٤ م.

(٢) البروج ٢١-٢٢.

(٣) الواقعة ٧٧-٧٩.

القُرْآنَ مِن لَّدُنْ **حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾[1]، ونتيجة هذه الكلمات أنّ القرآن مَظهَرُ حكمة الباري تعالى، والمهمّ هو ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي** كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * **لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ غاية الأمر أنّ **الموجود هو اسم التفسير فقط!** أين تَنَبَّهَ أعيان المفسرين عندهم لهذه النكات مع كل هذه التفاسير التي كُتِبَت؟!

﴿**لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ والطهارة على قسمين: طهارةٌ نُحَصِّلها: كالطهارة من الخبث والحدث، فنحن المتطهِّرون ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾.

أما هنا فقال ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ وليس (الْمُتَطَهِّرون) وكل ما هناك ففي هذه الكلمة، لا يمس هذا الكتاب إلا المطَهَّرُون، غاية الأمر أن كلّ من كتب التفاسير من العامة لم يدركوا هذه النكتة، فينحصر مَسُّه بأولئك المطهّرين، فَهُمُ الذين يصلون للقرآن، ومن هم أولئك المطهرون؟ ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[2].

المطَّهرون: فاطمة الزهراء وعليٌّ المرتضى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا المطَهَّرُونَ﴾.

لو فَهِمُوا هذه النكات **لم يتلوّثوا بالجهل والأوساخ الروحيّة فيسلبوا خلافة الخاتم** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وعمدة المشكلة عدم إدراك القرآن.

﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: لماذا لا يمسه إلا المطهرون؟ وينبغي على الجميع أن يأخذوا منهم، سِرّ ذلك أن **القرآن بنفسه مُطهَّرٌ** بالطهارة الإلهية: **فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ**[3].

---

(١) النمل٦.

(٢) الأحزاب٣٣.

(٣) الكافي ج٨ ص٣٨٧.

فالقرآن تجلٍّ لله تعالى، والتناسب بين الفاعل والقابل يوجب بحكم البرهان أن **لا يكون هذا الكتاب المُطهَّر من عند الله ممسوساً من غير المطهرين**، لأنّ النظام نظام الحكمة، وينبغي الدقة في هذه النكات، ثم يصل الكلام للغرض من نزول القرآن، فما هي حكمة إنزال هذا الكتاب؟

وبيان هذا المطلب في هذه الآية: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ **لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ فإن الغاية بعد اللام، لتحكم بين الناس، والناس كلُّ البشرية، فينبغي أن تكون حاكماً على كلِّ من تَصدُق عليه كلمة (الناس) في جميع موارد الاختلاف.

قال تعالى: ﴿وَمَا **أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[١]، والمطلب الذي لا يُنكرُهُ أحدٌ أن **ضَمّ النفي للإستثناء يفيد الحصر الحقيقيّ**، وقد استفيد غرض الإنزال من هذا الحصر في هذه الآية، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلا﴾ فهذا النفي، والإثبات: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ وهذا غرض الانزال.

وهنا ختم الكلام، حيث يطرح هذا السؤال، لأن **البحث وفق أدقّ موازين العلم، التي لا يعرفها إلا من وصل إلى مراتب التحقيق والتعمُّق العالية.**

السؤال الأول: هل النبيُّ ﷺ موجودٌ اليوم أم لا؟

السؤال الثاني: هل الناس موجودون أم لا؟

السؤال الثالث: هل هناك اختلافٌ بين الناس اليوم أم لا؟

أما النبي ﷺ فليس موجوداً، وأما الناس فمنتشرون على الكرة الأرضية،

---

(١) النحل ٦٤.

وأما الاختلاف في الأفكار والعقائد والأخلاق والأعمال فإلى ما شاء الله.

الطرف المقابل للبحث هو الفخر الرازي لا أيّاً كان، البيضاوي وجلال الدين السيوطي، من كانوا أهل تعمّق، عليهم أن يجيبوا على هذا السؤال.

بالنفي والاستثناء **فإن القرآن قد نَزَلَ حصراً لرفع الاختلاف بين الناس في جميع الأمور**، لماذا؟ لأن الآية ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ تشمل كل ما كان مورداً للاختلاف. **والسؤال لجميع أعيان المذاهب الأربعة:**

هل هناك أحدٌ مع هذا القرآن يمكنه أن يبيّن كلّ الاختلافات للناس أم لا؟

إن قلتم لا، فإن ذلك مخالفٌ لنصّ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾، ومرجع الضمير في (هم) هو الناس، ﴿**لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ في كل ما كان مورد اختلاف. **إما نعم أو لا.**

إن قلتم لا فهذا التزامٌ بأن القرآن نفسه ناقصٌ، وكلامكم مخالفٌ لنَصّ القرآن نفسه.

وإن قلتم نعم: فمن هو؟ البعض فَهِمَ ذلك، كابن حجر العسقلاني: تفحصت فوجدت أن شخصاً من عترة النبي صلى الله عليه وآله يبقى مع القرآن إلى يوم القيامة[١].

لا حلَّ إلا هذا، فلو استيقظت الدنيا **لرأت أنّ بُرهان وجود الإمام** عليه السلام **أوضحُ من أيّ برهان**، وأنّ **القرآن يبين وجوده من أوله لآخره**، لكن مَن الذي

---

(١) نصُّ كلامه: وفي أحاديث الحثّ على **التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة**، كما أن الكتاب العزيز كذلك (الصواعق المحرقة ص١٥١).

يفهم؟ **لا بُدَّ من وجود مَن يرفع الاختلاف بين كلّ الناس بالقرآن الكريم، ويُخرج البشرية بالقرآن من كل ظلمةٍ وجهلٍ إلى نور العلم**، هذا صريح القرآن، فهل هو قابل للجواب؟ لو اجتمعت الدنيا: هل يمكنهم الإجابة على هذا البرهان؟

الآن ينبغي النظر في من هو رافع الاختلاف: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **فمن هو مُخرج الناس من الظلمات بعد النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ اثنان واثنان أربعة.

أبو بكر والكلالة

أما أبو بكر، فنذكُرُ نَصَّ المطلب:

سئل أبو بكر عن الكلالة: فِطرَةُ الناس توجب أن يسألوا ويتعلّموا القرآن ممن جَلَسَ مكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فينبغي أن يُجيب من جلس مكانه على ما يجهله الناس في القرآن الكريم.

فقال: إنّي سأقول فيها برأيي: لهذه الجملة دلالةٌ مطابقية، وأخرى التزامية، أما الدلالة المطابقية فهي أنّي سأجيب على سؤالكم بحسب رأيي الخاص، والدلالة الالتزامية أنّه **ليس عندي علمٌ بكلام الله تعالى**، فهو **يعترف بِجَهله بالقرآن**، وهذا صريحُ كلامه الذي نقله الجميع، والمهم ما قال بعد ذلك:

فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان: هذا المطلب الذي وقع مورد تصديق أهل الفنّ من المفسرين والمحدثين، أنّه **لم يعرف معنى كلمةٍ من كلمات القرآن**، عندما سألوه عن معنى الكلالة في القرآن فقال أنّه لا يعرف، وأنه سيقول برأيه، فإن كان حقاً فمن الله، وإن كان باطلاً فمن نفسه ومن

الشيطان الذي معه. هذا اعتراف الخليفة الأول.

أبو بكر وعمر والتلاعب بقانون الله!

الآية مورد الكلام(١): أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢).

وهذه الآية الكريمة في مورد استفتاء الرسول صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ حول ميراث الكلالة، وفي هذه السورة ذُكِرَ بحث الكلالة في مورد آخر.

لقد قرأنا الآية، وموضوع الاستفتاء هو الكلالة، ومورد البحث هو إرث الكلالة، ونهاية الآية تدل على أن الله يبيِّن لئلا تضلوا، **فالنتيجة أنَّ مَن لم يفهم الآية يكون من الضّالين** بِنَصِّ الآية، وهذا المطلب يُستفاد من صريح الآية.

بعد ذلك ينبغي النّظر فيما ورد في السُنة، ومقتضى الأمانة أن ننقُلَ نصَّ ما نقله الدارمي في السنن الكبرى ج٢ ص٣٦٦، وبقية المفسرين:

سئل أبو بكر عن الكلالة فقال: إني سأقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان، أراه ما خلا الوالد والولد، فلما استخلف عمر قال: إني لأستحيي الله أن أرُدَّ شيئاً قاله أبو بكر.

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٧ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١٧-٢-٢٠١٤ م.

(٢) النساء١٧٦.

وهنا **مطالب**:

المطلب الأول: هل أنّ من جلس مكان النبي ﷺ يتحمل مسؤولية الجواب عن آيات القرآن أم لا؟ ماذا يعني الخليفة؟ الخليفة يعني **من ينوب عن أحد**، وينبغي أن **يقوم بالدور الذي كان يقوم به المنوب عنه**، إنّ قِوَام الخلافة بذلك. فما هي وظيفة خليفة الرسول؟ إذا كان خليفة أي أحدٍ دون تأملٍ هو الذي يملأ خلأ وفراغ وجود المستخلف عنه، **فإذا لم يتمكن طبيبٌ من الحضور للعيادة هل يمكن ان يُجلِسَ بقّالاً مكانه أو عطّاراً أم ينبغي أن يُجلِسَ طبيباً**؟

إذا لم يتمكّن الشيخ الأنصاري من إكمال درسه، **فمن يا تُرى ينبغي أن يجلس محلَّ الشيخ؟ الدكتور؟ أستاذ الرياضيات؟ أم فقيهٌ** كالميرزا الشيرازي أو الميرزا الرشتي؟ هذا برهانٌ، وهذا هو مقتضى القاعدة، لتكون مسؤولية أبي بكر مطابقةً للمنطق والاستدلال.

أما الجواب الذي أجاب به هذا الشخص: **إنِّي سأقول فيها برأيي**: وهنا أوَّلُ خطأ، سأجيب سريعاً في تفسير الكلالة برأيي، وههنا يُطرَحُ سؤالٌ على علماء المذاهب الأربعة حول هذه القضية المسلمة: **هل لأيّ أحدٍ أن يتحدث برأيه في القرآن الكريم؟ مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار**.

كلامُ الله ليس لعبةً، نفس قوله: **(سأقول فيها برأيي) دليلٌ قاطعٌ على بطلان خلافته**، فينبغي أن **يُبيَّن كلامُ الله بواسطة مَن يُعَيِّنُه الله تعالى**، وهذه القضية كالمملكة التي لها قانونٌ ثم يُسأل أحدهم عن تفسير قانونها، هل يحقّ له أن يقول: **أني سأفسر القانون برأيي أنا؟! لو كان هناك عقلٌ لما وصلت الأمور إلى هنا!**

القانون الذي يُقنِّنُه الآخر: **ما دورك أنت كي تفسِّرَ قانونه برأيك أنت؟**

أليس القرآن قانون الله تعالى؟ أم لا؟ إن كان قانونَ الله تعالى فليُجِب علماء المذاهب الأربعة: **كيف لهذا الشخص المعروف بغاية الجهل أن يقول: سأقول فيها برأيي!** قانونُ الله يتلاعب به رأيُ أبي بكر بن أبي قحافة؟! هذا **المطلب الثاني**.

المطلب الثالث: اعتراف هذا الشخص نفسه بأنّه **لا يعرف إن كان ما يقوله حقٌ أم لا، وإقرار العقلاء على أنفسهم جائزٌ**، والإقرار حجةٌ عند كلِّ الأمم.

فهل دَرَسَ هؤلاء أم لا؟ إن درسوا فإنّ إقرار العقلاء على أنفسهم جائزٌ نافذٌ **بحكم جميع الملل والأديان والمذاهب**، وهذا الشخص يُقِرُّ صريحاً أني ليس عندي علم إن كان رأيي حقاً أو باطلاً!!

هل لمن لا يعلم أن كلامَهُ حقٌّ أو باطلٌ حَقٌّ في أن يتكلم؟! هذا السؤال موجَّهٌ لعلماء المذاهب الأربعة: مَن كانت له قدرة فليجب!

ينبغي أن يسكت مِثلُ هذا بحكم العقل، فإنّ وظيفة الجاهل عقلاً عبارةٌ عن السكوت مقابل ما لا يعلم، وبحكم الدين أيضاً والقرآن، فإنّ نَصَّ كلام الله تعالى **﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولِئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾**[1]. **كم هو خطير هذا المطلب!**

هذا القرآن، وهذا العقل، وهذا الحديث الذي نَقَلَهُ جميع أعيان مفسري العامة واعترفوا به، مِن أنَّه يُفَسِّرُ كلامه برأيه رغم اعترافه بجهله.

المطلب الرابع: قال: **وإن كان خطأ فمنّي ومن الشيطان**: فهل لمن يعترف **باحتمال أن يكون قوله من الشيطان والرحمن أن يكون إمام الأمة؟** هذا البحث مع

(١) الإسراء٣٦.

من كتبوا هذه الأمور بأنفسهم، لا مع الكليني والشيخ الطوسي، بل مع الدارمي، مع الصحاح والسنن، مع أئمة المذاهب ومن يرجعون لتفسير ابن كثير، فما هو الجواب يا ترى؟ **ما هو جوابهم مقابل هذا الكلام غداً يوم القيامة في محكمة العدل**؟ إلى هنا مرَّ فِعلُ أبي بكر نفسه.

عمر والكلالة

ثم: **فلما استخلف عمر قال: إني لأستحيي الله أن أَرُدَّ شيئاً قاله أبو بكر**.

أبو بكر يُصَرِّحُ أنّه يقول برأيه الذي يحتمل أن يكون من الشيطان، **فكيف تستحي أنت من ردّ هذه الكلمة**؟ أليست هذه الكلمة مخالفة للقرآن الكريم؟ إن قلتم كلا فأجيبوا، وإن قلتم أنّها مخالفة: أفلا تخجل من القول بأنك تستحي من الله في مخالفة أبي بكر؟! هذا أبو بكر وهذا عمر.

هذه القضية وحدها كافيةٌ **لإتمام الحجة** على كلّ الذين يعتقدون بالتفاسير والسنن، **فماذا سيجيبون في محكمة العقل والمنطق**؟! هل فكروا بيوم القيامة؟

ثم إن نتيجة قوله (**إني لأستحيي**..) أَنَّهُ قَبِلَ كلام أبي بكر!

وما يهدم مذهب العامة من جذوره هي هذه التَتِمَّة، وقد اعترف بصحة هذه القضية كلُّ علماء الرجال عند العامة، نحن نتحدث بمثل هذا المنطق، فإنهم يصرحون أنّ سند هذه القضية والرواية هو نفس السند الذي يعتمد عليه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهذا الحديث هو (والكلام لعمر): **ثلاثٌ لئن يكون النبيّ** صلى الله عليه وآله **بيّنهم لنا أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها**: وإحدى هذه

المطالب الثلاثة: **الكلالة**[١].

ما هو جوابهم يا ترى؟ هذا **برهانٌ على بطلان المذاهب الأربعة** من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، فمِن جِهةٍ قَبِلَ ما قاله أبو بكر، وقال مثله للناس، ومن جهةٍ أخرى يعترف بنفسه أنّه لا يعرف، ولو كان النبيّ بيّنها لهم لكان ذلك أحب له من الدنيا وما فيها!

هذا مذهبٌ يا ترى؟! هذا ما نقوله أنّ **مذهب الشيعة مظلوم.**

بمثل هذا الجاهل قتلوا الصديقة الزهراء!

كان بحثُنا في الكلالة[٢]، وهذه القضيّة **حُجةٌ بالغةٌ على إبطال الباطل وإحقاق الحق**، غاية الأمر أنّه ينبغي أن **تُحَلَّلَ تحت مِجهَرِ العلم** من المبدأ للمنتهى.

أمّا مبدأ هذه القضية، فإنّ ما نقله الأعيان والأركان كابن كثير، وهو مِن الأئمة الذين وقعوا مورد قبول الكلّ هو ما يلي:

أنّ عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تورث الكلالة؟

قال: فأنزل الله ﴿يستفتونك﴾ الآية.

قال: فكأنَّ عمر لم يفهم، فقال لحفصة: إذا رأيتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم طِيب نفسٍ فسَليه عنها.

فرأت منه طِيبَ نفسٍ فسألته عنها، فقال: أبوك ذكر لك هذا؟ ما أرى أباك

(١) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٣٠٤.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٢ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٢-٢-٢٠١٤ م.

يعلمها.

قال: فكان عمر يقول: ما أراني أعلمها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال[١].

هذه الكلمات حجةٌ، فماذا يقول ابن كثير؟ وبماذا يجيب؟ النبي ﷺ يقول: **ما أرى أباك يعلمها!!** أيُّ مرتبة من الجهل يثبتها هذا الكلام؟! حتى أن شخص الخاتم ﷺ يقول: **ما أرى أباك يعلمها!!** والنتيجة أنه ﷺ لم يجبها، وقال عمر أنّه **محرومٌ من علمها للأبد.**

والسؤال لأمثال ابن كثير والفخر الرازي، وكلِّ علماء العامة: **أيُّ أهليَّةٍ لشخصٍ في هذه المرتبة من المستوى الفكريّ المتدني؟!** لدرجة أنه لا يمكن أن يفهم آيةً أولاً! ويوسطّ حفصة ثانياً لتسأل النبي ﷺ ! ثم يقول لها النبي ﷺ أنّ أباها هو الذي سأل، وأنه لا يرى أنّه سيعلم هذه الجملة!

بعد كل هذا، فإن الحجّة البالغة في ما يلي وهو صحيح السند:

أخذ عمرُ كتفاً وجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: لأقضين في الكلالة قضاءً تُحَدِّثُ به النساء في خدورهن.

فخرجت حينئذ حيَّةٌ من البيت فتفرقوا، فقال: لو أراد الله عز وجل أن يتم هذا الأمر لأتمَّه. وهذا إسناد صحيح[٢].

فإنّ مَن سَلّم أنّه سيبقى جاهلاً بها إلى الأبد، جَمع الناس ليحكم في نفس

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٦٠٨.

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص٦٠٨.

القضية! والمهمُّ بعد هاتين القضيتين، أنّ أبا بكر يُسأل فيقول: لا أعلم! وسأقول برأيي! وإن أخطأت فمن الشيطان! ثم عمر نفسه عندما صار خليفة قال أنّ الكلام في الكلالة هو نفس ما قاله أبو بكر!

فبماذا تجيب الدنيا على هذه التناقضات؟ مَن يكون بمثل هذا المستوى من البداية للنهاية، **هل يكون لائقاً بخلافة خاتم النبيين** صلى الله عليه وآله ؟

هذه ليست كلمات علماء مذهبنا، هذه مطالب مسلمة عند أعلام العامة!

وكيف يحلّ هذه **المعضلة** كلُّ من يعتقد بخلافة هؤلاء الرجال؟!

ما هي الخلافة؟ نحن بعيدون عن التعصُّب، ونُتِمُّ الحُجَّةَ ونُحَاوِرُ بالحكمة والمنطق وِفقَ أدقّ موازين البرهان، ونحن ننقل الكلام الذي اعترفوا به جميعاً، فالخلافة عند العامة:

الخلافة هي الرياسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد وما يتعلق به من ترتيب الجيوش، والفرض للمقاتلة وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء وإقامة الحدود ورفع المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم[1].

فإنّ الخليفة هو الذي يُقيمُ الدين، والدين عند الله الإسلام، والإقامة **بإحياء العلوم الدينية**، فهل يَحِقُّ لمثل **هذا الجاهل أن ينوب عن النبي** صلى الله عليه وآله في مثل هذا العمل؟! هذا هو المُحَيِّر! يعتقدون من جهةٍ هذا الاعتقاد في الخلافة! ثم **يجعلون**

---

(١) وليّ الله الدهلوي في إزالة الخفاء، نقله عنه الميلاني في نفحات الازهار ج١٧ ص٣١٥، والسيد حامد في عبقات الأنوار ج١١ ص٢٥٧.

مَن كان جاهلاً الى هذا الحد خليفةً للنبي!

في الجهة المقابلة أمثالُ ابن كثيرٍ والفخر الرازيّ والذهبيّ لا أياً كان! نقول لهؤلاء: **الحجة البالغة الإلهية أنكم تُعَرِّفون خلافة النبي بمثل هذا التعريف،** ثم تجعلون خليفة النبي **من كان على حدٍّ من الجهل لا يعرف معه معنى كلمةٍ من القرآن!** فكيف يمكن لمثل هذا الجاهل إقامة الدين؟! الدين الذي ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾.

خَتم الكلام: مطلبٌ نقله البيهقي في السنن الكبرى، والدارمي في السنن، وبهذه الجملة يُختَمُ البحث، وهذا متن ما نقلوه:

عن الحكم بن مسعود الثقفي قال: شهدتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرك الأخوة من الأب والأم مع الأخوة من الأم في الثلث، فقال له رجل: قضيت في هذا عام أوّل بغير هذا!

قال: كيف قضيت؟

قال: جعلته للأخوة من الأم ولم تجعل للأخوة من الأب والأم شيئاً.

قال: تلك على ما قضينا، وهذا على ما قضينا[1].

فما حَكَمنا به العامَ الماضي على ما هو عليه، وما نحكم به الآن على ما هو عليه! **هل هذا دين؟!**

بمثل هذا الجاني قتلوا الصديقة الزهراء عليها السلام، وإلى الآن لم يستيقظوا من الغفلة!!

---

(١) السنن الكبرى ج٦ ص٢٥٥.

وقد وصل البعض إلى حَدٍّ من الجهل **يتأذى معه من تبيين الحقائق بهذا الشكل!!**

ولكن **رغماً عنهم جميعاً**.. ينبغي أن **تُجتَثَّ جذور الباطل من أساسه**، ويثْبُتَ الحق الضائع لأمير المؤمنين عليه السلام، وأن **يُثبِتَ بابُ السيدة الزهراء الذي احترق أيَّ باطلٍ كانوا عليه! وأيّ صاحبِ حَقٍّ أجلسوا في بيته!**

ماذا يعني عليٌّ أمير المؤمنين؟

وصل البحث[1] في الكلالة إلى أنهم اعترفوا من جهةٍ بأن النبي صلى الله عليه وآله قال: **ما أرى أباك يعلمها**، أي عُمَر، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يرى أن هذا الشخص سيعرف الكلالة، وقد اعترف هو نفسه بأن النبي صلى الله عليه وآله قال ذلك، وكمال الجهل أنّه بعد هذا البيان من النبي صلى الله عليه وآله والإقرار منه، عاد ليقول أنه **سيقول في الكلالة برأيٍ تُحَدِّثُ به النساء في خدورهنّ!** ثم تعرضنا لقوله أنّه يخجلُ من رَدِّ كلام أبي بكر!

وجملته هذه عن الكلالة تثير الحيرة والدهشة: **ثلاثٌ لئن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله بيّنهم لنا أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها!**

ألا تُبَيِّنُ هذه التناقضات **مقدارَ الانحراف والضلال والجهل**؟! ومن جهةٍ أخرى الحديثُ الذي صَحَّ ولا ينكره إلا جاهل، إذ لا يمكن أن يَخدِشَ في سنده مَن عنده عِلمٌ بالرِّجال عند العامة: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ**.

ومع فِقه الحديث، وضميمةِ أنَّهُما لن ينفصلا عن بعضهما البعض، فبأيِّ منطقٍ يُقَدَّمُ مثل هذا الجاهل على مثل هذا العالم في الخلافة؟! ما هو الجواب؟!

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٤ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٤-٢-٢٠١٤ م.

ما يحيّر العقول هو أنّ هناك أكثر من سبع كتبٍ معتمدةٍ عند العامة قد نقلت الرواية التالية، ودقّقُوا في كيفية البيان:

يا أمَّ سَلَمة، اشهدي واسمعي: هذا عليٌّ أميرُ المؤمنين، وسيِّدُ المسلمين، وعَيْبَةُ عِلمي "وعاء علمي"، وبابي الذي أوتى منه[1].

وفي هذا الحديث خمسة مطالب، فبعد أن جعل أمَّ سَلَمة شاهدةً بهذه الشِدَّة والتأكيد: **اشهدي واسمعي**، قال عن علي عليه السلام:

هذا عليٌّ أميرُ المؤمنين: أحياناً يعبِّر الفخر الرازي عمّن قال عن نفسه (**كلّ الناس أفقه من عمر**) بأنه أمير المؤمنين!! إلى هذا الحدِّ ليس عنده إدراك!! فمع هذا الإقرار على نفسه كيف يمكن أن يكون أميراً للمؤمنين؟! لكن الذي يقول هنا: هذا عليٌّ أميرُ المؤمنين، هو الذي ﴿**مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾.

وسيِّدُ المسلمين: الوصف الثاني.

وعَيْبَةُ عِلمي "وعاء علمي": وهنا قد استعمل التعبيران.

وبابي الذي أوتى منه: فإنَّ طريقي تنحصر بعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهذه الكلمات تحتاج إلى شرح.

عليٌّ أميرُ المؤمنين: متى تُفهَمُ هذه الكلمة؟ عندما يُفهَمُ القرآن.

من هم المؤمنون؟ هذا نَصُّ القرآن: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي **صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ**

---

(١) المناقب للخوارزمي ص١٤٢، ينابيع المودة للقندوزي ج١ ص١٥٩وغيرها من المصادر بتفاوتٍ يسير.

فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ **هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ** * **إِلَّا** عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ * وَالَّذِينَ **هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** * وَالَّذِينَ **هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** * أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[1].

ضَمُّ هذه الآيات لذلك الحديث هو مفتاح المطلب، فإنّ خِلقَةَ الإنسان كانت مِن سُلالةٍ من طين، إلى أن وصل إلى الخلق الآخر، حتى قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ فإنّه قَد عَدَّ **ثمرة هذه الخلقة أهل الإيمان**.

لقد بُيِّنَ الإنسانُ من مبدئه لمنتهاه في هذه الآيات: فالمبدأ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ والمنتهى ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، أما معرفة المؤمنين، الذين وصلوا لحقيقة الإيمان، فمُشكِلٌ جداً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ **عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾: هذه الجملةُ وحدَها كافية، أولئك هم الذين يُعرِضُون عن مطلق اللغو، والوصول لهذا المقام يعني أنهم ممن **ليس عندهم حَرفٌ ولا فِعلٌ ولا فِكرٌ لَغويّ!**

هكذا تُفهم الروايات، وأنّ المؤمن أعزُّ من الكِبريت الأحمر، وهل رأيتَ الكبريت الأحمر؟! المؤمن **أعظم من الإكسير الأعظم، وعليٌّ أمير مثل هؤلاء!**

(١) المؤمنون١-١٤.

المُحَيِّر أنّ هؤلاء يكتبون هذه الأشياء، ثم يقولون أنّه الخليفة الرابع!! فكيف تحل المشكلة يا ترى؟! هذه الكلمة الأولى، ولا ينتهي البحث بهذا.

﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾: وإنما تفيد الحصر، وهل يا ترى نحن كذلك؟ أبداً.. المؤمنون هم الذين إذا سمعوا ذِكرَ الله وَجِلَت قلوبهم، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ فكُلَّما قرؤوا آيةً زادت في إيمانهم ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فتوَكُّلُهم على الله حصراً.

فإن كان هذا مقامُهم، فما هو مقام أميرهم؟!

يا أمَّ سَلَمة، اشهدي واسمعي: هذا عليٌّ أميرُ المؤمنين.

ثم يصل إلى قوله ﷺ: **سيِّدُ المسلمين**: ما هو الإسلام؟ ومن هو المسلم؟ اقرؤوا القرآن لتعرفوا ما هو الإسلام ومن هو المسلم، أمّا الإسلام ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**﴾، وأمّا المسلم ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ** وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(1).

عليٌّ سَيِّدُ المسلمين، **فكُلُّ مَن كان تحت راية الإسلام يكون تحت بيرق سيادة عليّ بن أبي طالب** عليه السلام، هذه الكلمة الثانية. أما الثالثة:

عَيْبَةُ عِلمي: ما هي العيبة؟ وما هو علمه؟

العَيْبَةُ عبارةٌ عن ذلك الظَّرف الذي تُدَّخَرُ فيه النفائس، فيقال له عَيْبَة.

---

(١) البقرة ١٢٧-١٢٨.

قد يقال عن أحدٍ أنّه عَيبةُ عِلم موسى بن عمران، وهذا المقدار يُعجِزُ العقل، فمن هو موسى عليه السلام؟ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الالوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

فعَيْبَةُ عِلم موسى عليه السلام غيرُ قابلةٍ لإدراكنا، وَعَيْبَةُ علم إبراهيم عليه السلام غير قابلة لأفهامنا، **وكُلُّهُم تحت شعاع الشمس**، تلك الشمس التي قال الله تعالى عن عِلمها ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾، فصار عليٌّ عَيْبَة العِلم الذي عَلَّمه الله بعظمته، وأودعه في صدر النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، ومعنى هذه الكلمة أنّ **علم تمام الأنبياء من آدم إلى الخاتم كلُّه في قلب علي بن أبي طالب** عليه السلام.

لابن دريد كلامٌ طَرحُهُ لازمٌ، قال عن هذه العبارة:

وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل به في إرادة اختصاصه بأُموره الباطنة التي لا يطّلع عليها أحد غيره: أي أنّ قوله صلى الله عليه وآله (عليٌّ عيبة علمي) يعني أنّ تلك الأمور الباطنة والعلوم المخفية التي لم يطلع عليها أحدٌ، كلُّها قد أودعت عند علي بن أبي طالب عليه السلام.

وذلك غايةٌ في مدح عليّ: فلا يمكن مدحُ عليٍّ بأرفع من ذلك.

وقد كانت ضمائر أعدائه منطويةً على اعتقاد تعظيمه[2].

فمِن جهةٍ يكتبون الكلالة والجهل، ومن جِهةٍ أخرى ينقلون هذا الحديث، ومن ثم يُجلِسون الإثنَين محلّ النبي صلى الله عليه وآله ويغصبون حق مثلِ هذا؟!

لأيِّ منطقٍ قدرةُ الجواب على هذا؟!

---

(١) الأعراف١٤٥.

(٢) جمهرة اللغة ج١ ص٣٦٩، وفيض القدير ج٤ ص٤٧٠.

عمر خازن المال فقط

نتيجة المباحث السابقة[١] أنّه **ليس لِمَن عَجِزَ** عن إدراك كلمةٍ من كلمات القرآن باعتراف الكلّ **أهليّةُ خلافة سيّد الأنبياء**، بحكم العقل والكتاب والسنة.

هذا المطلب قد تَمَّ بالبرهان القطعيّ، وهذا كلُّه أَثَرٌ ومَظهرٌ ونتيجةٌ لهذه الكلمات: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ، لن يتفرّقا حتى يَرِدَا عَليَّ الحوض.**

وتتمة البحث وهو ما يقطع مادّة النزاع، هذه الرواية التي اتفق كلُّ أعيان العامة على توثيق رجال سندها، بتوثيقات أساطين علماء الرجال، وينبغي الدِّقة في متن الرواية ليتميَّز الحق عن الباطل، فعندما وصل الثاني للخلافة خَطَبَ فقال:

من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبَيَّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإنّي له خازن[٢].

والحديث مع علماء المذاهب الأربعة:

لقد ثبت بالنقل المُسَلَّم حيث لم يناقش أحدٌ من أهل العلم في سند هذه الخطبة، أن **هذا الخليفة يصرح أنه ليس المرجعَ في القرآن!** وكلُّ من يريد أن يسأل عن القرآن الكريم فيرجع لأُبَيّ بن كعب!

وهو يُقِرُّ بأنّه **ليس مرجعاً لأحكام الدّين أيضاً!** فمن أراد ان يعرف الحلال والحرام ليسأل معاذ! فإنّ له صلاحية هذا الامر، ويُقِرُّ بأنّه **ليس مرجعاً في أحكام**

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٩ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١-٣-٢٠١٤ م.

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص٢٧٣ وغيره.

الفرائض أيضاً!

والنتيجة: أَنَّهُ لا **اطّلاع له باعترافه لا على القرآن، ولا على دين الإسلام ومسائل الحلال والحرام**، ولا على الفرائض التي قرّرها الله في أموال الناس بالإرث**!** ليس له اطلاعٌ على هذا كلّه، وكلّ **شأنه أن يكون مفتاح خزينة المال بيده!!** فهل كان هذا دور النبي صلى الله عليه وآله؟

ما هي الخلافة؟ ما اتفق عليه الجميع حول حقيقة الخلافة هو: **الخلافة هي الرياسة العامة في التصدي لإقامة الدين، بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام**: هذا نَصُّ تعريف الخلافة، وقد أقرّ أزهر مصر بهذه الجملة.

والقيام بالجهاد وما يتعلق به.. والقيام بالقضاء وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[1].

فكُلُّ هذه الأمور هي من أدوار خليفة النبي صلى الله عليه وآله بالنيابة عنه، يقولون مِن جهةٍ أنّ الخلافة هي هذه، ويقولون من جهةٍ أخرى أنّ الخليفة وباعتراف أهل الحديث والرجال قال عندما جلس على مسند الخلافة أنه **ليس من أهل الحلال والحرام، وليس عنده علم بالقرآن، ولا بأحكام الله تعالى!! دَورُهُ هو خزنُ أموال المسلمين فقط!! فهل كان دورُ النبي** صلى الله عليه وآله **جمع الأموال والثروات؟!** كي تكون خلافة الثاني النيابة عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك**؟!** إذا كان لعلماء المذاهب الأربعة قدرة الجواب على هذه المسألة فليجيبوا.

إنّ قول عمر بن الخطاب نفسه **يُثبِتُ بطلان خلافته بشكلٍ قطعيٍّ!**

---

(١) عبقات الأنوار ج١١ ص٢٥٧.

هذا هو حقُّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

للأسف أنّنا لم **نَعرِف قدر هذا المذهب.. لم نعرف علياً ولم نعرف أولئك الذين غصبوا حقَّه.**

ينبغي النظر دون تَعَصُّب: لو استيقظ العالم الإسلامي، ونظر الى كلمات هذا الشخص وإلى تعريف تمام متكلمي العامة لخلافة النبي صلى الله عليه وآله، **فإن ذلك يكفي لكي تُجتَثَّ جذور تمام المذاهب الأربعة، وتظهر حقانيَّة مذهب الشيعة لكل العالم.**

هذا هو البرهان القاطع، هذه الخلافة من جهة، وهذا الخليفة من جهة أخرى وبإقراره، أنَّه لا اطّلاع له على القرآن، وأنه ليس مرجعاً في الحلال والحرام، وليس مرجعاً في الأحكام والفرائض.. **شأنه هو خزن المال فقط!!**

ختام الكلام هذه الرواية[1]: أما رجال السند: فهم أولاد عبد الله بن عباس، **كُلُّهُم أعداءُ عليٍّ وأولادِ عليّ!** وليس في الروايات مثل هذا السند غير هذه الرواية!

الراوي هو المأمون، عن أبيه هارون، عن أبيه المهدي، عن المنصور الدوانيقي، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس، ففي سند هذه الرواية **قاتِلُ الإمام الثامن عن قاتِلِ الإمام السابع عن قاتِلِ الإمام السادس**، السند مثل هذا السند.

أما المتن:

حدثني عبد الله ابن عباس قال: سمعت عُمَر بن الخطاب يقول: كُفُّوا عن ذكر عليّ ابن أبي طالب، فقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خصالاً لأن تكون لي واحدة منهنّ في آل الخطاب أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس.

---

(١) كنز العمال ج١٣ ص١١٧.

كنتُ أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتهيت إلى باب أمّ سَلَمَة وعليٌّ قائمٌ على الباب فقلنا: أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يخرج إليكم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسِرنا إليه فاتكأ على عليّ بن أبي طالب: هذه الأمور تكشف أسراراً، مَن اتّكأ عليه الذي يَتَّكئ عليه عالم الإمكان، فأيُّ مقامٍ مقامه؟ للأسف أنّ أحداً لم يعرف علياً.

ثم ضرب بيده منكبه ثم قال: إنك مخاصم تخاصم، أنت أوّلُ المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيام الله: هو أعلَمُ كلّ من دخل في دائرة الإيمان بأيام الله، ولِأَيام الله شَرحٌ ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ الله﴾، أعلَمُ تمام أهل الإيمان من الأوّلين والآخرين بأيام الله أنت.

وأوفاهم بعهده، وأقسمهُم بالسويّة: لا أحد أوفى منك بعهد الله، ما كان ولن يكون، وليس هناك من يُقَسِّم مثلك بيت المال بالسوية، ما مضى ولن يأتي.

وأرأفهم بالرعيّة، وأعظمهم رزيّة، وأنت عاضدي، وغاسلي، ودافني: مثل هذا يصبح الرابع؟! ومثل ذاك الجاهل يصبح الأول والثاني؟! أيُّ عقلٍ ودينٍ توافق هذه المذاهب؟! ﴿خَتَمَ الله عَلى قُلُوبِهِم﴾، واقعاً طبع الله على قلوبهم، وهذا برهانٌ قاطع:

والمتقَدِّمُ إلى كلِّ شديدةٍ وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدَّمُني بلواء الحمد، وتذود عن حوضي.

فآخر المطلب: في يوم القيامة تكون أمامي ويكون عَلَمي وهو لواء الحمد بيدك يوم القيامة، أنت حامل رايتي في المحشر، وأنت ساقي أمتي في المحشر.

هنا خُتِمَت المسألة، وهذه الرواية عن المأمون عن هارون عن المهدي عن المنصور الدوانيقي، وهذه السلسلة تصل لعبد الله بن عباس ثم الخليفة الثاني نفسه! تلك الجملة في الخلافة، وهذا الحديث في علي بن أبي طالب، **برهانٌ قاطعٌ يُرشد إلى الحق والباطل.**

عمر يتَقَحَّم جراثيم جهنم!!

وصَلَ البحثُ[1] إلى أنَّ مفهوم الخلافة، والتعريف الذي التزم به علماء ومتكلموا العامة، يُلَخَّصُ في هذه الجملة: **النيابة عن النبي** ﷺ، **وإدارة أمور الأمة من جِهَتَي الدين والدنيا.**

فمَن جَلَسَ مكان النبي ﷺ يكون نائباً له أولاً، والنيابة وجودٌ تنزيليٌّ للمَنُوب عنه، وتعريف النيابة من الجهة الفنيّة هي: **وجودُ المنوبِ عنه تنزيلاً**، فتكون النيابة مفهوماً إضافياً، وتختلف مقامات ودرجات النائب باختلاف المنوب عنه في المقامات والدرجات.

وخلافة موسى بن عمران عليه السلام ليست قابلة للقياس مع خلافة النبي داوود عليه السلام، فبقَدر اختلاف المرتبة بين النبييَّن تختلف مرتبة خليفتَيهما، **والنيابة عن خاتم النبيين**، وسيّد المرسلين، **هي نيابةٌ عن تمام الأنبياء**، من آدم إلى عيسى بن مريم عليهم السلام، فعلى أيِّ حَدٍّ ومرتبةٍ من العلم ينبغي أن يكون مثل هذا النائب عقلاً وكتاباً وسنة؟! هذه البراهين غير قابلة للجواب.

إذا كان جَهلُ من يصبح خليفةً للنبي ﷺ بمثل هذا الحدّ، فإلى أيّ حدٍّ

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ الموافق ٣-٣-٢٠١٤ م.

تطابق هذه الخلافة **الموازين العقلية والنقلية؟**

إنّ **الصلاة عمود الدين** عند كل الفرق، ولا تَأَمُّلَ في كونها أهمّ كل العبادات عند كل مسلم، لأنّ الصلاة جوهر الدين، **وإقامة الصلاة انعكاسٌ لتمام ملائكة الملأ الأعلى،** حيث أن الملائكة منقسمون لأقسامٍ: فقِسمٌ منهم قائمٌ أبداً، وقسمٌ منهم قاعدٌ أبداً، وقسمٌ منهم في حال الركوع دائماً، وقسمٌ منهم في حال السجود دائماً، **هذا من جهة الحالات.**

أما من جهة الأعمال: فمنهم مُسَبِّحُون، عملهم تسبيح الله تعالى، ومنهم مُكَبِّرُون، عملهم تكبير الله، ومنهم حامدون، عملهم الحمد والثناء، ومنهم أهل التهليل، ذكرهم لا إله إلا الله.

كل هذه الأذكار والأعمال قد جُمِعَت في الصلاة: القيام، ثم الركوع، ثم السجود، ثم القعود: سَبِّح اسم ربك الأعلى.. سبح باسم ربك العظيم.. التسبيحات الأربعة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

لو فَهِمَ أحدٌ ما هي الصلاة يفهم حينها معنى هذا الحديث: **الصلاة معِراجُ المؤمن،** و**بالصلاة يبلغ العبد إلى الدرجة القصوى.**

وفي الصلاة أبوابٌ: الأذان والإقامة، تكبيرة الإحرام، القراءة، الركوع، السجود، مباحث الخلل في الصلاة التي تُعَدُّ من أعظم المباحث، المسائل المربوطة بالشك في الركعات والأفعال والأقوال.

وينبغي أن يكون خليفة النبي **أعلمَ من كلّ الأمّة في كلّ مسائل الدّين بالضرورة،** وينبغي أن يكون أكثرَ اطلاعاً من كل الأمة على أحكام وآداب

وخصوصيات الصلاة العبادية، وقياساتُ هذه القضايا معها.

ينقل أعيان علماء العامة هذه القضية: **عن ابن عباس أَنَّهُ قال له عمر: يا غلام، هل سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من أحد من أصحابه إذا شك الرجل في صلاته ماذا يصنع؟** يُعلَمُ من هذه الرواية أن ابن عباس كان في سن الشباب، لأنه خاطبه بـ: يا غلام. وكان خليفة النبي جاهلاً إلى حَدٍّ أنّه **لا يعلم أحكام الشك في الصلاة**، وكان يسأل عبد الله بن عباس عنها**!**

قال فبينا هو كذلك إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف فقال: فيم أنتما؟

فقال عمر: سألت هذا الغلام: هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحدٍ من أصحابه إذا شك الرجل في صلاته ماذا يصنع؟

فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر أواحدة صلى أم ثنتين فليجعلها واحدة، وإذا لم يدر ثنتين صلى أم ثلاثا فليجعلها ثنتين وإذا لم يدر أثلاثاً صلى أم أربعاً فليجعلها ثلاثاً، ثم يسجد إذا فرغ من صلاته وهو جالسٌ قبل أن يسلم سجدتين[1].

أيُّ عقلٍ وكتابٍ وسُنَّةٍ توافق هذه القضية؟ أن يكون **خليفةً للنبي وجاهلاً في أحكام الشك في الصلاة!** هذا حَدُّ عُمَر بن الخطاب.. **هكذا أصبح الدينُ لعبة!**

والحجّة البالغة في كلام فَحلِ الحديث والأدب ومختلف الفنون، ابن ابي الحديد المتعزلي، وينبغي على مَن كان أهلاً التأمل في كلامه، ومتن كلامه:

وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه: لا مرّة ومرّتين، بل كثيراً، فهل

(١) مسند أحمد ج١ ص١٩٠.

هذه هي النيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وحِفظ دين الأمة؟!

ويُفتي بِضِدِّهِ وخِلافه: هذا ليس كلامنا، كلام عَلَمِ أعلام العامة، أنّ عُمَر كثيراً ما كان يفتي ثم ينقض الفتوى، ويفتي بضدها في حكم الله!

قضى في الجَدِّ مع الأخوة قضايا كثيرة مختلفة: ففي مسألةٍ واحدةٍ وهي ما لو مات أحدٌ وكان وارثه الأخوة مع الجَدّ، حَكَمَ عمرُ أحكاماً مختلفة كثيرة، **فإلى هذا الحدّ أصبح دين الله ألعوبةً؟**

هذا ليس كلام أحد علماء الشيعة، بل كلام عَلَمٍ من أعلام الإعتزال، ابن ابي الحديد. والمهم هو أنّه بنفسه يقول:

ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال: مَن أراد أن يتَقَحَّم جراثيم جهنّم فليقل في الجَدِّ برأيه(١).

مَن الذي تكلم في الجدّ والأخوة برأيه؟ أولاً أبو بكر ثم عمر!! **فباعترافه نفسه كان هو والأوّل في قعر جهنم!!** ومِثلُ هذا يصبح خليفة النبي؟

هل هناك عقلٌ؟ العقل جوهرٌ.

هذا ليس كلامنا، هذا شرح نهج البلاغة، وهذا كلام ابن ابي الحديد.

يُجلِسُونهم مكان النبي صلى الله عليه وآله من جهةٍ، ويُصبِحُ جليسَ بيته مَن نقلوا جميعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ، لن يتفرّقا حتى يَرِدَا عَليَّ الحوض.**

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص١٨٢.

خَتمُ الكلام نَقلُ المناوي عن الغزالي[١] (أو الحرالي)، لتكون الحجة تامّة على علماء المذاهب الأربعة بحول الله وقوته.

هذه مرتبة جهل هذين الإثنين: الأول والثاني، وفي المقابل ينقل المناوي عن الغزالي، ومن هو الغزالي؟ صاحب المستقصى في الأصول، صاحب إحياء العلوم في الأخلاق، هذا الرجل إمامُ الفنون عند الكلّ، وهذا اعترافه:

قال الغزالي: قد عَلِمَ الأوّلون والآخرون: فهذا المطلب ليس خافياً على أحد، يعرفه الأوّلون والآخرون.

أنَّ فَهمَ كتاب الله منحصرٌ إلى علم عليٍّ، ومَن جَهِلَ ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفَعُ الله عن القلوب الحجاب، حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء[٢].

وهذه الكلمة من الغزالي عجيبة، فَهمُ كتاب الله منحَصِرٌ بعَليّ بن أبي طالب عليه السلام، فمن جهة **تروون كلام ابن ابي الحديد في عُمَر، ومن جهة ترون كلام الغزالي في علي!** وهناك كلام النبي صلى الله عليه وآله: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ.**

حديثٌ يغلق دكاكين أبي حنيفة والشافعي

كان بحثنا في الحديث الصحيح[٣] عند الكل: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع**

(١) نُقلت عنه في بعض المصادر، وعن الحرّالي في مصادر أخرى، وقد أشار سماحة الشيخ في البحث اللاحق لذلك، والحرّالي هو أبو الحسن الحرّالي المراكشي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ.

(٢) فيض القدير ج٣ ص٦١.

(٣) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٦ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ الموافق ٨-٣-٢٠١٤ م.

عليّ، لن يتفرّقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض.

هذه التوأمة مع الوحي الذي كان تبياناً لكلّ شيءٍ أهمُّ مِن كل المطالب، لذا اعترف أعلام العامة، واعترف المخالف والمؤالف، أنّ أعلم الناس بالقرآن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد نقلنا ذلك عن (الغزالي)، حيث نَقَلَتهُ بعض الكتب عنه، ولكنّ بعض الكتب نقلته عن (الحرّالي) وهو ليس أقل من الغزالي، وشهادة كل واحدٍ منهما دليلٌ قاطع على هذا الأمر.

أما مقام الحرّالي العلمي عندهم فهذا حدّه: **الحَرَالِّيُّ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ.. مفسرٌ، من علماء المغرب.. ما من علمٍ إلاَّ له فيه تصنيف. أصله من «حرَالَّة» من أعمال «مُرْسِيةَ». وُلِدَ ونشأ في مراكش.. وَسَكَنَ حَمَاةَ.. من كتبه «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل**[1].

قال ابن حجر: جعله قوانين كقوانين أصول الفقه[2].. وقال المقري: صنّف في كثيرٍ من الفنون كالأصول والمنطق والطبيعيات والإلهيات.

وقال الذهبي: ..تكلَّمَ فِي علم الحروف والأعداد وزَعَم أَنَّهُ استخرجَ علمَ وقتِ خروج الدَّجَّال، ووقتِ طلوعِ الشمس من مَغْربها[3].

الخلاصة أنّ هذا الشخص إن لم يكن فوق الغزالي، فإنّه ليس دونه، ومتن

(١) يراجع الأعلام للزركلي ج٤ ص٢٥٦ وغيره.

(٢) لسان الميزان ج٤ ص٢٠٤.

(٣) تاريخ الإسلام ج٤٦ ص٣٣٧.

كلامه أن علياً **أعلم بالقرآن من الجميع** بشهادة المؤالف والمخالف.

وشهادة صاحب كتاب (مفتاح الباب المقفل في باب القرآن المنزل) بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام **مَطلبٌ يُعجِز أعاظم علماء العامة**، وقد وردت هذه الكلمة في ذيل هذا الحديث، وقراءة الحديث أمرٌ لازمٌ، أمّا شرحه فيأتي في وقته إن شاء الله.

أنا مدينة العلم، وعَليٌّ بابها: الغزالي او الحرّالي، إذا قالوا هذه الجملة في علم علي عليه السلام، فإنّها ذَرَّةٌ من تلك الشمس، حيث قال فيه عقلُ الكلّ وكلّ العقل، علم الكلّ وكلّ العلم، قال صلى الله عليه وآله باعتراف أعيان العامة: **أنا مدينة العلم، وعَليٌّ بابها، فمَن أراد العلم فليأتِ الباب**.

يقول المناوي وهو المحقِّق السنيّ ذو الشأن الرفيع عندهم في فيض القدير ج٣ ص٦١: **فإنّ المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلّها ولا بُدَّ للمدينة من باب**: هذا كلام من يُعَبَّر عنه عند العامة بأنّه من أعلام الأمة، في فيض القدير.

فأخبَرَ أنّ بابها هو عليٌّ كرّم الله وجهه، فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى: هذه المطالب حجةٌ بالغةٌ واقعاً، اعتراف مثل هذه الشخصية أنَّ أيَّ أحَدٍ ودون استثناء **يدخل باب عليٍّ ينال الهداية**، وكل من **لم يدخل من هذا الباب يصبح من أهل الضلال**.. هذه ليست كلمات الكليني والشيخ الطوسي.

وقد شَهِدَ له بالأعلميّة الموافق والمخالف، والمعادي والمُخَالِف، خرّج الكلاباذي أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: سَل علياً هو أعلم مني: فهذا اعتراف معاوية بن أبي سفيان أعدى أعداء عليٍّ عليه السلام.

فقال: أريد جوابك.

قال: ويحك، كرهتَ رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزُّهُ بالعلم عزّاً، وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك، وكان عمر يسأله عما أشكل عليه، جاءه رجل فسأله فقال: ههنا عليٌّ فاسأله.

فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين.

قال: فلا أقام الله رجليك، ومحى اسمه من الديوان: وهذا اعترافُ معاوية واعتراف الثاني.

وصَحَّ عنه من طرقٍ أنّه كان يتعوّذ من قوم ليس هو فيهم حتى أمسكه عنده..: إلى أي حد **ظُلِمَ هذا المذهب؟** مع هذه البراهين القاطعة!

وأخرج الحافظ عبد الملك بن سليمان قال: ذُكِرَ لعطاء: أكان أحد من الصحب أفقه من عليّ؟ قال: لا والله.

قال الحرّالي: قد علم الأوّلون والآخرون أنّ فهم كتاب الله منحصرٌ إلى علمِ عليّ، ومن جهل ذلك فقد ضلَّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء.

هذا الحديث وبهذه الخصوصيات أعجز كل أعلام العامة، لكنّ الأشخاص المتعصِّبين أرادوا إسقاط الحديث بأيّ قيمة، فشرع عدَّةٌ منهم بالدغدغة في صحة الحديث، ولأنهم عجزوا قالوا أنّه حَسَنٌ! لأن هذه القضية إن تمّت فإن **دكاكين أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ومالك ستُغلَق!** وسيُشطَب بقلم البطلان على أبي بكر وعُمَر وعثمان!

وكُلَّما طرقوا باباً لم تحل لهم المشكلة، وقد قال الزركشي:

الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن كونه موضوعاً، وفي لسان الميزان: هذا الحديث له طرقٌ كثيرةٌ في المستدرك، أقلُّ أحوالها أن يكون للحديث أصلٌ، فلا ينبغي إطلاق القول عليه بالوضع: فإنّ طرقه وصلت إلى حَدٍّ من الكثرة، فما الذي يمكن فعله؟

ورواه الخطيب في التاريخ باللفظ المزبور من حديث ابن معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس ثم قال: قال القاسم: سألت ابن معين عنه فقال: هو صحيح: وابن معين عَلَمُ أعلام الرجال، وكلامه ناسخٌ لكلِّ كلام.

قال الخطيب: قلت أراد أنه صحيحٌ من حديث أبي معاوية وليس بباطل، إذ رواه غير واحد عنه، وأفتى بحسنه ابن حجر وتبعه البخاري فقال: هو حديث حسن.

والنتيجة أن هذا الحديث حجةٌ عند العامة، وإن شاء الله سنبحث مفصلاً في سنده عندما يأتي وقته. ونتيجة البحث: أن أعلام هذه الأمة قالوا: **عليٌّ هو الأعلم**. والنبي الخاتم ﷺ قال: **أنا مدينة العلم، وعَليٌّ بابها**. هذه الصغرى.

أما الكبرى: فَمِنَ القرآن: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الالبَابِ﴾**[1]، نَصُّ القرآن يدلُّ على أن العالم لا يستوي مع غير العالم أبداً، فما هي النتيجة؟

النتيجة: أن طريق أحقيّة مذهب الشيعة ثابتٌ بِنَصِّ القرآن، **وبُطلان**

---

(١) الزمر٩.

المذاهب الأربعة ثابت بحكم القرآن، فإنّ نَصَّ القرآن: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾[1]، وكلكم تعترفون أن **عُمَر ما اهتدى في المعضلات، إلا عندما أخذ عليٌّ بيده!** كلكم تعتقدون بذلك، وقد نَصَّ القرآن أنّ **من يهدي هو الذي يليق بالإمامة دون الذي يكون محتاجاً لهادٍ يهديه!**

خليفة النبي لا يعرف حدود الله؟!

كان البحث في الحديث الصحيح[2]: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ، لن يتفرّقا حتى يَرِدَا عَليَّ الحوض.**

إنّ إحدى الوظائف الصعبة التي يُعهَدُ بها لخليفة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وإمامِ الأمة هي **إجراء الحدود والتعزيرات،** وهي إحدى أهمّ كتب ومباحث الفقه عند العامة والخاصة، وإجراء الحدود **بيد من إليه الحكم،** فينبغي على من صار حاكماً للأمّة أن يكون مُطَبِّقاً لهذه الحدود، لأنّ الحدود الشرعية تُصلِح الفرد والمجتمع، فهي مؤثِّرَةٌ في الدنيا، وفي رفع العقاب في العُقبى.

ولا شكّ أنّه ينبغي حفظ حقوق الناس في الأعراض والأموال، وضمان حفظ الحقوق في دين الله وإجراء تلك القواعد يتم على يد نائب وخليفة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وإذا أصيب موضعٌ في الجسم فإنّه يَترُكُ أثران: أحدهما في موضع الغدّة المصابة، والثاني في تمام البدن ما لم تُعالَج، فإن **النقطة الفاسدة تفسد سائر الأعضاء** شاء صاحبها أم أبى.

---

(١) يونس ٣٥.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٨ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ الموافق ١٠-٣-٢٠١٤ م.

لذا فإنّ **علاج تلك القرحة واجبٌ حفظاً لنفس العضو المصاب، ولبقيّة الأعضاء** لارتباطها به، والفرد بالنسبة للمجتمع عضوٌ، **فلو وُجِدَت آفةٌ في هذا العضو**، ينبغي على **حاكم المسلمين إجراء حدّ الله تعالى** والتعزير الشرعيّ عليه، صلاحاً للعضو والمجتمع.

ينقل البيهقي في السنن الكبرى[1] القضيّة التالية، ومنها يُعرف معنى الحديث: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ**. يقول:

أُتِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجلٍ أقطَعَ اليد والرِّجل قد سَرَق، فأمر به عمر رضي الله عنه أن يقطع رجله، فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنما قال الله عز وجل (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) إلى آخر الآية.

ونَصُّ الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ الله وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[2].

فإن تابَ المحاربون قبل الوصول للحاكم والقدرة عليهم يُعفى عنهم بعد تلك التوبة، أما إن لم يتوبوا قبل ذلك فجزاؤهم على ثلاث صور: ﴿أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾، فأفهَمَهُ عليه السلام بهذه الآية أنّ الحكم إذا كان هكذا في المحارب، فإنّ **الوظيفة في السارق قطعاً هي حفظ قدمه الأخرى.**

(١) السنن الكبرى ج٨ ص٢٧٤.

(٢) المائدة٣٣-٣٤.

لماذا؟ لأن أثر الحدود يتم في وقتٍ يجري فيه الحدُّ مع الرحمة الرحمانية الإلهية، ومعَ كون خاتم الأنبياء رحمة للعالمين، ينبغي أن يكون الحَدُّ موافقاً لهذين الأمرين، ثم قال عليه السلام:

فقد قُطِعَت يدُ هذا ورجلُه، فلا ينبغي أن تَقطع رجلَه فتدعه ليس له قائمةٌ يمشي عليها: فينبغي أن يكون الحدُّ بنحوٍ يكون فيه رحمةٌ للمحدود نفسه كما للأمة، ولِقَطع القدم أثرٌ في الوضوء والصلاة، ومَشي الشخص وحركته لمعاشه وحياته، فكم يؤثّر ذلك على الأحكام الإلهية والأعمال الشخصية؟

ثم استدل عليه السلام بالكتاب وبحكم العقل وبالرحمة الرحمانية لله تعالى، وبعثة خاتم الأنبياء رحمة للعالمين، ثم قال عليه السلام:

إمّا ان تُعَزِّرَه وإمّا أن تستودعه السجن: لا أن تقطع قدمه.

قال: فاستودعه السجن (انتهى).

نتيجة البحث: أنّ البيهقي نفسه وتمامُ متكلمي العامة متّفقون أنّ إجراء الحدود من أعظم وظائف الخليفة، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى قالوا **بخلافة مَن لم يفهم القرآن** ولا فلسفة الحدّ وحكمة تشريع الحدود في إقامة حدّ السرقة!!

ومن جهةٍ ثالثةٍ ينقلون صراحةً أن **مُبَيِّن حكم الله تعالى وسرّ الحدود هو عليّ بن أبي طالب** عليه السلام! فكيف يُجمَع بين هذه الأمور؟!

الإعجاز هنا: أنّ هؤلاء أنفسهم يصرِّحون أن النبي صلى الله عليه وآله يقول: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ**، وأنّهما لن يتفرَّقا أبداً حتى يَرِدَا عليه الحوض، ومن ثم يذكرون هذه القضايا، ويقولون أننا أتباعُ القرآن، ونَصُّ القرآن ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى

الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾.

اثنان واثنان أربعة: بِنَصِّ سُنَنِ البيهقي يثبتُ بطلان خلافة الخليفة الثاني، **وتَظهَرُ أحقيّة المذهب الشيعي كالشمس في رابعة النهار.**

هذا هو الإعجاز، أنّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ يقول تلك الجملة ثم يُثبِتُها وينقلها مثل هؤلاء!

مِن فقه الحديث

أما فقه الحديث: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ.**

فإنّ الإضافة على قسمين: تارةً تكون **مختلفة الأطراف**، مثل إضافة الفوقية والتحتية، الأبوّة والبنوّة، وتارةً تكون **متشابهة الأطراف**، وينبغي على علماء الفن الدِّقة في فقه الحديث.

والمعيّة من القسم الثاني، فإنَّ الإضافة قائمةٌ بالطرفين، وهي متَّفقة الأطراف، وخاصيّة هذا القسم من الإضافة هي أنّه لو ذُكِرَ طرفٌ في الكلام فإنّ ذلك **يُغني عن ذِكر الطرف الآخر**، هذه خاصية هذا القسم من الجهة العلمية.

إذا قلتَ: زيد مع عمرو، فكونه مع عمرو مَعيَّة، ولا يلزم أن تقول مجدداً: عمرو مع زيد، لأنّ الجملة الأولى تبيّن بالدلالة المطابقية أن زيداً مع عمرو، **وتبيّن بالدلالة الإلتزامية أن عمرو مع زيد.**

عقل الكلّ، النبي الخاتم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ يثير الحيرة في هذا الحديث، قال أولاً: **عَليٌّ مع القرآن**، فأتى بالمعيّة، والإضافة **متشابهة الأطراف**، ومع تمامية دلالتها المطابقية والإلتزامية قال أيضاً: **والقرآنُ مع عليّ.**

القرآن أيضاً مع علي بن أبي طالب.. فما السر في ذلك؟ التأمُّل في هذه الروايات يفتح أبواباً للعلماء والفقهاء، لقد قام صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه بعملين: الدلالة المطابقية أولاً في: **عَليٌّ مع القرآن**، والإالتزامية تثبت بالتَّتَبع.

وأما في قوله: **والقرآنُ مع عليّ**: فجعل الدلالة الإلتزامية في الجملة الأولى مطابقيّةً هنا، والمطابقيّة هناك التزاميةً هنا. لماذا؟

سِرُّه: أنَّ عليّاً صار في الطرفين، **فالأوَّلُ عليٌّ، والآخرُ عليٌّ**، وفي الوسط القرآن، **فيصبح القرآن قَلباً مُحَاطاً، وعليٌّ يصبح مُحِيطاً**.

دَرك الرواية هكذا: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ**.

القرآن في الوسط، وعليٌّ أولاً وآخراً، عَلِيٌّ محيطٌ، والقرآن مُحاطٌ، وشرح هذا المطلب محيّرٌ..

الرواية الرابعة: عليٌّ مني وأنا من عليّ

كان بحثُنا[١] في مقام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا الحديث هو حُجَّةٌ إلهيّةٌ بالغة: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ.**

وقد تم تحقيق هذه الرواية متناً وسنداً، ووصلت النوبة إلى نسبته سلام الله عليه ممن أُنزِلَ عليه القرآن، وهو خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، فما هي النسبة بينهما؟

إنّ صحة الحديث التالي ليست مورد مناقشة مِن أحدٍ، ومَتنُهُ عنه صلى الله عليه وآله: **عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ**، فماذا يعني ذلك؟

كلُّ ما في دائرة العالم والوجود مندَرِجٌ في أحد مفهومين ولا يخرج عنهما: أحدهما مفهوم (ما) والآخر مفهوم (مَن)، والأفضل والأشرَف في مفهوم (ما) هو كتابُ الله الأعظم، هو القرآن الكريم، ﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ﴾.

ونِسبَتُه عليه السلام للقرآن الذي هو النُّقطة الأعلى لقوس كلمة (ما) هي نسبة المعيّة: **عَليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليّ.**

أما في دائرة (مَن) فليس هناك أشرف وأعلى وأفضل منه صلى الله عليه وآله، فهو النقطة الأعلى لقوس (مَن)، ونِسبته عليه السلام إليه صلى الله عليه وآله هي: **عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ.**

فتكون النتيجة أن نسبته عليه السلام لأشرف (ما) وهو القرآن الكريم هي نسبة المعيّة المطلقة (**لن يتفرّقا**)، فهي معيّةٌ غير قابلةٍ للتفرق، لا يفترق القرآن عن عليٍّ ولا عليٌّ عن القرآن أبداً، ونسبته عليه السلام للخاتم صلى الله عليه وآله أشرف دائرة مفهوم (مَن): **عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ**، والبحث ههنا في مقامين تتم بهما حجية الحديث: أحدهما

---

(١) أُلقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٧ جمادى الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ٧-٤-٢٠١٤ م.

في سنده ومصادره، والثاني في متنه وفقهه.

مصادر الحديث وسنده

من مصادر الحديث عند العامة: البيهقي في السنن ج٨ ص٥، النسائي في الخصائص ص٨٧، إمام الحنابلة أحمد في المسند ج٤ ص١٦٤، الحاكم النيشابوري في المستدرك ج٣ ص١٢٠، الطحاوي في مشكل الآثار، الخطيب البغدادي في تاريخه ج٤ ص٣٦٤، الترمذي في الصحيح (السنن ج٥ ص٣٠٠)، وغيرها من المصادر الروائية والتاريخية عند أهل السنة.

ونحن ننقله من صحيح البخاري، أصحّ الكتب عند أئمة المذاهب الأربعة، وقد نَقَلَ هذه الرواية في كتاب الصلح، وفي كتاب مناقب المهاجرين وفضلهم، وفي باب عمرة القضاء، ومتنه فيه: **وقال لعليٍّ: أنت مني، وأنا منك** (البخاري ج٣ ص١٦٨، وج٤ ص٢٠٧، وج٥ ص٨٥).

ومتن الحديث في غيره: **عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ**.

أما السند، فليس مورد كلامٍ عند أحدٍ ممّن له أدنى معرفةٍ بمصادر العامة.

فقه الحديث

أمّا فقه الحديث ودرايته، فينبغي أن يُفهم أولاً أنَّ المقام العلميَّ كلّما كان أرفع وأعلى وأدقّ كانت الكلمات الصادرة عن صاحبه أدقّ، فالمرء مخبوءٌ تحت لسانه، ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾.

إنّ قولَ وكلامَ أيّ أحدٍ برهانٌ على درجته العلمية، وحكمته وفقاهته، بهذا

يُعرَفُ أهل الفضل ومقامهم، وليس هناك **أعلى وأجلّ وأشرف من عِلم وفَهم وعقل خاتم الأنبياء** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وليس كلامه قابلاً للقياس مع كلام أحدٍ أبداً.

ولأنّ كلام كلِّ أحدٍ مُبيّنٌ لمرتبة عقله ودَركه وفهمه وعلمه، فإنّ فَهم كلمات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ليس أمراً سهلاً وبسيطاً، وشرح هذا الحديث ليس سهلاً، لكنّا **نتعرّض له بالقدر الميسور.**

في الحديث جُملتان: الأولى: **عَلِيٌّ مِنِّي**، والثانية: **وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ**، ولأنّ الجملة الأولى أسهل كانت في البداية، والجملة الثانية كانت مؤخَّرَة لأنّها أصعَب.

عَلِيٌّ مِنِّي

أما الجملة الأولى، فلم يقل صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: عليٌّ جزء من جسمي أو بدني، بل قال: **عَلِيٌّ مِنِّي**، أي عَلِيٌّ قسمٌ من (إنِّيتِي)، ماذا يعني (أنا)؟

أنا لست هذا البدن، هذه اليد يدي، وهذه القدم قدمي، وهذه العين عيني، والأذن أذني، **لكني غير كل هذا.**

عليٌّ **ليس جزءً من جسم النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، **هو بعض حقيقة الخاتميّة**، وإنِّيّة تلك الحضرة، والخلاصة أنها تعني أنّ **وجودي منقسمٌ، وعليٌّ أحدُ أقسامه.**

هذه حقيقة الإنيّة، ياء المتكلم الواحد، إذا اتّصلت تكون (مني) وإذا انفصلت تكون (أنا)، وههنا ينبغي أولاً **معرفة النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ **نفسه**، حتى نفهم بعد ذلك ماذا يعني: **عَلِيٌّ مِنِّي**، لكنّ إنيّته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، حقيقة أحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، هي **حقيقةٌ يعجز العقل عن إدراكها**، لماذا؟ وما الدليل؟

دليل ذلك: إنّ مِنَ القضايا الأوليّة أنّ أيَّ جزءٍ لا يصل للكلّ، لماذا؟ **لأنّ**

الكلَّ واجِدٌ للجزء، لكنّ الجزء فاقدٌ للكل.

عقلُ كلِّ عاقلٍ وفي أيّ مقامٍ ومرتبةٍ كان، حتى أعلم العلماء من الأولين والآخرين هو عقلٌ جزئيٌّ، فكلُّ واحدٍ من العقلاء عاقلٌ، لكن بالعقل الجزئي، كل واحد من العلماء عالمٌ، لكن بالعلم الجزئي.

نتيجة البرهان: أن **العقل الجزئيّ لا يمكن أن يدرك عقل الكلّ، وخاتمُ النبيين هو عقل الكلّ.** فأعلم العلماء وأفقه الفقهاء من أهل الجزء، ويستحيل على أهل الجزء إدراك الكل، وهذه دراية فقه الحديث: أنَّ تلك الإنِّية لعقل الكلّ وكلّ العقل **فوق إدراك وتحمّل كلّ البشر.**

ونتيجة البحث أنّنا مع كمال الدقّة وإعمال الموازين العلمية الدقيقة، نفهم معنى **(عَلِيٌّ مِنِّي) بقدر العقل الجزئي**، أما حقيقة (عَلِيٌّ مِنِّي) **فليست قابلة لإدراكنا ولا لبياننا.**

متى عرفوا النبي حتى يعرفوا عليا؟

كان البحث في الحديث[1] الذي يُبَيِّنُ نسبة أمير المؤمنين عليه السلام من خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، وقد صدر هذا الحديث في مواطن متعددة، وخصوصية هذه المواطن مهمة، **فتارة بُيِّنَ هذا الأمر بالقول، وتارة بالفعل والتَصَرُّف.**

أما بالقول فقد صدر تارةً بصيغة المخاطَب، وتارةً بصيغة الغائب.

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله في غزوةٍ وأرسله عليه السلام فيها، فاتّفقَ أربعةُ أشخاصٍ على أن يشكوا أميرَ المؤمنين عليه السلام، وبعدما جاؤوا إلى محضره صلى الله عليه وآله وأظهروا ما في

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٢ جمادى الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١٢-٤-٢٠١٤ م.

قلوبهم، **ظهر الغضب في وجهه** ﷺ، وقال: **ما تريدون من عليٍّ؟ عليٌّ مني وأنا من عليّ، وهو وليُّ كلّ مؤمنٍ بعدي**، هذا لسان إحدى الروايات، ورغم سِعة نفسه ﷺ وتحمُّلِه العجيب فقد ظهر الغضب في وجهه في هذا المورد، وخصوصيات الكلام مهمة، فقال لهم: **ما تريدون من عليٍّ؟ عليٌّ مني وأنا من عليّ.**

وتظهر ثمرة هذا الكلام في الجملة اللاحقة: **وهو وليُّ كلّ مؤمنٍ بعدي.**

وهذا قسمٌ من بيانه ﷺ، وقد بَيَّنَ قِسماً آخر بصورة الخطاب: **يا عليّ، أنت مني وأنا منك**، وهذه موارد اللفظ والقول.

أما في العمل: فإنَّ أبا بكر أخذ سورة براءة ليقرأها للمشركين، وقبل أن يصل لمقصده جاء من أبلغه أنّ رسول الله ﷺ أمر بأن تَرجِع، ينبغي أن يُبَلِّغَ هذه السورة عن النبي ﷺ للمشركين مَن كان مِنَ النبيّ، وكان النبيُّ منه، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، هذا في العمل.

أما فهم الحديث ودراية كلام الخاتم ﷺ، وهو **كَنزٌ من العلم والحكمة الإلهيّة، فبقدر الميسور**. وينبغي فهم مطلبين:

أحدهما: مفهوم (أنا) ومصداقُ هذا المفهوم.

ثانيهما: إنيّة الخاتم ﷺ.

بعد ذلك يُفهَم معنى (عَلِيٌّ مِنِّي) و (أنتَ مني).

أولاً: مفهوم الإنيّة: هو ما يعبّر عنه بـ (أنا)، فإذا كان متصلاً يكون (الياء)، وإذا كان منفصلاً يكون (أنا)، فهو جوهرُ نفس الإنسان، ولا ربط له بهذا البدن، كلُّهُ مضافٌ وهو المضاف إليه، **ودون فهمه خرط القتاد**، إذ مَن عَرَفَ نفسَه فقد

عرف ربه، ومعرفة الناس مفتاح معرفة الله، وإدراك مفهوم (أنا) وحقيقتها فوق التصور.

بعد أن يَطوي أهلُ الحقائق كلّ المراحل يصلون إلى مرتبة التجرّد والتخلية، وهي حقيقة (موتوا قبل أن تموتوا)، فانظروا قبلَ أن يأتيكم الموت، فالموت الاختياري هو تجريد النفس، وتخلية الروح من البدن، وهناك أيضاً لا تظهر حقيقة (أنا) لأنّه في تلك المرحلة أيضاً تُرى الروح بالأعضاء، كما أنَّكُم ترون في المنام، فأينما ذهبتم ورأيتم لم يكن البدن معكم، لكن كان هناك قَدَمٌ وعينٌ وبَصَر.. لم يحصل (أنا) الكامل.. بعد التجرُّد عن ذلك القالب تَصِلون لحقيقة الإنيّة.

كانت هذه إشارةٌ إلى (أنا) الواردة في الرواية.

ثم إن **الإنية أيضاً مختلفةٌ**، والعلوم والمعارف في هذه الحقائق واقعاً، فكما أن الصور مختلفة، ولا نرى صورتين متساويتين أبداً، فإنّ الأشكال مختلفةٌ إلى هذا الحدّ، حتى بين الأخوة، فمع كمال الشَّبَه، حتى بين الآباء والأولاء، فإن أشكالهم مختلفة، **وهذا الاختلاف نفسه واقعٌ بين الأرواح والنفوس**.

الأشكال مختلفةٌ والسِّيرَةُ متفاوتةٌ، **وبين النفوس اختلافان**، وهذا مفتاح فقه الحديث، **ودرايةُ الرواية ليست شيئاً سهلاً**: اعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنَا عِنْدَنَا عَلَى قَدْرِ رِوَايَتِهِمْ عَنَّا **وَفَهْمِهِمْ مِنَّا**: فإنّ معرفة منازل الشيعة تكون على قدر درايتهم لأحاديثهم عليهم السلام، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه.

البخاريُّ هو ناقل الرواية، ودرايةِ هذه الروايات مقامٌ غير قابل للقياس مع مقام الرواية.

قلنا أنَّ بين النفوس **اختلافاً عرضياً، واختلافاً طولياً.**

أما **الاختلاف الطولي**: فإنّ نفس الشيخ الأنصاري مع ذلك العلم والعمل ليست أبداً بنفس مرتبة تلميذه، هذا الاختلاف الروحي والطولي.

وإلى أين تصل نسبة هذه الاختلافات الطولية؟ تترقى من الإنسان العاديّ بمقام العلم والحكمة، ثم للعلم والحكمة نفسها مراتب أيضاً، **ونَفس كلِّ عالمٍ في مرتبة ذلك العلم الذي يملكه،** ومقامُ كلِّ حكيمٍ في مرتبة تلك الحكمة التي عنده.

وبعد أن يترقى في السير الطولي ويتجاوز كل المراحل، فإن أوّل مرتبةٍ هي المرتبة التي يجد فيها جنبتين: إحداهما (يلي الخلق)، وثانيهما (يلي الحق)، فيصل لمقام النبوّة، وما يمتاز به الأنبياء عن كل أفراد البشر هو **وجدان الجنبتين**: (يلي الحق) و(يلي الخلق).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ولكن ﴿يُوحى إِلَيَّ﴾، ولهذه الجنبة أيضاً مراتب، **والمرتبة الأعلى هي مرتبة الإرسال،** فليس كلُّ نبيٍّ رسول، ولكن كلّ مرسلٍ نبيّ.

وبعد أن وصل إلى مقام الرُّسُل، فإنّ فوق هذا المقام مقامٌ أرفع، ولا يصل كلّ المرسلون إلى ذلك المقام، وهو مقام **المرسلين أولي الكتب،** حيث يصلون إلى مقام النبوة ثم الرسالة ثم حمل الكتاب، ثم هناك مرتبة أعلى أيضاً، وهي أن **يصبح صاحب شريعة.**

والمرتبة الأعلى أيضاً الوصول إلى **أولي العزم**، وأولو العزم من الرسل، وكلّما ارتفعت المرتبة فإن **الدائرة العددية تضيق، وينحصر أولو العزم بخمسة أشخاص.**

وفوق أولي العزم أيضاً **مقامٌ واحد، وهو نهاية النهايات**، وهو مقام الخاتميّة، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، **وههنا تختم المراتب**، وقد جُمِعَت فيه عصارة وجود كلّ الأنبياء من آدم إلى عيسى عليهم السلام، **مَعَ مَزيدٍ يُبهِتُ العقول**، بعد كل هذا يصبح الخاتم صلى الله عليه وآله.

اقرؤوا القرآن ثم افهموا معنى (عَلِيٌّ مِنِّي)، (أنتَ مِنِّي): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾.

هذه المقامات الخمسة: أولها ﴿شَاهِداً﴾: وقد حَيَّرَت الكلّ.. إلى أن تصل إلى آخر الكلمات، شاهدٌ على ماذا؟ شاهدٌ على رسالة تمام الأنبياء والمرسلين، فهو الشاهد على جميع الأنبياء، وهذا هو المقام الأول.

متى عرفوا النبي صلى الله عليه وآله حتى يفهموا معنى (عَلِيٌّ مِنِّي)؟!

فما هي تلك الإنيّة؟ هذا **الذي يُبهِتُ العقل**.

يقول الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، فإن الله تعالى، الذات القدُّوس الذي لا يتناهى، فوق ما لا يتناهى، بما لا يتناهى، مثل هذه الذات تقسم به ﴿لَعَمْرُكَ﴾! **فأيُّ روحٍ هذه التي كان عليٌّ منها؟!**

ومن جهةٍ أخرى، لما **عجزوا جاؤوا ووضعوا رواياتٍ عن آخرين أنّهم من النبيّ وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله منهم!**

وإن شاء الله سنعرضُ في مرحلةٍ لاحقةٍ للأحاديث الموضوعة، **وستذهب جذور المذاهب الأربعة مع الريح** إن شاء الله.

بماذا تميَّزَ النبيُّ الخاتم ص عن كل الأنبياء؟

وصل بحثنا[1] في فقه الحديث (عَلِيٌّ مِنِّي) إلى أنّه ثبت ببرهان العقل، وبحكم الكتاب والسنة أن (إِنيَّة) الخاتم ﷺ **جامعةٌ لجميع مراتب الأنبياء والمرسلين**، وأولي الكتب وأولي العزم، هذه **عُصارَةُ برهان العقل والنقل**.

ولكن المهم هو المرحلة الثانية في معرفة تلك الإنيّة، حيث انحصرت الخاتمية به ﷺ، **فما هو الذي كان واجداً له مما لم يكن عند أحد من الأنبياء** من آدم لعيسى عليه السلام؟ وفي هذا القسم نكتفي بمختصرٍ حول ذلك..

آدم والخاتم

آدم هو مَن ورد حوله في القرآن المجيد: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا** ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾[2]، وفهم هذه الآيات يحتاج لتدبُّرٍ عميق.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: مِنْ **مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ**، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، **هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْك**[3].

ومع كل هذه المقامات للملائكة فإنهم جميعاً قالوا أمامه: ﴿**سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾، ولما أنبأهم آدم بأسمائهم سَجَدَ الملائكة كلهم مقابل خلق آدم عليه السلام، **فكم هو التفاوت بينهم وبينه؟** إنّ المقدار غير قابل للتحديد.

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٤ جمادى الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١٤-٤-٢٠١٤ م.

(٢) البقرة٣١-٣٢.

(٣) نهج البلاغة الخطبة١٠٩.

أما **بين آدم** عليه السلام **وبين الخاتم** صلى الله عليه وآله، فقد خلق الله آدم من طينٍ، بينما **(خَلَقَنِي مِنْ نُور)**، فخِلقة آدم من الطين، وخِلقة الخاتم صلى الله عليه وآله من النور، وأيُّ نور؟! هو الذي **خُلِقَ نوره** صلى الله عليه وآله **قبل خلق آدم بالآف السنين.**

وقد خلق الله العالم، وأعظم منه الكرسي، والكرسيُّ حلقةٌ مقابل العرش، وعندما خُلِقَ العرش الأعظم كان متزلزلاً، وكان هدوء العرش وسكونه في الوقت الذي كُتِبَ عليه اسمان: **الإسم السماويّ أحمد، والإسم الأرضيّ محمد، فسَكَنَ العرش. مَن أسكن اسمُهُ عرش الرحمان، ففي أيِّ حَدٍّ ومقامٍ يكون هو؟!**

نوح والخاتم

أما الفارق بين نوح عليه السلام وبينه صلى الله عليه وآله فيتلخص في كلمتين: دعا نوح قومه ٩٥٠ سنة بنصّ القرآن، ومع كلِّ ذلك وصلت طاقة نوحٍ إلى حَدِّها فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾: أي لا تدع على الأرض أحداً من أهل الكفر، أما **سِعة صدر الخاتم** صلى الله عليه وآله: **مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيت**، وبعد كلِّ تلك الأذيّة التي تُحيِّرُ العقل قال صلى الله عليه وآله: **اللهمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُون.**

انظر للتفاوت بينهما، ولهذا الفارق بين نوح عليه السلام والخاتم صلى الله عليه وآله.

هنا يَتيهُ العقل، آذوه كل تلك الأذية، وأضافهم لنفسه فقال (قَوْمِي)، ثم كان دعاؤه: **اللهمَّ اهْدِ قَوْمِي**، ثم ذَكَرَ عذرَهم: **(فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُون)** فاقبل يا إلهي عذرهم، إنّهم لا يعلمون.

هذا فارقٌ بين نوح عليه السلام والخاتم صلى الله عليه وآله، وبعد كل تلك الصعاب كانت حدود سعة صدر نوح: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ بينما قال

صلى الله عليه وآله : **اللهمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُون**، وكان الأثرُ أنّ سفينة نوحٍ عليه السلام صارت وسيلة النجاة من الطوفان في الدُّنيا، حيث أعطى الله هذه المنزلة لنوح عليه السلام.

أما الخاتم صلى الله عليه وآله : **مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمِثْلِ سَفِينَةِ نُوح**[1]، **فإنّ أهل بيته** صلى الله عليه وآله **سفينة النجاةُ لكل عقبات عالم العُقبى**، فانظر الى التَّفاوت.

إبراهيم والخاتم

أما إبراهيم عليه السلام : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فبعد ابتلاءاته العشر واختيار الله له كانت مرتبته: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، أما الخاتم صلى الله عليه وآله : **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾**[2].

فقد رأى إبراهيمُ مع مكانته ملكوت السماوات، لكنَّ ذلك كان وهو في الأرض، أما هو صلى الله عليه وآله فقد أُسرِيَ به إلى أعلى علّيين، إلى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ولما وصل إلى هناك **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾**.

أراه الله تلك الآيات الكبرى في مقام قابَ قوسين أو أدنى، إلى هذا الحدِّ **بلغ التفاوت بينه** صلى الله عليه وآله **وبين إبراهيم** عليه السلام.

موسى والخاتم

وقد اختار عز وجل موسى عليه السلام وأوصله لتلك المقامات، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾، ولما وصل الى مقام القرب، ﴿وَكَلَّمَ الله

---

(١) الغيبة ص٤٤.

(٢) الإسراء١.

مُوسَى تَكْلِيماً﴾ وبعد أن طوى كل المراحل، طلب ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ **رُفِعَ قسمٌ من الحقيقة الأحمدية وتجلى نور الخاتم** ﷺ **في الطور** ﴿وَخَرَّ موسَى صَعِقاً﴾، هذا التفاوت بين موسى والخاتم ﷺ.

عيسى والخاتم

اقرؤوا القرآن وانظروا الى مقامات عيسى المسيح: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا **وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿وتُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾** ﴿إِنِّي عَبْدُ الله **آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾**.

هذا عيسى ابن مريم، وبعد مقاماته كلها كان دوره: **﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، فكان افتخاره أنّي جئت لأبشر بنبيٍّ سيأتي بعدي اسمه أحمد.**

وبالحديث التالي يُختَمُ المطلب، فإنّ الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وقد أعطي موسى بن عمران **أربع أحرف منها**، وأعطي نوحٌ نبي الله **خمسة أحرف**، وأعطي إبراهيم خليل الله **ثمانية أحرف**، أما **الخاتم** ﷺ **فقد أعطي اثنان وسبعون حرفاً**.. وبقي حرفٌ واحدٌ فقط، وهو مختصٌ بالذات القدوس الحق المتعال، حَجَبَ عنه جميع خلقه.

إذا بقي العقلُ حَياً، فإن **هذا الحديث يحدِّد التفاوت بين جميع الأنبياء وبين الخاتم** ﷺ، **من ثمانية إلى اثنين وسبعين**، كم هي الفاصلة؟

وبينه وبين الله حَرفٌ واحد، هذه إنيّة الخاتم ﷺ.

فإن عُرِفَ هو، سَيُعرَف عليٌّ عليه السلام: عَلِيٌّ مِنِّي.

كيف يقدر البشر على معرفة علي؟!

كان بحثنا[١] في فقه هذا الحديث الصحيح بالاتفاق: **عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ.. أنت مني وأنا منك.**

إن (إنّية) الإنسان مرتبطةٌ بأمرين: العقل، والنفس، أمّا **العقل، فهو دعامة الإنسانيّة**، فالإنسانُ بالعقلِ إنسانٌ، **وأما النفس، فهي هويّة الإنسانيّة** والآدمية.

ولكلٍّ واحدٍ من هذين الأمرين كمالٌ: **فكمال العقل بالعلم، وكمال النفس بالخُلُق**، ولهذين الأمرين **مراتب أيضاً**، واختلاف البشر في هذه المراتب في سِيَرِهِم واقعٌ كاختلاف صُوَرِهم، فكما أن كلّ شخصين مختلفان من جهة الجسم، فإنهما كذلك **من جهة النفس والسيرة.**

ولما تُختَم كلّ مراتب العلوم، **يصبح صاحبُها وحامِلُها الإنسانَ الكاملَ على الإطلاق**، لأنّ الكمال على درجات: **الكمال المطلق ومطلق الكمال**، وهو الذي تجتمع فيه كلّ العلوم بكلِّ مراتبها في عقلٍ واحد.

وأما **كمال النفس**: فيحصل في الوقت الذي **تجتمع كل المَلَكَات الفاضلة** والأخلاق الحميدة بجميع مراتبها **في نفسٍ واحدة.**

فيصبح ذلك العقل **عقل الخاتم** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وتلك النفس تصبح **نفس الخاتم** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هذه حقيقة الخاتمية: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن **رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[٢]، فجُمِعَت في نفسه **كلُّ المراتب من علوم الأنبياء وأخلاق المرسلين**، وفي القرآن تعبيران، والقرآن كلام الله: عِبارةٌ راجعةٌ لعلم الخاتم

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٩ جمادى الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١٩-٤-٢٠١٤ م.

(٢) الأحزاب ٤٠.

صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ، وعبارةٌ راجعةٌ لخُلُق الخاتم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ.

أما ما يرجع لعلمه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ، فهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[1]، وههنا **تعجَزُ عقول الجميع**، **فَعِلمُ** الخاتم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ قد **عَلَّمَهُ إيّاه الله العليُّ العظيم بعظمته، ثم وصفه بالعظمة**، هذا علمه.

أما خُلُقُه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وقد صُدِّرَت هذه الجملة بـ(إنّ)، ثم بـ(لام) التأكيد (**لَعَلى**)، ومن ثم وُصِفَ الخُلُقُ بأنّه (عظيم).

لقد ورد حديثان في مصادر أهل السنة، **وكلاهما بُرهانٌ قاطعٌ على بطلان خلافة الإثنين**، وحقانيّة خلافة أمير المؤمنين عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

أوّلهما[3] عن أبي بكر، عندما جاء أحد كبار اليهود بعد خلافة الأول إليه، فقال: جئت إليك لأحصل منك على جواب سؤالٍ: إنّا رأينا وصف خُلُقِ النبي الخاتم في الكتب السماوية، في التوراة، العهد العتيق، عندما شرحها الله لموسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، لنرى هل أن الذي ظهر عند العرب هو نفسه الذي وصفه الله تعالى لموسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، والحجة ههنا: فقال: ليس عندي علمٌ عن خلقه!! قالوا: لمن نرجع؟ قال: لعلي بن أبي طالب!! هذه من عجائبه، والحديث مفصل.

أما الحديث الثاني[4]: فقد جاء أحد فصحاء العرب إلى الثاني، وكان من أحبار اليهود، وناقل الخبر هو الفخر الرازي في تفسيره الكبير، قال: جئت لتبيِّنَ

---

(١) النساء١١٣.

(٢) القلم٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج٥٤ ص١٩٧.

(٤) تفسير الرازي ج٣٢ ص٢١.

لي خُلُقَ نبيكم، الأول كان قد أرجعه لعلي عليه السلام مباشرة، أما الثاني فقال: ارجع إلى بلال، قال له عمر: ارجع الى بلال الحبشي في هذا السؤال فهو أعلم به مني.

والمحيِّر أن الفخر الرازي المقبول عند الكل من المذاهب الأربعة في المعقول والمنقول ينقلها.

وههنا بحثٌ مع الفخر الرازي: ينبغي أن يكون القائم مقام أيِّ أحدٍ **أعرفَ الناس بأحوال من قام مقامه، وأبو بكر جاهلٌ بأوصاف النبي** صلى الله عليه وآله، فبأيِّ منطقٍ يقوم مقامه صلى الله عليه وآله ؟ وهو الذي يصرِّحُ مجيباً أنّ عليكم أخذ الجواب من عليّ عليه السلام !

كيف تعتقد أنت أيها الفخر الرازي بخلافة من كانت خلافته باطلةً بنَصِّ القرآن الكريم؟! وذلك النص هو: **﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**(١).

أنت الذي تنقل هذه الرواية أنّ حبر اليهود رجع لعمر ليعرف منه أخلاق النبي صلى الله عليه وآله، فأرجعه لبلال الحبشي قائلاً: **هو أعلم به مني**، ونَصُّ القرآن يقول: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الالبَابِ﴾(٢).

فبِحُكمِ إقرار الإثنين، وبحكم القرآن تكون خلافتهما باطلة**!**

ثم جاء إلى بلال وقال: لقد رجعت للخليفة وسألته عن خُلُق النبي صلى الله عليه وآله فقال أنّك أعلم منه، وجئت إليك، قال بلال: أين أنا من وصف خُلُقه؟**!**

قال: إلى أين اذهب؟ قال: **اذهب الى باب بيت فاطمة الزهراء** عليها السلام، ابنته

(١) يونس٣٥.

(٢) الزمر٩.

وبضعته، فاسألها، جاء إلى باب بيت الصدّيقة الكبرى، وقال: جئت أسأل عن خُلُق الرسول العربيّ، وأرجَعُوني لبلال وهو أرجعني لكِ، قالت الصديقة الكبرى: جواب هذا السؤال عند علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذا ما ينقله الفخر الرازي، فجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: رأيت في التوراة شرح حال نبيّ آخر الزمان، وجئت لأحَقِّقَ وأبحث، فبَيِّن لي خُلُقَه.

الجملة التي قالها أمير المؤمنين عليه السلام بحسب كلام الفخر الرازي: **عدّد لي ما في الدنيا من متاع**، قال: يا عليّ، **ليس عندي قدرةٌ لأعدّ لك ما في الدنيا**، هذه الدنيا من سماواتها وأرضها، **كيف يمكن عَدُّ ما فيها؟!**

فكروا في ما أجابه به بابُ العلم والحكمة، أجابه أمير المؤمنين عليه السلام: أنت وغيرك عاجزون عن تعداد متاع الدنيا، والحال أنّ الله تعالى يصرِّح في كتابه **بأن متاع الدنيا قليل**، كلُّ متاع الدنيا قد وُصِفَ بالقِلَّة، أما لمّا وصف خُلُقَ الخاتم صلى الله عليه وآله فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم**﴾.

فإن كنتَ مع كل الناس عاجزاً عن تِعداد متاع الدنيا القليل، **فكيف يكون خُلُقُه مع تلك العظمة قابلاً للبيان؟!**[1].

هذا عِلمُهُ، وهذا خُلُقه، وهذه إنيّة الخاتم صلى الله عليه وآله.

إنّ حلّ المسألة **وفِقه الحديث ودِرايته هنا:**

كَتَبَ البخاري في صحيحه، وإمام الحنابلة في مسنده، وكلُّ أعلام العامة في كُتُب الحديث والتفسير كتبوا: **عَلِيٌّ مِنِّي**: يعني تلك الإنيّة والعلم والخُلُق قد

---

(١) النصُّ منقولٌ بالمعنى، ويمكن الرجوع لنَصِّ ما نقله الفخر الرازي في تفسيره ج٣٢ ص٢١.

انقسم، **فقسمٌ أنا وقسم هو** عليه السلام، **هذه دراية الحديث**، وهذا فقه هذه الرواية.

فكيف يمكن وصف عليّ بن أبي طالب؟!

كيف يقدر البشر على معرفة علي؟!

مَن كان بعضاً مِن إنّية عقل الكلّ وعلم الكلّ.

بأيِّ منطقٍ أيها الفخر الرازي يصبح مثل هذا الرابع، ويصبح الجاهلان الأول والثاني؟! هل لكل الدنيا إذا اجتمعت بما في ذلك كلّ علماء الأزهر قدرة الجواب على هذا؟

وأنا من عليّ

كان البحث[1] في الحديث المتفق عليه: **عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ.**

أما كونه صلى الله عليه وآله **من عليٍّ** عليه السلام، **فهو بحرٌ عميق**، نبحثه **بالقدر الميسور** وبالحدّ المقدور، ليتضح فقه الحديث.

ينبغي النظر أولاً في مقام وَحَدِّ (إنيّة) أمير المؤمنين عليه السلام ونفسه النفيسة، ويتوقف بيان المطلب على معرفة **رأي أعيان أصحاب النبي** صلى الله عليه وآله، وهذه هي المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية: فهي **رأي النبي** صلى الله عليه وآله **نفسه في أمير المؤمنين.**

كلام ابن مسعود في أمير المؤمنين عليه السلام

عبد الله بن مسعود موردُ اتّفاق كلّ العامة، عِلماً وعملاً وكتاباً وسنةً، والبحث حوله مفصلٌ، ونكتفي بما قاله بحَقِّهِ إمامُ أهل النقد، فقد قال الذهبي في

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢١ جمادى الثاني١٤٣٥ هـ الموافق ٢١-٤-٢٠١٤ م.

حقّه: **فلقد كان من سادة الصحابة**[١]: وصحابة النبي ﷺ عند العامة كلُّهم عدولٌ ببيعة الرضوان، لذا فإنّ كل من صار صحابياً عند العامة لا يحتاج لتعديل، لأن اعتقادهم: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فهؤلاء مورد رضىً خاصٍّ من الله تعالى ﴿**إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ وهذا مقامُ مطلق الصحابيّ عندهم، والتعبير عن ابن مسعود أنّه: **مِن سادة الصحابة**.

وأوعية العلم: فإن وعاءه من العلم مملوء.

وأئمة الهدى: وهذا مقامه الثالث عندهم، فمقامه أنّه من سادة الأصحاب وأبواب العلم وإمام هدىً **عند مختلف المذاهب وأئمتهم**.

ثانياً: ورد بحقه أيضاً: **وقد نظر عمر إلى ابن مسعود قد قام فقال: .. مُلِئ علماً**: وهذا مما قيل بحقه أيضاً.

ثالثاً: **وأحد السابقين الأولين، ومن كبار البدريين، ومن نُبَلاء الفقهاء والمقرئين**[٢]، والجملة الأولى ناظرةٌ إلى الآية ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُون**﴾، وغزوات النبي ﷺ مختلفةٌ، ومقام البدريين وصلّ إلى حدٍّ أن الملائكة المسوَّمين جاءت لحمايتهم بِنَصِّ القرآن، هذه تعابير أئمة رجال العامة بالنسبة لابن مسعود، والمهم هو هذه الرواية التي ينقلها الذهبي، أن النبي الخاتم ﷺ قال: **مَن أحبّ أن يقرأ القرآن غَضّاً كما أُنزِل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**[٣].

(١) تذكرة الحفاظ ج١ ص١٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ج١ ص١٣.

(٣) تذكرة الحفاظ ج١ ص١٤.

وهذا الحديث في شأنه أيضاً، على أنّ ابن مسعود نفسه يقول عن القرآن: **إذا أردتم العلم فانثروا القرآن، فإنّ فيه علم الأولين والآخرين**[١]، ففي القرآن علم ١٢٤ ألف نبيّ، بضميمة علم الخاتم ﷺ، كلُّه في القرآن الكريم.

بعد كلّ هذا فإنّ الذي يُثبِتُ عجز الجميع، **ويبطل المذاهب الأربعة، ويجعل الشيعة عَلَمَاً في الدنيا**، هو **شهادة هذا الرجل**، فإنّ ابن مسعود مع كل مقاماته ودرجاته هذه من كلمات الأعلام، إلى إمام الأنبياء والرسل، يقول عن القرآن الذي جُمِعَ فيه علمُ الأولين والآخرين:

أنزِلَ القرآن على سبعة أحرف: ماذا يعني ذلك؟ يعني أن كلَّ حرفٍ من القرآن له سبعة أحرفٍ أو بطون، يعني لحرف (ألف) سبعة أحرفٍ في القرآن، وللام سبعة أحرف، وللميم سبعة أحرف، وكلُّ حرفٍ من هذه الأحرف السبعة له ظهرٌ وبطنٌ، ظاهرٌ وباطنٌ، أما الظاهر فهو تنزيل القرآن، وأما الباطن فهو تأويل القرآن، هذا ما قلتُه، أنّ الذي يثبت بطلان المذاهب الأربعة ويشطب عليها هو هذا القول:

ما منها حرفٌ إلا وله بَطنٌ وظَهرٌ، وأمّا عليٌّ فعنده منه علمُ الظاهر والباطن[٢].

كلام من هذا؟ كلام من نقلت المذاهب الأربعة عن النبي ﷺ كلامه فيه بأنّ من أراد أن يقرأ القرآن كما نزل فليأخذ عن ابن مسعود، هو بنفسه يقول أنّ هذا القرآن نزل على أحرفٍ سبعة، ولكلِّ حرفٍ ظاهرٌ وباطنٌ، **وعلم الظاهر**

(١) تذكرة الحفاظ ج١ ص١٦.

(٢) فيض القدير ج٣ ص٦٠.

والباطن لكلّ حروف القرآن في صدر علي بن أبي طالب عليه السلام.

فماذا يقول الذهبي، والفخر الرازي، والبخاري، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، بماذا يجيبون؟! هذا عليٌّ بشهادة ابن مسعود.

أما **عُمَر، فإنه جاهلٌ بأحكام الصلاة** بشهادة البخاري ومسلم!!

فأين هو مذهب الحق؟!

هذه جهةٌ مِن إنيّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

إفهموا القرآن: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾** العقل يحتار ههنا، نحن أنزلنا القرآن عليك، ليس لموسى عليه السلام ظرفية هذا النزول، ولا لعيسى ولا إبراهيم، لم نترك شيئاً لم ننزله في القرآن **﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾**، فالله تعالى شيءٌ لا كالأشياء، وكلُّ الكائنات في كل العوالم، كلُّه في القرآن، وكلُّ ذلك في روح عليّ بن أبي طالب!

هذا ليس كلامي وكلامكم! هذا ليس كلام الكليني والصدوق والمجلسي! هذا **كلام عبد الله بن مسعود إمام الكلّ عند الكلّ!**

هذه **عظمة هذا المذهب!**

فهل الحق مع من يعتقد بإمامته عليه السلام؟ أم مع من اعتقد بخلافة الأول والثاني؟! الحَكَمُ ابن مسعود وهو بهذه المقامات.

يقف العقلُ متحيّراً مهما كرّر العبارة: **ما من حرفٍ إلا له ظَهرٌ وبطنٌ، وإنَّ عليَّ بن أبي طالب عنده علمُ الظاهر والباطن!**

كلام ابن عباس في أمير المؤمنين عليه السلام

كان بحثنا[١] في دراية هذه الرواية: **عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ. أنتَ منِّي وأنا منك**، إنّ رواية هذه الكلمات سهلةٌ، لكنَّ **درايتها ليست كذلك**، وكلما تعمَّقنا فيها **يظهر أن عمقها لا يُدرك ولا يُوصف.**

ويتوقف هذا المطلب على أن يتّضح رأي أعاظم الصحابة الذين اتفق جميع العامّة على قبولهم، وكان قولهم ورأيهم حجةٌ قاطعةٌ عندهم.

وقد مرّ بحث شهادة ابن مسعود، عبد الله ابن أمّ عبد، والبحث اليوم في شهادة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

الكلماتُ المنسوبة له عند العامة كثيرةٌ، ونحن نكتفي بأدقِّ المطالب التي لا يمكن لأحدٍ أن يناقش فيها، فإنّ إمام أهل النقد يقول عن عبد الله بن عباس:

الامام البَحر، عالم العصر: مقامه مثل هذا المقام، بحرٌ من العلم.

وقد دعا النبيُّ أن يفقهه الله في الدين ويُعَلِّمه التأويل[٢].

وأما عبد الله بن مسعود، الذي نقل الذهبيُّ نصَّ الرسول عنه أنّ من أراد أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أمّ عبد، فشهادة مثل هذا عن ابن عباس: **قال ابن مسعود: نِعمَ تُرجُمَانُ القرآن ابن عباس**: وهذه تبيِّن مقامه العلمي.

عن أبي وائل: استعمل عليٌّ ابن عباس على الحج، فخطب يومئذ خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها.

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٦ جمادى الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٦-٤-٢٠١٤ م.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٤٠، وسائر ما نقل عن ابن عباس فمن هذا المصدر.

فأيُّ قدرةٍ هذه وأيُّ علمٍ هذا وأيُّ كمال؟!

توفي ابن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين، فصلى عليه محمد ابن الحنفية وقال: اليوم مات ربانيُّ هذه الأمة رضي الله عنه[١].

هذا مقام هذه الشخصية، ومثل هذا يقول بحسب ما نقل أعلام العامة[٢]:

وعن ربعي بن حراش قال: استأذن عبد الله بن عباس على معاوية وقد علقت عنده بطون قريش، وسعيد بن العاص جالسٌ عن يمينه، فلما رآه معاوية مقبلاً قال: يا سعيد، والله لألقين على ابن عباس مسائل يعيا بجوابها.

فقال له سعيد: ليس مثل ابن عباس يعيا بمسائلك..

قال معاوية: فما تقول في علي بن أبي طالب؟: وليدقِّق أهلُ النظر في المسألة، فكلُّ عبارةٍ منها بَحرٌ، ونحن نقرأ العبارة اليوم وليس عند صدورها، حينما كانت الشام مركز حكومة معاوية، ومع عداوة معاوية لعلي عليه السلام وسؤاله لعبد الله بن عباس سؤالاً يعيا بجوابه.

قال: رحم الله أبا الحسن، كان والله علم الهدى: كلُّ جملةٍ تحيّر العقول، والله كان عليٌّ علم هدايةٍ لكلّ العالم.

وكهف التقى: كان عليٌّ مركز سرٍّ حقيقة التقوى.

ومحلّ الحجا.. وطَود البها: مَن كان بهاؤه.. هل قرأتم دعاء السحر؟ اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاه.. كان عليٌّ طود ذلك البهاء.

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٤١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص٢٤٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٥٨.

ونور السرى في ظُلَم الدجى: كان نور عالم الوجود، ماذا تقول يا معاوية في رجل لو لم يكن لكان العالم ظلماتٍ محض؟

داعياً إلى المحجة العظمى، عالماً بما في الصحف الأولى: شرح كل كلمة يحتاج إلى كتاب، كلُّ ما نزل على ١٢٤ ألف نبيٍّ قد جمع في قلب **عليّ بن أبي طالب**.

وقائماً بالتأويل والذكرى، متعلقاً بأسباب الهدى، وتاركاً للجور والأذى: ذاك علمه وهذا عمله، فهل له نظير ثانٍ في هذه الدنيا؟! **وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ**. هذا عدله وذاك علمه.

وحائداً عن طرقات الرَّدى، وخير من آمن واتّقى، وسَيِّد من تقمّص وارتدى: فهو خير من آمن واتقى، ولا إيمان فوق إيمانه ولا أفضل من تقواه.

وأفضل من حج وسعى: والمحيِّر أنّ أعلام العامة نقلوا هذه الأمور عن مثل ابن عباس، فماذا ستكون النتيجة؟!

وأسمح مَن عَدَل وسَوَّى، وأخطب أهل الدنيا..: وابن أبي الحديد يعترف أن كلامه عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، كلّ مخلوق.

وصاحب القبلتين فهل يوازيه موحد؟

وزوج خير النساء: وهذا يكفي، فآدم ومن دونه لم يكونوا كفواً لها كما كان.

وأبو السبطين، لم تر عيني مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقاء: أيُّ فصاحةٍ وبلاغةٍ وأيُّ معنى ولفظ!

إنّ العلم يصنع الرجولة، والجهلُ يَذهَبُ بها!

هؤلاء **الذين يتنازلون أمام علماء العامة فإن ذلك ناتجٌ عن الجهل!** إذا **وُجِدَت القدرة العلمية** يمكن أن يتحدث الإنسان **بهذا البيان وهذا الاستدلال والمنطق ويكسر ظهر معاوية**، عندما وصل إلى هنا قال ابن عبّاس الجملة التالية عن عليّ عليه السلام:

مَن لَعَنَهُ: ومن الذي لعنه غير معاوية؟ من الذي فتح باب السب واللعن لعليٍّ في خطب صلاة الجمعة؟! كانت عبارته الأخيرة:

مَن لَعَنَهُ فعليه لَعنَةُ الله والعباد إلى يوم القيامة: ذاك أوّله وهذا آخره، وهذه شهادة ابن عباس مقابل تسليم علماء العامة أمام معاوية بن أبي سفيان.

والسؤال: أنتم الذين نقلتم هذه الأمور في كتبكم، **كيف تعدون مثل هذا خليفةً رابعاً؟ وتجعلون مَن لم يَفهم تفسير كلمة الكلالة أولاً وثانياً؟**

عَلَمُ الهدى، والعالِمُ بما في الصحف الأولى يكون الرابع؟ ومثل هذا الجاهل يكون خليفةً أولاً وثانياً؟ **ههنا ينكسر ظهر علماء المذاهب الأربعة**، أما شرح هذه العبارات ففوق هذه المجالس.

كلام النبي ص في أمير المؤمنين عليه السلام

اتّضح[1] رأيُ أعاظم الصحابة في أمير المؤمنين عليه السلام، والعمدة على بيان خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله نفسه، لأنَّ هذا البحثَ مبنيٌّ على ما نُقِلَ في كتب العامة، ليكون وفق قاعدة ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وطريق الجدال بنحوٍ أحسن هي أن يَتِمَّ الاحتجاج بما في الصحاح والمسانيد

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٨ جمادى الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٨-٤-٢٠١٤ م.

مما نُقِلَ عن رسول الله ﷺ، ومنها الرواية التالية، مع كون القرآن قد نَصَّ على لزوم الأخذ عنه ﷺ: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه﴾ فقولُهُ قولُ الله تعالى، وما يُبَيِّنُه ﷺ هو بيان الله تعالى، ووظيفةُ كلِّ مسلمٍ الأخذ بقول النبي ﷺ اعتقاداً وعملاً.

أما كلامُه ﷺ فهو: **أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ البَاب**[1]. هذا بيانُ من لا ينطِق عن الهوى، وقد قال أولاً: **أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ**.

واشتُقَّت (**دَارُ**) من (دور)، اعتباراً بدورانها حول الحيطان، وتفصل بين ما في الدار وما خرج عن الدار، **أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ**: فإنّ الحكمة مرتَكِزَةٌ في هذه الدار، كُلُّ الحكمة في بيتٍ قلبُه هو النبي ﷺ، **والطريق لهذه الدار تنحَصِرُ بباب هذه الدار**، وباب هذه الدار هو عليُّ بن أبي طالب حصراً: **أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا**.

والمهم هو فاء التفريع، **فَمَنْ أَرَادَ الحِكْمَةَ**: فَنِسبَةُ ما بعد الفاء لما قبلها **نسبة المعلول للعلّة**، فكلُّ من أراد الحكمة وجوهرها: **فَلْيَأْتِ البَاب**، دون استثناء، واللاّم أيضاً لام التأكيد، وَمَن وَصَلَ إلى الباب وَصَلَ إليَّ، ومَن وَصَلَ إليَّ وَصَلَ إلى الحكمة.

ثم ينبغي فهمُ الحكمة أيضاً، لأنّ الرواية سهلةٌ لكنّ الفقاهة صعبةٌ، الدرايةُ صَعبةٌ، والمرجع هو القرآن الكريم، فينبغي الرجوع للقرآن الكريم، ثم استنباط معنى الحكمة ومعرفتها، ولماذا استُخلِصَت في وجود الخاتم ﷺ، ولماذا عَيَّنَ الله تعالى الباب لهذه الدار؟!

(١) من المصادر التي ذكرته بهذا اللفظ مناقب عليّ بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي ص٩٣.

أما القرآن، فمنذ أن أوصَلَ الله تعالى إبراهيمَ الخليل إلى تلك المراتب اتّضحت كلمة الحكمة من دعائه، واتضح في أيِّ بابٍ هي: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[(١)]، فههنا كان دعاء خليل الله وذبيح الله أثناء بناء بيت الله بِنَصِّ القرآن: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[(٢)].

فمُنتهى الغايات ونهاية النهايات في دَور الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾، هذا دعاءُ خليل الله، وتأمينُ ذبيح الله عليه، عند بناء بيت الله، **هذه هي الحكمة!**

ثم نَصَّ القرآن على أنّ متاع الدنيا قليل، وكَم هي سعة الدنيا أولاً؟! يتَّضح حَدُّ سَعة الدنيا بقراءة القرآن، يقول تعالى: ﴿**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ**﴾[(٣)]، فكلُّ هذه الكواكب التي يصل نورُ بعضها بعد مليار سنةٍ ضوئيةٍ إلى الأرض هي زينةٌ في هذه الدنيا! وكَم هي الفاصلة بيننا وبينها؟! إنّ عَدَدَها وبُعدَها غيرُ معروفٍ لأحدٍ إلا لله تعالى، ولشهدائه على خلقه، كلُّ هذا وكلُّ ما في هذه الدنيا قليل! ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ﴾.

أما الحكمة: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾[(٤)].

---

(١) البقرة١٢٧.

(٢) البقرة١٢٩.

(٣) الصافات٦.

(٤) البقرة٢٦٩.

وقَدَ حَصَرَ إيتاءَ الحكمة بمشيئته، **فليس هذا الجوهر مباحاً لتصل إليه يَدُ كلِّ أحد**، فليس للدنيا وما فيها شرطٌ، إذ قد ينالها الفاسقُ والكافرُ فيصل إلى المقاماتً الدنيوية، كلُّ المقامات والفنون (لا بشرط)، **أما الحكمة فإنها (بشرط)**، وذلك الشرط هو مشيئة الحقّ تعالى: ﴿**يُؤتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ** وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾.

الشيء الذي يراه الله تعالى خيراً يُحَيِّرُ العقل**!!** ثم هو بعد ذلك ﴿**خَيْراً كَثِيراً**﴾**!** فكلُّ الدنيا قليلةٌ ولكنّ جنس الحكمة بل **كلمة من الحكمة خيرٌ كثير!**

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ **آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لله**﴾[2]، فعندما يختارُ مثلَ لقمان ويعطيه الحكمة يَضُمُّ إليها الأمر بالشكر!

﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ** وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ﴾[3]، والطريق إلى الله تعالى محصورةٌ بالحكمة، ولا يمكن الوصول إليه إلا بتوسُّط هذه الأداة.

وختم الكلام: أنَّ مقام الحكمة نفسها هو أنَّهُ ما لم تُعلَم الحكمة فإن حديث: **أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا**، لن يُفهم.

وقد استجاب الله دعاء إبراهيم، فأعطى النعمة للبشر، لكنّهم أساؤوا استخدام النعمة، أمّا هنا: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المُؤمِنِينَ **إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً**﴾، فقد كانت ثمرة وجود الرسول: أولاً: يتلو عليهم آياته، وثانياً: يزكيهم، وثالثاً:

---

(١) النساء٥٤.

(٢) لقمان١٢.

(٣) النحل١٢٥.

يعلمهم الكتاب، ورابعاً: وهو ختم الكلام: والحكمة!

والنتيجة أنَّ خَلقَ تمام العالم، من السماوات والأرضين مُقَدَّمَةٌ لخلق آدم عليه السلام، وخلق آدم عليه السلام مقدَّمَةٌ لبعثة الأنبياء، وبَعثة الأنبياء من آدم لعيسى مقدمة، **وذي المقدمة هو بعثة الخاتم** صلى الله عليه وآله.

ثم الخاتم نفسه صلى الله عليه وآله مقدمةٌ، **وآخِرُ ثمرةِ هذه الشجرة الطيبة هو الحكمة، وعليٌّ باب هذه الحكمة!**

هذا معنى **أنَّ أحداً لم يعرفه** عليه السلام، **كما قال النبي** صلى الله عليه وآله نفسه: **يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَ اللهَ إِلَّا أَنَا وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَنِي إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَكَ إِلَّا اللهُ وَأَنَا.**

الفصل الثالث: الإمامة والأحاديث الموضوعة

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

كان البحث في أنه طِبقَ النصِّ الصحيح سنداً، فإن علياً عليه السلام من خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله من علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهاتان الجملتان بضميمة النصوص الواردة في علمه عليه السلام **حيّرت علماء العامّة وصارت معضلة عندهم.**

وإن كان **دار الحكمة هو خاتم الأنبياء** صلى الله عليه وآله، **وباب تلك الدار علي المرتضى** عليه السلام، **فلا يبقى للآخرين محلٌّ من الإعراب!**

ثم لما عجزوا ناقشوا أولاً في صدور هذا الحديث عنه صلى الله عليه وآله، لكنَّهم فُضِحُوا لمّا وجدوا كلمات أمثال ابن عباس، مِن أنَّ عِلمَهُ وعلم كلّ علماء العالم **مقابل عِلمِ عليٍّ كقطرةٍ في بحر**، ووجدوا أن صدور الحديث غير قابلٍ للإنكار، **وضعوا واخترعوا** للآخرين مضمونَ ما في صحيح البخاري.

فوضعوا مثلاً روايةً عن **الثاني: هو مني وأنا منه، إذ أرادوا أن يكسروا صولة هذا المقام.**

ومِنَ العجائب أنهم اتفقوا على تخطئة هذه الرواية بعد ذلك، حتى الذهبيّ مع تعصُّبه التزم ببطلان هذه الرواية (عُمَر مني وأنا من عُمَر)**!**

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٥ رجب ١٤٣٥ هـ الموافق ٥-٥-٢٠١٤ م.

١. أصحابي كالنجوم

ولمّا عجزوا من كلّ الجهات، أرادوا أن يواجهوا حديث باب الحكمة وباب مدينة العلم، فاخترعوا هذه الرواية: **أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم.**

فليس أمرُ الهداية محصوراً بعليٍّ عليه السلام، **وههنا الهَذَيَان**، وليُدَقِّق أهلُ الفضل جيّداً في هذه الحقائق.

إذا كان العلم والحكمة قوياً **فليس للعالَم أيُّ خيارٍ مقابل المنطق والبرهان القاطع**، وإذا سمح الوقت سنُثبِتُ اليوم للمذاهب الأربعة **بطلان هذه الرواية** (أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ..) **بحكم القرآن وبحكم العقل القطعيّ.**

إنّ شرط صحة الحديث عند الكلّ **أمران:**

أحدهما: أن لا يكون الحديث مخالفاً لحكم العقل القطعيّ، لأنّ الحجة بالدرجة الأولى هي العقل.

ثانيهما: أن لا يكون مخالفاً لِنَصِّ القرآن الكريم، فإنّ السنّة المخالفة لكتاب الله من (أبطل الأباطيل).

مخالفة الحديث لموازين العقل

أما **الأمر الأول**: فإنّ هذا الحديث مخالفٌ لجميع الموازين العقلية، بأيِّ دليل؟

الدليل الأول: أنَّ لازم صدور هذا الحديث بطلانه! واستحالة عدم الشيء من وجوده من أبْدَه البديهيّات في البطلان.

بُرهان ذلك: أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم: وقد نقلوا جميعاً بالاتفاق أنّ عُمَر نفسه قال: **كلّ الناس أفقه مني حتى المخدرات في الحجال**. وقد قال هذه القضية عندما أعلن على منبر النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّ أحداً لو جعل مهر زوجته أكثر من مهر زوجات النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فإني سآخذ ما زاد منه، وأجابته امرأةٌ من خلف الستار وقالت: أنسمع كلامك أم كلام الله؟

هذه القضية المنفصلة على سبيل منع الخلو: امرأةٌ من خلف الحجاب تحاججه بأنك تريد إرجاع المهر الزائد عن مهر زوجات الرسول، والله تعالى أنزل في نص القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً** أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[1].

أنت تقول سآخذه، والله يقول: ﴿**فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً**﴾، فهل نتّبعك أم نتبع كلام الله تعالى؟

والجمع بين الأمرين محالٌ، فيدور الأمر بين أحد الأمرين، فماذا تقول؟

ههنا عندما عجز قال: **كلُّ الناس أفقه مني حتى النساء في الحجال.**

إذا كان النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ قد قال: أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم، **فإمّا أن هذا الحديث صحيحٌ أو أنّه غير صحيح، إمّا حقٌ وإمّا باطل.**

فإن كان حقاً **تكون كلمات عمر هدايةٌ بمقتضى هذا الحديث**، وإن كان كذلك **فالنتيجة والعياذ بالله بطلان القرآن!**

هل لكلّ الدنيا قدرة الجواب على هذا؟!

---

(١) النساء ٢٠.

فقد قام البرهان القاطع أنَّ مثل هذا الكلام لم يصدر من النبي ﷺ أبداً.

إنَّ علم وحكمة هذا المذهب قد صار وراء الحُجُب بسبب جهلنا!

وبِنَصِّ صحيح مسلم نُبَيِّن أنّ لهذه المطالب شاهدٌ قطعيٌّ في كل موردٍ على حقانية مذهب الشيعة وبطلان المخالفين، ونحن استفدنا من هذه الروايات، ونُثبِتُ اليوم بطلان هذه الرواية التي وضعوها مقابل: **أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا**، واعترفوا كلُّهم بها.

متن صحيح مسلم، وهو حُجَّةٌ قطعيّة عند الكلّ، هو أنّه عندما لم يكن عند الثاني ماءٌ لم يكن يصلي عند جنابته! وكان يقول للناس أيضاً لا تصلوا عند فقدان الماء! فإذا كان النبي ﷺ قد قال: **أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم**، فلازم ذلك أن يكون قول ابن الخطاب هداية بنصّ صحيح مسلم!

ونَصُّ القرآن من جهةٍ أخرى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً **فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طَيِّباً**﴾.

الكتاب والسنة قائمٌ على بدليّة التيمم عن الوضوء وعن الغسل، وأنّ التراب أحد الطهورين: **يَا أَبَا ذَرٍّ يَكْفِيكَ الصَّعِيدُ عَشْرَ سِنِين.**

هذا نَصُّ الكتاب والسنّة، فلو كان لكلِّ علماء السعودية إمكانيّة الإجابة على هذا الإشكال مع الإيمان بهذا الحديث ليأتوا بالجواب.

إما أنّ هذا صحيحٌ وإما آية التيمم! فإن كان هو نجماً وكلُّ من اقتدى به صار من أهل الهداية، فينبغي أن لا يغتسل الجُنُبُ بالضرورة، **وأن يترك الصلاة إن لم يجد ماءً!** ينبغي الأخذ إمّا بهذا أو بالكتاب وسنة الرسول ﷺ أنّ الصلاة لا تُترَك بحال.

لم تستحوا أن تنسبوا للنبي ﷺ **عبارة: أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم؟!** في مقابل: **أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، وأنا دارُ الحكمة وعليٌّ بابها.**

النتيجة إما أن عمر من أصحاب النبي أو لا، فإن لم يكن منهم كيف جعلتموه خليفة؟! وإن كان من أصحاب النبي ﷺ فهل هو من موارد هذا الحديث أم لا؟! إن لم يكن من موارده **فلماذا فَتَحتُم هذا الدُّكان مقابل عليّ بن أبي طالب؟!**

وإن كان مصداقاً لهذا الحديث **فكيف تجمعون بين الإيمان بالله تعالى والإيمان بابن الخطاب؟!**

إذا كان لعلماء المذاهب الأربعة قدرةُ الجواب على هذا السؤال، فليأتوا به، والبطلان يطال ما هو أكثر من هذا.

لقد نقلوا كلّهم وبالاتفاق أنّ هذا الشخص قال في موارد عديدة: **لولا عليّ لهلك عمر، لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن**، فلا سندها قابل للمناقشة، ولا دلالتها.

بعضهم نقلها سبعين مرة! ولأنّه ينبغي ذكر البرهان، فإنّ صدور هذه الكلمة منه قدرٌ متيقن، وقد اتفقتم جميعاً[1] أن أمير المؤمنين عليه السلام لما رآهم يأخذون امرأةً حاملاً ليرجموها سأل: إلى أين تأخذونها؟ قالوا: يا أبا الحسن، لقد ابتُلِيَت بالزنا وهي ذات بعل فتستحق الرجم، فسأل: من أمر بذلك؟ قالوا: فلان.

جاء إليه وسأله: أنت قلت ذلك؟ قال: نعم إنّ حكم المرأة الزانية ذات

(١) رويت في مصادر عدة منها السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٤٢ وغيره، والنقل هنا بالمعنى.

البعل الرجم بنَصّ القرآن، وأنا خليفة النبي ﷺ ومُجرِي الحدود.

قال عليه السلام: إذا كنت مسلَّطاً على المرأة فمن أعطاك السَّلطَنَة على ذلك الولد البريء في رحمها؟! لمّا قال عليه السلام هذه الكلمة تحيّر فقال: ماذا أفعل؟

قال عليه السلام: ينبغي بحكم القرآن أن تصبر ثلاثين شهراً: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[1]، وفي مورد آخر: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً﴾[2]، فينبغي الصبر هذه المدة لإجراء الحد، فقال: **لولا عليٌّ لهلك عمر**.

فَهَل هذه الرواية (**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم**) صادرةٌ عن النبي ﷺ ؟

إن أردنا أن نستمر في إثبات بطلان هذا الحديث، **فسنبقى أكثر من عام في ذكر مخالفات الأول والثاني والثالث**، ليُعلَمَ أن هذا **الحديث موضوعٌ**، وأنهم **اخترعوا هذا الحديث، وهذا هو العار**، وجعلوه مقابل حديث النبي: **أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا**، وحديث: **أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ البَاب**.

مخالفة الحديث لنَصِّ القرآن

ما ينبغي تحقيقه[3] بشكلٍ دقيق هو الروايات التي ذُكِرَت في كتب العامّة مقابل نصوص الفضائل والمناقب، وتنقسم هذه الروايات إلى طائفتين:

---

(١) البقرة٢٣٣.

(٢) الأحقاف١٥.

(٣) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٠ رجب ١٤٣٥ هـ الموافق ١٠-٥-٢٠١٤ م.

الطائفة الأولى: عبارة عن **نصوصٍ عامة** تشمل مطلق الصحابة.

والطائفة الثانية: النصوص الخاصة، وهي رواياتٌ عن الأول والثاني والثالث وأضرابهم. وكان بحثنا في الروايات العامة، وعُمدَةُ هذه الروايات حديث: **أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم**، وهذه الرواية صحيحةٌ سنداً وتامّةٌ دلالةً عند العامة، فتشمل كل فردٍ من الصحابة، وقد تعرَّضنا لقسمٍ حولها في الجلسة السابقة وبَقِيَ قسمٌ آخر.

إنّ مِن أهم شروط صحّة الحديث أمران:

الأول: أن لا يكون مخالفاً لحكم العقل البديهي، لأن الغرض من بعثة الأنبياء تكميل العقول، لذا فإنّ ما يثبت حقّانية الأنبياء حتى الخاتم ﷺ هو العقل.

الثاني: أن لا يكون مخالفاً لكتاب الله تعالى، فإذا وُجِدَ حديثٌ في تمام قوّة السند، **ولكن كان مخالفاً للقرآن يُطرَحُ بالاتفاق، يحكم بذلك البرهان القطعي**، إذ أنّ **الجمع بينه وبين مدلول الكتاب جمعٌ بين المتناقضين، والجمع بين المتناقضين والضدّين محالٌ**، فينبغي الأخذ بأحدهما وترك الآخر.

وإذا دار الأمر بين طرح القرآن وطرح ذلك الحديث، **يكون القرآن مُحكَّماً** بالإتفاق، وهذا الأمر من **ضروريات جميع المذاهب**، لذا فإنّ في مذهب الخاصة أيضاً: **لَا تَقْبَلُوا عَلَيْنَا مَا خَالَفَ قَوْلَ رَبِّنَا**[1]، وفيه: **مَا لَمْ يُوَافِقْ مِنَ الحَدِيثِ القُرْآنَ**

---

(١) رجال الكشي ص٢٢٤.

فَهُوَ زُخْرُف[١]، وفيه عن القرآن: **وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط**[٢]، وهذا برهانٌ قطعي في كل المذاهب.

ومُدَّعانا أنّ هذا الحديث: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، **مخالفٌ لكلام الله، ومناقضٌ للقرآن الكريم.**

أما **الدليل** القاطع: فإن المغيرة بن شعبة هو أحد أصحاب الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقد نصبه الخليفة الثاني على أمارة وزعامة حكومة الكوفة، فَلَهُ هذان المنصبان.

وما ينبغي أن يثبت اليوم هو بطلان هذا الحديث، وبطلان خلافة من نَصَّبَه، وحُكم كتاب الله في المطلبين، وهذا الرجل معروفٌ مشهورٌ بما فعل، وقضيّته تامَّةٌ إلى حدّ أن أساطين العامة نقلوها عن أربع أشخاص، وكان هؤلاء في الغرفة العليا والمغيرة في السفلى.. **فرأى الأربعةُ المغيرةَ يزني،** وكتبوا ما جرى لِعُمَرَ بن الخطاب، فطلب عمر المغيرة والشهود، وقال: ما الأمر؟

فشهد ثلاثةُ أشخاصٍ أنّهم رأوا ما جرى وبيَّنوه للثاني، أما الرابع فنظر ورأى أنّ قيافة الخليفة الثاني قد تغيّرت، ولكي يرضيه (وهذه مطالب كَتَبَها أعيان العامة) قال: رأيته حيث جلس بين فخذيها، لكنّه لم يشهد بالإيلاج والإخراج.

وقد اشتهرت هذه القضية إلى حد أنَّ الشُّعراء نظموا الأبيات في زنا المغيرة، والشاهد على ذلك شعر حسان.

والمهم جداً هو كلام ابن ابي الحديد، يقول هذا الرجل أنّ زنا المغيرة بن

(١) الكافي ج١ ص٦٩.

(٢) تفسير الصافي ج١ ص٣٦.

شعبة ثابتٌ بروایاتٍ مشهورةٍ مستفيضة، ونَصُّ كلامه: **الخبر بزناه كان شائعاً مشهوراً مستفيضاً بين الناس**(١).

والسؤال: إذا كان هذا الحديث صحيحاً: أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم، **فأقلُّ ما يثبته هو عدالةُ الصحابيّ**، وهو دليل العامّة في قولهم بعدالة الصحابة.

السؤال هنا لعلماء المذاهب الأربعة: **إذا كان النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ **قد قال**: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، **فينبغي على كل مسلم امضاءُ وتصحيحُ زنا المغيرة بن شعبة! والاقتداء بهذا الزاني!**

وهذا مخالفٌ لنصّ القرآن والسنّة القطعيّة وفتوى أئمة المذاهب الأربعة!

فكيف يُجمَعُ بين هذا الحديث ونصِّ القرآن؟! وقد حكم تعالى في كتابه أن الزنا فحشاء، وأنه ينبغي أن يجتنب كلُّ مسلمٍ الزنا، بل حتى مقدّماته: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾.

والزاني والزانية محكومان بنص القرآن بمئة جلدة: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله** إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، وإن كان مع امرأة متزوِّجة فيكون محكوماً بالرَّجم بنَصّ القرآن! هذا حكم القرآن وهذا فعل المغيرة بن شعبة!

(١) شرح نهج البلاغة ج١٢ ص٢٤١.
(٢) النور٢.

فهل حديث: (أصحابي كالنجوم) حقٌّ أم باطل؟! ينبغي أن يجيبوا، ولو اجتمعت الدنيا لكانت عاجزةً عن الجواب على هذا الإشكال، وهذا مؤكد مئةً بالمئة، هذا المطلب الأول.

أما **المطلب الثاني**: فإنّ مَن كان خليفةً للمسلمين جاهلٌ إلى حَدِّ أنّه يجعل مثل هذا الزاني أميراً لتلك المدينة والديار! ويصل الأمر إلى حَدِّ أنّه يأتي خارج دار الإمارة كلّ يومٍ قبلَ الظهر، ويذهب إلى بيت أم جميل، **ويزني بها، وبعد أن يتلوَّث بالزنا يأتي للمسجد لإمامة الجماعة!** وهذا ما ذكره المؤرخون والمحدِّثون من العامة لا الخاصة، بمن فيهم أصحاب السنن والمسانيد.

هذا هو المذهب الحق؟! هكذا يكون الخليفة؟! هذا شأن عُمَر بن الخطاب! **مِثلُ هذا نَجمٌ يهتدي من يقتدي به؟!**

إذا كان هذا الحديث صحيحاً فإنّ عمل المغيرة صحيحٌ، وصلاة الناس صحيحة! **فبأيّهم اقتديتم اهتديتم!**

فِعلُ من هذا؟ فِعلُ عمر بن الخطاب! وهو بمقتضى هذا الحديث نجمٌ أيضاً، **ووظيفة كل مسلم أن يقتدي به!** فينبغي أن تكون زعامة المغيرة بحكم هذا الحديث صحيحة، وصلاته مع جنابته من الزنا محكومة بالصحة!

هل هذا هو الدين؟! هذا هو القرآن؟! هذه هي السنة القطعية؟!

هل يمكن **لكل علماء الأزهر لو اجتمعوا أن يجيبوا على هذا الإشكال؟!**

هذا الدليل، اثنان واثنان أربعة، والمهم إدراك هذه المطالب.

ثم إن هؤلاء الذين نقلوا هذا الحديث أي زنا المغيرة وفِعلَه وفِعلَ عُمَر،

نقلوا أيضاً أنّ عُمَر سافر الى الشام، ولما رجع دخل الى المدينة متنكراً ليتحقق من آراء الناس حوله، التقى بامرأة عجوزٍ فسألها: ما حال عمر؟ فقالت: رجع من الشام، قال: ماذا عندك عنه؟ قالت: يوم القيامة سأشكوه لله تعالى، فقال: ماذا فعل بك؟ قالت: أنا امرأة عجوز ليس لي أحدٌ، **ومنذ وصل للخلافة لم يعطني درهماً واحداً من بيت المال!** لما سمع ذلك قال: لم يكن عنده خبرٌ عن حالك، فهو معذورٌ لعدم معرفته، قالت: كلامك هذا عجيب!

وهي حتى الآن لا تعرف أنّ السائل نفسه هو عُمَر، قالت: لم أتوقع منك هذا المقدار من الجهل! قال: ما الأمر؟ قالت: هل يمكن لشخصٍ أن يكون **خليفة رسول الله وإمام هذه الأمة** ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾ **ويكون غير مطَّلِعٍ على ما في المشرق والمغرب؟!** والمحيّر أنّه مباشرة قال عن نفسه: **كلُّ أحدٍ أفقه منك حتى العجائز يا عمر**[1].

فهل يكون الحديث (أصحابي كالنجوم) صحيحاً؟ هذا دليلُ بطلان هذه الأحاديث.

(١) نُقِلَ الحديث هنا بالمعنى، وروي بصيغٍ عدّة، يُراجع الرياض النضرة في مناقب العشرة ج٢ ص٣٩٠، وحياة الحيوان الكبرى ج١ ص٧٩.

٢. إن الله جعل الحق على لسان عمر!

قيل للخليل[1] بن أحمد الفراهيدي: ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ فقال: ما أقول في حقِّ امرئٍ **كَتَمَ مناقبَه أولياؤُه خوفاً، وأعداؤُه حسداً، ثم ظهر من بين الكتمانين، ما ملأ الخافقين.**

إنّ مَن ينشُر الفضائل عادةً هم الأصدقاء، والُمحَيِّر أنّ مُحِبِّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام كتموا فضائله خوفاً، وأعداءَه حسداً، فوَقَفَ أمام نشر فضائله ومناقبه أعداؤُه ومُحِبُّوُه، ومع ذلك خَرَجَ من بين هذا وذاك ما ملأ الخافقين **من العِلم والحكمة والزُّهد والشجاعة**، وهذا برهانٌ باهر.

يمكن للإنسان أن يطفئ النور العادي، لكن يستحيلُ أن يطفئ البشرُ **السِّراج الذي أوقده الله تعالى**، ذلك أن النور العاديّ قد صنعه الإنسان ويطفؤه بنفخةٍ منه، لكنّ **السماء والقمر وهما من مصابيح الله تعالى لا تَقبَل أن تُطفأ**، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ الله بِأَفْواهِهِمْ﴾، لكنّ تلك الإرادة وبكلّ تلك القوة تُهزَمُ أمام إرادة الله ﴿وَيَأْبَى الله إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾.

كَم مِن أحاديث عامّةٍ وخاصّةٍ نسبوها للنبي صلى الله عليه وآله عن الصحابة، نموذج ذلك الذهبيّ، مَن حَكَمَ كلَّ أهل الفضل مِن كل المذاهب، وطأطؤوا برؤوسهم أمامَه، فصار **إمام الرجال والتاريخ والحديث ونقد الحديث**، إلى حدِّ أنه لُقِّب **بإمام النُقّاد**، ويعلم أهل الفنِّ أنّ هذا الرجل قد صرف كل قدرته العلمية **ليخدش في الروايات التي وردت في فضائل أهل البيت** من جهة السند بأيّ عذر، فمثله مَن

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٢ رجب ١٤٣٥ هـ الموافق ١٢-٥-٢٠١٤ م.

كان قوله مقبولاً عند الكل، عندما يبدأ بشرح حال الطبقة الأولى من الرواة الصحابة، ينقل الرواية التالية بضرصٍ قاطعٍ عند بداية عرض حال الثاني: **إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**[1].

وذلك مقابل الحديث المسلم عند الكلّ، أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: **عَلِيٌّ مَعَ الحَقِّ، وَالحَقُّ مَعَ عَلِي**، فنَقَلَ هذه الرواية عن عُمَر.

ولأنَّ بحث المطلب مهمٌّ، فإنّ **معيار الحق والباطل أمران: أحدهما القلب،** وهو مركز كلّ العقائد والأفكار، والآخر **اللسان، وهو طريق الكلام** وبيان ما في الضمير. **وأيُّ مقامٍ لمن لم يكن لأحدٍ في قلبه ولا في لسانه أيُّ باطل؟!**

اليوم نعرض لنموذجٍ يُبَيِّن **بُطلان هذه الرِّواية بشَكلٍ قَطعيٍّ، تَعجَزُ الدنيا لو اجتمعت عن الإجابة عليه، وهذا الميدان.**

رجالُ سند القضية التالية ثِقاتٌ بتصديق ابن حجر صاحب شرح صحيح البخاري، والبيهقي صاحب السنن الكبرى، وجلال الدين السيوطي أستاذ الكلّ عند الكلّ، رجال هذه الرواية ثقاتٌ وسندها تامّ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢ ص ٣٨٢ ولفظه: **صلى بنا عمر بن الخطاب فلم يقرأ في الركعة الأولى شيئاً، فلما قام في الركعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وسورة، ثم عاد فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة: ثم مضى، فلما فرغ من صلاته سجد سجدتين بعد ما سلم**.. وفي لفظٍ: **سجد سجدتين ثم سلم.**

مَن كان في قلبه حقٌّ، وما يخرج على لسانه حَقٌّ، **يأتي بمثل هذا العمل الباطل**

---

(١) تذكرة الحفاظ ج١ ص٦.

في ركن الدين!! بتصديق أئمة الحديث والرجال، وهذه المرة الأولى، وهذا معنى: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ﴾**.

ونقل ابن حجر في فتح الباري ٣ ص ٧١: عن عبد الرحمن بن حنظلة بن الراهب: **إنّ عُمَر بن الخطاب صلى المغرب، فلم يقرأ في الركعة الأولى، فلما كانت الثانية قرأ بفاتحة الكتاب مرتين، فلما فرغ وسلَّمَ سجد سجدتي السهو.**

وقال: **رجاله ثقاتٌ.. وكأنّه مذهبٌ لعمر.**

وهذه المرَّةُ الثانيةُ المخالفةُ لفقه الإسلام والمسلمين، وقد أتى هذا الرجل بنفسه في المرة الثالثة بما نقلوه:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي بالناس المغرب، فلم يقرأ فيها، فلما انصرف قيل له: ما قرأت! قال: فكيف كان الركوع والسجود؟ قالوا: حسناً، قال: فلا بأس[1].

ونقل البيهقي قول الشافعي: **وأبو سلمة يحدِّثه بالمدينة وعند آل عمر لا ينكره أحد.**

فهذا **عمر لم يقرأ أبداً، فأيُّ صلاة هذه؟!** وهذا الذي يُصَلِّي خلفه أصحاُب النبي صلى الله عليه وآله، فهل هذا مذهبٌ؟! أن تكون صلاته وصلاة المصلين معه صحيحة ما دام قد أدى الركوع والسجود بشكل صحيح ولو لم يقرأ أصلاً!! وهذه المرة الثالثة، وهناك الرابعة و..

الخلاصة.. **المصيبة أني أنا وأنت لم نفهم قدرَ هذا المذهب، ولم نعرف مقام**

---

(١) السنن الكبرى ج٢ ص٣٤٧ وص٣٨١.

علي عليه السلام. أمّا المرّة الرابعة:

عن إبراهيم النخعي: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى بالناس صلاة المغرب، فلم يقرأ شيئاً حتى سَلَّم، فلما فرغ قيل له: إنك لم تقرأ شيئاً، فقال: إني جهّزت عِيراً إلى الشام: هذه صلاة خليفة المذاهب الأربعة، عندما يُكَبِّر يكون تفكيره في تجهيز العِير إلى الشام! وأيُّ فحولٍ نقلوا هذه الرواية!! شَغَلَت هذه الأمورُ فكرَه فمَحَت صورة الصلاة!

فجعلت أُنزِلُها منقلةً منقلة حتى قدمتُ الشام، فبعتُها وأقتابَها وأحلاسها وأحمالها. قال: فأعاد عمر وأعادوا.. وعن الشعبي أنّ أبا موسى الأشعري قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أقرأت في نفسك؟ قال: لا، فأمر المؤذنين فأذنوا وأقاموا وأعاد الصلاة بهم[1].

لو اجتمع الفخر الرازي والذهبي ومسلم والحاكم وكلّ أئمة المذاهب الأربعة، فإنّ الخليفة قد صلّى الصلاة أربع مرات بكيفياتٍ أربعة!! ثم هو نفسه قال باعترافكم أنّه **كان يبيع حمولة العِير في الشام!!**

أيُّ خليفةٍ هذا؟ ويجلس مكان من كان تحت شعاعه ١٢٤ ألف نبي!!

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾
خليفةُ مَن كانت هذه صفاته، يكون جاهلاً إلى هذا الحد! إلى هذا الحَدِّ مِنَ **الجهل وانعدام الخجل والحياء!** هل هذا مذهبٌ؟!

فليجتمعوا وليقولوا أيهم الصحيح؟ هذه الرواية أم الرواية التي نقلوها عن

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٨٢.

النبي صلى الله عليه وآله: **إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه!!**

أيُّ إلهٍ هذا؟! **هذا الإلهُ مناسبٌ للسخرية!!** يجعل الحق على لسانه فيُصَلِّي الصلاة بأربع صُوَر! هل الصُّوَرُ الأربعة كلُّها صحيحة؟! **إنها جمعٌ بين الأضداد! فمَعَ أيّ عقلٍ يتوافق ذلك؟!**

هل شُرِّعَت الصلاة على أربع صورٍ؟ أم أنّ الله أنزل الصلاة على صورة واحدة؟! فيكون هذا الحديث من (أبطل الأباطيل).

هكذا **أرادوا أن يعادوا من كانوا نور الله تعالى**، وهكذا تذهب قيمتهم.

أيُّها البيهقي، وابن حجر، أجيبوا على هذا المطلب، تنقلون هذه القضية برجالٍ صحاحٍ وثقاتٍ كما تَعُدُّونَهم، ومن جهة أخرى يقول إمام الرجال والحديث وَمَن قَبِلتُم قوله جميعاً: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه!! **إنّ مخالفة عليٍّ عليه السلام تؤدي بكم إلى هنا، واليوم نثبت بطلان المذاهب الأربعة بهذا.**

الصلاة رُكنُ الدين: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ﴾، الصلاة التي قال فيها القرآن: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾، هذه هي الصلاة، وبَحثُ الخلل في الصلاة مهمٌّ جداً، ومسائل الشك والسهو في الصلاة من هذه المباحث، وعلى كلّ مسلمٍ أن يعلَمَ أحكام الشك والسهو في الركعات وأفعال الصلاة، **كي يسير في معراج الله** وينال بتلك التكبيرة والتسليمة ذلك المعراج.

فهل جعلَ الله تعالى الحقَّ ينزلُ **على قلب ولسان مثل هذا الباطل؟! هذا**

معنى أنّ عليّ بن أبي طالب مظلوم.

أيُّ ظُلمٍ وَقَعَ عليه حتى قال: **فَصَبَرْتُ وَفِي العَيْنِ قَذىً، وَفِي الحَلْقِ شَجاً.**. خمسةٌ وعشرون سنةً صَبَرَ فيها، لكن أيُّ صَبرٍ؟

أَمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَى: كما يدورُ حَجَرُ الرَّحى حول القُطب، فإنّ الخلافة ونيابة الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تدور حول مركز وجودي، وكلاهما، الأول والثاني كانا يعلمان أيّ مقامٍ مقامي.

يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْر: أنا جبلٌ مرتفعٌ ينحدر عني سيل العلم والحكمة، **ولا يصلُ طائرُ عقلٍ إلى مرتَفَعِ ذلك الجبل من العلم والحكمة والوَقار.**

عمر يبطل كلّ أحاديث السنة

بعد أن فرغنا[١] من بُطلان هذه الرواية: **أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُم**، ثَبَتَ أنّ هذا الحديث مخالفٌ للعقل والقرآن والسُنَّة.

والبحث المهم هو روايات علماء العامة المُختصّة بالأشخاص، ولأنَّ هذا البحث مهمٌ جداً نقل متن كلام مَن كان إماماً في الحديث والرجال عند الكلّ، ومن خَضَعَ أمامَه كلُّ أعيان العامة، أمّا من له اعتراضات عليه فهو جزءٌ من الشواذ عند العامة، لا من العلماء، وهو **مقبولٌ عند المذاهب الأربعة** وعلماء الحديث والرجال عندهم. قال **الذهبي** عن الثاني:

قال نافع بن أبي نعيم: عن نافع، عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٧ رجب ١٤٣٥ هـ الموافق ١٧-٥-٢٠١٤ م.

وآله وسلم: إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه.

فيا أخي ان أحببت أن تعرف هذا الإمام حقّ المعرفة فعليك بكتابي.. وأين مثلُ أبِي حفص؟ فما دار الفُلك على مِثل شكل عمر، وهو الذي سَنَّ للمحدِّثِين التثبُّت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب، فروى الجُرَيرِيُّ عن أبي نضرة عن أبي سعيد، أن أبا موسى سلَّمَ على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع، فأرسل عمر في إثره فقال: لمَ رَجعتَ؟

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يُجَب فليرجع. قال: لتأتيني على ذلك بِبَيِّنَةٍ أو لأفعلنّ بك.

فجاءنا أبو موسى مُنتَقِعاً لونه ونحن جلوسٌ، فقلنا: ما شأنك؟ فأخبَرَنَا، وقال: فهل سمع أحد منكم؟ فقلنا: نعم، كلنا سمعه.

فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره.

أحبَّ عمر أن يتأكدّ عنده خبر أبِي موسى بقول صاحبٍ آخر، ففي هذا دليلٌ على أنّ الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحدٌ، وفي ذلك حَضٌّ على تكثير طرق الحديث لكي يرتقي عن درجة الظن إلى درجة العلم، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم، ولا يكاد يجوز ذلك على ثِقَتَين لم يخالفهما أحد[1].

هذا تمام تحقيق هذا الفحل والإمام عند الكلّ.

النتيجة الأولى: بطلان تمام الصحاح الستة: صحيح البخاري ومسلم وسائر الصحاح، **وثمرة البحث بطلان تمام المسانيد.**

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٦.

أما الدليل على هذه الدعوى، فإنّ نصَّ كلام الذهبي يتحدث عن مجيء أبي موسى الأشعري إلى باب بيت عمر واستئذانه ثم نقله حديثاً عن النبي ﷺ، **وينبغي على أهل الفضل، مَن عَمِلُوا عُمراً في المباحث الدقيقة أن يُدَقِّقُوا كلمةً بكلمةٍ هنا**، قال له عمر: **لتأتيني على ذلك بِبَيِّنَةٍ أو لأفعلنّ بك**.

هذا القول أدى إلى أن **ينتقع لون أبي موسى**، وهذا مهمٌّ، ثم يكمل الذهبي الرواية، والمهم كلماته بعد ذلك من أنّ عمر أراد أن يتعدّد خبر الثقة عنده، **لأنّ** احتمال النسيان موجودٌ في الخبر الواحد، دون الخبرين!

فَمَن كان إماماً في الرجال والحديث يقول أنّ احتمال النسيان قائمٌ في خبر الثقة، لكن لو كانا خبرين يوصِلُ ذلك إلى العلم!

إنّ أدنى أهل العلم يدركون أنّ احتمال النسيان والخطأ يصبحُ أقلّ مع التعدُّد بمخبِرَين ثقات، لكن **لا يُعقل أن ينتفي بذلك!**

هذا هو مستوى عِلمِ إمامهم! لا يُفَرِّقُ بين قلّة الاحتمال وانتفائه!

بحسب المحتملات الرياضية، فإنّ احتمال الخطأ ينخفض مع تعدُّد المخبِر، لأنّ لِقَبُول الخبر الواحد مانعان: **أحدهما احتمال الكذب، والثاني احتمال النسيان**، ووثاقةُ المخبِر تنفي احتمال الكذب، ويبقى احتمال النسيان والخطأ، لكنّ أدلّة حجيّة خبر الثقة عند العامة والخاصة تدفعه، كالسيرة العقلائية القطعية، **فيصبح خبرُ الثِّقَة حجة**، نعم مع التعدُّد يصبح احتمال النسيان والخطأ أقل ثبوتاً، لكن لا أثر لذلك إثباتاً في الحجية.

هذا الجهلُ قد وصل إلى حدّ أن يصير **فضيحة من الجهة العلمية**، وهذا أعلم

علماء العامة، وفي هذا البحث **تبطل جذور عِلم علماء الأزهر والسعودية**، فإنّ صريح كلامه أنّه يريد إقامة البيّنة، فما معنى إقامة البيّنة؟!

أبو موسى نَسَبَ خبراً للنبي ﷺ، وهو **ثقةٌ عادلٌ بلا إشكالٍ عند كلّ العامة**، ولا أحد ينكر ذلك منهم، وخَبَرُهُ حجةٌ بالضرورة عند الكلّ، بإجماع المذاهب الأربعة، وباتفاق تمام الروايات، لكنّ عُمَر خَطَّ قَلَمَ إبطال كلّ ذلك وطلب إقامة البيّنة!

ولأهمية البحث نعيد متن الكلام: **قال: لتأتيني على ذلك بِبَيِّنَةٍ أو لأفعلنّ بك.** فما هي البيّنة؟ **البيّنة هي شهادة عادلين**، والنتيجة أن عُمَر شَرَطَ شهادة عادِلَين لإثبات حجيّة الخبر عن النبي ﷺ، **ونتيجة ذلك سقوط صحيح البخاري!** فأيُّ روايةٍ في صحيح البخاري تحقَّقَ فيها **عادلان في كل الطبقات؟!** وأيُّ روايةٍ في صحيح مسلم واجدةٌ لهذا الشرط؟ وأيُّ روايةٍ في صحيح الترمذي وأبي داوود ومسند أحمد قامت عليها البيّنة في كل الطبقات؟!

نتيجة كلام هذا الرجل سقوط المذاهب الأربعة! وبطلان كل كتب الحديث عند أهل السنة! هذا هو عُمَر!

وقد أوصلَ الجهلُ الأمورَ إلى حَدٍّ **ضاعَ معه حقُّ عليٍّ أمام مثل هذا الجاهل!**

نحن لسنا أهل التعصب، بل أهلُ البرهان والمنطق، وسيظهر بؤس هؤلاء جميعاً.

لَو أمكن لكلّ علماء الأزهر الإجابة على كلمات اليوم فليجيبوا.. هذا الذهبيُّ، وذاك حدُّه، وهذا عمر ومقامُه.

والأكثر بؤساً مِن هؤلاء هم الجُهّال الذين يعيشون اليوم، ويريدون أن يخضع مذهب الشيعة مقابل المتعصّبين، وأن يتقرّبوا إلى أولئك الجهّال عديمي القيمة.

إنّ منشأ كل ذلك هو الجهل.. كونوا علماء، فالعالِم رَجُلُ الميدان.

إنّ الدُّنيا تسيرُ بالمنطق والبرهان، فإذا انتفى العلم وقعت المقارنة بين عليٍّ وعمر**!! وذهَبَ حقُّ الزهراء عليها السلام أمام هذا الجهل!** وهذا البحث مهمٌ جداً.

بطلان الحديث قطعيٌّ بالضرورة

نتيجة البحث السابق[1] بطلان مبنى اعتقاد كلّ العامّة، لأنه بحسب ما نقل الذهبي في تذكرة الحفّاظ عن أبي موسى الأشعري، فإنّ عمر قد طالب بالبيِّنة لإثبات قول الرسول صلى الله عليه وآله، ونتيجة هذا المبنى **بطلان تمام الروايات التي وردت في صحيح البخاري ومسلم وبقية الصحاح والمسانيد.**

ويكون حديث: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) **باطلاً بحكم البرهان،** لأنه **يستحيل أن تصدر مثل هذه الجملة من النبي المعصوم** صلى الله عليه وآله مع خطأ هذا الشخص.

ولأنّ المطلب مهمٌ جداً فإنّه ينبغي أن نُثبِتَ هذه القضية بالحدّ الأعلى.

لقد نقل الذهبي في التذكرة أنّ لون أبي موسى قد انتقع، وجاء إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وطلب منهم أن يضمُّوا شهادتهم لتتحقّق البيّنة.

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٩ رجب ١٤٣٥ هـ الموافق ١٩-٥-٢٠١٤ م.

وينبغي أولاً النظر في مقام أبي موسى نفسه بحسب اعتقاد أئمة المذاهب الأربعة، والمستند أيضاً هو كلام مَن كان مورداً لاتفاق الكلّ، يقول الذهبي في تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٣:

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقَدِمَ مع جعفر زمن فتح خيبر، واستعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع معاذ على اليمن: فإنَّهُ كان جزءً من الصحابة الخاصّين منذ فتح خيبر بحسب عقيدة العامة، هذا أولاً، وثانياً: استعمله النبي ﷺ، أي أنّ النبي ﷺ جعله عاملاً من قِبَلِهِ على اليمن. وثالثاً:

ثم وَلِيَ لِعُمَر الكوفة والبصرة: فأدار هذين المركزين الإسلاميين المهمّين بتنصيبٍ من عُمَر.

وكان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المُنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى عِلماً طيِّباً مُبَارَكاً، وأَقرَأَ القرآن، حدَّثَ عنه طارق بن شهاب وابن المسيب والأسود وأبو وائل وأبو عبد الرحمن السلمي وربعي بن ابن حراش وأبو عثمان النهدي وخلق، أَقرَأُ أهل البصرة وأفقههم.

شعبة وغيره عن سماك بن حرب سمعت عياضاً الأشعري يقول لما نَزَلَت: ﴿فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هم قومك يا أبا موسى، وأومى إليه، صححه الحاكم وانما يرويه عياض عن أبي موسى. وفي الصحيحين عن أبي بردة عن أبيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبَه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً.

وعن بُرَيدة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تَسَمَّعَ لقراءة أبي موسى فقال: لقد

أوتيَ هذا مزماراً من مزامير آل داود.

وقد ثبتت هذه المقامات والمنازل لأبي موسى الأشعريّ باعتقاد الكل، وبحثُنَا ليس مع مذهب الخاصّة، وإنما مع مذاهب العامة الأربعة، وينبغي أن يجيبوا على هذا المطلب. **فماذا فعل عمر مع أبي موسى** وهو مَن كان له هذا المقام؟!

لقد ولّاه النبي ﷺ على اليمن، وولاه عمر نفسه على الكوفة والبصرة، وكان مقامه على مرتبةٍ اعترف معها الكل أن **عِلم الخاتم ﷺ انتشر بواسطته، والذهبي نفسه ينقل** روايةً عن النبي ﷺ نفسه أن **مزامير داوود قد أعطيت لأبي موسى!** ولكنّ تَصَرُّفَ عمر مع مثل هذه الشخصية في نقل حديث النبي ﷺ كان كما يلي[1]:

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يُجَب فليرجع: وقولُ أبي موسى سندٌ باتفاق الكلّ عندهم، فإنّ كل الصحاح والمسانيد تقبل الرواية التي كان سندها معتبراً إليه، ولا تكون الرواية مورد سؤال، وقد كان تصرُّفُ عُمَر معه كما يلي:

قال: لتأتيني على ذلك بِبَيِّنَةٍ أو لأفعلنّ بك: هذه كيفيّة تعامُلِهِ مع أبي موسى مع مقاماته تلك، إما أن يأتيه بالبيِّنة أو ليفعلنّ به، هددّه إلى حدٍّ أنّه صار بحسب نقل الذهبي:

فجاءنا أبو موسى مُنتَقِعاً لونه.

والسؤال هو: بأيِّ منطقٍ وميزانٍ يتصرّفُ من كان باعتقادكم خليفة النبي

(١) تذكرة الحفاظ ج١ ص٦.

ﷺ ؟ وكيف يتعامل بالباطل مع صاحب تلك المقامات؟ ويُخيفُيه بهذا الشكل، أليس هذا **إخافة للمؤمن باعتقادكم أم لا؟ أيُّ عاقلٍ يقول أنّه ليس إخافةً وتهديداً؟!** فثَبَتَ أنّه قد أخاف أبا موسى، فلماذا أخافه؟!

أخافَهُ بالبَاطِل! وهو أنّه نَقَلَ كلام النبي ﷺ! وطَلَبَ منه إقامة البينة، وإقامةُ البينة على رواية النبي ﷺ من الصحابة **خلافُ القرآن وخلاف إجماع كلّ المذاهب وخلاف السنَّة القطعيّة.**

نَصُّ القرآن: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، وأنتُم **تعدُّون كلَّ الصحابة عدولاً، وبإجماع الكلّ واتفاق المذاهب الأربعة،** فإذا روى عادلٌ روايةً عن النبي ﷺ يصبح ذلك سنةً نبويةً بحكم القرآن ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

فهل فِعلُ عُمَر مع أبي موسى صاحب هذه المقامات حقٌّ أو باطل؟!

النتيجة مثل اثنان واثنان أربعة، فبما أنه باطلٌ، تظهر ثمرة ذلك في الحديث الذي نقله الذهبي ونصُّهُ: **إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه.**

فهل أجرى الله الحق على لسان مثل هذا؟! مع عمله هذا؟! ومع إخافته لهذا الصحابي؟! **إما هُم على باطلٍ** وأنت بنفسك قد قلت أيها الذهبي ذلك، وإمّا أنّ هذا الحديث **محكومٌ بالبطلان مئة بالمئة،** هكذا هو برهان أحقيّة مذهب الشيعة.

جذورُ اعتقاد كل المذاهب الأربعة بِعُمَر بن الخطاب هذا الحديث: إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه، **وهذا الحديث باطلٌ بالبرهان القاطع! بحكم العقل والكتاب والسنة،** وعمله باطلٌ لكونه خلاف الحق، حيث أخاف مَن كان والياً للنبي ﷺ وله أيضاً، والنصُّ عن النبي ﷺ نفسه على مقامه وعلمه

وتقواه قد ثبت عند الكل. **فعَمَلُ عمر باطل، وقوله باطل.**

ويكون الحديث: **إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه**، من (أبطل الأباطيل)**!** وهكذا **يبطل مذهب كلّ السنة في العالم ويذهب مع الريح.**

ما هو منشأ اعتقادكم بعمر؟ إنّه مثل هذا الحديث، فهل هذا الحديث صحيحٌ؟ أم تلك المطالب؟ هل هذا الحديث صحيحٌ أم الروايات الصحيحة في البخاري ومسلم؟ هل هذا الحديث صحيحٌ أو مقامات أبي موسى الأشعري؟

إلى هذا الحدِّ ليس عندكم وَعيٌ وإدراك؟!

يا علماء الأزهر، تجمعون بين الضدين؟! تقبلون تلك المقامات لأبي موسى، وتقبلون تلك الروايات من أنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**!**

فصار قولكم **جمعاً بين النقيضين، واجتماعاً للضدين، وبطلانه ثابتٌ وقطعيٌ** بالضرورة، بحكم العقل والكتاب والسنة.

عمر وكِتمان أحاديث النبي ص

كان البحث[1] في بطلان الروايات التي نُقِلَت في فضائل أشخاصٍ، وقد مَرَّ قسمٌ من البحث، أما ما تبقى منه:

معن بن عيسى، انا مالك، عن عبد الله بن إدريس، عن شعبة، عن سعد ابن إبراهيم، عن أبيه، أن عُمِر حَبَسَ ثلاثةً: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري. فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٤ رجب ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٤-٥-٢٠١٤ م.

(٢) تذكرة الحفاظ ج١ ص٧.

تَنُصُّ هذه الرواية التي نقلها الذهبي في أحوال عمر أنّه حَبَسَ هؤلاء الأشخاص الثلاثة، وذلك لأنهم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

أولاً: لقد وَضَعَ الإسلامُ قوانين للحبس، فإنّ حَبسَ أيِّ مُسلِمٍ وحرمانه من معاشرة زوجته وأولاده، وحرمانهم من رؤيته من أعظم المطالب! الفقاهة والفِقه قد **حَصَرَت الحبس في موارد خاصة**، وهذا الفعل الذي فَعَلَهُ عمر **مخالفٌ للقرآن الكريم وللسنّة وللعقل البيِّن**، ومن العجائب أن الذهبيّ نفسه وهو إمامٌ في الرجال والحديث، يقول في شرح حال عبد الله بن مسعود:

ابن مسعود: الامام الربّانيّ رضي الله عنه: فإنّه يعترف بإمامة ابن مسعود وبِرَبّانيّته! ثم يذكر مقاماته المتعددة فيقول:

أبو عبد الرحمن، عبد الله ابن أم عبد الهذليّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخادمه، وأحد السابقين الأولين، ومن كبار البدريين، ومِن نبلاء الفقهاء والمقرئين، كان ممن يتحرّى في الأداء، ويشدِّدُ في الرواية: وههنا الحجة الإلهيّة التي تذري أُسُسَ مذهب العامة مع الريح! فقد كان رجلاً يتشدد في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله!

ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ، أسلَمَ قبل عمر: فعندما كان عمر يسجد للأصنام كان ابن مسعود مسلماً!! وهذه مقامات ابن مسعود بنقل الذهبي بعد عدة صفحات من نقله السابق!

وحَفِظَ مِن فِي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة، وتسَمَّعَ عليه النبي صلى الله عليه وآله ليلةً وهو يدعو فقال: سَل تُعطَه: فماذا تعني هذه الجملة؟ تعني أن هذا الشخص كان صاحب دعوةٍ مستجابةٍ بنصّ النبي صلى الله عليه وآله،

ونحن طبعاً **ننقل كلمات الذهبي ولا ننقل الواقع**، والبحث مع أئمة كل مذاهب العامة على أساس المسلمات عندهم جميعاً.

وقال: من أحبَّ ان يَقرأ القرآن غضَّاً كما أنزِل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد[1]، فمن جهةٍ ينقل مقاماته هذه، ومن جهةٍ أخرى ينقل أنّ عُمَر حَبَسَ مثل هذا الرجل! لماذا؟! لأنه كان يُكثِرُ نقل الحديث عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

عندما تسلبون حقَّ عليٍّ عليه السلام تَقَعُون في مثل هذا الضلال!

تقولون من جهةٍ أنّ ابن مسعود إمامٌ ربانيٌّ، وأنّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صرّح بأنّ دعاءه مستجاب، وأنّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أرجع الناس في أخذ القرآن إليه، وتنقلون من جهةٍ أخرى أنّ عمر قد حَبَسَ مثل هذا الشخص، بأيّ معصية وجرم؟ لأنّه أكثَرَ الرواية عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ!! وقد قال تعالى في القرآن: ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، أليس هذا نَصُّ القرآن؟!

إلى هذا الحدِّ فَهمُكَ أنت مَن كنتَ إماماً عند المذاهب الأربعة؟ القرآن ينصُّ على لزوم التبيُّن في خبر الفاسق، فيا أيها الذهبي: هل كان ابن مسعود عادلاً أم فاسقاً؟! **الأمر يدور بين ضِدَّين لا ثالث لهما**، ولا معنى للحدّ الوسط!

هذا هو السؤال، **وإذا كان لشيخ الأزهر مع كلِّ علماء مصر والحجاز ما يقدِّمُوه فليجيبوا على هذا البرهان!** هل كان عادلاً أم فاسقاً؟!

إذا كان فاسقاً فإنّ دُعاء الفاسق لا يكون مستجاباً! ولا يكون الفاسق إماماً ربانياً! ولا يكون من كبار الفقهاء! والفاسق لا يكون من السابقين البدريين! ولا

---

(١) تذكرة الحفاظ ج١ ص١٤.

يُرجِعُ النبيُّ الخاتم ﷺ للفاسق!

فهو إذاً باعترافكم أعدل العدول! وإذا كان كذلك فإن القرآن يقول: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، فالجميع مكلَّفون بأخذ أحاديث النبي ﷺ ونقلها ونشرها، **وكِتمانُ أحاديث النبي** ﷺ **من أعظم الكبائر** باتفاق المذاهب الأربعة! هذا من الجهة الأخرى.

فإذا نَقَلَ ابن مسعودٍ روايةً، كان التبيُّن من خبره وهو العادل عندهم **قدراً متيقّناً في مخالفة كلام الله**، وقد حَبَسَ عُمَر مثل هذا الشخص لنقله أحاديث النبي ﷺ! **فهل كان حَبسُ عمر له حقٌّ أم باطل؟!** ينبغي أن تجيب الدنيا عن ذلك، فإن كان باطلاً فهو مخالفٌ للقرآن والسنة والعقل.

وإن كان حَبسُ عُمَر له حقاً، فنتيجة ذلك مخالفة الكتاب والسنة والعقل!

إذا كان حَبسُ عُمَر له لنقله الروايات باطلاً، فإنكم تخطؤون عندما تنسبون للنبي ﷺ أنّه قال: **إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه.**

هذا برهاننا القاطع، ونحن ندعوا علماء كلّ فرق العامة في إيران وخارجها للحوار والنقاش، ندعوهم للمحاججة.

وقد ثبت بحكم القرآن والعقل والسنة والإجماع أنّ هذا الحديث الذي يُعَدُّ مبنى اعتقادكم بعمر بن الخطاب **ثَبَتَ أنه من أبطل الأباطيل، ومِن أعظم أكاذيب الدنيا** على شخص خاتم الأنبياء ﷺ.

فهل جرى الحقُّ على قلب ولسان عمر؟ إن جرى الحق فما هذه الأغلاط؟ فإمّا أن يكون ابن مسعودٍ مرفوضاً وإمّا أن يكون عمر.

أليس جمعك أيها الذهبي بين الإثنين **جمعاً بين النقيضين**؟

والنتيجة أن مبنى اعتقاد المذاهب الأربعة بعمر بن الخطاب هو قول النبي ﷺ (إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه)، **وقد ثَبَتَ بحول الله وقوَّتِه أنّ الحديث باطِلٌ، بحكم الأدلة الأربعة**: القرآن والسنة والعقل والإجماع.

فيكون أساس الاعتقاد بعمر بن الخطاب ضلالاً مبيناً، هذا هو **المطلب الثاني**. ويأتي المطلب الثالث إن شاء الله.

لسانُ عمر لسانُ الباطل

كان البحث[1] في مبنى اعتقاد العامة بمقام الثاني، وعمدة الأدلة على عقائد المذاهب الأربعة في هذا الشخص هو هذه الرواية: **إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه**. وقد تعرَّضنا لما كان لازماً لإبطال هذا الحديث، وهذه تتمة البحث.

المطلب الثالث: أنّ الذهبي قد نقل أنّ أبا هريرة قد سُئل: **أكنت تُحَدِّثُ في زمان عمر هكذا؟**

فقال: لو كنت أحدِّثُ في زمان عمر مثل ما أحدِّثُكم لضربني بمخفقته[2].

وقد قال الذهبيُّ نفسه في مقام أبي هريرة[3]: **أبو هريرة الدوسيّ اليمانيّ، الحافظ الفقيه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم**: فقد كان من الصحابة، بل من خواص الأصحاب عِندَهُم، ومِن حَفَظَة القرآن في الطبقة الأولى.

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢ شعبان ١٤٣٥ هـ الموافق ٣١-٥-٢٠١٤ م.

(٢) تذكرة الحفاظ ج١ ص٧.

(٣) تذكرة الحفاظ ج١ ص٣٢.

والسؤال هنا لكل علماء العامة: هل أنَّ **نَقلَ الحديث عن النبي** صلى الله عليه وآله **حقٌّ أم باطل؟!** ينبغي الإجابة على ذلك.

فإن كان باطلاً، كانت كل الصحاح باطلة!

وإن كان حقاً، وقد قال تعالى في القرآن: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، فلماذا لم يكن بإمكان مَن كان في الطبقة الأولى من الحُفَّاظ كأبي هريرة نقلُ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ **هل هذا حقٌّ أم باطل؟**

وقد قال البخاري: روى عَن أبي هُرَيْرَة نَحْو من ثَمَانمِائَة رجل[1].

ونتيجة تَصَرُّفِ عمر أن **كلّ هذه الروايات باطلة!** فهل لكلّ العامة لو اجتمعوا قدرة الإجابة على ذلك؟!

المهمُّ هو أنّ صحيح البخاري وصحيح مسلم هما ركنا فقه المذاهب الأربعة، وجزءٌ كبيرٌ منهما هو من حديث أبي هريرة، **فهل الحُق مَعَ عُمَر؟ أو مع أبي هريرة؟ وفِعلُ أيهما الصحيح؟! ولا واسطة بين النقيضين.**

وختم الكلام، أنّا وإن كنّا قد استدلّينا على جهل هذا الشخص بالكتاب والسنة من رواية صحيح مسلم سابقاً، إلّا أنّنا اليوم ننقل مَتن هذا الحديث ليصبح الأمر برهانياً، وليتّضح بطلان الحديث الذي صار مبنى عقيدة السنة في كل العالم (إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه).

والحديث قد **روي في صحيح مسلم**، في باب التيمم، بأربعة طرق، وهذه المطالب لأعلام أهل السنة، فليتأملوا فيما نقول، أربعُ طرقٍ وفي صحيح مسلم!

---

(١) عمدة القاري ج٢ ص١٦٩.

فهل هناك قضيَّةٌ أقوى من هذه القضية؟! لم يرو في صحيح مسلم فقط، بل في مسند إمام الحنابلة أيضاً، وفي كل السنن، وهذه الرواية مُسَلَّمٌ بها عند الكل ومتنها هو: أَنَّ رَجُلاً أَتَى عُمَرَ فَقَالَ: **إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً، فَقَالَ: لاَ تُصَلِّ**[1].

فأفتى بعدم الصلاة! أليست (**لاَ تُصَلِّ**) نهياً عن الصلاة؟!

ينبغي أن يُدرِكَ علماءُ العامة أنّ مورد النهي هو المنكر، **فهل كانت صلاة الجُنُبِ منكَراً حتى نهى عنها عمر؟!** أجيبوا على ذلك!

هي **ليست منكراً بالضرورة وبحكم القرآن والسنة**، فإنَّ صلاة الجُنُب عند فقد الماء مع التيمم من أوجب الواجبات، وتكليف الجُنُب فاقد الماء هو التيمم بحكم القرآن، ومع ذلك قال عمر: **لاَ تُصَلِّ!**

وسؤالنا لكل علماء الأزهر بلا استثناء، ولكلِّ علماء المذاهب الأربعة هو: أليس في القرآن آيةٌ تدلُّ على أنّ من كان جنباً ولم يجد ماءً: ﴿**فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**﴾؟ **فهل هذه الآية في القرآن أم لا؟!**

إن كانت في القرآن، فإنّ الله تعالى يقول في نَصِّ القرآن أنّه ينبغي على الجُنُب فاقد الماء أن يتيمم ويصلي، فهل هذا أمر الله أم لا؟! بينما يقول عمر: **لاَ تُصَلِّ!**

فهل بين: (صلِّ)، و(لاَ تُصَلِّ) تناقضٌ أم لا؟!

الجمع بينهما جمعٌ بين النقيضين وهو مُحالٌ، فلا يخلو الأمر من أحد حالتين: إما (والعياذ بالله) أنّ كلام الله ليس بحق! وإما كلام عمر!

هل عندكم القدرة يا علماء العامة على القول بأنّ كلام الله ليس بحقٍّ وأنه

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص١٩٣.

باطل؟! **إن قال أحد ذلك يرتدّ عن دينه!** وينبغي أن تجري عليه أحكام الإرتداد.

فانحَصر بحكم البرهان أنّ كلام عُمَر هو الباطل!

إذا تمّ ذلك، فأنت أيُّها الذهبي عاجزٌ في الدنيا والآخرة، حيث تنسب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: (إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه).

أما جريان الحق على لسان عمر فقد ثبت بطلانه بحكم البرهان، أما **جريان الحق على قلب عمر، فينبغي اليوم أن تُجتَثّ أسس جذور المذاهب الأربعة.**

أما القلب: فلو كان القلب مورد جريان الحق **لبَرَزَ ذلك في العمل، وإن حَكَمَ القلبُ بالحق فإنّ ذلك يظهر في العمل،** وهذا برهانٌ أيضاً.

وقد نقل إمام مذهب الحنابلة في مسنده ج٤ ص٣١٩ هذا الحديث، وكذلك أبو داوود في السنن والنسائي في السنن ينقلون:

ثنا سفيان، عن سلمة يعنى ابن كهيل، عن أبي ثابت وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن عبد الرحمن بن أبزى، قال: كنّا عند عمر فأتاه رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا نمكث الشهر والشهرين لا نجد الماء.

فقال عمر: أما أنا فلم أكن لأصلي حتى أجد الماء: فهل قال هذا الكلام من قلبه أم قالها كذباً؟!

أيها الفخر الرازي وأيها الذهبي، **أجيبوا على هذه الفضائح.**

إن قالها مِن قلبه فهل قال حقاً أم باطلاً؟!

إن قال حقاً فإن الكتاب والسنة باطل!

وإن قال باطلاً فإنّ ما قلتم وجذور اعتقاد كل السنة في العالم من أنّ الحق

جرى على قلب عمر هو من أبطل الأباطيل!

بهذا البيان تُجتَثُّ جذور المذاهب الأربعة!

هذا **حال علماء الطبقة الأولى**، كالذهبي إمام النقّاد! إلى هذا الحدّ لا يدرك! فينقل هذا الحديث في هذا الكتاب الذي طبع في مصر نفسها وتحت إشراف علماء الأزهر! ينقل ولا يدرك ماذا يترتب على هذا الحديث!

وختم الكلام هذه الرواية عن صحيح البخاري:

.. عمران بن حصين الخزاعي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معتزلاً لم يُصَلِّ في القوم، فقال: يا فلان، ما منعك أن تصلي في القوم؟

فقال: يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء.

قال: عليك بالصعيد فإنه يكفيك[1].

فإنّ الصعيد مع عدم وجود الماء كافٍ ومصحِّح لصلاتك.

والنتيجة: أن كلاً من **قول عمر وفعله خلاف القرآن** وخلاف سنة النبي ﷺ، فهل لمثل هذا لَيَاقَةُ الخلافة؟!

هكذا يصبح قوله وفعله وصمة عار، أمّا قوله: فبِنَصِّ صحيح مسلم، وأما فعله فبِنَصِّ مسند أحمد وسنن أبي داوود والنسائي.

هذا الكتاب: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً **فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طَيِّباً**﴾، وهذه السنة من صحيح البخاري!

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٩١.

هكذا أضاعوا حَقَّ عليّ.. وقدّموا مثل هذا الشخص.

ألا تستحون؟! ولا زلتم إلى الآن معتقدين بعمر؟!

مثل هذا الجاهل والمخالف للقرآن والسنة، ليس بقولنا وقول علماء مذهب الشيعة، بل بنصّ صحيح مسلم والبخاري وأحمد!

مثلُ هذا يأتي إلى باب البيت الذي صرح الله تعالى في القرآن عنه: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

مثل هذا الشخص يأتي إلى باب هذا البيت ويقول: **يا عليُّ اخرج وإلا أحرقنا البيت!** قال أحدهم: أي عمر، في الدار فاطمة! **قال: أحرق فاطمة أيضاً!**

هذا هو المذهب؟ هذا هو الدين؟ هذه مظلومية مذهبنا.

للأسف أنّ العمر قد انقضى ولم نفهم، لا إحقاق الحق ولا إبطال الباطل!

المهم هو أن يتخرّج عِدةٌ في هذا البحث، ليكون عندهم الرجولة ويثبتوا للعالم بطلان هذه المذاهب الأربعة مِنَ الأصول إلى الفروع.

٣. لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر!

كان بحثنا[1] حول تحقيق المباني الاعتقادية للعامة، والبحث في هذه الرواية: **لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر.**

وقد ذكر الذهبيّ هذه الرواية في مقام تعظيم عمر بن الخطاب في تذكرة الحفاظ ج١ ص٥، وبما أنه بحثٌ مهمٌ، وبما أنّ هذه الروايات هي **المبنى الإعتقادي للعامة وأكثرية القائلين بخلافة الثلاثة**، لذا ينبغي أن تكون المسألة بحسب البرهان في مقابل فُحولٍ من قبيل الذهبي والفخر الرازي.

ويتوقف المطلب على أمرين:

أحدهما: وجود المقتضي للنبوة في هذا الشخص.

ثانيهما: فَقدُ المانع.

ومُدَّعانا: **عدم وجود المقتضي، ووجود المانع عقلاً ونقلاً.**

فقدان المقتضي

ولأن البحث عميقٌ فينبغي استيفاؤه في فقدان المقتضي.

لا إشكال في أن **النبوّة تحتاج إلى وجود المقتضي بحسب العقل والنقل، وليس كلُّ أحدٍ لائقاً بهذا المقام**، لأنّ حقيقة النبوّة هي القيام بجنبتين: إحداهما: جنبة (يلي الخلق)، وثانيهما: جنبة (يلي الحقّ)، وفي الثانية ينبغي أن يتلقى، وفي الأولى ينبغي أن يُعطي.

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ٢ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ الموافق ١٣-١-٢٠١٦ م.

وعلى أيٍّ حالٍ فالقول (**لو كان بعدي نبيٌّ**) يقتضي بالضرورة العقلية كمالَ جنبة (يلي الحق) فيه، وكمالُ هذه الجنبة في أمور ثلاثة:

الأول: القرآن، الثاني: الحلال والحرام، والثالث: الفرائض، وقولُ هذا الشخص عن نفسه في كلِّ واحدةٍ منها حجةٌ قاطعةٌ على الذهبي والفخر الرازي، لذا ينبغي أن تتم الحجة، وينبغي ذكر البرهان القاطع سنداً ودلالةً في قبال هذه المعاني.

إحدى الجهات التي تُطرح اليوم، هو ما نقله البيهقي في السنن الكبرى والحاكم في المستدرك، وهذه الرواية مهمة، فإنّ أركان رجال العامة مثل ابن معين وأبو بكر الاندلسي وأضرابهم شهدوا بأن رجال الحديث ثقات، علاوةً على أنّ أربع أشخاصٍ من أئمة الصحاح احتجوا بهذه الرواية، لذا فهي قويّةٌ من جهة السند على مباني العامة، وتُعَدُّ عندهم حديثاً صحيحاً أعلائياً.

والنص: **أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبيَّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإنّي له خازن**[1].

أما فقه الحديث:

أولاً: بالنسبة للقرآن، فينبغي أن يكون للخليفة نِسبةٌ مع مَن يُستخلف عنه، ويكون **الخليفة لائقاً للاستخلاف بهذه النسبة.**

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٢٧٣ والسنن الكبرى ج٦ ص٢١٠ وغيرها من المصادر.

كما أَنَّهُ **بحسب العقل والعُرف، إذا ذَهَبَ فقيهٌ أو غاب فلا معنى أن يُجلِسَ غيرَ فقيهٍ مكانه**، وإذا لم يتمكن طبيبٌ من الحضور في عيادته فلا يُعقل أن يصبح شخصٌ غير طبيبٍ نائباً وبديلاً عنه، **هذا عقلاً وعُرفاً وارتكازاً.**

فالنسبة ضروريةٌ بين كل فاعلٍ وقابل، بين كل مستخلِفٍ وكلِّ مستخلَف، وكلامه يصرِّحُ بتقسيم الشؤون!

بالنسبة للقرآن: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[1]، ﴿ **وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[2]، بينما كان نصُّ كلامه: **من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبيَّ بن كعب!**

ثانياً: في الدين أوامرُ ونواهي، حلالٌ وحرامٌ، ومن كان عنده مشكلةٌ في الحلال والحرام **فليأت معاذ بن جبل.**

ثالثاً: بالنسبة الفرائض: في المباحث الفقهية بحثٌ مهمٌ في كتاب الميراث يلاحظه الفقهاء من جهة الاستنباط ومن جهة التطبيق، ومشكلات هذا الباب تتضح بمراجعته، وطبق الأدلة العامة فإن الخليفة الأول كما الثاني يُمتَحَنُ في مسائل الفرائض.

ويصرّح الذهبيُّ نفسه في الجزء الأول من تهذيب الكمال أنّه لما جلس أبو بكر مكان النبي صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه كان يُسأَل عن ميراث الجدة، وأنها كيف ترث، لكن كلام عمر: **ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت.**

---

(١) النحل٨٩.

(٢) الأنعام٥٩.

أما عَمَلُه بحسب إقراره: **ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني!** ثم ذكر العلّة، وهو أمرٌ محيّرٌ فعلاً، ﴿وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ﴾(١).

لم يخجلوا حين عَدُّوا مثلَ هذا خليفةً للنبي صلى الله عليه وآله ؟!

من أراد المال فليأتني، لماذا؟ فإني خازنٌ للمال! أنا لست خازن الحلال والحرام، أنا لست مخزن القرآن، أن لست خزانة فرائض القرآن، **أنا وارثُ قارون فقط!** هذا الحديث الذي ينقله البيهقي!

ألم تخجل أيها الذهبي بأن تنسب في تذكرة الحفاظ هذه الرواية للنبي صلى الله عليه وآله بأَنَّهُ لو كان بعدي نبيٌّ لكان ذلك النبي هو عُمَر هذا!

هذا هو إضلال الله ﴿وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ﴾، **فليس هناك ظلمٌ أعلى من هذا،** هذا اعترافه هو، واعترافه الآخر سبعين مرة: **لولا عليّ لهلك عمر.**

فكيف يصبح عليٌّ جليسَ بيته وهذا على منبر خاتم النبيين؟!

هل لكافة علماء العامة جوابٌ على بحث اليوم؟! ماذا يفعلون؟!

لو اجتمع علماء الأزهر والسعودية وغيرهم، فكلُّهم عاجزون عن الجواب، وهذا برهاننا.. اثنان واثنان أربعة، **هذا العقل وهذا النقل: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾.**

ألم تُفَكِّر أيها البيهقيّ مَعَ إقراره هذا واعترافه بنفي علم القرآن عن نفسه، ونفي علم الحلال والحرام والفرائض عن نفسه، وإثبات خزانته للمال، **فبأيّ منطقٍ تعتبره خليفة النبي صلى الله عليه وآله ؟**

---

(١) إبراهيم٢٧.

قال الله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[١]، فبأيِّ منطقٍ يجلس مثل هذا مكانَ مَن عدّ الله تعالى عِلمه ﴿**عَظِيماً**﴾ ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[٢].

هل ينبغي أن يجلس مثل هذا مكان النبي ﷺ وهو عندما صار خليفةً لم يكن يعرف مسائل التيمم؟ هل ينبغي أن يجلس في مكان شخصٍ صار جليس بيته، وهو الذي قال عنه النبي ﷺ باعترافكم جميعاً: **أنا مدينة العلم وعَليٌّ بابها!** أنا دارُ الحكمة وعليٌّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

فالنتيجة أن هذا الحديث موضوعٌ، وأنّ هذه النسبة لخاتم النبيين مردودةٌ بحسب العقل والكتاب والسنة.

كلُّ الناس أفقه من عمر

كان البحث[٣] في هذا المطلب، وهو أنه ينبغي النظر في مباني اعتقادات العامة، وما هي، وينبغي تحقيق تلك المباني **بلسان الحكمة وموازين العقل والكتاب والسنة.**

والبحث في هذه الرواية التي نقلها الذهبيُّ في التذكرة في المجلد الأول في حالات الثاني: **لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر.**

وهذه النسبة للخاتم ﷺ مردودةٌ عقلاً وكتاباً وسنةً.

---

(١) النساء١١٣.

(٢) النحل٨٩.

(٣) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ١٦ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٧-١-٢٠١٦ م.

هذا المذهب مذهبُ العلم والحكمة، وليس مذهبَ السبّ والشتم في البحث، إنما المنطق والعقل والكتاب والسنة القطعية، والمرجع في البحث ينحصر بهذه الأمور.

وقد تقدّم البحث في بعض هذه الأقسام، وأن البحث في المقتضي والمانع هو **القانون العقليّ في كل الأمور**، فينبغي أن يوجد المقتضي لأيِّ أمرٍ، ويُفقَد المانع حتى يتحقّق ذلك الأمر.

وبطلان هذا الحديث ونسبته له ﷺ مبنيٌّ على هذا المنطق: **أنّ في الأمة فردٌ أعلى وآخر أدنى، وينبغي المقارنة بين هذا الشخص وبين الأعلى**، وبينه وبين الأدنى، وهذا سَير الحكمة والبرهان.

أما **أعلى الأمة، فهو عليُّ بن أبي طالب**، فينبغي النظر بما فعل هذا الرجل معه وما قال؟

لما رجع عدَّةٌ من الحجاج من مكة، وجاؤوا مسجد الرسول ﷺ قالوا: من هو خليفة النبي؟ فقد عرضت لنا مسألة في الحج ونحن مبتلون بها، فهل نحن مُحرِمون أم لا؟ وهل الحجُّ صحيحٌ أم باطل؟

فلما جاؤوا إلى من جلس مكانهﷺ قالوا: كنا مجموعة في حال الإحرام فأصبنا بيض نعام فكسرناه وأكلنا، فما تكليف حَجِّنا؟ وما وضع إحرامنا؟

ينقل أعاظم المحدثين من العامة قوله لهم: (اتبعوني)، وذهب أمامهم وهم خلفه إلى أن وجد أمير المؤمنين عليه السلام وكان **(يسوّي التراب بيده)**، فذكروا له ما

جرى، فقال عليه السلام: **يضربون الفحل قلائص**[١] **أبكاراً بعدد البيض فما نتج منها أهدوه.**

وبعد أن بيّن الحكم، قال هذا الرجل نفسه لباب مدينة علم الرسول: **فإن الإبل تخدج**[٢]. قال أمير المؤمنين: **والبيض يمرق**[٣].

لما سمع هذا الجواب قال: **اللهم لا تنزل بي شديدةً إلا وأبو الحسن إلى جنبي**[٤]، هذا حاله مع من كان أعلى الأمة عليه السلام.

والبحث مع إمام الناقدين الذهبي ونقله: لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر.

فهل تصح نسبة هذا الحديث للخاتم صلى الله عليه وآله مع هذا المستوى العلميّ؟

هذا أعلى الأمة، أما حاله مع أدناها، فقد روى ابن ابي الحديد أن عمر بن الخطاب:

مرَّ يوماً بشابٍّ من فتيان الأنصار وهو ظمآن، فاستسقاه، فجدَحَ[٥] **له ماءً بعَسَلٍ فلم يشربه، وقال: إن الله تعالى يقول: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾.**

فقال له الفتى: يا أمير المؤمنين، إنّها ليست لك ولا لأحدٍ من هذه القبيلة،

---

(١) النياق الشابة.

(٢) أي تُلقي ولدها قبل تمامه.

(٣) أي يفسد يقال مرقت البيضة مرقاً إذا فسدت وصارت ماء.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج٥٣ ص٣٥ ونظم درر السمطين ص١٣٠، وذخائر العقبى ص٨٢.

(٥) خَلَطَ.

إقرأ ما قبلها: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾. فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر![١].

فاطلاع هذا الشاب على القرآن أكثر من خليفة النبي صلى الله عليه وآله !!

أيها الذهبي، هل هذا هو العلم؟ هل هذا هو المنطق؟ أن تنقل حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله ؟ **إلى هذا الحدّ لا تفكر أنّ هذا الحديث موضوعٌ عن لسان الخاتم؟** ويستحيل أن يقول رسول الله عَن مِثلِ هذا: **لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر!**

وهذا برهانٌ قاطع على البطلان. والمهم هو أنّا **نتيجة الجهل نضيِّعُ أنفسنا!**

هذا الذهبي، وليرجع الجميع إلى تذكرة الحفاظ، فمن هو الذهبي؟ هو **إمام الناقدين**، إمام أهل الرجال ونقد الحديث هو هذا، يقول في حال عمر عن النبي صلى الله عليه وآله : لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر.

وقبل ذلك بورقةٍ يكتب في حالات أبي بكر فتكون أول جملة هي: **(أفضل الأمّة) أبو بكر بن أبي قحافة!**

أيها الذهبي، كلُّ عاقلٍ، ليس كلَّ عالمٍ، بل كلُّ عاقلٍ يدرك أنَّ **ترجيح المرجوح على الراجح قبيحٌ عقلاً**، وقُبحُ ترجيح المرجوح على الراجح **ثابتٌ بالضرورة والبرهان من العقل والكتاب والسنة.**

أما من الكتاب: **﴿فَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص١٨٢.

(٢) يونس ٣٥.

هذا نصُّ القرآن، وهذا شأن عمر، وهذا ابن ابي الحديد ينقل هذه القضية مع الشاب، والحجة تامةٌ بهذا الشكل.

يا ابن ابي الحديد: بأيِّ ميزانٍ تُقَدِّمُ هذا الجاهل الذي يقرّ على نفسه بأن كلَّ الناس أفقه منه، **كيف تعدّه خليفة أعلم الأنبياء؟**

هذا مذهبنا، **فإن كان عند أزهر مصر جوابٌ**، فليجيبوا مطالب بحثنا اليوم.

هذا كلام الذهبي إمام أهل الرجال، وكلام ابن ابي الحديد، وكلام بقية أعلام العامة، ثم يجلس مثل هذا مكان النبي ﷺ! النبي الذي قال فيه تعالى **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾**[1].

ومفهوم الشيء أعمُّ المفاهيم، وهو مُصَدَّرٌ ب(كلّ)، فكُلُّ شيءٍ في القرآن.. **﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**[2].

وبحسب بيان الخاتم ﷺ فإنّ الإمام المبين هو علي بن أبي طالب: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾**[3]، **لكنَّه صار جليس داره!**

وكل الناس أفقه من عمر حتى هذا الشاب، وحتى تلك المرأة الجالسة في حجرها، لكنّه يصبح خليفة خاتم النبيين؟!

أيُّ عقلٍ يوافق هذا المذهب؟ وأيّ كتاب؟ وأيّ سنة؟ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) النحل٨٩.

(٢) الأنعام٥٩.

(٣) يس١٢.

إن كنتم أهل القرآن فهذا القرآن، وإن كنتم أهل المنطق فهذا البرهان.

وإن كنتم أهل السنة فهذا صحيح البخاري ينقل قول النبي صلى الله عليه وآله: **وقال لعليٍّ: أنت مني وأنا منك**[1].

فبأيِّ منطق يصبح عليه السلام جليس بيته؟

ويصبح هذا خليفة خاتم النبيين؟

(١) صحيح البخاري ج٣ ص١٦٨ وج٤ ص٢٠٧ وج٥ ص٨٥.

الفصل الرابع: ذكرى المعصومين

الإمام علي عليه السلام

الغدير كعليٍّ.. عصيٌّ على الإدراك!

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

اليوم يومُ البحث في التفسير، لكنَّ **القرآن الناطق هو روح القرآن، مَن بَقِيَ القرآن به إلى يوم القيامة**، فمن هو؟

كلُّنا نعرف **يوم عيد الغدير**، أما **إدراكُ ذلك اليوم فأمرٌ يعجَزُ كلُّ البشر عن دَركِه دون مبالغة**، لماذا؟

كلُّ قولٍ يجب أن يكون مقروناً بالمنطق والاستدلال.

إنّ معرفة يوم الغدير متوقفةٌ على ثلاثة مطالب:

أحَدُها: معرفة نفس ذلك اليوم، وبما أنّ اليوم مشتركٌ من حيثية الزمان مع بقية الأيام، فما هو الامتياز الذي كان سبباً ليُنتَخَبَ هذا الزمان الخاص؟ فليس كل زمانٍ لائقاً ليكون زماناً خاصاً، على أنّ كلَّ جزئيات العالم بمعيارٍ وحساب، وكلّ شيء عنده بمقدارٍ وقَدر، فالأول معرفة نفس ذلك اليوم.

والثاني: يوم ماذا هو هذا اليوم؟ وماذا حصل فيه؟

والثالث: يوم مَن؟

هنا ينبغي أن يُرى ماذا قال عقلُ الكلِّ وكلُّ العقل، فليس عند أحدٍ خبرٌ أيُّ

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ١٧ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٣-١٠-٢٠١٣ م.

يومٍ هو هذا، ويوم ماذا، ويوم مَن، ومعرفته تتوقف على هذه الأقسام الثلاثة.

والأفضل أن نستعين به هو صلى الله عليه وآله، حيث ينقل شيخ المحدثين الصدوق في الأمالي(1) روايةً نتعرض لقسم منها: عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: **يَوْم غَدِيرِ خُمٍّ أَفْضَلُ أَعْيَادِ أُمَّتِي**.

هذا جواب السؤال الأول، وههنا تظهر خصوصيّة نفس الزمان، فنسبة عيد الشهر الذي دُعيَ الناس فيه إلى الله، وأوجَبَ عليهم فيه الصيام، نسبته إلى هذا العيد نسبة **الفاضل إلى الأفضل**.

لقد جعل الله تعالى البيت للإسلام علَماً، وللعائذين حَرَماً، وأوجب حَجّه، وهو الحجّ الذي: اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ(2)، ثم جعل لَهُ عيداً هو عيد الأضحى، **فكانت نسبة هذا العيد ليوم الغدير نسبة الفاضل للأفضل**، هذا قسمٌ مما يتعلق بنفس الزمان.

أما ما هو ذلك اليوم؟ هنا يعجز العقل.

قال صلى الله عليه وآله: وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَمَرَنِي الله تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ بِنَصْبِ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام **عَلَماً لِأُمَّتِي يَهْتَدُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِي**، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي **أَكْمَلَ الله فِيهِ الدِّينَ**، وَأَتَمَّ عَلَى أُمَّتِي فِيهِ النِّعْمَةَ وَرَضِيَ لَهُمُ الإِسْلَامَ دِيناً.

في الكلمة الأولى **تتحيَّرُ كلُّ العقول**، لأنّ فَهمَ المطالب ليس بسيطاً،

---

(1) الأمالي ص١٢٥-١٢٦.

(2) الخطبة الأولى في نهج البلاغة.

والرواية غير الدراية. يوم ماذا؟ ههنا ثلاث مطالب: **وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَكْمَلَ اللهُ فِيهِ الدِّينَ**، فينبغي معرفة الدين، ومرجعنا القرآن الكريم: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(١)، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾(٢).

ذلك الإسلام الذي هو الدين عند الله، بلغت عظمته حَدَّ أن يكون هذا الدين دعاء إبراهيم بعد مقام الخلَّة وبناء الكعبة، ودعاء إسماعيل بعد الذبح العظيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(٣).

مثل هذا الدين مِن أوَّله إلى آخره كان ناقصاً، وأصبح كاملاً بكلمةٍ واحدة، ما كانت تلك الكلمة؟

الَّذِي أَمَرَنِي اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كلمات النبي صلى الله عليه وآله في مواضع خاصة لها حسابها، أكمَلَ دينه بماذا؟ **بأن أمرني**، هو الآمِرُ وأنا المأمور، مَن الآمر ومَن المأمور وما هو متعلق الأمر؟ بفهم هذين الطرفين يُفهَمُ الطرف الثالث، ليس المأمور إبراهيم ولا موسى ولا عيسى عليهم السلام، أولئك كلُّهُم دون هذا المتعلَّق، المأمور هو **الشخص الأول في العالم**، ومتعلَّقُ الأمر: **أَمَرَنِي اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ بِنَصْبِ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَلَماً لِأُمَّتِي**.

وما هي الغاية؟ **يَهْتَدُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِي**.

هنا سِرُّ كمال الدين، فقد **كانت بعثةُ كلِّ الأنبياء ناقصةً وتمت بالخاتم** صلى الله عليه وآله، وكان نزول الكتب من صحف آدم إلى إنجيل عيسى عليه السلام **ناقصاً وتَمَّ بالقرآن**.

---

(١) آل عمران٨٣.

(٢) آل عمران١٩.

(٣) البقرة١٢٨.

كذلك رسالةُ أعظم الرسل وصاحب أكمل الكتب أيضاً **كانت ناقصةً وأكملت بعليٍّ** عليه السلام، هكذا يُفهَم المطلب، لماذا؟ وما برهانه؟

النبي صلى الله عليه وآله معلِّمُ الكلّ، **إمامُ كلّ الأنبياء، والقرآن كتابه**، لكن، هل يكون مِثلُ هذا الكتاب كاملاً أم ناقصاً دون مُبَيِّن؟

هذا **الكتاب الذي هو ثمرة وجوده هل يكمل دون مُبَيِّنٍ ومُفَصِّلٍ**؟ دون مَن يميِّزُ المحكمات عن المتشابهات، والعام عن الخاص، والمطلق عن المقيد، والعزائم عن الرُّخَص، ودون مَن يبيِّن بُطونَه وتخومَه، **وهو الكتاب الذي لا يُدرَك قعره.**

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ **تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[1]، **فمَن هو الذي يستخرج كلَّ شيءٍ من هذا الكتاب؟**

وتكون النتيجة: أنَّهُ **لو لم يكن هذا اليوم لكانت بعثة كل الأنبياء من آدم إلى الخاتم كلُّها ناقصة!** ولَكَان نزول كلّ الكتب من الصحف إلى القرآن ناقصاً: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

وتصل النوبة: **إلى يوم من هو؟**

ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله: **مَعَاشِرَ النَّاسِ**: لقول كلماته يرتَجِفُ القلب، قبل أن تصل النوبة لفهمها!

ابتداء الكلام: **مَعَاشِرَ النَّاسِ**، فطرف الخطاب **عمومُ الناس إلى يوم القيامة.**

إِنَّ عَلِيّاً مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ: القيامَةُ هنا، عليٌّ مني وأنا من علي، **ماذا في هذه الجملة؟** فكِّروُا جيداً.

(١) النحل٨٩.

لهذه الدائرة قطبٌ، والقطبُ بلا دائرةٍ لا معنى له، وقام ﷺ هنا بعملٍ تتم فيه الحجة على العالم، **هو** ﷺ **في الوسط، وعليٌّ** عليه السلام **حولَهُ مُحيطٌ به، فكِّروا** في اللفظ جيداً لتصلوا للمعنى.

إِنَّ عَلِيّاً مِنِّي: عليٌّ في الأول، **وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ**: عليٌّ في الآخر.

إنّ عُصَارة عمر ابن سينا كتاب الإشارات، وله إشارةٌ في الإشارات، وفي تلك الإشارة بحثُ الإنيّة، ما هي الإنية؟ ماذا يعني أنا؟

هذه يدي وهذه رجلي وهذه عيني وهذا رأسي، لكن أنا شيءٌ آخر، عليٌّ مني: مِن تلك الإنيّة وُجِدَ عليّ، هذا المطلب الأول.

والكلمة الثانية: إنيّتي أنا من عليّ، ماذا يعني هذا؟ **هنا حيرة الكمل.**

خُلِقَ مِنْ طِينَتِي: وهذا المطلب الثالث.

وَهُوَ إِمَامُ الخَلْقِ بَعْدِي: كلُّ الخلائق مأمومةٌ، **وهو الإمام حصراً.**

يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ سُنَّتِي: وهذا المطلب الخامس.

وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: هل فهمتم ماذا يعني أمير المؤمنين؟ اقرؤوا سورة (المؤمنون) وانظروا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1]، **مثل هؤلاء أميرهم علي بن أبي طالب** عليه السلام.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2]، **المؤمن أعزُّ من الكبريت الأحمر، وعليٌّ أمير**

---

(١) المؤمنون١-٣.

(٢) الأنفال٢.

هذا الجمع.

وَقَائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ، وَيَعْسُوبُ المُؤْمِنِينَ، وَخَيْرُ الوَصِيِّينَ، وَزَوْجُ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ: بَيَّنَ صلى الله عليه وآله كل الخصوصيات النَّسَبيّة والحَسَبيّة والسَّبَبيّة، وأنّ يوم الغدير يومُ مِثلِ هذا.

وخَتمُ الكلام مهمٌّ، من أين بدأ وأين يختم؟ بدأ من هنا: **إِنَّ عَلِيّاً مِنِّي**، هذه البداية وشروع المطلب، وأما ختم الكلام فقوله صلى الله عليه وآله: **وَأَبُو الأَئِمَّةِ المَهْدِيِّينَ**.

هذه ثلاث كلمات: أيّ يوم؟ ويوم ماذا؟ ويوم مَن؟

فمَن كان اليوم يومه، ليس قابلاً للإدراك بتلك البساطة.

نختم الكلام بما ورد في تفسير القمي: أَبِي عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: **الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ** عليه السلام.

وَسُئِلَ عَنِ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ أَعْلَمُ؟ أَمِ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ؟

فَقَالَ: **مَا كَانَ عِلْمُ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ عِنْدَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَأْخُذُ البَعُوضَةُ بِجَنَاحِهَا مِنْ مَاءِ البَحْرِ**[1].

هذا هو عليٌّ، عليٌّ مَن عنده علم الكتاب، ومَن كان عنده عِلمٌ مِنَ الكتاب يحضر عرش بلقيس، وكان مستعداً لإحضار الجبال، فسئل الإمام عن المقايسة بين آصف وسليمان وداوود وكلُّهم عندهم علمٌ من الكتاب، وبين من عنده علم الكتاب. إنّ نِسبتَهم إلى مَن عنده علمُ الكتاب من جهة الفضل بهذا المقدار، **فما عندهم قطرةٌ وما عند عليٍّ** عليه السلام **تمام البحر**.

(١) تفسير القمي ج١ ص٣٦٧.

عليٌّ يدُ اللّٰه الباسطة

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

إنّ قوّة أدلّة وبراهين مذهب الشيعة توضح كلَّ الحقائق، وصِحَّةُ القضية التالية أمرٌ متّفق عليه في رأي جميع أئمة الحديث والرجال عند العامة، وفي هذا المطلب من صحة السند وقوة الدلالة كفايةٌ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

لقد روّج معاوية لسبّ علي بن أبي طالب في كل مكان، ثم سأل سعد بن أبي وقاص: **ما يمنعك أن تسبّ ابن أبي طالب؟** فكان جواب سعدٍ لمعاوية أنّ أموراً ثلاثة منعتني عن أن أتصدى لسبّه، ولما سأله عنها قال عن **الأول منها**:

لا أسبُّه ما ذكرتُ حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: ربّ إنّ هؤلاء أهل بيتي[2].

كان هذا لما نزلت آية التطهر: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3]، فهذا المانع الأول لي، وكيف أسبُّ من أنزل الله تعالى هذه الآية فيه؟ وسعد بن أبي وقاص يتحدّث بمقدار إدراكه، أما حقيقة هذه الآية فإنها محيرة للعقول، فقد شرع فيها أولاً بلفظ (إِنَّمَا) وهي تفيد الحصر لغةً وعرفاً، فبماذا تعلّقت إرادته تعالى؟ وهو الذي ﴿إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

إنّ المتعلَّق ومُراد الله تعالى أمران:

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ١١ شعبان ١٤٣٧ هـ الموافق ١٨-٥-٢٠١٦ م.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٠٨.

(٣) الأحزاب ٣٣.

الأمر الأول: إذهاب الرجس مطلقاً، الأرجاس الجسمانية، والأرجاس الأخلاقية، والأرجاس العقائدية، كلها مشمولة بقوله ﴿لِيُذْهِبَ﴾.

الأمر الثاني: بعد إذهاب الرجس يأتي قوله تعالى ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾، فأيُّ طهارةٍ هي هذه التي وصلت النوبة إليها بعد إذهاب الأرجاس العمليّة والخُلُقية والفكرية، هذا ما يحيِّر العقول، وإذا وُفِّقنا سنعرض لوجه ورود المفعول المطلق في قوله تعالى ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وهو جوهرٌ لم يكن من نصيب أحدٍ من الملائكة المقرّبين، والأنبياء المرسلين، وانحصر بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، والأئمة من ذريته عليهم السلام.

هذا المانع الأول لسبّ عليٍّ عليه السلام عند سعد.

المانع الثاني من سبِّ عليّ: قضية تبوك، عندما قال عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: **خلفتني مع النساء والصبيان،** كان جواب النبي صلى الله عليه وآله: **ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**[1].

فما هي تلك المنزلة؟ إنّها الوزارة، **أنت وزيري**، وقد روينا هذه الأحاديث، لكن المهمّ فقه الحديث، فبمن كان **شَدُّ أزر الخاتم** صلى الله عليه وآله؟ لقد كان بعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

والخلافة التي أعطيت لهارون من موسى، **أعطي عليٌّ** عليه السلام **مثلها بالنسبة للخاتم** صلى الله عليه وآله، ومن العجائب هو أن جميع أساطين العامة نقلوا الرواية لكن لم يدركوا معناها.

(١) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٠٨.

المرحلة الثالثة وهي ختم الكلام: أن النبي صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ أعطى الراية للأول، فرجع منهزماً، وفي اليوم اللاحق أعطاها للثاني ففرَّ من الحرب في خيبر، ثم تطاول كلُّ الأصحاب عندما قال صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ: **لأعطين الراية**: وفيها لام التحقيق، ونون التأكيد الثقيلة: **لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه**. وأيّ رجل؟!

لم ينم صحابة الخاتم ليلاً إلى الصباح، ظلّوا متحيرين فيمن سيُعطى الراية غداً، وطلعت الشمس واجتمعوا جميعاً وتطاولوا ليروا ماذا سيحصل، قال صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ: أين علي؟ قالوا: يا رسول الله، إنّه مبتلىً برمدٍ في عينه، وقد آذاه ألم العين، فقال صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ: ادعوه، ولمّا جاء وضع يده على عينه فارتفع الرَّمَدُ، أعطاه الراية بيده، والمهم قوله: **لأعطين الراية رجلاً**.. لكن أيُّ رجلٍ؟

رجلاً يفتح الله على يديه[1]: هذه الجملة محيِّرَةٌ للعقول، الله تعالى يفتح خيبر بيده! فَهَل فَهِمَ البخاري ومسلم هذه الكلمة؟

يفتح الله تعالى، لكن بيد عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِالسَّلَامُ، فعليكم بدراية الحديث، إنّ **فاتح خيبر هو الله تعالى، لكن بيد عليٍّ** عَلَيْهِالسَّلَامُ **!**

ماذا يعني هذا؟ **يعني أن علياً يد الله**.

إنّ كلَّ ما في المذهب له برهانٌ يعجزُ أمامه كلّ علماء العامة، ونحن عندما نقول: **عليٌّ يد الله**، فدليلنا هذه الرواية المتفق عليها، فالله تعالى هو الفاتح، لكن بيد عليٍّ عَلَيْهِالسَّلَامُ.

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٥، وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١.

ماذا تصبح النتيجة؟ تصبح أنّ **يد الله الباسطة عليٌّ بن أبي طالب**، وكلُ ألقابه ﷺ أدلتها في كتب العامة: عليٌّ عين الله، عليٌّ يد الله، عليٌّ لسان الله.

الفتح في خيبر وقع من الله تعالى بيده ﷺ، وهذه الجملة الأولى.

وما يحيِّرُ العقول هو أنّ الحاكم يقول صريحاً أنّ البخاري ومسلم اتفقا على صحة حديث الراية والأخوّة، وفي الأخوّة طلب النبي ﷺ الأصحاب وآخى بينهم، ومن العجائب أنه **آخى بين عثمان وعبد الرحمان بن عوف**، وهذه معجزةٌ، حيث **لم يفهم أحدٌ وجه هذه الأخوّة** وسببها، إلى أن **أوصى الثاني بأن يكون أمر الخلافة في ستة أشخاص** فإن اختلفوا يكون **ما يقوله عبد الرحمان بن عوف هو الحكم**، وقد وافق عبد الرحمان في مورد اختلاف الستة على خلافة عثمان، هنا يتّضح إعجازُ فعل الخاتم ﷺ.

وقد آخى بين **الأول والثاني**، كلّ هذا محيّرٌ للعقول! وآخى بين سلمان وأبي ذر، وبعدما آخى بين الجميع سأل: أين عليّ؟ ولما جاء قال: **أنت أخي**، و**هذه القضية مورد اتفاق الكل**.

وفي خيبر أعطى الراية للاثنين، فرجعا منهزمين، فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله.

ولما لم يكن للنوم طريق إلى عيون الأصحاب ليلتها، اجتمعوا جميعاً في الصباح، ونادى أميرَ المؤمنين ﷺ وأعطاه الراية ففتح خيبر.

وقد صرّح الفخر الرازي بأن فتح خيبر لم يكن فعل عليّ ﷺ، **بل كان فعل الله تعالى أُجرِيَ بيد عليّ بن أبي طالب** ﷺ.

وهو عليه السلام يقول: **وَالله مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ.. بِقُوَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، وَلَا حَرَكَةٍ غِذَائِيَّةٍ، لَكِنِّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةٍ مَلَكُوتِيَّةٍ، وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيئة.**

هذا هو دليل الشيعة في قولهم: عليٌّ يد الله.

السيدة الزهراء عليها السلام

الزهراء.. جوهرٌ قصّرنا في معرفته!

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

بما أن (الأيام الفاطمية) قد أصبحت قريبة، فينبغي التعرُّض لها، ويجب أوّلاً أن نعرف (الحقيقة الفاطمية) بأنفسنا، حتى نتمكن من تعريفها للناس.

الصدِّيقة الكبرى هي (المَجْهُولَة قَدْراً)[2]، وهذه الجهالةُ ليست خاصَّةً بجماعةٍ دون أخرى، فتارةً يُسنَدُ الجهل للجاهل فيكون خاصاً، وتارةً يكون طرفُ الإسناد عاماً، وهنا (المجهولة قدراً) أي أنّ **عامة الناس محرومون من هذه المعرفة،** إلا أخصّ الخواص.

أمّا **كُنهُ معرفتها، فالكلُّ محرومٌ** منه، **لأنّ الخلق فُطِمُوا عن معرفتها، مُطلَقُ** الخلق. ولو كُنَّا نعرفها لم نكن على هذا القصور والتقصير بالنسبة لحقّها.

إنّ معرفة كلِّ شخصيةٍ ترجع لمعرفة أمرين: المبدأ والمنتهى، أي البداية والنهاية، والروايات في مبدأ ومنتهى الصدّيقة الكبرى ليست محتاجةً إلى السند، لأنّها **بحدّ التواتر الإجمالي،** مضافاً إلى اشتمالها على الصّحاح والموثّقات من مصادر العصمة.

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الثلاثاء ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ الموافق ٩-٤-٢٠١٣ م، ونشرناه على شبكة الانترنت تحت عنوان: الصديقة الكبرى هي (المجهولة قدراً).

(٢) وردت هذه العبارة ضمن التوسُّل بالسيدة الزهراء، يراجع زاد المعاد، مفتاح الجنان ص٤٠٠.

وأمّا المآل في مقام ﴿وَبَرَزُوا لله الواحِدِ القَهَّار﴾[١] فهو محيّرٌ فعلاً، ونحن نكتفي بروايةٍ واحدةٍ يذكرها الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه في (معاني الأخبار)[٢]، والعمدةُ على **دراية هذه الرواية، وفقه هذا الحديث**، وهو يشتمل على **مبدأ خلقها ومنتهى أمرها**.

متن الحديث: عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: **خُلِقَ نُورُ فَاطِمَةَ عليها السلام قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ**.

فخَلقُها مُقَدَّمٌ على خلق كلّ السماوات والأرضين والكواكب، هذه خِلقة قدّيسة العالم، فما هو جوهر وجودها يا ترى؟

أما (قَبْلَ) فكم كانت؟ لا يعلم ذلك إلا هو.

فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: يَا نَبِيَّ الله، فَلَيْسَتْ هِيَ إِنْسِيَّةً؟

طُرِحَ هذا السؤال: إذا كانت خِلقَتُها مقدّمة على خَلق تمام عالم المادة، فلا تكون هذه المخلوقة إنسيّة، لا تكون إنساناً، تكون جوهراً آخر!

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: **فَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ!** أي أنّ الصورةَ صورةُ إنسان، ولكنّ السيرة في باطن الوجود حوراء، في مرحلة التقدُّس عن كل عوارض هذا العالم.

قَالَ: يَا نَبِيَّ الله، وَكَيْفَ هِيَ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ؟

هنا اختلف التعبير، وهنا تتحيَّرُ العقول، ففي البداية كان التعبير مجهولاً (خُلِقَ نُورُ فَاطِمَةَ)، وهنا صار معلوماً، وفي بيان خاتم النبيين صلى الله عليه وآله نكتة مهمة:

---

(١) إبراهيم٤٨.

(٢) معاني الأخبار ص٣٩٦.

قَالَ: **خَلَقَهَا الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورِهِ**، هنا حيرةُ الكُمَّل، خَلقَها من نور نفس الذات القدوس! هذا يفهمُه من يفهم سورة النور، ويفهم قوله تعالى ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾[1]، **وفُسِّرَت المشكاة بالصديقة الكبرى.**

خَلَقَهَا الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ إِذْ كَانَتِ الأَرْوَاحُ، فَلَمَّا خَلَقَ الله عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عُرِضَتْ عَلَى آدَمَ: إنّ للقرآن بطوناً ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[2].

قِيلَ: **يَا نَبِيَّ الله، وَأَيْنَ كَانَتْ فَاطِمَةُ؟**

هذه الأسئلة كاشفةٌ عن إدراك السائلين، فإذا كان خَلقُها قبل السماوات والأرض، إذاً أين كان مكانُ فاطمة عليها السلام؟

قَالَ: **كَانَتْ فِي حُقَّةٍ تَحْتَ سَاقِ العَرْشِ.**

قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله فَمَا كَانَ طَعَامُهَا؟ قَالَ: **التَّسْبِيحُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّحْمِيدُ.**

فَلَمَّا خَلَقَ الله عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ وَأَخْرَجَنِي مِنْ صُلْبِهِ، **أَحَبَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُخْرِجَهَا مِنْ صُلْبِي، جَعَلَهَا تُفَّاحَةً فِي الجَنَّةِ**: وكله منتَسِبٌ لله تعالى دون واسطة (أَحَبَّ الله.. جَعَلَهَا تفاحة..).

وَأَتَانِي بِهَا جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَقَالَ لِي: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ يَا مُحَمَّدُ.

قُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله حَبِيبِي جَبْرَئِيلُ.

فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ.**

قُلْتُ: مِنْهُ السَّلَامُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ السَّلَامُ.

---

(١) النور٣٥.

(٢) البقرة٣١.

قَالَ: **يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ تُفَّاحَةٌ**: العبارات إشاراتٌ، والهدايا على مقدار مُهدِيها، وليست العبارة (يا رسول الله)، بل الخطاب هنا بالاسم، بالاسم الخاص (محمد)، لأن المُخاطِبَ هو الذات القدوس تعالى، وجبرائيل مُبَلِّغٌ.

يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ تُفَّاحَةٌ أَهْدَاهَا الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ مِنَ الجَنَّةِ: ماذا يعني ذلك؟ **يعني أنّه ليس هناك أحدٌ يليق بها غيرك**، وقد أعطاك الله إياها بعنوان الهدية، **فهل يمكن أن ندرك عظمة من كانت هديّة الله تعالى لخاتم النبيين** صلى الله عليه وآله؟

فَأَخَذْتُهَا وَضَمَمْتُهَا إِلَى صَدْرِي: بما أنها هديّة الله تعالى فهكذا تصرَّفَ معها النبي صلى الله عليه وآله، أخذها وضمّها إلى صدره.

قَالَ: **يَا مُحَمَّدُ يَقُولُ الله جَلَّ جَلَالُهُ: كُلْهَا، فَفَلَقْتُهَا**: هنا يتحيّرُ عقل كلِّ حكيم، بل مَن هم فوق الحكماء، فمَن وصل ليلة المعراج إلى ﴿دَنا فَتَدَلَّى﴾ ووصل إلى ﴿فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى﴾[1]، عندما رأى هذا النور فَزِع، فماذا كان هذا النور؟

فَرَأَيْتُ نُوراً سَاطِعاً فَفَزِعْتُ مِنْهُ!

فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ مَا لَكَ لَا تَأْكُلُ، كُلْهَا وَلَا تَخَفْ**: الخطاب بالاسم الخاصّ أيضاً، أمّا النور فينبغي شرحه في وقتٍ آخر إذ لا يسع الوقت لذلك.

فَإِنَّ ذَلِكَ النُّورَ المَنْصُورَةُ فِي السَّمَاءِ، وَهِيَ فِي الأَرْضِ فَاطِمَة: هذا النور لمن كان اسمها السماويّ المنصورة، واسمها الأرضيّ فاطمة.

---

(١) النجم٨و١٠.

قُلْتُ: والمطلب عميقٌ إلى حدّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله الذي قال فيه تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيما﴾[1] سأل:

حَبِيبِي جَبْرَئِيلُ، وَلِمَ سُمِّيَتْ فِي السَّمَاءِ المَنْصُورَةَ؟ وَفِي الأَرْضِ فَاطِمَةَ؟: تلك كانت أسئلة المستفهمين، وهنا سؤال الخاتم صلى الله عليه وآله.

قَالَ: سُمِّيَتْ فِي الأَرْضِ فَاطِمَةَ، **لِأَنَّهَا فَطَمَتْ شِيعَتَهَا مِنَ النَّارِ، وَفُطِمَ أَعْدَاؤُهَا عَنْ حُبِّهَا**: هذا سِرُّ الاسم الأرضيّ، أما سِرُّ الاسم السماويّ، فهو يشير الى منتهى هذا المبدأ، إذ المعرفة بمعرفة المبدأ والمنتهى، فالمبدأ نور الله، ولكن ما هو المنتهى؟

وَهِيَ فِي السَّمَاءِ المَنْصُورَةُ، وَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ الله يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ﴾[2] **يَعْنِي: نَصْرَ فَاطِمَةَ لِمُحِبِّيهَا.**

هذا هو الجوهرُ الذي قصّرنا طيلة عمرنا بَحَقِّه.

فيجب في هذه الدّولة التي عُرفت بعنوان دولة الشيعة أن يَهِبَّ الناسُ بشكلٍ يتناسب مع هذا المقام.

أيُّ مقامٍ هذا؟ ومَن هي هذه؟ إن اللسان ليعجز عن البيان.

يقول علي عليه السلام في نهج البلاغة: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ[3].

---

(١) النساء١١٣.

(٢) الروم٤و٥.

(٣) الخطبة٢٠٢.

ثم قال جملة لم يكن لها سابقةٌ ولا لها لاحقةٌ في تاريخ حياته: **قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَ عَنْهَا تَجَلُّدِي!**

يجب النظر في قلبه عليه السلام لنعلم عظم المصيبة!

إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ.

اسعوا في هذه الأيام لإحياء أمرها قدر إمكانكم، ولا تتأخروا عن هذا الفيض الإلهي العظيم، انتشروا في البلاد، وقولوا للناس كيف ينبغي أن نكون في هذه المصيبة التي آذت قلب علي عليه السلام.

لم يقل عليه السلام ما هي هذه المصيبة، بل قال هاتين الجملتين: **فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الحَالَ.**

والإحفاء: الاستقصاء في السؤال.

ماذا جرى؟ ماذا حصل؟ ماذا تحمَّلَت؟

أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب النبي صلى الله عليه وآله بهذا الخطاب، فماذا يعني ذلك؟ فاطمةُ لم تقل لي ماذا جرى، لقد ماتت، فاسألها أنت واعرف ماذا حصل معها بعد أن ذَهَبْتَ من الدنيا وهي سالمة، ولما جاءت إليك الآن كيف كانت.

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيام الزهراء.. مصيبةٌ لا عزاء لها!

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

مع اقتراب الأيام الفاطمية، فإنّ وظيفة الجميع بيانُ عظمةِ ومقام ورِفعة هذه السيدة عليها السلام، وهذا البحث مُحيِّرٌ فعلاً.

إنّ وظيفة كلِّ مسلمٍ بالنسبة للفاطميّة وللصدِّيقة الكبرى ثقيلة جداً، وسنطرح إن سمح الوقت لنا روايةً من مصادر العامة، وأخرى من مصادر الخاصّة، كي يعلم كلُّ مسلمٍ مهما كان مذهبه ما هي وظيفته بالنسبة ليوم شهادتها عليها السلام.

لقد نقل علماء الحديث والرجال عند العامة هذه الرواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أوّل شخصٍ يدخل الجنة فاطمة**[٢].

هذه الجملة بحرٌ، وفِقهُ هذا الحديث يُعجِزُ ويُحَيِّرُ كلَّ فقيهٍ وحكيم، وهذه الرواية منقولةٌ عنه صلى الله عليه وآله من طُرُقهم: **أوَّلُ شخصٍ يدخل الجنة فاطمة.**

إنّ فهم هذا الحديث يتوقف على إدراك عمق سورة الواقعة، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا

---

(١) أُلقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ١٠ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ الموافق ١٢-٣-٢٠١٤ م، ونشرناه على شبكة الانترنت تحت عنوان: الزهراء علّة بقاء الدين، وكلُّ ما يقام في ذكراها قليل!

(٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦١٨، نظم درر السمطين ص ١٨٠، كنز العمال ج١٢ ص١١٠، لسان الميزان ج٤ ص١٦، سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٣٨٦، ينابيع المودة ج٢ ص٣٢٢، ومصادر أخرى.

رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً﴾[١].

في يوم الواقعة (خَفضٌ ورَفعٌ): أما الرَّفع فإلى الدرجات التي لا تُدرك ولا توصف. وأما الخفض فإلى أسفل السافلين!

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً﴾: هذه الجبال كلُّها تصبح كالذَّرِّ المنبثّ في الفضاء. ما هو الحال في مثل هذا اليوم ومثل هذه الواقعة؟ بيان الحال في هذه الجملة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً﴾[٢].

ينقسم الناس الى أقسام ثلاثة: أصحابُ الميمنة، وأصحابُ المشأمة، والسابقون: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٣]، وينبغي هنا فَهمُ مقام السابقين، وذلك القُرب والتَّقَرُّب، ومراتب السَّبق كمّاً وكيفاً، قبل الوصول إلى (أسبق السابقين)، فمن هو أسبق السابقين؟

إنّ أفضل الأولين والآخرين هو **خاتم الأنبياء والمرسلين** صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، **فهو أسبق السابقين**، وذلك بضرورة حكم العقل والكتاب والسنة: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[٤]، **وخاتم النبيين** صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ **هو أوّلُ من يدخل الجنّة بالضرورة**، لكنّ ما يحيِّرُ العقول هو أنّ **ابنته فاطمة** عَلَيْهَاالسَّلَامُ **تكون أمامه** عندما يدخل المحشر على البراق، وعندما يَرِدُ الجنة! **تدخل** عَلَيْهَاالسَّلَامُ **أَمامَ إمامِ الأولين والآخرين! أيُّ مقامٍ هذا؟!**

أوّل شخصٍ يدخل الجنة فاطمة: لو فُهِمَت هذه العبارة لحُلَّت كل المسائل.

(١) الواقعة١-٦.

(٢) الواقعة٧.

(٣) الواقعة١٠-١١.

(٤) الأنعام١٣٢.

الخاتَم صلى الله عليه وآله مُقدَّم، فماذا فعلت عليها السلام حتى **صارت أَمَامَ إِمَامِ الكُلّ**؟

لا شكّ أن العمل الذي عملته، والدور الذي أدّته **محصورٌ ومختصٌّ بها**.

لقد وصل الغرض من خلقة العالم منذ بعثة آدم إلى عيسى بن مريم إلى نتيجته، لكنّ **قمّة ذلك كان ببعثة الخاتم** صلى الله عليه وآله، فببعثته يحصل الغرض من الخلقة، وتتحقق ثمار التشريع والديانة، ولكنّ العِلَّة المحدِثَة هو خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، **والعلّة المُبقِيَة هي سيّدة نساء العالمين** عليها السلام.

فبمن بقي كلّ ما أتى به الأنبياء من آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله؟ **بوجود الصديقة الكبرى حصراً**.

فلو لم تكن: لم يكن الحِلمُ الحسنيّ، ولا الشجاعةُ الحسينيّة، ولا العبادة السجاديّة، ولا المآثر الباقريّة، ولا الآثار الجعفريّة، ولا العلومُ الكاظميّة، ولا الحُجَجُ الرضويّة، ولا الجودُ التَقَويّ، ولا النقاوة النقويّة، ولا الهيبةُ العسكرية، ولا غيبةُ من يملأ الله الأرضَ به قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

ماذا فعلت عليها السلام؟ ومَن كانت؟ وما كان أثر وجودها؟ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1]: **لقد بقي نسله** صلى الله عليه وآله **في العالم بها** عليها السلام، **وثبت دينُه في الأمم بوجودها** عليها السلام.

فاطمةُ بضعة مني: إنّ وُرودَها على الجنة هو ورودُ النبي صلى الله عليه وآله، فكان أول شخصٍ يدخل الجنة فاطمة. لكن بأيّ كيفية تدخلها؟ هذا هو المهم، وفي متن هذا الحديث دقائق، ولو فَهمت دنيا العامّة هذه الرواية كان ذلك كافياً.

---

(١) الكوثر ١-٣.

نصّ الرواية عنه صلى الله عليه وآله: **تُحشَرُ ابنتي فاطمة يوم القيامة وعليها حلّة الكرامة، قد عُجِنَت بماء الحيوان، فتنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها!**

هذه الرواية محيّرةٌ، وهي من طرق العامّة، وفيهم المحدثون وأعلام الرجال، و(الخلائق) جمعٌ محلّى بالألف، **فعيون (كل المخلوقات) تتّجه نحو هودجها!**

فيتعجبون: كيف يَغفَلُ الجميع عن أنفسهم في ذلك اليوم المضطرب؟ الذي يقول فيه الجميع (وانفساه)! فيغرقون في التعجُّب من عظمتها؟!

ثم تُكسى حلّةً من حلل الجنة، تشتمل على ألف حلةٍ، مكتوبٌ عليها بخطٍ أخضر: أدخِلوا فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجنة على أحسن صورة، وأكمل هيئة، وأتم كرامة، وأوفر حظ. فتُزَفُّ إلى الجنّة كالعروس، حولها سبعون ألف جارية[1].

لقد ورد أفعل التفضيل أربع مرات، إنّها عليها السلام ترد الجنة، لكن بأي كيفية؟

بأحسن صورة: أيُّ يومٍ هو يوم القيامة؟! يوم ﴿بَرَزُواْ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾[2]، فماذا تعني أحسن صورة؟ هل فكرتم؟!

اقرؤوا القرآن حتى تعرفوا ماذا يعني أحسن صورة، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ

(١) ينابيع المودة ج٢ ص١٣٧، ذخائر العقبى ص٤٨، تاريخ دمشق ج١٣ ص٣٣٤.

(٢) إبراهيم٤٨.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ﴾[١]، إنما كانت الخلقة لهذا، لقد خلق الله الموت والحياة ليختبر الناس، ويتحقق **أحسن ما كانوا يعملون، لهذا كانت الخلقة،** (للأحسن) في العمل والعلم، وقال تعالى: **﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ﴾**[٢]، وقال: **﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾**[٣].

وينبغي أن يُحشَر يوم القيامة بأحسن صورة، الذي كان هُنا **أحسن علماً وخُلقاً وعملاً، فيُحشَر على نحوٍ ترشدُ صورَتُهُ إلى سيرته.**

هذه هي الزهراء عليها السلام، وهذا أفعل التفضيل الأول: أدخلوا فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجنة على **أحسن صورة**. أما شرح البقية فلا وقت له.

على كل مسلمٍ أن يعرف يوم شهادتها، ويوم رحلة (مَن) هو هذا اليوم؟

أما من طرق الخاصة، فقد روى الصدوق في علل الشرائع عن أبي عبد الله عليه السلام، وفي مصباح الأنوار عن أبي جعفر عليه السلام، وكلاهما من الأئمة، قال: قلت له: **لِمَ سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ زَهْرَاءَ؟**

فقال: **لِأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ**: هذا مبدؤها، وذاك كان منتهاها، ههنا حِيرَةُ الكُمَّل، فالمبدأ خلقُهَا من نور عظمة الله، والمنتهى: أول من يدخل الجنة.

فَلَمَّا أَشْرَقَتْ أَضَاءَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ بِنُورِهَا، وَغَشِيَتْ أَبْصَارُ المَلَائِكَةِ،

---

(١) الملك١-٢.

(٢) الزمر٢٣.

(٣) الزمر١٨.

وَخَرَّتِ المَلَائِكَةُ لله سَاجِدِينَ، وَقَالُوا: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا، مَا لِهَذَا النُّورِ؟

فَأَوْحَى الله إِلَيْهِمْ: شرحُ هذا الحديث لوقتٍ آخر، لكن على أهل الحديث الدقّة في هذه الكلمات:

هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي، أَسْكَنْتُهُ فِي سَمَائِي، خَلَقْتُهُ مِنْ عَظَمَتِي: مَن هو العَليُّ العظيم؟ لقد خَلَقَ فاطمة من تلك العظمة.

أُخْرِجُهُ مِنْ صُلْبِ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِي، أُفَضِّلُهُ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ: ينبغي أن يكون صُلب هذه الجوهرة أشرف ولد آدم. وخَتم الكلام:

وَأُخْرِجُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ أَئِمَّةً يَقُومُونَ بِأَمْرِي، يَهْدُونَ إِلَى حَقِّي، وَأَجْعَلُهُمْ خُلَفَائِي فِي أَرْضِي بَعْدَ انْقِضَاءِ وَحْيِي[1]. هذا المبدأ والمنتهى والوسط.

رغم ذلك، **ظهر عِدَّةٌ من العوام، مِمَّن يعملون على إيجاد التشويش في أذهان الناس، فيقولون أنّ هذه الهيئات والمسيرات والنشاطات بمناسبة شهادة الصديقة زائدة عن الحدّ!**

إن عصر الجهل هو عصرنا هذا!!

أنتم نُخبَةُ قمّ باعتقاد الجميع، عِدَّةٌ منكم أساتذة بحثٍ خارج، وعدّةٌ منكم أساتذة سطوح عالية، بيِّنوا للناس أنّ **كلّ ما يُقام في ذكراها قليل!** لماذا؟ وبأيّ دليل؟

مَن هو أمير المؤمنين؟ من هو إمام الموحدين عليه السلام؟ هذا بيانه الذي يُبَيِّن فيه عظمة مصيبة فاطمة عليها السلام فيقول:

---

(١) علل الشرائع ج١ ص١٨٠.

هَذِهِ والله: رغم أنّ هذه الكلمة لعلي عليه السلام، إلا أنّها توأمٌ مع هذا القسم!

مُصِيبَةٌ لَا عَزَاءَ لَهَا: ماذا يعني ذلك؟ إن كل ما تفعلونه لا يملأ خلأ وفراغ هذه المصيبة!

ورزية لا خَلَفَ لها![1]: كلُّ هذا ذرّةٌ أمام هذه الكلمة، فأين ضاع حقها؟

هي التي كان أوّلُ أمرها نوراً من عظمة الله، ووسطه الأئمة من الحسن عليه السلام إلى الحجة بن الحسن عليهما السلام، كلُّهم ثمارُ شجرة وجودها، وآخر أمرها أنها أوّل من يدخل الجنة بأحسن صورة. رغم ذلك.. **فهي التي كُسِرَ متنها!!**

مَا زَالَتْ بَعْدَ أَبِيهَا مُعَصَّبَةَ الرَّأْسِ نَاحِلَةَ الجِسْمِ: ماذا يعني ناحلة الجسم؟ لم يكن يمرّ يومٌ إلا ويتحول لحمها إلى ماء، **وَذَابَ لحمُهَا وَصَارَتْ كَالخَيَال!!** إلى أن وصلت إلى حَدّ أنها صارت:

مُنْهَدَّةَ الرُّكْنِ، بَاكِيَةَ العَيْنِ، مُحْتَرِقَةَ القَلْبِ، يُغْشَى عَلَيْهَا سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ[2].

لا إله إلا الله..

فكروا.. كم هي المدة منذ يوم رحلة النبي صلى الله عليه وآله إلى يوم رحلة الزهراء عليها السلام؟ كل هذه المدة كان: يُغْشَى عَلَيْهَا سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ! فلقد كانت تغشى كل ساعة!

وعن علي عليه السلام: غَسَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فِي قَمِيصِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَقُولُ: أَرِنِي القَمِيصَ، فَإِذَا شَمَّتْهُ غُشِيَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ غَيَّبْتُه[3].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٩١.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٨١.

(٣) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٥٧.

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدَ * * أَنْ لَا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا * * صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا

إنا لله وإنا إليه راجعون.

فاطمة.. أيُّ بدنٍ ووري تحت الثرى!

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

اليوم مقدمةُ الأيام الفاطمية، **ومن المهمّ أن نفهم أنّا لم نفهم!**

هذا هو الإكسير الأعظم، هذا كمال العلم! أيُّ جوهرة هي هذه الجوهرة؟ **لم يعرفها أحدٌ، ولا يمكن لأحدٍ أن يعرفها.**

الروايات التي وردت في موضوع الصديقة الكبرى عليها السلام تثير الحِيرة، إلى حدّ أنّ الفقهاء من الطراز الأول قد تحيّروا في إدراكها، سواءٌ من حيث الإسم أو من حيث المُسمّى.

أما الإسم: **لِفَاطِمَةَ عليها السلام تِسْعَةُ أَسْمَاءٍ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ**، كما عن الصادق عليه السلام[2]. لفاطمة تسعة أسماء، لكن أين ذلك؟ **عند الله تعالى**، فإذا كان محلُّ اسمها في مقام (العِنديَّة)، أي عنده تعالى: ﴿عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِر﴾[3]، فما حال المُسمّى؟

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأحد ١٠ جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ الموافق ١-٣-٢٠١٥ م، ونشرناه على شبكة الانترنت تحت عنوان: يوم القيامة يوم سلطنة الزهراء عليها السلام!

(٢) الأمالي للصدوق ص٥٩٢.

(٣) القمر ٥٥.

دون فهم هذه الروايات خرط القتاد!

اليوم نكتفي بحديثٍ واحد، بل ببعضه لا بكلّه، لأن إدراكه كله في بحثٍ واحدٍ في غاية الإشكال.

والحديث ينقله الصدوق أعلى الله مقامه في معاني الأخبار[1]، ولكلٍّ من كتب الصدوق شأنه الخاص، **وقد جمع في معاني الأخبار زُبدَةَ معاني الروايات.**

والرواية من جهة السند تبدأ بمن يقول ابن طاووس أنّ وثاقته مورد إجماعٍ، وتنتهي بسدير الصيرفي، وهو من رجال تفسير عليّ بن إبراهيم القمي.

ومتن الرواية مهمٌّ: عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عليهم السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: **خُلِقَ نُورُ فَاطِمَةَ** عليها السلام **قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ**: **أي جوهرةٍ هذه؟!** خُلِقَ نورها قبل خلق الأرض والسماوات.. مرّت مليارات السنوات الضوئية من عمر هذه السماء، وهي مُقدَّمَةٌ في الخلق على كل ذلك**!**

فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: يَا نَبِيَّ الله، فَلَيْسَتْ هِيَ إِنْسِيَّةً؟

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: **فَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ.**

قَالَ: يَا نَبِيَّ الله، وَكَيْفَ هِيَ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ؟

قَالَ: **خَلَقَهَا الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ إِذْ كَانَتِ الأَرْوَاحُ**: مبدأ الخلق في وجودها نورُ الله تعالى ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2]، وهنا يعجز البرهان ويحارُ العقل، فقد **كان مبدأ خلقتها نور الله تعالى.**

(١) معاني الأخبار ص٣٩٦.

(٢) النور ٣٥.

فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عُرِضَتْ عَلَى آدَمَ.

قِيلَ: يَا نَبِيَّ الله، وَأَيْنَ كَانَتْ فَاطِمَةُ؟ أين كانت فاطمة لمّا لم تكن الأرض ولا السماء مخلوقة؟ فكان جوابه المحيّر:

قَالَ: **كَانَتْ فِي حُقَّةٍ تَحْتَ سَاقِ العَرْشِ.** قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، فَمَا كَانَ طَعَامُهَا؟

قَالَ: التَّسْبِيحُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّحْمِيدُ: هذا هو طعامها، إذا عُرِفَ ذلك يَفهم البشر حينها كلام سادس الأئمة عليه السلام: **إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ لِأَنَّ الخَلْقَ فُطِمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا**[1]. فكلُّ الخلق مفطومون عن معرفتها.

فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ وَأَخْرَجَنِي مِنْ صُلْبِهِ، أَحَبَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُخْرِجَهَا مِنْ صُلْبِي: لم يكن أحدٌ آخر من الأنبياء صُلباً لهذه الجوهرة غيره صلى الله عليه وآله.

جَعَلَهَا تُفَّاحَةً فِي الجَنَّةِ، وَأَتَانِي بِهَا جَبْرَئِيل عليه السلام، فَقَالَ لِي: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا مُحَمَّدُ. قُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ حَبِيبِي جَبْرَئِيلُ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ: وليدقق هنا أهل الفقاهة جيداً، ربك يقرئك السلام، وكان هذا جوابه صلى الله عليه وآله: قُلْتُ: مِنْهُ السَّلَامُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ السَّلَامُ.

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ هَذِهِ تُفَّاحَةٌ أَهْدَاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ مِنَ الجَنَّةِ، **فَأَخَذْتُهَا وَضَمَمْتُهَا إِلَى صَدْرِي:** هدية الله تعالى لك، هنا أجر الرسالة، هدية الله لك هذه التفاحة، أخذها صلى الله عليه وآله وضمّها إلى صدره.

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: كُلْهَا، فَفَلَقْتُهَا فَرَأَيْتُ نُوراً سَاطِعاً، فَفَزِعْتُ مِنْهُ: مَن شاهد ما شاهد ليلة المعراج، ووصل الى ذلك المكان الذي لا

---

(١) تفسير فرات ص٥٨١.

يُدرَك ولا يُوصف، ولم يُدركهُ ملكٌ مقرّب، ولا نبيٌّ مُرسَل، ذهب وطوى كل تلك المراحل، ولكن لما فلَقَ التفاحة وخرج منها نور فَزِعَ منه النبي ﷺ نفسه!!

فمن الذي يدرك هذه الجوهرة؟ التي إذا سطع نورها فَزِعَ من رؤيته خاتم الأنبياء، وهو عقل الكلّ، وكلّ العقل، وكلّ الكمال، وكمال الكلّ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا لَكَ لَا تَأْكُلُ؟ **كُلْهَا وَلَا تَخَفْ، فَإِنَّ ذَلِكَ النُّورَ الْمَنْصُورَةُ فِي السَّمَاءِ، وَهِيَ فِي الأَرْضِ فَاطِمَةُ**: والمطلب مهمٌ بقدر أن النبي ﷺ سأل حينها:

قُلْتُ: حَبِيبِي جَبْرَئِيلُ، وَلِمَ سُمِّيَتْ فِي السَّمَاءِ الْمَنْصُورَةَ، وَفِي الأَرْضِ فَاطِمَةَ؟

اعرفوها وعرِّفوا الناس بها.. ليعلموا أنّ **على هذه البلاد أن تصبح رايةً وعَلَماً في إحياء الأيام الفاطمية**.. فإذا كان هناك وعيٌ وإدراكٌ وفقاهةٌ لتُفهم هذه الأحاديث، حينها يُعلم أيّ ليلةٍ تلك كانت! **وأيُّ بدنٍ ووري تحت الثرى!** وأيّ قَبرٍ.. وأيُّ دَفنٍ.. لا إله إلا الله.

قَالَ: سُمِّيَتْ فِي الأَرْضِ فَاطِمَةَ لِأَنَّهَا **فَطَمَتْ شِيعَتَهَا مِنَ النَّارِ، وَفُطِمَ أَعْدَاؤُهَا عَنْ حُبِّهَا**، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ الْمَنْصُورَةُ: وكل شيء في هذه الجملة، خِتامُه مسكٌ، بحارٌ من العلم والحكمة: وَ ذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ الله يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ﴾ يَعْنِي نَصْرَ فَاطِمَةَ لِمُحِبِّيهَا.

ماذا يعني هذا؟ اسمها في السماء المنصورة، يعني أنّه ذخيرةٌ ليوم القيامة، في ذلك اليوم الذي يقول كل الأنبياء (وانفساه)، **ذلك اليوم يوم سلطنة الزهراء** عليها السلام، في ذلك اليوم تحضر و﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ الله﴾.. ولم يعد هناك وقتٌ لشرح هذه الجملة.

اغتنموا هذه الأيام **وتفرّقوا في البلاد، وعرّفوا الناس من كانت**، وماذا شاهدت، وماذا حصل معها، وكيف ذهبت، وماذا سوف تفعل.

يقف العقل هنا حائراً، الرواياتُ متظافرةٌ أنها لما سقطت عليها السلام إلى الأرض عند ولادتها **أشرق نورٌ نَوَّر كل عالم الإمكان**. فأيُّ جوهرةٍ هذه؟

نعم، الذي عَرَفَها هو الذي جاء النبي صلى الله عليه وآله لرؤيته في حرب أحد، ولما نظر رأى بدنه مليئاً بالثقوب حتى أن الفتيلة تدخل في ثقوبه، وما إن وقع نظر الخاتم صلى الله عليه وآله عليه حتى بكى، لكنه عليه السلام ابتسم، وقال: يا رسول الله، هل ربي راضٍ؟

ولما ضُرِبَ صبيحة التاسع عشر بالسيف الذي اشتُري بألف درهم، والسم بألف درهم، لمّا ضُرِبَ على رأسه صاح جبرائيل بين الأرض والسماء: **تَهَدَّمَتْ وَالله أَرْكَانُ الهُدَى**، لكن البسمة كانت على شفتيه عليه السلام وقال: **فزت ورب الكعبة**.

مثل هذا، عندما توفيت وسَجّاها وأراد إرجاع الوديعة للنبي صلى الله عليه وآله قال: **قَلَّ يَا رَسُولَ الله عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي .. أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ**: لا طريق للنوم إلى عينيّ بعد الآن، فحزني وأذى قلبي أبديٌّ.

وَسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا: وهذه الجملة من أمير المؤمنين لها أهميتها الخاصة.

فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الحَالَ: استخبر فاطمة، ويُعلَمُ من هذا ما عانت. وهنا جملةٌ ختم بها عليه السلام:

نَفْسِي عَلَى زَفَرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ * * يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَات

وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

نَفَسُ المهموم لظلم الزهراء

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

ينقل الشيخ المفيد أعلى الله مقامه روايةً عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام، فيها ثلاث جمل:

الجملة الأولى: **نَفَسُ المهْمُومِ لِظُلْمِنَا تَسْبِيحٌ.**

الجملة الثانية: **وَهَمُّهُ لَنَا عِبَادَةٌ.**

الجملة الثالثة: **وَكِتْمَانُ سِرِّنَا جِهَادٌ فِي سَبِيلِ الله.**

والمهمُّ هو قول الإمام في تتمة الحديث: **يَجِبُ أَنْ يُكْتَبَ هَذَا الحَدِيثُ بِالذَّهَبِ**[٢].

والأحاديث التي ورد فيها ما ورد في هذا الحديث قليلةٌ، والمهمّ هو دراية الحديث، فإذا فُهِمَ هذا الحديث يتضح لماذا يجب أن يكتب بالذهب.

نَفَسُ المهْمُومِ لِظُلْمِنَا تَسْبِيحٌ: إنّ درايةَ وفقه الحديث تتوقف على أن يتّضح التسبيحُ في الكتاب والسنة وتُفهَمَ حقيقته، ودون ذلك خرط القتاد.

اقرؤوا المسبِّحَات في القرآن، سواءٌ بصيغة الماضي أو المضارع: ﴿سَبَّحَ لله﴾ ﴿يُسَبِّحُ لله ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْض﴾، وهذه الكلمة مهمةٌ إلى حَدِّ أن يكون المخاطَب فيها هو الشخص الأول في هذا العالم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الثلاثاء ٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ الموافق ١٧-٣-٢٠١٥ م.

(٢) الأمالي للمفيد ص٣٣٨.

الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الغُرُوبِ﴾[١].

وقد عُدَّت الصلاة أعظمَ وظائف الدين، فهي ركنُ الدين، والركوع والسجودُ من أركان الصلاة، وفي الركوع: **سبحان ربي العظيم وبحمده**.

وفي السجدة التي تُعَدّ منتهى القرب: **سبحان ربي الأعلى وبحمده**.

وقد ذُكِرَتا في القرآن: التسبيح باسم الربّ العظيم ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظيمِ﴾، والتسبيح باسم الربّ الأعلى﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وإذا فُهِمَت حقيقة التسبيح تتضح جملةُ سادس الأئمة عليه السلام من جهة دراية الحديث.

إنّ عظمة التسبيح بلغت درجة أن يسبّح الله نفسه عند ذكره أعظمِ فضيلةٍ وهي الإسراء، لأعلى شخصيةٍ في العالم وهو الخاتم صلى الله عليه وآله: ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾.

وفي قضية يونس قال تعالى: ﴿**فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ المسَبِّحين * لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾: فلو لم يكن يونس من أهل التسبيح كان عليه أن يبقى سجيناً في بطن الحوت إلى يوم البعث.

قال النبي صلى الله عليه وآله: **مَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ كَتَبَ الله لَهُ أَلفَ أَلفِ حَسَنَة، وَمَحَا عَنْهُ أَلفَ أَلفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلفَ أَلفِ دَرَجَةٍ**[٢].

قِيمةُ نَفَسٍ واحدٍ على الظُّلم الذي وقع على فاطمة الزهراء عليها السلام هو هذا التسبيح، ولذا قال الإمام عليه السلام: **يَجِبُ أَنْ يُكْتَبَ هَذَا الحَدِيثُ بِالذَّهَبِ**.

---

(١) ق٣٩.

(٢) معاني الأخبار ص٤١١.

اغتنموا هذه الأيام، فإذا عرف الإيرانيون هذه المعاني ينبغي أن **يكون يوم شهادتها يومَ عويلٍ وعزاء.**

أمّا التُرَّهات التي يروِّجُ لها عدةٌ من العوام ولو وضعوا على رأسهم عمامة، والتي يلقونها في نفوس العامة، من أنّ هذا المقدار من العزاء قد تجاوز الحدود، **فإنّها تكشف عن حدّ انعدام الوعي والإدراك والعلم عندهم.**

ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام في مناجاته لله تعالى: **وَارْحَمِ الصَّرْخَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا**[1]: يترحّم رأسُ المذهب ورئيسه لا على البكاء فقط، بل على الصرخة والعويل عليهم.

ينبغي على الناس أن يفهموا مَن كانت الصديقة الكبرى، **لم يعرفها أحدٌ ولا يعرفها أحدٌ ولا يمكنهم أن يعرفوها،** مَن عَرَفها هو شخصٌ واحد، هو الذي قال عن نفسه عندما أُرجعت الأمانة: **يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَات!**

الروايات في هذه الجوهرة محيِّرةٌ، فعن أوَّلها تنصُّ الرواية أنّها خُلِقَت قبل خلف العالم بألف دهر! أمّا آخرها، فغير قابلٍ للقول..

ينقل الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه روايةً، وعليكم أنتم الذين بذلتم عمراً وجُهداً لتشييد مباني الأصول، أن تدقِّقوا في هذا الحديث لتعرفوا وتُعَرِّفُوا الناس مقامها، فعن النبي صلى الله عليه وآله:

وَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي: عقلُ الكلّ وعِلم الكلّ، والهداية الكلية، وصفوة الكل وعبادة الكلّ،

(١) الكافي ج٤ ص٥٨٣، كامل الزيارات ص١١٧.

صارت هذه الجوهرةُ قسماً منه.

وَهِيَ نُورُ عَيْنِي: هذه الكلمات تحيِّر العقل، هي نور عينه فلو لم تكن لم يكن المصطفى ليرى! أيُّ معنى هذا؟!

وَهِيَ ثَمَرَةُ فُؤَادِي: من كان وجوده ثمرة كل العالم، **يقول فاطمة ثمرة وجودي!** لا ينتهي الأمر هنا، فالجملة التي نقلها شيخ الطائفة:

وَهِيَ رُوحِيَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ: روحُ العالم هو الخاتم ﷺ، وروح الأنبياء والمرسَلين هو خاتم النبيين، **فأيُّ جوهرة هذه التي صارت روحَ روحِ العالم؟**

الآن يُفهم لماذا قال عليه السلام:

نَفْسِي عَلَى زَفَرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ ✽ ✽ يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَات

وَهِيَ الحَوْرَاءُ الإِنْسِيَّةُ، مَتَى قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا جَلَّ جَلَالُهُ: لا إله إلا الله، مَن كانت؟ وماذا فعلت؟ وماذا حصل معها؟ فالحديثُ لا عن مرَّةٍ، بل كلَّما قامت بين يدي ربها ولم يكن بينها وبين الله حجاب:

زَهَرَ[1] **نُورُهَا لِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ كَمَا يَزهَرُ نُورُ الكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الأَرْضِ**: وههنا حيرة الكمّل، لمن يزهر؟ يزهر للملائكة الذين: **أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ**[2]، فهؤلاء الملائكة كلُّهُم يتحيّرون من هذا النور الذي يشرق من هذه الروح على العرش، وتصل النوبة **لمباهاة الله تعالى، ملائكة السماء بِقَدَميها المتورِّمتين**، وهو الغنيّ على الإطلاق، الحكيم على الإطلاق.

---

(١) وردت في بعض النسخ بلفظ (ظَهَرَ).

(٢) نهج البلاغة الخطبة١٠٩.

وَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: **يَا مَلَائِكَتِي انْظُرُوا إِلَى أَمَتِي فَاطِمَةَ** سَيِّدَةِ إِمَائِي قَائِمَةً بَيْنَ يَدَيَّ، **تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهَا مِنْ خِيفَتِي، وَقَدْ أَقْبَلَتْ بِقَلْبِهَا عَلَى عِبَادَتِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ شِيعَتَهَا مِنَ النَّارِ**:

ثم قال النبي ﷺ بعدما ذكر هذه المطالب: **وَإِنِّي لما رَأَيْتُهَا ذَكَرْتُ مَا يُصْنَعُ بِهَا بَعْدِي**: ما الذي كان يحلّ بالخاتم ﷺ كُلَّما نظر إليها؟ وذكَرَ ضلعها المكسور!

كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلَ الذُّلُّ بَيْتَهَا، وَانْتُهِكَتْ حُرْمَتُهَا، وَغُصِبَتْ حَقَّهَا، وَمُنِعَتْ إِرْثَهَا، وَكُسِرَ جَنْبُهَا: ماذا يعني كلامه ﷺ؟ يعني أنَّهُ كان يرى ما سيجري عليها كلّ هذه المدة. **وَأَسْقَطَتْ جَنِينَهَا وَهِيَ تُنَادِي: يَا مُحَمَّدَاهْ، فَلَا تُجَابُ، وَتَسْتَغِيثُ فَلَا تُغَاثُ، فَلَا تَزَالُ بَعْدِي مَحْزُونَةً مَكْرُوبَةً بَاكِيَةً**(١).. والباقي غير قابلٍ للقول.

مَا زَالَتْ بَعْدَ أَبِيهَا مُعَصَّبَةَ الرَّأْسِ نَاحِلَةَ الجِسْمِ، مُنْهَدَّةَ الرُّكْنِ(٢): شابَّةٌ في الثامنة عشر، ماذا فعلوا بها حتى صارت منهدَّة الركن؟ لا اله الا الله.. ظلّت يغشى عليها كلّ ساعةٍ طيلة ٩٥ يوماً!

ما هي وظيفة الأمّة في مثل هذه المصيبة؟ إمام الزمان سيسألكم جميعاً: ماذا فعلتم لأمّي التي كُسِرَ ضلعها؟

لا ينبغي لهيئات العزاء أن تسمع للدعوات الشيطانية، بل ينبغي على كلّ الهيئات أن تخرج لتعزية ذلك القلب، الذي حمل بَدَنَها على يده وقال: وَسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) الأمالي للصدوق ص١١٣.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٨١.

يومُ الزهراء.. يومُ عويلٍ وبكاء..

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

هذه الأيام أيام شهادة خاتم الأنبياء، هذه الأيام عظيمةٌ جداً، **فشهادة السيدة الزهراء شهادة نفس النبي ﷺ !**

فاطمة بضعةٌ منّي: هذا الحديث مورد **اتفاق العامة والخاصة**، وينبغي على كلّ مسلمٍ من أيّ مذهبٍ كان، وأي ملّة، أن يجعل **يوم شهادة السيدة الزهراء** عليها السلام **يوم حزنه، ولا يختص ذلك بالشيعة.**

هذا متن الحديث في كل الصحاح، أما فِقهُ الحديث فهناك الصخب..

وظيفتكم الأساسية في هذه الأيام أن تنتشروا جميعاً في البلاد، **وثمرة الفقاهة إرشاد خلق الله إلى ما تفرّدت به حبيبة الله.**

لا أنا ولا أنت ولا الشيخ الطوسي ولا الشيخ الانصاري أدركنا من هي فاطمة الزهراء، لأن الخلق فُطِمُوا عن معرفتها، **كلُّنا مقصرون، لم نعرفها كما هي، ولم نُعَرِّف الآخرين عليها.**

أما مَن هي؟ نعرف ذلك من الحديث الصحيح، الذي كان يفتي الشيخ الأنصاري بضرصٍ قاطع في مثل سنده، ويرفع يده عن أصالة الاحتياط الأصولية والفقهية، مع كونه رحمه الله يعدُّ تجسيماً للاحتياط.

ورجال سَنَدِ هذا الحديث موثقون بتوثيق الشيخ المفيد والنجاشي والشيخ

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأحد ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ الموافق ٢١-٢-٢٠١٦ م، ونشرناه على شبكة الانترنت تحت عنوان: الحزن على الزهراء لا يختص بالشيعة.

الطوسي وابن شهر آشوب، أعاظم مشايخ الرجال والحديث.

وإن كنّا لا نصل إلى فقه الحديث، لكن ما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه، والمتن عظيمٌ إلى حدِّ أن من يَعرِفُهُ هو قائله.. والحديث هو:

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ[1]: سَأَلَ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنِ الجَفْرِ فَقَالَ: هُوَ جِلْدُ ثَوْرٍ مَمْلُوءٌ عِلْماً. قَالَ لَهُ: فَالجَامِعَةُ؟

قَالَ: تِلْكَ صَحِيفَةٌ طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فِي عَرْضِ الأَدِيمِ، مِثْلُ فَخِذِ الفَالِجِ، فِيهَا كُلُّ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ مِنْ قَضِيَّةٍ إِلَّا وَهِيَ فِيهَا حَتَّى أَرْشُ الخَدْشِ.

وقد أجاب عليه السلام عن هذين السؤالين فوراً، ووصل إلى السؤال الثالث:

قَالَ: **فَمُصْحَفُ فَاطِمَةَ** عليها السلام؟

قَالَ: فَسَكَتَ طَوِيلًا: فاطمة الزهراء قد عرفها جعفر بن محمد عليه السلام، سكوته الطويل هنا معبّرٌ جداً، فنُطقه وسكوتُه وكلامُه بحرٌ من الحكمة لأهله.. فسكت طويلاً..

ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَبْحَثُونَ عَمَّا تُرِيدُونَ وَعَمَّا لَا تُرِيدُونَ: هو يعلم ما الخبر.

إِنَّ فَاطِمَةَ مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله خَمْسَةً وَسَبْعِينَ يَوْماً: كلُّ مدة بقائها بعده هي هذه، لكن كيف أمضت هذه المدة؟

وَكَانَ دَخَلَهَا حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلَى أَبِيهَا، وَكَانَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام يَأْتِيهَا فَيُحْسِنُ عَزَاءَهَا عَلَى أَبِيهَا، وَيُطَيِّبُ نَفْسَهَا، وَيُخْبِرُهَا عَنْ أَبِيهَا وَمَكَانِهِ، وَيُخْبِرُهَا بِمَا يَكُونُ بَعْدَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا، وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَكْتُبُ ذَلِكَ.

---

(١) الكافي ج١ ص٢٤١.

وههنا **عدة مطالب**:

فينبغي أولاً معرفة جبرائيل، اقرؤوا القرآن حتى تعرفوا من هو جبرائيل، ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾[١]، هذا نصُّ القرآن، **مكانُهُ أعلى أمكنة عالم الوجود**، بالأفق الأعلى، وهنا فقه الحديث، إذا وفق الله تعالى لتحليل وشرح هذه الأحاديث.

فاطمة بضعةٌ مني: فاطمةُ **من نفسه العليّة الخاتميّة**، لا من البدن، ونفسُ تلك الجاذبية التي كانت فيه من الأفق الأعلى ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى * **ذُو مِرَّةٍ** فَاسْتَوى﴾[٢] **كانت في ابنته ذات الثمانية عشر عاماً** بحكم قوله: (فاطمة بضعة مني). **إنها جاذبية الحقيقة الأحمدية، النفس النفيسة المحمدية، وبضعة الخاتمية**.

وأيّ مطالب كانت في ذلك المصحف؟ كتبه من كان يقول النبي الخاتم صلى الله عليه وآله فيه بالاتفاق: **أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**، مثُل هذا كان يحمل القلم بيده ويكتب الحديث بين فاطمة وجبرائيل عليهما السلام ويسجله: **وَكَانَ عَلِيٌّ** عليه السلام **يَكْتُبُ ذَلِكَ**.

فَهَذَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام: وهنا فاء التفريع، لماذا التفريع؟ يُعرَفُ ذلك عندما يُعرَفُ المفرَّعُ عليه، فهذا مصحف فاطمة.

ثم إنّ **علم المعصومين** الأربعة عشر له ثلاث جهات: الجفر والجامعة ومصحف فاطمة، **هذه فاطمة الزهراء، وهذه مكانتها العلمية**.

أما مقامها ومنزلتها، فقد سئل سادس الأئمة عليهم السلام: **لِمَ سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ**

---

(١) النجم٧.

(٢) النجم٥-٦.

الزَّهْرَاءَ؟

قَالَ: **لِأَنَّ لَهَا فِي الجَنَّةِ قُبَّةً مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ**، ارْتِفَاعُهَا فِي الهَوَاءِ مَسِيرَةُ سَنَةٍ، مُعَلَّقَةٍ بِقُدْرَةِ الجَبَّارِ، لَا عِلَاقَةَ لَهَا مِنْ فَوْقِهَا فَتُمْسِكَهَا، وَلَا دِعَامَةَ لَهَا مِنْ تَحْتِهَا فَتَلْزَمَهَا، لَهَا مِائَةُ الفِ بَابٍ، وَعَلَى كُلِّ بَابٍ الفٌ مِنَ المَلَائِكَةِ، يَرَاهَا أَهْلُ الجَنَّةِ كَمَا يَرَى أَحَدُكُمُ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الزَّاهِرَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: **هَذِهِ الزَّهْرَاءُ لِفَاطِمَةَ**[1].

هذا مصحفها وهذه مكانتها، **فهل عرفنا فاطمة؟**

لقد عرفها أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي جاء الرسولُ صلى الله عليه وآله لعيادته في حرب أُحُد، وشاهد بدنه مليئاً بالثقوب، حتى أن الفتيلة تدخل في ثقوبه، ومع كلّ صَبر النبيّ الذي ليس له مثيلٌ، بكى صلى الله عليه وآله لمّا وقع نظره عليه، صار بلا طاقة وبكى بصوت عالٍ، أمّا عليٌّ فماذا فعل؟ **تبسّم وقال: إن هذا في ذات الله لقليل.**

من عَرَفَ علياً؟ أيُّ صبرٍ هذا؟ النبيُّ بكى وهو تبسّم!

في ليلة التاسع عشر صاح جبرائيل بين السماء والأرض: **تهدمت والله أركان الهدى،** لكنه عليه السلام ابتسم وقال: **فزت ورب الكعبة.**

هذه الشخصية قد عرفت فاطمة، مثل هذا الشخص كان على هذه الحال في أُحُد، وعلى هذا الحال في الليلة التاسعة عشر، لكنّه لمّا أراد إرجاع الوديعة وإيصال الجنازة لأبيها قال:

نَفْسِي عَلَى زَفَرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ * * يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَات

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٣٠.

ما هي وظيفتنا في الفاطمية؟

إنّ مَن كان جبرائيل بين الأرض والسماء يصرخ باسمه: (لا فتى إلا عليّ ولا سيف الا ذو الفقار)، مِثل هذا **تمنى لو أنّه مات!**

فما وظيفتنا أنا وأنت في هذه البلاد؟ وهي باسمها عليها السلام، ما وظيفتنا في يوم شهادتها عليها السلام؟

وظيفتنا **أن نتبع صرخة وحرقة وأنين أمير المؤمنين**، وأن يكون **يومُ شهادة السيدة الزهراء يوم عويلٍ في هذه البلاد.**

أيتها الهيئات، هل أنتم نيام؟ لا ينبغي أن تبقى هيئةٌ لا تخرج، لماذا؟

لأنّ في كل هيئة تخرج **رحمةٌ لقلب سيد الشهداء الجريح، ولصدر الحسن المجتبى المجروح، ولعين إمام الزمان الباكية على أمه** عليها السلام.

جملةٌ واحدةٌ كافية، ممَّن كان تمام العالم تحت رايته، وآدَم ومَن دونه تحت لوائه، مثل هذا يقول، والكلام غير قابل للقول، لكن لا خيار، ينبغي أن يقال، مِثل هذا عندما أرجع الوديعة وسلّم جنازتها لأبيها رسول الله قال: **وَسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا.**

اشرحوا هذه الكلمة للناس **ليعرفوا وظيفتهم يوم شهادتها، وكيف اجتمعوا على ضربها.**

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الزهراء.. نورٌ من نور الله

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

اقترابُ الأيام الفاطمية فرصةٌ لإحياء اسم الصدّيقة الكبرى، والمحدَّثة العظمى عليها السلام.

جميعُنا لم نعرف فاطمة، وعَدَمُ المعرفة هو مقتضى القاعدة، وليس خلاف القاعدة! وهذا يعني أن **معرفتها غير ممكنة!**

ورد في الرواية المعتبرة: **إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ لِأَنَّ الخَلْقَ فُطِمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا**[٢].

كلُّ الخلق وليس الإنس فقط، بما فيهم الجن والملائكة إلى أعلى عليين، كلُّهم فطموا وانقطعوا عن معرفتها، **فأيُّ جوهر تكون؟**

إن جملةً واحدة في القرآن الكريم كافيةٌ لتجسّد هذه العظمة، فلقد كان كلُّ الخلق وبعثة الأنبياء مقدمةً لخلق وبعثة الخاتم صلى الله عليه وآله، وما يُحيِّرُ هنا هو أن الله تعالى قد مَنَّ على جميع المؤمنين من الأولين والآخرين ببعثة الخاتم، **ومَنَّ الله على الخاتم بعَطِيَّة هي الصديقة الكبرى!**

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ** * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر * إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[٣].

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ١٠ جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ الموافق ٨-٢-٢٠١٧ م، ونشرناه على شبكة الانترنت تحت عنوان: الأيام الفاطمية فرصةٌ لإحياء أمر الصدّيقة الكبرى.

(٢) تفسير فرات ص٥٨١.

(٣) الكوثر ١-٣.

لقد ورد في الحديث الشريف: **لِفَاطِمَةَ عليها السلام تِسْعَةُ أَسْمَاءٍ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ**[١].

فمَن كانت أسماؤها (عند الله) فأين مستقر (مُسَمَّاها)؟!

و(العِنديَّة): ﴿عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٢] غيرُ قابلة للإدراك! ويستفاد من هذه الرواية أن **واضع الأسماء هو نفس الذات القدّوسية الإلهية.**

أما أسماؤها، فكلُّ واحدٍ منها بحرٌ:

الأول: فَاطِمَةُ، وقد ورد في التفسير عن سادس الأئمة عليهم السلام: إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ **لِأَنَّ الخَلْقَ فُطِمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا**[٣]، وإنما تفيد الحصر.

الثاني: الصِّدِّيقَةُ.

الثالث: المُبَارَكَةُ، وهذا الإسم ورد في الإنجيل، **ولكنّها مباركةٌ بأيّ بركة؟**

بالعلم الحسنيّ، والشجاعة الحسينية، والعبادة السجادية، والمآثر الباقرية، والآثار الجعفرية، والعلوم الكاظمية، والحِجج الرضوية، والجود التقويّ، والنقاوة النقوية، والهيبة العسكرية، والآخر الذي كانت بعثةُ تمام الأنبياء والمرسلين في طريق ظهوره. **فثمرة المعصومين عليهم السلام من هذه الشجرة الطيبة**، هذه هي فاطمة المباركة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر * إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

وَالطَّاهِرَةُ وَالزَّكِيَّةُ وَالرَّضِيَّةُ وَالمَرْضِيَّةُ وَالمُحَدَّثَةُ وَالزَّهْرَاءُ.

---

(١) الأمالي للصدوق ص٥٩٢.

(٢) القمر ٥٥.

(٣) تفسير فرات ص٥٨١.

ولكل واحدٍ من هذه الأسماء شرحٌ، وهي الحوراء الإنسية، ليست إنسيّة فقط، بل حوراءُ في غطاءٍ إنسانيّ.

هي المباركة وأيُّ بركة! هي **الثمرةُ التي لها أحد عشر جوهرة**، واحدٌ منها: ابن النبي ﷺ، الذي أعطاه الله تعالى زجاجة يجمع فيها دمه، **ووضَعَها في قائمة العرش، فهي تهتزّ إلى يوم القيامة!**

هذه بركتها، فكيف تكون معرفتها ميسّرة وممكنة؟ ونحن نكتفي بهذه الرواية، المروية في علل الشرائع[1]، وسندها في غاية القوة.

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: **لِمَ سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ زَهْرَاءَ؟** وفِقه هذا الحديث مفصّل وموسّع جداً، فنعرض منه بقدر الميسور.

فقال: لِأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ: فمبدؤها هو هذا، هي مخلوقةٌ ولكن من أيّ شيء؟ من نور عظمة الله تعالى، لقد قلتم في الركوع عمراً: (سبحان ربي العظيم)، فمبدأ (العظيم) مَنشَأ خلق فاطمة عليها السلام.

مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ: مِن نور الله، ومِن عظمة الله، هذا مبدأ خلقها.

فَلَمَّا أَشْرَقَتْ أَضَاءَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ بِنُورِهَا: أي أنّها أشرقت على كلّ عوالم الوجود.

وَغَشِيَتْ أَبْصَارُ المَلَائِكَةِ، وَخَرَّتِ المَلَائِكَةُ لله سَاجِدِينَ: فقه الحديث يحتاج لبحثٍ مفصّل، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملائكة: مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ

---

(١) علل الشرائع ج١ ص١٨٠.

سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ **أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ**[1]، ومن الملائكة من جاوَزَت السماءَ السابعة رؤوسُهُم، وثبتت في الأرض السابعة أقدامُهم، هؤلاء الملائكة **غشيت أبصارهم وخرّوا ساجدين لما رأوا هذا النور!**

هذا باطن فاطمة عليها السلام، **وهذا معنى الزهراء**، وهذا سِرُّ عجز الخلق عن معرفتها، كلّ الخلق، وليس الإنسان وحده، ونحن ذكرنا فاطمة عليها السلام عُمرَنا، لكنّا لم ندرك حقيقة هذا الإسم. تتمة الحديث:

وَقَالُوا: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا، مَا هَذَا النُّورِ؟ ينبغي أن تدققوا في فقه الحديث..

فَأَوْحَى الله إِلَيْهِمْ: لمن أوحى الله تعالى؟ لجبرئيل: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى﴾[2]، وهنا يحار العقل، أوحى لهم تعالى:

هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي: مَن يفهم آية النور يفهم ذلك ﴿الله نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ﴾[3]، **المشكاة هي الزهراء**، والمصباح الأول هو الإمام الحسن المجتبى، والمصباح الثاني هو سيد الشهداء عليهم السلام، ﴿نُورٌ عَلى نُور﴾: ذلك النور، ذلك الظهور الذي بقي **تمام الأنبياء وكلُّ المرسلين في انتظار إشراقه،** ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشاء﴾، فتكون **النتيجة أن آية النور فاطمة**، والمصباح الأول الحسن بن علي، والمصباح الثاني الحسين بن علي، و﴿نُورٌ عَلى نُور﴾: **وليُّ العصر، آخر أبنائها المعصومين** عليهم السلام. وبعد أن قال تعالى: هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي، قال:

(١) نهج البلاغة الخطبة١٠٩.

(٢) النجم٥-٦-٧.

(٣) النور٣٥.

أَسْكَنْتُهُ فِي سَمَائِي، خَلَقْتُهُ مِنْ عَظَمَتِي، أُخْرِجُهُ مِنْ صُلْبِ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِي، أُفَضِّلُهُ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ: فما أضعه في صلب خير الأنبياء هو سيِّدة النساء، سيدة نساء المؤمنين، سيدة نساء بني آدم، سيدة نساء أهل الجنة.

ولفهم هذا المطلب، ينبغي معرفة من هُنّ نساء أهل الجنة؟ إحداهنّ آسية بنت مزاحم، وهي التي أوتَدَ فرعونُ يديها ورجليها وألقى على صدرها رحىً عظيمة وبقيت على إيمانها، **هذه الجوهرةُ أَمَةٌ للصدّيقة الكبرى، أفلا يكون فَهمُ مقاماتها فوق تصورنا؟**

وَأُخْرِجُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ أَئِمَّةً يَقُومُونَ بِأَمْرِي، يَهْدُونَ إِلَى حَقِّي، وَأَجْعَلُهُمْ خُلَفَائِي فِي أَرْضِي بَعْدَ انْقِضَاءِ وَحْيِي: النتيجة أن **فاطمةَ لؤلؤةٌ**، وكلُّ ما بين العلم الحسنيّ إلى الغيبة الإلهية لولي العصر، **كلُّه جواهرُ هذه اللؤلؤة**، ولقد كانت هذه اللؤلؤة **أجرَ رسالة خاتم الأنبياء.**

هذه **شَمَّةٌ من مقام الصديقة الكبرى**، وهذا مبدأ هذه الجوهرة.

لقد رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاطِمَةَ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ مِنْ أَجِلَّةِ الإِبِلِ، وَهِيَ تَطْحَنُ بِيَدَيْهَا، وَتُرْضِعَ وَلَدَهَا، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.. فَأَنْزَلَ الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾[1]، هذا فِقه الحديث، أنّ ما أعطاه الله للخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو أثرُ طحن فاطمة بيديها، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾.

البحث مفصَّلٌ، و**المناسبة القادمة مهمةٌ جداً، وصاحبُ العزاء وليّ العصر صاحب الزمان** عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٤٢.

ضَيِّعَا حق الزهراء.. ودُفِنَا في بيت الرسول!

بسم الله الرحمن الرحيم[(١)]

مع اقتراب الأيام الفاطمية، فإن موضوع البحث اليوم هو الصديقة الكبرى عليها السلام.

إنّ لفاطمة تسعة أسماءٍ عند الله، أحد هذه الأسماء (المباركة)، **ولمَّا يكون واضِعُ الإسم هو الله تعالى فإنّ البركة غير قابلة للوصف، بل غير قابلة للإدراك.**

من الحِلم الحسنيّ إلى الغيبة الإلهيّة لوليّ العصر، كلُّه من بركات وجود هذه المرأة. فكيف تُدرَكُ هذه البركة؟

وثمرة وجودها هو المهدي عليه السلام طاووس أهل الجنة، تتحقق على يديه ثمرة الخلق وبعثة جميع الأنبياء، فكلُّ الأنبياء والأولياء كانوا في طريق ظهوره.. هذا معنى اسم المباركة، **وللأسف فقد ضُيِّعَ هذا الحق،** وأوّل من تكفل بإضاعة الحق استند إلى هذه الرواية: **ما تَرَكتُ لأمتي صدقة.**

والذي قال هذا الكلام وأخذَ فدك بناء عليه، صارَ بعد ذلك بنفسه مُكَذِّباً لهذه الرواية، وهذا من العجائب، حيث أن الراوي نفسه كذّب الرواية نفسها، **حيث طلب من عائشة عند موته أن يُدفَنَ في بيت الرسول: عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ**

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٢-٢-٢٠١٧ م، ثم أضاف سماحة الشيخ بعض التوضيحات حوله صبيحة يوم السبت ٥ جمادى الثاني ١٤٣٨ هـ الموافق ٤-٣-٢٠١٧ م قبيل درس الفقه، فمزجنا أهمّ ما فيه مع هذا البحث.

ائْذَنِي لِي أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ[١].

فإن كان ما تركه النبيُّ ﷺ صدقةً، فإنّ إذنَ عائشة خطأ!

وإن كان إذنُ عائشة معتبراً، فإنّ الصدقة خطأ!

نتيجة البحث، على مبنى أبي بكر:

أنه **بمقتضى دليل غصب فدك، فإن وظيفة كلِّ مسلمٍ الآن نبشُ قَبرِ الرَّجُلَين، وإخراجُ ما بقي من أجسادهما**، لأن الغصبَ مُسَلَّمٌ، وحكمَ الدفن في المغصوب **وجوبُ النبش بإجماع الجميع.**

هذه القاعدة وهذه النتيجة. فكيف ضاع هذا الحق؟

نحن لم نَقُل أنّ نبش القبر واجبٌ، وأنّه ينبغي إخراج جنازتيهما، بل هذا قول (الصديق)! لماذا؟ لأنّه قد طُرِحَ في بحث حجية الظواهر أنّه لا إشكال في حجية الدلالة المطابقية والدلالة الإلتزامية، وأنها حجّةٌ في اللازم البيّن.

ونتيجة هذا المبنى الذي لا يقبل النقاش، أن بيان (الصديق) في مقابل الصدّيقة الكبرى من أن (ما تركناه صدقة) يدلُّ بالدلالة الإلتزامية أنّ **لكلِّ مؤمنٍ ممن كان مورداً لهذه الصدقة حقّ الإعتراض على دفنهما.**

ونتيجة لازم كلام أبي بكرٍ في جواب الصديقة الكبرى أنّ ما ترك الرسول ﷺ صدقة، وأن **الصدقة حقٌّ لجميع المسلمين.**

وهنا يُطرَح هذا السؤال: **هل كان دفنهما بإذن جميع المسلمين أم لا؟**

وليس بين النفي والإثبات منزلة أخرى، ولمّا لم يكن هناك إذْن، فلا محالة

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص١٥٣.

يثبت حق كلّ مسلم، هذا مقتضى الحق، والنتيجة **سلطنة المسلمين على نبش القبر وإخراج هذين الشخصين. وهذا بيان أبي بكر، لحجيّة الدلالة الإلتزامية.**

والمهمُّ هو البرهان القاطع: لقد جمع المأمون علماء المسلمين من أقطار الدنيا للبحث في مسألة فدك، وكانت نتيجة المجلس إجماع الكل على أن فدك قد غُصِبَت، وأنها ملك الصديقة الكبرى.

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ** برد مأمون هاشم فدكاً

فكيف تُحَلُّ هذه التناقضات؟ هذا دليل غصب الصديقة الكبرى.

أما عظمتها، فهي فوق التصور، إنّ اسمها في إنجيل عيسى (المباركة)، وثمرة هذا الوجود الحكومة العالميّة للمهدي الموعود عليه السلام.

هذا أثر هذه البركة، من الحِلم الحسنيّ إلى الغيبة الإلهية للوليّ، كلُّه ثمار هذه الشجرة.

وهي المصداق الأتمّ لهذه الآية: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾[1].

إن شاء الله تسافرون جميعاً في هذه الأيام وتُبيِّنون عظمة هذا المقام للناس لكي **تُعرَف عظمة المصيبة بقدر الميسور،** هذا تكليفكم. وأمّا تكليف الهيئات، فينبغي **على الجميع أن يخرجوا ويعرفوا مَن كانت،** وماذا حصل.

عندما أراد عليه السلام تسليم الجنازة للنبي صلى الله عليه وآله قال: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ

---

(١) إبراهيم ٢٤-٢٥.

الله.. **لَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، وَاخْتُلِسَتِ الزَّهْرَاء**[1].

ماذا يعني الاختلاس؟ يا رسول الله، **خُطِفَت فاطمةُ من يدِ عليّ**، هذا معنى الاختلاس.

عندما وصلت الضربة إلى رأس عليٍّ وتراءى الموت وصاح أمين الوحي بين الأرض والسماء: **تهدّمت والله أركان الهدى**، قال عليه السلام مبتسماً: **فزت ورب الكعبة**.

لكنّه هنا نفض يده من تراب القبر وقال:

نَفْسِي عَلَى زَفَرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ * * يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَات

قالت لعلي عليه السلام: **إِذَا أَنَا مِتُّ فَغَسِّلْنِي بِيَدِكَ وَحَنِّطْنِي وَكَفِّنِّي وَادْفِنِّي لَيْلاً**..

كلُّ شيء كان ليلاً، لا تُعلِم بي أحداً.. **هكذا ذهبت غريبة**، لكن الله تعالى **يعلم ذلك القبر المخفي.. الله تعالى يعلم عظمة ذلك الدفن ليلاً**.

ثم قال عليه السلام: **وَسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا**.

هذه الجملة كافية، هي نفسها تخبرك كيف أنّ أمتّك وقف بعضها مع بعض، وضربوا فاطمة عليها السلام، لقد تظافرت الأمة على هضمها، وكان الدفن ليلاً، والقبر بلا علامة!

ينقل خامس الأئمة عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله:

إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ تُقْبِلُ ابْنَتِي فَاطِمَةُ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الجَنَّة.. قَوَائِمُهَا مِنَ الزُّمُرُّدِ الأَخْضَرِ، ذَنَبُهَا مِنَ المِسْكِ الأَذْفَرِ، عَيْنَاهَا يَاقُوتَتَانِ حَمْرَاوَانِ، عَلَيْهَا قُبَّةٌ مِنْ

(١) الأمالي للمفيد ص٢٨٢.

نُورٍ يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، **دَاخِلُهَا عَفْوُ الله وَخَارِجُهَا رَحْمَةُ الله**[1]: فعَفوُ الله ظاهر هودجها، ورحمةُ الله باطن هودجها، تلك الرحمة التي وَسِعَت كل شيء، **مركزها ومبدؤها ومنتهاها فاطمة الزهراء** عليها السلام.

ما يُحَيِّرُ العقول هو نداء جبرئيل بأعلى صوته: **غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله، **فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ إِلَّا غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَة**.. هكذا ترد المحشر..

فَتَسِيرُ حَتَّى تُحَاذِيَ عَرْشَ رَبِّهَا جَلَّ جَلَالُهُ.. فَإِذَا النِّدَاءُ مِنْ قِبَلِ الله جَلَّ جَلَالُهُ: **يَا حَبِيبَتِي وَابْنَةَ حَبِيبِي سَلِينِي تُعْطَيْ**..

فَتَقُولُ: **إِلَهِي وَسَيِّدِي: ذُرِّيَّتِي وَشِيعَتِي وَشِيعَةَ ذُرِّيَّتِي وَمُحِبِّيَّ وَمُحِبِّي ذُرِّيَّتِي**.

ويكون ختم المحشر بأن تُخرِج قميصاً مقطّعاً مصبوغاً بالدم، تضعه على رأسها، وتقول: يا رب شيعتي.

فما هي وظيفتكم في الأيام الفاطمية؟ اذهبوا الى الأماكن المحرومة، وعَرِّفُوا الناس بفضائلها التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى.

ووظيفة الناس أن **تخرج كلّ الهيئات يوم شهادتها في المواكب**، حتى يوضع **ذلك كمَرهَمٍ على جراح ولي العصر إمام الزمان** عليه السلام.

المصيبة كبيرةٌ إلى حدٍّ أنّا لسنا قادرين على شرح عظمتها، ولا قادرين على إدراكها، لكن تتضح عظمة المطلب من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، عندما نفض يده من تراب القبر وقال:

---

(١) الأمالي للصدوق ص١٨.

نَفْسِي عَلَى زَفَرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ * * يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَات

اللهم بحق فاطمة وأبيها، وبعلها وبنيها، والسرّ المستودع فيها، لا تفرق بيننا وبينها وذريتها المعصومين أبداً.

المصيبة العظمى.. شهادة الصديقة الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

مع اقتراب الأيام الفاطمية، فإنّ **المصيبة العظمى هي شهادة الصديقة الكبرى**، ووظيفتكم جميعاً في هذه الأيام بيان عظمة هذه السيدة.

إن أحداً لم يعرف هذه الجوهرة.

لكلِّ موجود أصلٌ (مبدأ) ومنتهى (مآل ونهاية) ووسط، فما هو المبدأ؟ وما هو المنتهى؟ وما هو الوسط؟ إذا فُهمت هذه الكلمات الثلاث تُعرف الصديقة الكبرى.

أما أصلها، فأفضل من كل الكلام، كلمات من كانوا عارفين بجواهر الوجود: لِمَ سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ، زَهْرَاءَ؟ ما سر هذا الاسم؟ هذا السؤال الذي وُجِّهَ لصادق آل محمد عليه السلام، فقال عليه السلام: **لِأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ**[2]: الكلّ يقف مذهولاً هنا من الشيخ الطوسي إلى الشيخ الأنصاري!

المبدأ: **خَلَقَهَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ**، فمبدأ وجودها الخلق من نور عظمة الله، هذا أصلُ فاطمة الزهراء، فمَن فَهِمَ هذه الجملة؟

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ الموافق ١٤-٢-٢٠١٨ م.

(٢) الإمامة والتبصرة ص١٣٣.

من يفهم آية النور يفهم هذه الجملة: ﴿الله نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباحٌ المِصْباحُ في زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، فمشكاة آية النور فاطمة الزهراء، والمصباح الأول الامام الحسن المجتبى، والمصباح الثاني خامس آل العباء، ونهاية الآية ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾، وختم الآية **ولي العصر صاحب الزمان** عليه السلام.

هذا أصلها، يقول الإمام: **فَلَمَّا أَشْرَقَتْ أَضَاءَتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِنُورِهَا**: كل السماوات السبع والأرضين أشرقت من نور روح فاطمة الزهراء، هذه فاطمة الزهراء فهل عرفها أحد؟ والمطلب مهمٌ إلى حدّ أنّه: **غَشِيَتْ أَبْصَارَ المَلَائِكَةِ**: صارت مخفيةً عن عيون الملائكة، فليس لجبرائيل طاقةٌ لرؤية نور باطن فاطمة الزهراء عليها السلام، هذه معرفتها.

وَخَرَّتِ المَلَائِكَةُ لله سَاجِدِينَ: كل الملائكة، سجد جميع الملائكة، فأيُّ نور هو هذا؟

وَقَالُوا: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا، مَا هَذَا النُّورُ؟ فَأَوْحَى الله إِلَيْهِمْ: أنتم أهل العلم، **تفكّروا في هذه الجملة اليوم واستخرجوا منها الجواهر.**

فَأَوْحَى الله إِلَيْهِمْ: هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي: هذا كلامُ الله تعالى للملائكة عن الصديقة الكبرى!

نُورٌ مِنْ نُورِي، وَأَسْكَنْتُهُ فِي سَمَائِي: العقل يقف حائراً مذهولاً!

خَلَقْتُهُ مِنْ عَظَمَتِي: الأصل والمبدأ في خلق فاطمة الزهراء عظمة الله، فماذا تعني هذه الجملة؟ قلتم عمراً في الركوع: (سبحان ربي العظيم)، وهذا العظيم

خلق فاطمة الزهراء من عظمته، هذا أصل وجودها.

هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي: النور الاول نكرةٌ، وهذه النكرة أعرف المعارف فلماذا جاءت نكرة؟ ما هو وجه التنكير؟ يتضح وجه التنكير في هذا الحديث الذي يحيّر العقول عن سادس الأئمة عليه السلام: **إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ لِأَنَّ الخَلْقَ فُطِمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا**[1]: كلُّ الخلق، بمن فيهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل مفطومون عن معرفة فاطمة ومقطوعون عن ذلك!

هذا أصل ومبدأ وجودها، أما منتهى هذا الوجود، فينبغي أولاً فهم القيامة، ماذا تعني القيامة؟ ﴿وَبَرَزُوا لله الواحِدِ القَهَّارِ﴾[2]، في هذه القيامة يبرز كل الخلائق لله الواحد القهار، وفي مثل هذا اليوم يكون كلّ الانبياء من آدم لعيسى تائهين، في مثل هذا اليوم **تظهر فاطمة على ناقةٍ عليها قبةٌ باطنها عفو الله وظاهرها رحمة الله**، ينادي المنادي من بطنان العرش: **يَا مَعْشَرَ الخَلَائِقِ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ**، فتصل لقائمة العرش وهناك يختم المحشر.

فجأة، والكلّ في غفلة، **تخرجُ قميصاً ملطخاً بالدم تضعه على رأسها**، وتقول: **يا رب شيعتي**. يأتي جبرائيل ناقلاً سلام الله طالباً أن تُنزِلِ القميص عن رأسها: **يَا فَاطِمَةُ سَلِي حَاجَتَك**.

الحاجة التي تطلبها: **يَا رَبِّ أَرِنِي الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ**[3].

الحسن بكبده المسموم، والحسين مع الرأس المقطوع، هكذا تحضر في

---

(١) تفسير فرات ص٥٨١.

(٢) إبراهيم ٤٨.

(٣) تفسير فرات ص٤٤٦.

المحشر.. هذا المنتهى!

أما الوسط: لِمَ سُمِّيَتْ زَهْرَاء؟ يقول الإمام السادس: **لِأَنَّهَا كَانَتْ إِذَا قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا زَهَرَ نُورُهَا لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا يَزْهَرُ نُورُ الكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الأَرْضِ.**

هذه آثار باطنها: يزهر نورها لملائكة السماء، أيُّ باطن هذا؟ نورها يتجلى من باطنها للعرش لما تقف في محرابها، وقد قامت في محراب عبادتها حتى تورمت قدماها. هذا قيامها في محراب العبادة.. وهذا المبدأ والمنتهى والوسط.

على عموم الهيئات أن تخرج في هذه الفاطمية، وتشارك في تعزية القلب المقدس لأمير المؤمنين عليه السلام، على الجميع أن يخرجوا لإحياء المناسبة.

مهمتكم جميعاً تنبيه الناس، لتعزية قلب من جاء النبي صلى الله عليه وآله لرؤيته في حرب أحد، ورأى بدنه مليئاً بالثقوب حتى أن الفتيلة تدخل في ثقوبه، فبكى النبي صلى الله عليه وآله لكنّه عليه السلام قال: **إن ذلك في ذات الله قليل.**

ولما ضُرِبَ صبح اليوم التاسع عشر على رأسه كانت البسمة على شفتيه عليه السلام وقال: **فزت ورب الكعبة.**

لكنه نفسه قال عند دفنها:

نَفْسِي عَلَى زَفَرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ * * يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَات

إلهي بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها، لا تفرق بيننا وبينها طرفة عين ابداً.

الإمام الحسن عليه السلام

الفقه الأكبر: معرفة الإمام!

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

يومُ الجمعة يوم شهادة السّبط الأكبر، **والفقه الأكبر هو معرفة الإمام**، ووهنا مطلبان:

الأول: أن الله تعالى سمى الإمام (الحسن) وفق النصوص المعتبرة عند العامة والخاصة، فمن يسميه الله تعالى (الحسن) يكون اسمه هو الأحسن، فخَلقُه حسنٌ، وخُلُقُه حسنٌ، واسمُه حسنٌ، وأثَرُه حسنٌ، حَسَنٌ في حَسَن.

الثاني: ورد في الرواية المعتبرة عند العامة والخاصة أنّ من أحب الحسن أحبه الله تعالى، فعنه صلى الله عليه وآله: **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه**[٢].

وهذا البحث إكسيرٌ أحمر، **فأيُّ مقامٍ هذا الذي يجعل محبَّه محبوباً لله تعالى؟** وكونه محبوباً لله يحير العقل.

أما معاملته مع الله، فكانت أنّه إذا قام إلى الصلاة ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، وارتعاد المفاصل واصفرار اللون عند الصلاة **نتيجة ارتباطه بالله تعالى.**

أما معاملته مع الخلق، فقد كان مارّاً في بعض حيطان (بساتين) المدينة،

---

(١) ألقيَ هذا لبحث المختصر صباح يوم الأربعاء ٥ صفر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٥-١٠-٢٠١٧ م بعد مجلس عزاء السيدة رقية عليها السلام، وقبيل شهادة الإمام الحسن الزكي عليه السلام.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ج٤ ص٢٥، صحيح البخاري ج٣ ص٢٠ وج٧ ص٥٥، صحيح مسلم ج٧ ص١٢٩.

فرأى أسود بيده رغيفٌ يأكل ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن عليه السلام: ما حملك على أن شاطرته ولم تُغابنه فيه بشيء؟

فقال: **استحت عيناي من عينيه أن أغابنه.**

فقال له: غلام من أنت؟ فقال: غلام أبان بن عثمان..

فمرَّ واشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام، فقال: **يا غلام قد اشتريتك،** قال: فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: **وقد اشتريت الحائط، وأنت حرٌّ لوجه الله، والحائط هبةٌ مني إليك**[1].

أَتَتْ فَاطِمَةُ بِابْنَيْهَا الحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فِي شَكْوَاهُ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا فَقَالَتْ: **يَا رَسُولَ اللهَّ هَذَانِ ابْنَاكَ وَرِّثْهُمَا شَيْئاً.**

فَقَالَ: **أَمَّا الحَسَنُ فَإِنَّ لَهُ هَدْيِي وَسُؤْدُدِي،** وَأَمَّا الحُسَيْنُ فَإِنَّ لَهُ جُودِي وَشَجَاعَتِي[2].

فالإمام الحسن **وارث سيادة سيّد الأنبياء،** وهذا السيد الوارث لسيادة النبي صلى الله عليه وآله **هو ظلّ الله الممدود لجميع ما سواه.**

ينبغي تشجيع الهيئات ليخرجوا يوم الجمعة في **عزاء صاحب الكَبِدِ المسموم، والقبر المهدوم، تسليةً لقلب ولي الله الأعظم أرواحنا فداه.**

---

(١) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٣.

(٢) الإرشاد ج٢ ص٧.

الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء

أيتام آل محمد.. وخلع الكرامة في عاشوراء

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

الأيام القادمة على حَدٍّ من العظمة **يعجز العقل عن إدراكها**، ويقصُرُ البيان عن ذلك، **فلم يفهم أحدٌ ما هو يوم عاشوراء**، وماذا حصل فيه، وما ترتَّبَ على ذلك من أثر.

لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله[٢]: **هذا كلام حجة الله**، إنّ الأيامَ مشتملةٌ على حوادث متعددة، كيوم نوحٍ وسفينته، وإبراهيمَ ومقاماته، ويوم موسى ويوم عيسى عليهما السلام ويوم الخاتم صلى الله عليه وآله، ويوم أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن كلام الإمام: **لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله**.. وهنا يحار العقل، ولأنّا لم نفهم لم نستفد كما ينبغي.

في هذه الأيام **يهِبُّ النسيمُ من كربلاء، مع الربيع الذي يحيي القلوب**، وعلى من تلبَّسَ بهذا اللباس (لباس رجال الدين) أن **يستفيد من هذه الفرصة وينشر حقائق المذهب ويبثّها في عقول عامة الناس.**

إنّ في كلّ رواية من روايات أهل البيت مدينةُ علمٍ، وهي في الواقع بحرٌ لأهل الفقاهة، ولرسول الله صلى الله عليه وآله روايةٌ في سطرٍ، لكنّ هذا السطر يتضمن كُتُباً،

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ٢٢ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٨-١٠-٢٠١٣ م، قبيل أيام عاشوراء لعام ١٤٣٥ للهجرة، وكان ختام كلامه أشبه بمجلس عزاء حسيني، عظم الله لنا وله ولكم جميعاً أجرنا بمصاب سيد الشهداء عليه السلام.

(٢) الأمالي للصدوق ص١١٦.

قال ﷺ: **أَرْبَعٌ تَلْزَمُ كُلَّ ذِي حِجًى مِنْ أُمَّتِي**، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ:

اسْتِمَاعُ العِلْمِ: وينبغي أن تُفهم هيئة الاستفعال، ومجيؤها على مادة السمع، وتعلُّقها بالعلم، فماذا يعني ذلك؟ لا مجال لشرح فقه الحديث، والاشارةُ كافية: **اسْتِمَاعُ العِلْمِ** أولاً.

ثانياً: وَحِفْظُهُ: حفظ العلم ماذا يعني؟

الثالث: وَالْعَمَلُ بِهِ: لكن كلُّ الكمال في الكلمة الأخيرة.

الرابع: ونَشْرُهُ: نَشرُ ذلك العلم، **فلو عَمِلَ أهل العلم والحوزة العلميّة، هل كانت تبقى أرضيّة للترويج لمخالفي المذهب في هذه الدولة؟**

الويلُ لنا في يوم الحساب، إذا ما سُئلنا: لَبِستُم هذا الثوب، وسلكتم هذا السلك، **وجلستم على سفرتنا، فهل نشرتم ذخائرنا؟** إنّ **حبَّ الراحة والكسل** عند طلاب العلم **سبب سوء حظنا.**

لقد انتهت أيام التفقُّه، وجاءت أيام الإنذار: كلُّ مَن يتمكن في هذا الزمان **ويُقَصِّر ينبغي أن يستعد للجواب غداً**، والحسرة في فوات هذه الذخائر، من أنّي **كنت أتمكن في أيام عاشوراء أن أُخرِجَ شخصاً من الضلالة، لماذا لم أفعل ذلك؟**

وفي متن الحديث التالي خصوصيةٌ، والمعوّل على الفهم بعد القراءة لنتجنب الخسران، والرواية عن أبي محمد العسكري عليه السلام، ومتها:

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ العَسْكَرِيُّ عليه السلام: حَضَرَتِ امْرَأَةٌ عِنْدَ الصِّدِّيقَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام فَقَالَتْ: إِنَّ لِي وَالِدَةً ضَعِيفَةً وَقَدْ لُبِسَ عَلَيْهَا فِي أَمْرِ صَلَاتِهَا شَيْءٌ، وَقَدْ بَعَثَتْنِي إِلَيْكِ أَسْأَلُكِ، فَأَجَابَتْهَا فَاطِمَةُ عليها السلام عَنْ ذَلِكَ، فَثَنَّتْ فَأَجَابَتْ، ثُمَّ ثَلَّثَتْ إِلَى أَنْ

عَشَّرَتْ فَأَجَابَتْ: أي أن الأسئلة قد وصلت إلى عشرةٍ، ممن كانت مستغرقةً في الله وفي سبيل الله، مع تلك المشاغل تكرّر السؤال إلى عشر مرات.

ثُمَّ خَجِلَتْ مِنَ الكَثْرَةِ فَقَالَتْ: لَا أَشُقُّ عَلَيْكِ يَا ابْنَةَ رَسُولِ الله.

قَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام: **هَاتِي وَسَلِي عَمَّا بَدَا لَكِ، أَ رَأَيْتِ مَنِ اكْتُرِيَ يَوْماً يَصْعَدُ إِلَى سَطْحٍ بِحَمْلٍ ثَقِيلٍ، وَكِرَاهُ مِائَةُ الفِ دِينَارٍ، أَيَثْقُلُ عَلَيْهِ؟**

جوابُها عليها السلام محيِّرٌ، فبدل أن تعتذر منها المرأة **كأنّها قالت أَنّ لَكِ المنّة! هل تعامَلنا هكذا مع أيتام آل محمد في الأحكام والعقائد ومسائل الدين؟**

فَقَالَتْ: لَا. فَقَالَتْ: اكْتُرِيتُ: التعبيرات محيِّرةٌ، **أنت أعطيتني أجرة**، وأنا اكتريت هذه الأشياء لك، لكن ماذا حصَّلتُ قِبالها؟

اكْتُرِيتُ أَنَا لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ بِأَكْثَرَ مِنْ مِلْءِ مَا بَيْنَ الثَّرَى إِلَى العَرْشِ لُؤْلُؤاً: أجري مقابل كلِّ مسألةٍ من مسائلك هو هذا، وقد أعطانيه الله.

ماذا خسر مَن يتّخذ هذه الأيام أيام استراحة؟ وماذا ربح من يذهب للناس المنقطعين عن إمامهم، ويعلمهم مسائل دينهم؟

ما بين الأرض والعرش لؤلؤاً في جواب مسألةٍ من المسائل، بما فيها من مجرّاتٍ في السماء الأولى، إلى أن تصل للسماء السابعة، واللوح والقلم والكرسي والعرش ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، من الأرض للعرش أجرُ جوابِ مسألةٍ واحدة، الرواية محيرةٌ فعلاً.

تقول عليها السلام: **فَأَحْرَى أَنْ لَا يَثْقُلَ عَلَيَّ.**

سَمِعْتُ أَبِي صلى الله عليه وآله يَقُولُ: **إِنَّ عُلَمَاءَ شِيعَتِنَا يُحْشَرُونَ فَيُخْلَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ خِلَعِ**

الكَرَامَاتِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَةِ عُلُومِهِمْ وَجِدِّهِمْ فِي إِرْشَادِ عِبَادِ الله: هذه خِلَعٌ من الله تعالى، فما هي خِلَعه تعالى؟ إن تلك الخِلَع بقدر علومهم أولاً، وبقدر نشر هذه العلوم.

مَن علَّمتَ؟ أيَّ شبهةٍ دَفَعتَ؟ أيّ مسألةٍ حللتَ للجاهل؟ أيّ عقيدة أحكمت؟ الخلع بقدر هذا ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ﴾.

الحديث مفصّلٌ ولا وقت لتمامه، لكنّ الكلمة الأخيرة هي المهمّة هنا:

حَتَّى يُخْلَعُ عَلَى الوَاحِدِ مِنْهُمْ ألفُ ألفِ خِلْعَة مِنْ نُورٍ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادِي رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ: **أَيُّهَا الكَافِلُونَ لِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ** عليهم السلام، **النَّاعِشُونَ لَهُمْ عِنْدَ انْقِطَاعِهِمْ عَنْ آبَائِهِمُ الَّذِينَ هُمْ أَئِمَّتُهُمْ**، هَؤُلَاءِ تَلَامِذَتُكُمْ وَالأَيْتَامُ الَّذِينَ كَفَلْتُمُوهُمْ وَنَعَشْتُمُوهُمْ، فَاخْلَعُوا عَلَيْهِمْ خِلَعَ العُلُومِ فِي الدُّنْيَا، فَيُخْلَعُونَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ الأَيْتَامِ عَلَى قَدْرِ مَا أَخَذُوا عَنْهُمْ مِنَ العُلُومِ، حَتَّى إِنَّ فِيهِمْ (يَعْنِي فِي الأَيْتَامِ) لَمَنْ يُخْلَعُ عَلَيْهِ مِائَةُ الفِ خِلْعَة.. إلى أن يقول:

وَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام: يَا أَمَةَ الله، **إِنَّ سِلْكاً مِنْ تِلْكِ الخِلَعِ لَأَفْضَلُ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ألفَ ألفِ مَرَّةٍ**[1].

إلى أين يصل هذا الحساب؟ ماءة ألف خلعة! وكلُّ خيطٍ من كلِّ خلعةٍ ألفُ ألفِ ضعف ما طلعت عليه الشمس!! **هذا أجر من يذهب في عاشوراء هذه إلى المناطق المحرومة ويُعين أيتام آل العصمة.**

ماذا فعلوا عليهم السلام لحفظ هذا الدين؟ وماذا فعلنا نحن؟

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام ص٣٤٠-٣٤١.

من هو الإمام الرابع؟

في يوم القيامة وفي العرصات ينادي المنادي: **أَيْنَ زَيْنُ العَابِدِين؟**[١].

لقد سبق الأنبياء، فإنّ نتيجة الخِلقة عبادة الله، وشخصٌ واحدٌ هو زين العابدين من الأولين والآخرين، وهو الذي أوصلَهُ عملُهُ مع الله إلى هذا، وقع ولده في البئر، وكان مصلياً، وتصاعد الصوت من الأهل، لكنه لم يتحرك حتى أنهى صلاته مع تعقيباته، فجاء إلى البئر وأخرج الطفل، قالوا: يا ابن رسول الله لم لم تقطع صلاتك؟

كان جوابه: **كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ جَبَّارٍ، لَوْ مِلْتُ بِوَجْهِي عَنْهُ لَمَالَ بِوَجْهِهِ عَنِّي**[٢]!

كلُّ العالم لا يساوي شيئاً أمام هذه الكلمة!

مثل هذا وقعت عينه على **يتيم أبي الفضل العباس**، عُبيد الله بن العباس بن عليّ، ما إن وقع نظره على الطفل **حتى ارتفع صوتُه وأنينُه**، وكان قوله أنّه لم يمرّ يومٌ أشدّ على النبي صلى الله عليه وآله من يوم أحد، لأنّه فقد فيه عمه حمزة سيد الشهداء عليه السلام، واليوم الثاني في غزوة مؤتة عندما فقد جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وبعد هاتين الكلمتين قال هذه الجملة: **وَلَا يَوْمَ كَيَوْمِ الحسَيْن**.

ثم نظر إلى وجه ذلك اليتيم وقال جملةً كلّما أتذكَّرُها أتحيَّر، قال: **وَإِنَّ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْزِلَةً يَغْبِطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**[٣].

---

(١) الأمالي للصدوق ص٣٣١.

(٢) دلائل الإمامة ص١٩٨.

(٣) الأمالي للصدوق ص٤٦٢.

ما هي هذه المنزلة؟ جميع الشهداء يغبطونه على ذلك المقام! **حمزة سيد الشهداء عليه السلام يغبط العباس بن علي عليه السلام على منزلته!** جعفر الطيار الذي يطير مع الملائكة في الجنة يغبط مقام العباس عند الله! ماذا فعل حتى وصل إلى هنا؟ **العقل يتحيَّر، والأمر ليس قابلاً للكلام.**

وصل إلى الفرات، وكان أكثر عطشاً من الجميع، جلس قربَه، مدَّ يده إلى الماء وأخرجه، وأصل المسألة ههنا، كان النبي صلى الله عليه وآله راضياً بأن يشرب، وعليٌّ عليه السلام راضٍ، وسيد الشهداء عليه السلام يطلب ذلك من الله، كان يعرف كلَّ ذلك، لكنّه ذكر الحسين عليه السلام، وكان قوله:

يا نفسُ من بعد الحسين هوني * * وبعده لا كنت أو تكوني

ملأ القربة وخرج من الشريعة، وكمنوا له، ماذا حصل؟ الأمر غير قابل للكلام، أقول هذا المقدار الذي تُعلَم به منزلته: قطعوا يده اليمنى، ولما وقع بصره على يده المقطوعة قال:

والله إن قطعتم يميني * * إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقين * * نجل النبيّ المصطفى الأمين

هكذا أجاب عن قطع يده اليمنى، وما مرَّ وقتٌ حتى سقطت يده اليسرى أيضاً، ولما وقع بصره عليها قال:

قد قطعوا ببغيهم يساري * * فأصلِهم يا ربّ حرّ النار

والمهم هنا: فَقَدَ يداه، وبقيت قربة الماء، **كلُّ أمله في أن يوصل الماء إلى الخِيم، ثم رأى أنّ الماء سال على الأرض،** فلنفكّر: **تبدَّدَ أملُه بهذا الشكل، وجاء السهم**

إلى عينه.. لو اصطدم شيءٌ بعيننا ماذا نفعل؟ فكيف لو كان سهماً؟

حافظ على نفسه أيضاً، ثم ضربوه بعمودٍ على رأسه، وعند وقوعه على الأرض، كيف وقع؟ من يقع يضع يديه على الأرض أولاً.. لكن..

قال جملةً لم يقلها في كل عمره: في كل عمره كان يقول: **يا سيدي، يا مولاي، أما ذلك اليوم قال: يا أخي أدرك أخاك.**

جاء من **كان حِفظُ العالم به، وقطبُ دائرة الإمكان**، وقف إلى جانب ذلك البدن وقال جملةً، وينبغي أن تُفهم حقيقة الأمور من هذه الجملة، لقد شاهَدَ قبل ذلك قتلَ عليٍّ الأكبر، وأحضر جنازته للمخيم، لكنه لم يقل حينها مثل هذه الجملة أبداً. وقف بجانب بدنه وقال: **الآن انكسر ظهري**. لم يقل: آلمني، قال: **انكسر ظهري، وانقطع رجاي.**

ثم جاء إلى الخيم، لِمَ لَم يحضر بدنه؟ **أحضر كل الأبدان، لكنّ هذا البدن بقي.** لماذا؟ لا يمكنني أن أقول. **إذا رفع عضواً سقط الآخرُ الى الأرض.**

ركض الأطفال جميعاً؟ ماذا حصل؟ لم يتكلم بأي كلمة، **ذهب رأساً إلى خيمة أخيه وأسقط عمود الخيمة!**

عن لسان صادق أهل البيت عليهم السلام: سَلَامُ الله، وَسَلَامُ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ.. عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.. بَعَثَكَ الله فِي الشُّهَدَاءِ.. **وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيِّينَ**، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ[1].

أين هي (عِلِّيونَ)؟ **هناك رفع الله اسم أبي الفضل العباس، مثل هذا كان**

(١) كامل الزيارات ص٢٥٧.

جندياً في سبيل دين الله، وبهذا الشكل!

هذه أيام عاشوراء، اسعوا **لتعريف الناس بعظمة المصيبة**، المصيبةُ ثقيلةٌ جداً، وقد أُمِرَ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بأن يجمع دم الحسين، لقد أعطاه الله قارورةً، وعندما قُطِعَ رأس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه جالساً هناك، فوضع الدم في القارورة، ثمّ أخذها إلى السماء، وكلما وصل إلى سماءٍ كانت ترتجف وتقشعِّر، حتى وصل إلى الكرسي فاقشعرّت، ثم إلى العرش فوضع قارورة الدم في أظلّة العرش، **ولا تزال تقشعرُّ إلى يوم القيامة.**

السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

عاشوراء.. هداية من الضلالة والجهالة!

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

قال تعالى: ﴿**وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[2]، وفي هذا الكتاب كل ما يلزم لسعادة الإنسان، **وأفضل ما يقوم به أهل العلم في حياتهم مختَصَرٌ في عبارتين من القرآن الكريم:**

الأولى: ﴿**لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ**﴾.

الثانية: ﴿**وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ**﴾[3].

(١) ألقيَ هذا البحث صبيحة يوم الأربعاء ٢٣ ذي الحجة ١٤٣٦ هـ الموافق ٧-١٠-٢٠١٥ م.

(٢) الأنعام٥٩.

(٣) التوبة١٢٢.

التفقُّه في الدين والإنذار يورث التشابُه مع الأنبياء، فإنّ مقام النبوّة هو مقام الإنذار ﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرِ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[1].

ونحن مقبلون على أيامٍ غير قابلة للإدراك، **فواقعة عاشوراء فوق الإدراك وفوق البيان**، إنها قضيةٌ من القضايا التي لا تدرَك ولا توصَف.

روايات أمّ سلمة وشهادة الحسين عليه السلام مما اتفق عليها الفريقان، ومن ذلك رؤياً رأت فيها النبي صلى الله عليه وآله: **أشعث أغبر وعلى كريمته الغبار والتراب.**

وهذه الجملة تحيِّر كل من يذكرها من الفقهاء، تروي فتقول:

فقلت: بأبي وأمّي، **مالي أراك يا رسول الله مغبراً أشعث؟ ما هذا الغبار والتراب الذي أراه على كريمتك ووجهك؟**

فقال لي: يا أمّ سلمة، **لم أزل هذه الليلة أحفر قبر ولدي الحسين عليه السلام وقبور أصحابه**[2]، وفي رواية أخرى: **مَا زِلْتُ اللَّيْلَةَ أَحْفِرُ قُبُوراً لِلْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ**[3].

عقل الكلِّ وأشرف الكائنات يحفر قبراً للحسين عليه السلام!

لقد ورد في زيارة أصحاب الحسين عليه السلام: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَبْرَارَ الله**[4]، وهذه الكلمات محيّرةٌ للعقول! لقد كان هؤلاء أبرار الله! وقد قال الإمام عليه السلام فيهم قولاً في ليلة عاشوراء، وهي الليلة التي خطب فيها خطبة لم يخطب مثلها في عمره!

---

(١) المدّثر ١-٣.

(٢) مدينة المعاجز ج٤ ص١٩٣.

(٣) أمالي المفيد ص٣١٩.

(٤) المزار ص١٦٤.

وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: أَمَّا بَعْدُ، **فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**(١).

وعَدَمُ علمه عِلمٌ بالعدم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، فمثله عليه السلام يقول في ذلك الجمع: **لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي**، هذا مقام أصحابه. وقد وُجِدَت جنازةُ غلامٍ أسود كان معه بعد عشرة أيام، فكان وجهه كفلقة القمر، **وقد عطّرت رائحته العطرة كلّ الجوّ في نينوى**(٢).

لماذا؟ لكلمتين قالهما له الإمام عليه السلام عندما جاء ليستجيزه فلم يجزه، ذلك أنه جاء للراحة لا للمِحنة، قال له الغلام الأسود: **إِنَّ رِيحِي لَمُنْتِنٌ، وَحَسَبِي لَلَئِيم، وَلَوْنِي لَأَسْوَد.**

لقد رفع الإمام عليه السلام رأسين ووضعهما على ركبتيه: **أحدهما**: رأس أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطِقاً برسول الله، وثانيهما: رأس هذا الغلام**!**

ثم قال جملتين: **اللّهمّ بيّض وجهه، وطيّب ريحه**، وفعلت هاتان الكلمتان فعلَهما، وبعد عشرة أيام **كان هواء نينوى معطراً به.**

هذه هي الأيام القادمة، لقد انقضت فترة التفقُّه في الدين، وهذه أيام الإنذار، فاعلموا قدر هذه النعمة، ولا ينبغي أن تُحرَموا من هذه السعادة، إنّها الأيام التي: **بَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالجَهَالَةِ، وَالعَمَى**

---

(١) الإرشاد ج٢ ص٩١.

(٢) عن الباقر عليه السلام: فوجدوا جوناً بعد عشرة أيّام **تفوح منه رائحة المسك** رضوان الله عليه (تسلية المجالس ج٢ ص٢٩٣).

وَالشَّكِّ وَالِارْتِيَاب[١].

فينبغي عليكم جميعاً، فرداً فرداً، الاقتداء به عليه السلام عملاً، وهذا مقامٌ غير قابلٍ للإدراك ولا للوصف!

روى الطبرسي في الاحتجاج عن الإمام الحادي عشر عليه السلام: قَالَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: **فَقِيهٌ وَاحِدٌ**: ليس أيُّ فقيه، تفقهوا في هذه الكلمات جيداً.

يُنْقِذُ يَتِيماً مِنْ أَيْتَامِنَا، الْمُنْقَطِعِينَ عَنَّا وَعَنْ مُشَاهَدَتِنَا، بِتَعْلِيمِ مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ: مَن هم أيتامنا؟ الجُهَّال الذين انقطعوا عن مشاهدتنا، فإذا أنقذ هذا الفقيهُ ذلك اليتيم كان ذلك:

أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ أَلفِ عَابِدٍ، لِأَنَّ العَابِدَ هَمُّهُ ذَاتُ نَفْسِهِ فَقَطْ، **وَهَذَا هَمُّهُ مَعَ ذَاتِ نَفْسِهِ ذَوَاتُ عِبَادِ اللهِ وَإِمَائِهِ، لِيُنْقِذَهُمْ مِنْ يَدِ إِبْلِيسَ وَمَرَدَتِهِ**، فَلِذَلِكَ هُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَلفِ عَابِدٍ وَأَلفِ أَلفِ عَابِدَة[٢].

لماذا كان أفضل من ألف عابد؟ لأنه أنقذ يتيماً.

روايةٌ أخرى عن الإمام الحادي عشر عليه السلام: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عليه السلام: **عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الثَّغْرِ الَّذِي يَلِي إِبْلِيسَ وَعَفَارِيتَهُ**، يَمْنَعُوهُمْ عَنِ الخُرُوجِ عَلَى **ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ وَالنَّوَاصِبُ**.

أَلَا فَمَنِ انْتَصَبَ لِذَلِكَ مِنْ شِيعَتِنَا **كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ جَاهَدَ الرُّومَ وَالتُّرْكَ**

(١) كامل الزيارات ص٢٢٨.

(٢) الإحتجاج ج١ص ١٧.

وَالخَزَرَ ألفَ ألفِ مَرَّةٍ، لِأَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْ أَدْيَانِ مُحِبِّينَا وَذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْ أَبْدَانِهِم[1].

من أنقذ يتيماً جاهلاً من أيتام إمام الزمان، وعلَّمَهُ وظائفه الدينية كان أفضل من كل هؤلاء المجاهدين في سبيل الله، أفضل ممن جاهد الروم والترك والخَزَر، لماذا؟ لقد بيّن الإمام العلّة في ذلك، لأن أولئك يدفعون عن الأبدان وهؤلاء عن الأديان.

هنيئاً لمن يستفيد من أيام العطلة في عاشوراء، ويذهب للمناطق المحرومة التي لا يذهب إليها أحد، **ويضمن سعادته الأخروية للأبد.**

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عليهما السلام: أَوْحَى الله تَعَالَى إِلَى مُوسَى عليه السلام: حَبِّبْنِي إِلَى خَلْقِي، وَحَبِّبْ خَلْقِي إِلَيَّ. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَفْعَلُ؟

قَالَ: ذَكِّرْهُمْ آلَائِي وَنَعْمَائِي لِيُحِبُّونِي، **فَلَئِنْ تَرُدَّ آبِقاً عَنْ بَابِي، أَوْ ضَالًّا عَنْ فِنَائِي، أَفْضَلُ لَكَ مِنْ عِبَادَةِ مِائَةِ سَنَةٍ بِصِيَامِ نَهَارِهَا وَقِيَامِ لَيْلِهَا**[2].

هذه الكلمات محيِّرة، إن رددتَ آبقاً لباب الله كان ذلك أفضل من عبادة مئة سنة!! **فلا تُفَوِّتُوا هذه الفرصة وتُضَيِّعُوها من أيديكم!**

ومَن كانت هذه أيامه فخَتم الكلام كلامُه: عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام:

مَنْ كَفَلَ لَنَا يَتِيماً قَطَعَتْهُ عَنَّا مِحْنَتُنَا بِاسْتِتَارِنَا، **فَوَاسَاهُ مِنْ عُلُومِنَا** الَّتِي سَقَطَتْ إِلَيْهِ **حَتَّى أَرْشَدَهُ وَهَدَاهُ** قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: أَيُّهَا العَبْدُ الكَرِيمُ المُوَاسِي لِأَخِيهِ، **أَنَا**

---

(١) الإحتجاج ج١ ص ١٧.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٣٤٢.

أَوْلَى بِالكَرَمِ مِنْكَ، اجْعَلُوا لَهُ يَا مَلَائِكَتِي فِي الجِنَانِ **بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ عَلَّمَهُ أَلفَ أَلف قَصْرٍ، وَضُمُّوا إِلَيْهَا مَا يَلِيقُ بِهَا مِنْ سَائِرِ النَّعِيم**[1].

هذا كلام سيد الشهداء عليه السلام! وهذه أيام محرَّم على الأبواب، إنّ لكم بكلّ حرفٍ تُعَلِّموه شخصاً من إِحكامٍ للعقيدة، أو تهذيبٍ للأخلاق، أو تعليمٍ للأحكام، لكم بكلِّ حرف من ذلك أَلفُ أَلفِ قصرٍ في الجنة، فلا تضيّعوا هذه العطيّة.

ماذا فَعَلَ سيّد الشهداء؟ وماذا فعلنا نحن؟ **بَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ**.. لماذا؟

لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالجَهَالَةِ: فينبغي على من كانوا له أتباعاً أن يدرسوا ويتفقهوا في أيام الدرس، وأن يُرشِدوا أيتام وليّ العصر في أيام العطل.

في كل هذه الروايات ورد التعبير بكفالة اليتيم، ولهذا سرٌّ، قال النبي الخاتم صلى الله عليه وآله: **أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ.**

الإصبعان: أحدهما أعلى وأطول، والآخر أقصر، ولكنهما متصلان، هكذا يكون كافل اليتيم مع النبي صلى الله عليه وآله في الجنة، فإذا كانت كفالة يتيم زيدٍ وعمرو هكذا، **فما حال كفالة يتيم وليّ العصر؟ لا تذهب هذه السعادة من بين أيديكم!** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾[2].

عندما يُبَيِّنُ أمير المؤمنين عليه السلام حال الموت يقول: **فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِم، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ المَوْتِ وَحَسْرَةُ الفَوْت**: فلا ينبغي ان تبتلوا بحسرات

(١) الإحتجاج ج١ ص ١٦.

(٢) مريم٣٩.

الفوت مع سكرات الموت!

أيُّ أيامٍ هي هذه؟! أيامُ من قال عنه النبي صلى الله عليه وآله: **قُرَّةُ عَيْنِي وَرَيْحَانَتِي وَثَمَرَةُ فُؤَادِي**[1]: مَن كان قرّة عين ١٢٤ ألف نبيّ، كانت قرة عينه في الحسين عليه السلام.

يقول جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله: **إِنَّ الله قَدْ حَكَم.. عَلَى هَذَا الحُسَيْنِ أَنْ يَمُوتَ مَذْبُوحاً**[2].

يُذبَحُ عليه السلام ذبحاً قال عنه الامام الثامن عليه السلام لابن شبيب: يَا ابْنَ شَبِيبٍ **إِنْ كُنْتَ بَاكِياً لِشَيْءٍ فَابْكِ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَإِنَّهُ ذُبِحَ كَمَا يُذْبَحُ الكَبْش**[3].

ثم قال جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله: إِنَّ الله قَدْ حَكَم.. عَلَى هَذَا الحُسَيْنِ أَنْ يَمُوتَ مَذْبُوحاً، وَإِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، **فَإِنْ شِئْتَ كَانَتْ دَعْوَتُكَ لِوَلَدَيْكَ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، فَادْعُ الله أَنْ يُسَلِّمَهُمَا مِنَ السَّمِّ وَالقَتْلِ.**

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: **يَا جَبْرَئِيلُ أَنَا رَاضٍ بِحُكْمِ رَبِّي، لَا أُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُهُ.**

قال هذا جدُّه صلى الله عليه وآله، لكن ما الذي جرى عليه يوم عاشوراء؟! إنه غير قابل للبيان.. قومٌ بالسيوف وقومٌ بالرماح وقومٌ بالحجارة! كم يتحمل البدن؟

وَلَوْ تَرَاهُ يَا آدَمُ وَهُوَ يَقُولُ: **وَا عَطَشَاهْ، وَا قِلَّةَ نَاصِرَاهْ، حَتَّى يَحُولَ العَطَشُ**

---

(١) كامل الزيارات ص٦٧.

(٢) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٤٢.

(٣) أمالي الصدوق ص١٣٠.

بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَالدُّخَانِ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ إِلَّا بِالسُّيُوفِ وَشُرْبِ الْحُتُوف[١].

كان هذا قوله: إلهي.. **رضا بقضائك وتسليماً لأمرك.. لا معبود سواك يا غياث المستغيثين**. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ماذا فعلت عاشوراء بقلب الزهراء؟!

بِسْم الله الرحمن الرحيم[٢]

إن تِبيان كلّ شيءٍ في القرآن الكريم، والقرآن يُبيّن أن اختيار (الأحسن) تكليفٌ ووظيفةٌ للجميع، لأن غير الأحسن إما حسنٌ وإمّا قبيحٌ، وفي كليهما الحسرة، أما **القبيح: فالحسرة على أدائه والإقدام عليه**، وأما **الحسن: فالحسرة فيه على ترك الأحسن**، والنتيجة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللهِ﴾[٣].

إنّ أيامَ التبليغ قادمةٌ، **فاغتنموا العُمرَ واصرِفوه في الدعوة لله تعالى**، وبابُ الله تعالى هو وليّ العصر وإمام الزمان عجل الله فرجه.

وأما كيف ينبغي أن تُصرف أيام التبليغ؟ ففيما تبيِّنُهُ هاتان الكلمتان اللتان قالهما الله تعالى لموسى بن عمران: **فَلَئِنْ تَرُدَّ آبِقاً عَنْ بَابِي، أَوْ ضَالًّا عَنْ فِنَائِي، أَفْضَلُ لَكَ مِنْ عِبَادَةِ مِائَةِ سَنَةٍ بِصِيَامِ نَهَارِهَا وَقِيَامِ لَيْلِهَا**[٤].

فهذا أفضلُ من صيام كليم الله موسى وقيامه، كلُّ واحدةٍ منهما أفضل من

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٤٢.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ٢٢ ذي الحجة ١٤٣٨ هـ الموافق ١٣-٩-٢٠١٧ م.

(٣) فصلت٣٣.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٣٤٢.

صيام كليم الله ماءة عام كلّ النهار وقيامه كلّ الليالي! أولاهما هو أن تَرُدَّ عبداً آبقاً للمولى، فسأل موسى عليه السلام عن تفسير العبد الآبق، وجاء الخطاب: **العَاصِي المُتَمَرِّد**، أي أن يتوب العاصي.

الثاني أن يرشد ضالاً، فمن هو الضال؟ قال تعالى لموسى: **الجَاهِلُ بِإِمَامِ زَمَانِهِ تُعَرِّفُه**: أي الذي لم يصل لباب وليّ العصر، فالإرشاد إلى هذا الباب هو إرشاد الضالّ، وهذه وظيفتكم جميعاً في أيام عاشوراء.

أمّا يوم سيد الشهداء فماذا كان؟ ذلك غير قابل للبيان، والحجة في بيان ثامن الأئمة عليه السلام: **إِنَّ يَوْمَ الحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا، وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا!**

نحن لم ندرك عاشوراء! هذا كلام ثامن الأئمة أنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، أي جَرَحَها، لكن مَن كان الحسين عليه السلام؟ لم يعرفه أحد!

في اليوم الاول الذي جاء فيه للدنيا أعاد لفطرس ريشَه وجناحَه حتى عرج إلى السماء وصعد للملأ الأعلى! أما اليوم الأخير فغير قابل للإدراك والبيان، **فلا يوم كيومك يا أبا عبد الله.**

إلى أين ذهب في يومه الأخير؟ ترك ما سوى الله وذهب للملأ الأعلى.

هناك روايةٌ محيِّرَةٌ وهي أنّ أهل المدينة سمعوا فجأةً صوت عويلٍ يأتي من بيت أمّ سلمة، فاجتمعوا ليعرفوا ما الذي يجري في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، سألوا عن ذلك فقالت: رأيت الآن خاتم النبين في الرؤيا حاسر الرأس والقدمين، يعلوه الغبار. قلت: يا رسول الله ما هذه الحالة؟ قال: **الآن عدت من محلّ قتله.. كنت أحفر قبراً للحسين**، هذا التراب تراب قبر الحسين.. لم نعرفه عليه السلام!

يحدِّثُ رسول الله عن ليلة المعراج: ذهبت للملأ الأعلى حتى وصلت للسماء السابعة وتجاوزتها، ووصلت للّوح وتجاوزته، ووصلت للقلم وتجاوزته، ووصلتُ للكرسيّ وهي الكرسي التي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، وتجاوزت الكرسي، ووصلتُ للعرش وتجاوزته، ووصلت للحُجُب: حجاب العظمة وحجاب العلم وحجاب الكبرياء وحجاب الجبروت وتجاوزتها كلها، ووصلت لقاب قوسين أو أدنى.

هناك رأيت قد كتب: **إنّ الحسينَ مصباحُ الهدى وسفينةُ النجاة.**

فِقه هذا الحديث مفصَّلٌ لا يسمح الوقت للتعرُّض له، والمهم فقرتان:

الأولى: **إنّ الحسين مصباح الهدى**: وهي الجنبة العِلمية.

الثانية: **وسفينة النجاة**: وهي الجنبة العَمَلية.

الحسين مصباح الهداية، فمنتهى آمال جميع الأنبياء والمرسلين رأسه المقطوع! والحسين سفينة النجاة بوجوده المقدس، وهذه الجنبة العملية.

ولكن **متى تظهر سفينة النجاة؟**

عندما تقوم القيامة الكبرى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ الله شَديد﴾، في ذلك اليوم: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلين﴾، فأيُّ يوم هو هذا اليوم الذي يُسأل فيه موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما السلام؟

فصل الخطاب أمرٌ واحد: كلُّ واحدٍ من الأنبياء يقول: وانفسي.. فالأنبياء

والأمم كلهم عاجزون، فجأةً يظهر هودجٌ، ظاهره عفو الله، وباطنه رحمة الله، ومِن هذا الهودج تخرج مُخَدَّرَةٌ تقف على يمين العرش.

كل الأنبياء والأمم قلقون: ما الخبر؟

فجأةً ترفعُ قميصاً قديماً ملطَّخاً بالدم وتضعه على رأسها، يقول جبرئيل: يا أمَةَ الله، أي فاطمة، الله تعالى يهديك السلام ويقول: أطلبي ما تريدين، لكن أنزلي هذا القميص عن رأسك، تقول هناك: **يا رب شيعتي**..

عاشوراء على الأبواب، فما كان بيان ثامن الأئمة عالم آل محمد؟ قال: **إِنَّ يَوْمَ الحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا، وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا، وأذلَّ عزيزنا.**

والى أين وصل الامر؟ لا يمكن بيان ذلك، ستبقى حقيقة هذه المصيبة إلى أن نصل إلى يوم القيامة.

أنتم جميعاً من أهل الفقاهة، تفكّروا في هذه الجُمَل حول الدم، الدم الذي قيل عنه: **أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الخُلْدِ، وَاقْشَعَرَّتْ لَهُ أَظِلَّةُ العَرْشِ**: والقشعريرة في اللغة رجفةٌ خاصة.

وَبَكَى لَهُ جَمِيعُ الخَلَائِقِ، وَبَكَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، وَمَنْ يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا، وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى(١): تفكروا جميعاً، المصيبة التي وقعت على أهل السماوات والأرضين تركت هذا الأثر فيهم! **فماذا فعلت يا ترى في قلب فاطمة الزهراء؟!**

تقول الرواية المعتبرة أنّها ترى واقعة عاشوراء كلّ يومٍ عدة مرات، ثمّ

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ٢٢ ذي الحجة ١٤٣٨ هـ الموافق ١٣-٩-٢٠١٧ م.

يغشى عليها، هذا ما يجري على الصديقة الكبرى، **فما هي وظيفتكم في أيام عاشوراء؟ أن تُبيِّنُوا عظمة هذه المصيبة للعالم**.

وما تقوم به الهيئات من لَطمٍ وضرب بالزناجير **كلُّهُ قليل**، فالمصيبة وصلت إلى حدّ أن يقول المعصوم عليه السلام: **لا يوم كيومك يا أبا عبد الله**.

أربعين الإمام الحسين عليه السلام

أيتام الغريب.. طعمة الأعداء

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

اليوم مقدمة الأربعين، وممّا يتميز به هذا المجلس هو زيارة صاحب العصر والزمان، وقولنا فيها: **اللَّهُمَّ أُجَدِّدُ لَهُ فِي هَذَا اليَوْمِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ، عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي رَقَبَتِي**، وهو ما ينبغي قراءته مع دعاء العهد بعد صلاة الصبح، وقد قرأنا هذا الدعاء، لكن هل فهمناه؟

أما العهدُ اليوميّ فهو مع قطب دائرة الإمكان، ومَن بيُمنِه رُزِقَ الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[٢]، وأما العقد، فقد قال فيه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **أَوْفُواْ بِالعُقُودِ**﴾[٣].

وأما البيعة، فهي من مادة البيع، وحَدُّها أن **تبيعه نفسك**، **المطلب عميقٌ وثقيلٌ جداً**، ولا طريق غير الدعاء، والمخاطَب **عصارة الأنبياء**، وأيُّ شرف أعظم من ذلك وأيُّ نعمة؟!

إنّ متعلق العهد والعقد والبيعة: **واجْعَلْنِي اللَّهُمَّ مِنْ أَنْصَارِهِ**، ولأنّ ذلك فوق طاقتنا وَرَدَ كدعاء، أن نكون من: (أَنْصَارِهِ) ثم (أَشْيَاعِهِ) ثم (الذَّابِّينَ عَنْهُ)

---

(١) ألقيَ هذا البحث قبيل أربعين الإمام الحسين عليه السلام لعام ١٤٣٤ هـ.

(٢) المؤمنون٨.

(٣) المائدة١.

ثم (الْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْه).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **إِن تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[1]: رحم الله الناصر لهم، والنُّصرَةُ بالقلب واليد واللسان، وهنيئاً لمن وصل للثلاثة، فمَن سَمِعَ صوت استنصارهم ولم ينصرهم أكبّه الله على منخريه في النار، ومن نصرهم بقلبه ولسانه كان معهم، ليس كالشعاع مع الشمس، بل في درجتهم.

لقد قرأتم الدعاء سَنةً، **وحان وَقتُ العمل بالدعاء**، والوظيفة لكلٍّ منّا فرداً فرداً، **في مقابل ما يسببه أهل الشُّبُهات والانحراف والضلال**، وفي مقابل حالةٍ من البطالة في المجتمع، حيثُ شبابٌ في سن الزواج عاطلون عن العمل، وحيث حطّ الفقر رحاله، ووصل الأمر إلى أن تبيع فتاة عمرها ٢٢ سنة كليَتَهَا لتعيش، فتقدّم بعض الفرق المنحرفة النساء، وبعضها الأموال!

أين دورنا؟ هذه وظيفتنا كلنا، إنّ أيتام العبد الغريب عليه السلام يصبحون طعمة الأعداء، ولا أحد يجيب نداءه: هل من ناصر ينصرني؟

اذهبوا إلى القرى والأرياف، فعالمٌ يُنتَفَعُ بعلمه أفضلُ من ألفِ عابدٍ ممن تُقبَل عبادته، ولا تتأخروا عن هذه السعادة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾[2]: **مِمَّا عَلَّمْنَاهُمْ يَبُثُّون.**

---

(١) محمد٧.

(٢) البقرة٢-٣.

العلم الذي أعطاه الله لكم: **آيةٌ محكمةٌ وبها تثبيتُ عقائد الناس**، وسُنَّةٌ قائمةٌ وبها تهذيبُ أخلاق الناس، وفريضةٌ عادلةٌ وبها تعليم الأحكام.

كلُّ من عنده هذه الأمور أفضلُ من ألفِ عابد، **فبمثل العالم الناطق المستعمِلِ لعلمه قِوامُ الدين.**

في أيام التحصيل تحصيلٌ، وفي أيام التبليغ تبليغٌ، احصلوا على هذه السعادة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ﴾ أيام اشتغالكم، ﴿**وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ** إِذَا رَجَعُواْ﴾ يوم فراغكم.

اذهبوا للناس وأخبروهم من هو الذي قُتل؟ ولماذا قدَّمَ روحه؟ وكيف قُتِل؟

خرج إلى القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمد عليه السلام، وقد عاش ١١٣ سنة، وأدرك ثلاث أئمة: الإمام الهادي والعسكري والحجة عليهم السلام: أَنَّ مَوْلَانَا الحُسَيْنَ عليه السلام وُلِدَ يَوْمَ الخَمِيسِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ، فَصُمْهُ وَادْعُ فِيهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ المَوْلُودِ فِي هَذَا اليَوْمِ، المَوْعُودِ بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ اسْتِهْلَالِهِ وَوِلَادَتِهِ، **بَكَتْهُ السَّمَاءُ وَمَنْ فِيهَا، وَالْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَلَمَّا يَطَأْ لَابَتَيْهَا،** قَتِيلِ العَبَرَةِ وَسَيِّدِ الأُسْرَةِ، المَمْدُودِ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ الكَرَّةِ، **المُعَوَّضِ مِنْ قَتْلِهِ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ نَسْلِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَالْفَوْزَ مَعَهُ فِي أَوْبَتِهِ، وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ عِتْرَتِهِ بَعْدَ قَائِمِهِمْ وَغَيْبَتِهِ**[1].

المُعَوَّضِ مِنْ قَتْلِهِ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ نَسْلِهِ: تسعُ أئمةٍ من نسله، فماذا فعل حتى

---

(١) مصباح المتهجد ج٢ ص٨٢٦.

كان أجره زين العابدين والصحيفة السجادية، والباقر و.. ومن يوصِلُ تمام الخِلقة إلى ثَمَرَتِها، وبعثة الأنبياء الى النتيجة المرجوّة منها، فهو ثمرةٌ وأجرٌ لشهادته عليه السلام.

نختم بهذه الجملة من الدعاء: اللَّهُمَّ وَهَبْ لَنَا فِي هَذَا اليَوْمِ خَيْرَ مَوْهِبَةٍ، وَأَنْجِحْ لَنَا فِيهِ كُلَّ طَلَبَةٍ، **كَمَا وَهَبْتَ الحُسَيْنَ لِمُحَمَّدٍ جَدِّهِ، وَعَاذَ فُطْرُسَ بِمَهْدِهِ، فَنَحْنُ عَائِذُونَ بِقَبْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ.**

القيامة في هذه الجملة، هِبَةُ الله لخاتم الأنبياء هو سيد الشهداء، فما الذي وجده فطرس في مهده؟ وماذا يجد من يذهب لقبره؟ تفصيله في بحث آخر.

السلام عليكم أيُّها الربانيون

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

العشرة الأخيرة من صفر قد اقتربت، وهي عند أهل العلم في كلمتين، فبرنامج الطلاب هو برنامجٌ قد عيّنه الله تعالى، وليس محتاجاً لتعيين زيدٍ وعمرو، وذلك البرنامج في جملتين: الجملة الأولى: ﴿**لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ**﴾، والجملة الثانية: ﴿**وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ**﴾[2]، ولا ثالث لهما، غاية الأمر أنّه ينبغي العمل لفهم هاتين الكلمتين، وينبغي اغتنام الوقت، فكم هو عمري وعمرك؟ إنّ كلَّ نَفَسٍ من أنفاسنا جزءٌ من هذا العمر، وسواء شئنا أم لم نشأ سيصل هذا العمر إلى آخر جزءٍ منه، فإذا جاء الأجل لا تقديمَ ولا تأخير.

وينبغي أن يعطي كلُّ نَفَسٍ محصولاً، والمحصول في كلمتين: الأولى: التفقُّه

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الثلاثاء ١٤ صفر ١٤٣٥ هـ الموافق ١٧-١٢-٢٠١٣ م.

(٢) التوبة ١٢٢.

في الدين، وفَصلُهُ الأيام الماضية، والثانية: الإنذار، وفَصلُهُ العشرة الأخيرة من صفر، **فهنيئاً لمن فَهِمَ ذلك، واستفاد من هذا العمر.**

إنّ معرفة رجال العلم فَنٌّ بنفسه، ومن ذلك أن للميرزا الشرازي خصوصياتٌ، حيث أنّ أصل أفكار النائيني الذي يُعَدُّ فحل فحول المتأخرين توجد في أفكار الميرزا الشيرازي، ولم يكن عند الميرزا فرصةٌ لِلِّقاء مع أحدٍ مَعَ مشاغله العلمية والمشاكل الاجتماعية، وفي أحد الأيام طرق أحد المعممين بابَه بلباس بالٍ، وقال للحاجب: عندي عملٌ مع الميرزا، قال الحاجب: الوصول للميرزا غير مُيَسَّرٍ حتى للأعلام فضلاً عنك، فقال: قل للميرزا: فلانٌ على الباب.

لما قال له الحاجب أن شيخاً على الباب بلباس بالٍ يقول ذلك، وذكر اسمه تغيَّرَ لون الميرزا، فلبس ثيابه وجاء بنفسه إلى الباب، قدَّمَ الشيخ على نفسه وسار خلفه، تحيّر كلُّ الأعلام مثل الأستاذ الحاج الشيخ عبد الكريم، والميرزا محمد تقي الشيرازي، تحيَّر كل الأعيان من تصرُّفِه.

أجلس الشيخ مكانه وجلس أمامه وتحدَّث معه مدةً وخلا به، ثم تحرك الميرزا إلى الباب وغادر الشيخ، ثم تابعه الميرزا بنظره إلى أن غاب.

تحير الجميع مما حصل، فسأل المقربون الميرزا: ما هذا التصرف؟ ومن هذا الشيخ؟

قال: أقول كلمةً واحدة: **أنا حاضرٌ لأن أعطي كل ما فعلته طيلة عمري مقابل أن تُكتب أعمال هذا الشيخ في صحيفتي.**

زاد كلامه حيرتهم، فقالوا: ما القصة؟

تأمّلوا جيداً كيف فازوا وخسرنا، قال الميرزا: كنت أنا وهذا الشيخ في بحثٍ واحد، وكان مستقبله واعداً أكثر مني، جاء يوماً إليّ وقال: لقد شَخَّصتُ تكليفي، قلت: بماذا؟ قال: **تكليفي بعد أن وجدتُ منطقةً لا ذِكر فيها لأهل البيت، وكل أهل تلك المنطقة جاهلون بالمذهب**، تكليفي أن أذهب لهناك.

قلت له: ماذا تفعل؟ قال: أسكن في المسجد، وأبني مكتباً في المسجد، وأدرّس أولادهم من الألفباء، هذا ما سأفعله منذ الآن.

انقلب حال الميرزا الشيرازي، وقال: ذهب إلى تلك المنطقة وعاش ذلك الفحل بتلك العيشة، عاش في المسجد وأنشأ مكتباً وأعلن للناس أنّه سيدرّس مجاناً، وكان الناس يطلبون من الله تعالى ذلك.

بدأ مع الأولاد من الألفباء، ومرت الحياة هكذا مع هذا الرجل، وعندما كان الليل يجنّ كان يذهب إلى الشوارع ويأخذ الخبز اليابس الذي كان يبقى من سفراتهم ويرمونه. **هذا قوته وهذا عمله، تغير الأطفال فتغيرت كل تلك المنطقة بفعله.**

أطلب من الله تعالى أن يحسب كل أعمالي: علمي وتدريسي وصلاة الليل كلها في صحيفته، وأن يكتب ما فعله في صحيفتي!! لقد جاهدوا في الله حق جهاده.

هذا الشيخ كان له هذا الاعتبار عند الميرزا، **فما بالك باعتباره عند إمام الزمان؟**

هذا ما ينبغي اغتنامه، لا تتعطلوا، **اذهبوا للمناطق المحرومة وأحيوا**

المذهب، فإذا تابَ مذنبٌ، أو تعلَّمَ جاهلٌ مسألةً واحدة، فكم هو أجرُكُم في ذلك؟ **أجرُكُم أَجرُ إحياء تمام البشر**، ﴿مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾، فمن أحيا إنساناً فكأنما أحيا كلّ الناس من البدو للختم، ويقول حجة الله تعالى أنّ **إحياء النفس بإخراجها من الضلال إلى الهداية**.

لا تفقدوا هذا الفوز العظيم، منذ عاشوراء كان هذا السلام يُقرَأُ كلّ يوم ههنا، وأيُّ سلامٍ هو هذا، فهل فهمناه؟

السلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك..

فمن كان المخاطَب كلَّ يومٍ؟ هل عرفناه؟ وهل عرفنا تلك الأرواح؟

أدّعي وأُثبِتُ هذا الإدعاء بقدرةٍ علمية، أنّا لو جمعنا العلماء من الشيخ الطوسي للشيخ الأنصاري فإنهم **عاجزون عن دَرك روحٍ من تلك الأرواح التي حلّت بفنائه!**

إذا كانت هذه الدائرة فما حال معرفة القطب والمركز؟

إنّ أمرَ أصحابه وأنصاره يحيِّرُ العقل، فاستفيدوا جميعاً من هذه الفرصة، اذهبوا جميعاً، وليأخذ كلُّ واحدٍ منكم بيد من يقدر.

بهذه الكلمات يُعلَم أن الجميع عاجزون عن إدراكهم، وعن معرفة من كانوا وما فعلوا، لمسلم بن عوسجة كلماتٌ، ولكلّ كلمةٍ منها حساب، حيث أن **طَرَفَ الخطاب هو لوح الوجود المحفوظ، وكتاب الله المبين**، وقلب عالم الإمكان، مَن كان السرّ والعلن عنده سيّان، الكلام مقابله وبهذه الطريقة أيضاً عجيبٌ، قال مسلم: **والله**: فشرع أولاً بذكر الله تعالى.

لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُحْرَقُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُذْرَى، يُفْعَلُ ذَلِكَ بِي سَبْعِينَ مَرَّةً: أليس العالم عاجزاً عن إدراك ذلك؟ قَدِّم يَدَكَ من النار لترى!

مَا فَارَقْتُكَ: قال ذلك وجلس.

ثم قال زهير: **وَالله لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثُمَّ نُشِرْتُ ثُمَّ قُتِلْتُ، حَتَّى أُقْتَلَ هَكَذَا أَلْفَ مَرَّةٍ**: لا مرة ولا مرتين، لو قتلت ألف مرة.

وَأَنَّ الله تَعَالَى يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ[1]: وددتُ لو قتلت ألف مرة ليبقى القاسم بن الحسن، قال ذلك وجلس.

قال: ارفعوا رؤوسكم، وأشار لكل واحد إلى قصره في الجنة، تلك غرفتك، وتلك غرفتك، فالعالم في قبضته.

هذا سيد الشهداء، وهؤلاء أصحابه، فمن هم هؤلاء؟ وكيف كانوا؟ وكيف أصبحوا؟ ما كان أولهم وما حصل في آخر أمرهم؟

هذا ما قلته أن العلماء من شيخ الطائفة إلى الشيخ الأنصاري كلُّهم عاجزون عن درك حقيقة تلك الأرواح التي حلت بفنائه عليه السلام وأناخت برحله.

كان خاتم النبيين وعصارة الخلقة صلى الله عليه وآله سائراً مع جماعة من أصحابه، ومرّ بأطفالٍ يلعبون، فجلس على قدميه على الأرض، وأخَذَ من بين هؤلاء الأطفال الذين يلعبون طفلاً، تقول الرواية:

فَجَلَسَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عِنْدَ صَبِيٍّ مِنْهُمْ، **وَجَعَلَ يُقَبِّلُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَيُلَاطِفُهُ،**

---

(١) الإرشاد ج٢ ص٩٢.

ثُمَّ أَقْعَدَهُ عَلَى حَجْرِهِ وَكَانَ يُكْثِرُ تَقْبِيلَهُ: لا مرة ومرّتين وثلاثة، يكثر تقبيله، تحيَّر الجميع، فما الامر، وماذا يعني كل هذا اللطف؟

فَسُئِلَ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: إِنِّي رَأَيْتُ هَذَا الصَّبِيَّ يَوْماً يَلْعَبُ مَعَ الْحُسَيْنِ، وَرَأَيْتُهُ يَرْفَعُ التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، وَيَمْسَحُ بِهِ وَجْهَهُ وَعَيْنَيْهِ، **فَأَنَا أُحِبُّهُ لِحُبِّهِ لِوَلَدِيَ الْحُسَيْنِ**، وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي جَبْرَئِيلُ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ أَنْصَارِهِ فِي وَقْعَةِ كَرْبَلَاءَ[1].

حبيبُ الله يقول: هذا الطفل حبيبي لحبّه لولدي الحسين، هكذا كان أولهم حتى صار آخرهم هكذا، وهؤلاء أصحابه، فكيف به هو؟!

للأسف مرَّ العمر ولم نفهم ماذا تعني عاشوراء، وماذا تعني كربلاء، ومَن هو سيد الشهداء، ومَن هم أصحابه. هم الذين يقف حجّة الله، الإمام السادس مقابل قبرهم ويقول عليه السلام:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الرَّبَّانِيُّونَ: جملةٌ محيرة للعقول.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا شِيعَةَ الله: مَن هم هؤلاء حتى صاروا شيعة الله؟ مَن يتمكن مِن فَهم هذه الكلمات؟

أَنْتُمْ خِيَرَةُ الله: أقول هذا ليُعلَم أنّه إن كانت الذرّة هكذا فما حال الشمس؟ هؤلاء ذراتٌ كانت تدور حوله عليه السلام ولهم هذا المقام، فما مقامه هو؟

اخْتَارَكُمُ الله لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، **وَأَنْتُمْ خَاصَّتُهُ**: وشرح هذه الكلمات يحتاجُ إلى فرصةٍ أخرى.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٤٢.

أقول هذا الكلام لتعرفوا ما هي القضية، ومَن هو سيد الشهداء، وهذا النصُّ مهمٌ، حيث يروي شيخ المحدثين الصدوق عن ابن عباس في ليلة قتل سيّد الشهداء، والظاهر أنّ ذلك كان في ليلة الحادي عشر، حيث رأى رسولَ الله صلى الله عليه وآله في المنام وبيده قارورة، فسأل عنها فقال أنها: **دماءُ الحُسَين وأصحابه أرفَعُهَا إلى الله تعالى**: هنا يتضح كيف أنه هل يمكن للعلماء من الشيخ الطوسي إلى الشيخ الأنصاري أن يفهموا ما فعل هؤلاء حتى صار دمهم مخلوطاً مع دم سيد الشهداء؟!

ثم يأتي الشخص الأول في عالم الإمكان، ونبيُّ آخر الزمان، يأتي إلى كربلاء ويأخذ دمهم ويضعه في قارورة يقول عنها لابن عباس: أرفَعُها الى الله تعالى!

فأيُّ مرتبةٍ وصل إليها دمُ ذلك الفتى الأسود؟ وما حال إكسير هؤلاء كلهم؟ الإمام نفسه عليه السلام؟

ماذا فعل؟ وإلى أين وصل عمله؟ نحن عاجزون عن البيان ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ ونهاية الأمر: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

رفعها صلى الله عليه وآله، ولكن إلى أين وصلت؟ لقد رُفِعَت دماءُ أصحابه إلى العرش، فإلى أين يُرفَعُ هو عليه السلام؟ إنّ ذلك لا يُدرَك ولا يوصف.

أيُّ نبيٍّ فعل الفعل الذي فعله هو عليه السلام؟ تأمّلوا كم هي المسافة بين الصدر والرأس، وكم يمكن أن تتحمل من جراحات؟

يقول سادس الأئمة عليه السلام أن الإمام الحسين عليه السلام قد أصيب بثلاثمائة

وبضعة وعشرين جرحاً وضربة سيفٍ ورمية سهم، كلُّها اجتمعت في هذا المكان، رغم ذلك كيف كان حاله؟ قال: **إلهي رضا بقضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود سواك يا غياث المستغيثين.**

نداءٌ يوم القيامة: أين زوار الحسين؟!

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

اقتربت العشرة الأخيرة من صفر، مع قدوم الأربعين، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: **رَحِمَ الله مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا**[٢]. وفي هذه الجملة القصيرة تفصيلٌ:

أولاً: ممّن صدر الدعاء؟ لقد صدر ممن كانت إرادته متصلة بالإرادة التي ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣]، ممّن كان **قلبُه وعاءُ مشيئة الله تعالى.**

ثانياً: ما الذي طلبه الإمام؟ لقد طلب رحمة الله تعالى لـ(**مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا**)، وقد نصّ القرآن على أن ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٤].

هذا الشهر وهذه الأيام، **هي أيامُ إحياء أمرهم**، وينبغي القيام بفعلٍ يكون مطابقاً للقرآن الكريم، فليكن المحور والقطب هو كلام الله تعالى، فقِسمٌ للتفقه وقسمٌ للإنذار، **والسعيد هو من يوفق في هذه الأيام لِيُعَرِّف قلباً بالله تعالى، ويَصِلَ**

---

(١) ألقيَ هذا البحث قبيل أربعين الإمام الحسين عليه السلام عام ١٤٣٦ هـ.

(٢) قرب الإسناد ص٣٢، وقريبٌ منه ما في الكافي ج٢ ص١٧٦ وغيره.

(٣) يس٨٢.

(٤) الزخرف٣٢.

روحاً بالأئمة المعصومين عليهم السلام، فيصدق عليه: **رَحِمَ اللهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا.**

الأمر الذي ينبغي إحياؤه هو معرفة الإمام، الحكمة الكبرى هي معرفته بقدر الميسور، فإن سيد الشهداء ليس قابلاً للإدراك من أيِّ أحد، وليس قابلاً للوصف، لا هو عليه السلام ولا عمله.

مع التأمل في الروايات بدرايةٍ يتضح حينها الأثر العظيم، وههنا مطلبان راجعان إليه عليه السلام: أحدهما زيارته، وثانيهما إقامة العزاء عليه.

وكلمات أهل بيت العصمة محيّرة للعقول، وهذه الروايات في كمال الاعتبار، فلا تحتاج إلى سند، والإعجاز ههنا، إذ متى قال الإمام الصادق عليه السلام هذه الجملة؟ قالها عندما كان باب الحرم مغلقاً خوفاً من حكومة آل مروان، مع قلّة الزوار، هذا إن تمكن أحدٌ من الوصول للحرم أحياناً، وهذا البيان معجزة عظمى، ويحكي كيف كان يرى عليه السلام، قال: إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: **أَيْنَ زُوَّارُ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ**؟

فَيَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ تَعَالَى[1]: انظروا اليوم، إلى هذا الاعجاز.. ثم ما يحيّر عقَل كلّ حكيم، وفِكرَ كلّ فقيه أنّه من هنا وما بعد ذلك، **فإنّ الله تعالى يتكلّم مع زوار قبره** عليه السلام **!**

فَيَقُولُ لَهُمْ: **مَا أَرَدْتُمْ بِزِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ** عليه السلام: أي ما كان قصدكم من الزيارة؟

فَيَقُولُونَ: **يَا رَبِّ أَتَيْنَاهُ حُبّاً لِرَسُولِ اللهِ وَحُبّاً لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ، وَرَحْمَةً لَهُ مِمَّا**

---

(١) كامل الزيارات ص١٤١.

ارْتُكِبَ مِنْهُ: بهذا الحبّ تحرّكت بنا أقدامنا.

فَيُقَالُ لَهُمْ: **هَذَا مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ، فَالحَقُوا بِهِمْ فَأَنْتُمْ مَعَهُمْ فِي دَرَجَتِهِمْ**.. ببركة مَن هذا المقام؟

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: **إِنَّ لِزُوَّارِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام يَوْمَ القِيَامَةِ فَضْلًا عَلَى النَّاسِ**. قُلْتُ: وَمَا فَضْلُهُمْ؟

قَالَ: **يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ بِأَرْبَعِينَ عاماً، وَسَائِرُ النَّاسِ فِي الحِسَابِ وَالمَوْقِفِ**(١).

من أين جاءت كل هذه المقامات؟

ثم ما يحير العقل هو قوله عليه السلام: **مَنْ أَتَى قَبْرَ الحُسَيْنِ عليه السلام مَاشِياً كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ وَبِكُلِّ قَدَمٍ يَرْفَعُهَا وَيَضَعُهَا عِتْقَ رَقَبَةٍ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ**(٢).

فكم لزواره بمسيرهم وحركة أقدامهم من تحرير رقابٍ من ولد إسماعيل؟ هذا في زيارته، **أما البكاء عليه**، فإن الأفضل أن يُتلى متن الحديث، وراويه أبو بصير ليث بن البختري المرادي، فمن هو؟

عن أبي عبد الله عليه السلام: **بَشِّرِ المُخْبِتِينَ بالجنّة**، بُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ العِجْلِيُّ، **وَأَبُو بَصِيرٍ لَيْثُ بْنُ البَخْتَرِيِّ المُرَادِيُّ**، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَ زُرَارَةُ(٣)، فالمخبتون أربعة أشخاص، أركانٌ أربعة أحدهم أبو بصير.

---

(١) كامل الزيارات ص١٣٧.

(٢) كامل الزيارات ص١٣٤.

(٣) رجال الكشي، إختيار معرفة الرجال ص١٧٠.

يقول: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أُحَدِّثُهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُهُ فَقَالَ لَهُ: مَرْحَباً، وَضَمَّهُ وَقَبَّلَهُ وَقَالَ: حَقَّرَ الله مَنْ حَقَّرَكُمْ، وَانْتَقَمَ مِمَّنْ وَتَرَكُمْ، وَخَذَلَ الله مَنْ خَذَلَكُمْ، وَلَعَنَ الله مَنْ قَتَلَكُمْ، وَكَانَ الله لَكُمْ وَلِيّاً وَحَافِظاً وَنَاصِراً، فَقَدْ طَالَ بُكَاءُ النِّسَاءِ وَبُكَاءُ الأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ: **يَا أَبَا بَصِيرٍ، إِذَا نَظَرْتُ إِلَى وُلْدِ الحُسَيْنِ أَتَانِي مَا لَا أَمْلِكُهُ بِمَا أَتَى إِلَى أَبِيهِمْ وَإِلَيْهِمْ**[1].

هؤلاء الجهال الذين يتحدّثون بنغمة أنّ هذا العزاء وصل لحدّ الإفراط، المصيبة أنهم في منتهى الجهل!

اغتنموا هذا وصيروا فقهاء وعلماء كي تتمكنوا من إحقاق حق أهل البيت، ثم قال الإمام عليه السلام: **فَقَدْ طَالَ بُكَاءُ النِّسَاءِ وَبُكَاءُ الأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ**: إن بكاء الأنبياء من موسى بن عمران وإبراهيم الخليل وغيرهم عليهم السلام، والشهداء والصديقين جميعاً قد طال ليبقى مستمراً على ذلك الرأس المقطوع..

متن الحديث: ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ: يَا أَبَا بَصِيرٍ، إِذَا نَظَرْتُ إِلَى وُلْدِ الحُسَيْنِ أَتَانِي مَا لَا أَمْلِكُهُ بِمَا أَتَى إِلَى أَبِيهِمْ وَإِلَيْهِمْ.

يَا أَبَا بَصِيرٍ، **إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام لَتَبْكِيهِ وَتَشْهَقُ، فَتَزْفِرُ جَهَنَّمُ زَفْرَةً لَوْ لَا أَنَّ الخَزَنَةَ يَسْمَعُونَ بُكَاءَهَا وَقَدِ اسْتَعَدُّوا لِذَلِكَ**: ويتضح من هذه الرواية أن السيدة الزهراء عليها السلام لم تفعل ذلك مرّة أو مرتين، بل كانت دائماً ما تفعل ذلك، وأنّ جهنم تزفر لشهقتها ويستعد الخزنة لعلمهم بذلك، وكلما ارتفع صوتها عليها السلام يغلقون أبواب

(١) كامل الزيارات ص٨٢.

جهنم: **مَخَافَةَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا عُنُقٌ أَوْ يَشْرُدَ دُخَانُهَا فَيُحْرِقَ أَهْلَ الأَرْضِ فَيَحْفَظُونَهَا (فَيَكْبَحُونَهَا) مَا دَامَتْ بَاكِيَةً وَيَزْجُرُونَهَا**: لئلا تخرج شعلةٌ أو دخان من النار فيهلك أهل الأرض، هذا الأثر في جهنم.

وَ يُوثِقُونَ مِنْ أَبْوَابِهَا مَخَافَةً عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَلَا تَسْكُنُ حَتَّى يَسْكُنَ صَوْتُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ.. والحديث طويلٌ لا يكفيه الوقت فنعرض لقسم منه فقط:

فَلَا تَزَالُ المَلَائِكَةُ مُشْفِقِينَ يَبْكُونَهُ لِبُكَائِهَا وَيَدْعُونَ الله وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ، وَيَتَضَرَّعُ أَهْلُ العَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ، وَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتٌ مِنَ المَلَائِكَةِ بِالتَّقْدِيسِ لله مَخَافَةً عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ: **هذا هو عزاء ذلك الرأس المقطوع**، هذه هي مصيبة ذلك البدن المقطع، كلُّ حملة العرش يبكون، لأنّ صوت أمه الزهراء ارتفع، فاعرِفُوا الإمام الحسين وعرّفوه للناس.

وَلَوْ أَنَّ صَوْتاً مِنْ أَصْوَاتِهِمْ يَصِلُ إِلَى الأَرْضِ **لَصَعِقَ أَهْلُ الأَرْضِ**، وَتَقَطَّعَتِ الجِبَالُ وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا.

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ هَذَا الأَمْرَ عَظِيمٌ.

قَالَ: **غَيْرُهُ أَعْظَمُ مِنْهُ، مَا لَمْ تَسْمَعْهُ.**

ما معنى هذه الجملة؟ **معناها أنا حتى الآن لم نعرض حقيقة المصيبة**، ما قلناه هو هذا **لكن ما احتفظنا به أعظم من هذا**. ثم قال هذه الجملة التي تحرق القلب:

ثُمَّ قَالَ لِي: **يَا أَبَا بَصِيرٍ أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ فِيمَنْ يُسْعِدُ فَاطِمَةَ** عليها السلام؟

فَبَكَيْتُ حِينَ قَالَهَا فَمَا قَدَرْتُ عَلَى المَنْطِقِ، وَمَا قَدَرَ عَلَى كَلَامِي مِنَ البُكَاءِ..

أيتها الهيئات، هذا هو العزاء، **نخشى أن تصبح الهيئات والمواكب ألعوبةً**

بيد السياسات، نخشى من خيانة دمه عليه السلام، وخيانة بكاء والدته عليها السلام.

وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ: فينبغي أن يكون البذلُ لله فقط ليس إلا، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1].

قال لأبي بصير: ألا تريد أن تساعد أمي فاطمة في العزاء؟

ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمُصَلَّى يَدْعُو، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فَمَا انْتَفَعْتُ بِطَعَامٍ وَمَا جَاءَنِي النَّوْمُ وَأَصْبَحْتُ صَائِماً وَجِلًا حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ سَكَنَ سَكَنْتُ وَحَمِدْتُ الله حَيْثُ لَمْ تَنْزِلْ بِي عُقُوبَةٌ.

أبو بصير فهم ما الأمر.. والباقي غير قابل للبيان.

فُرَص الخير.. في أيام الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **الفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الخَيْرِ**، وكلماته عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ودراية كل جملة وفقهها تحتاجُ إلى تأملٍ كبير.

إنّ الفرصة تمر كما يمرّ السحاب، وتشبيه الفرصة بالسحاب بابٌ من العلم، السحاب منشأٌ للمطر، وبالمطر حياة الأرض، والفرصة كالسحاب ينبغي أن **تمطر مطر الرحمة على الحياة، فتثمر الخيرات من هذا المطر.**

فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الخَيْرِ: أيام الأربعين، شهادة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، شهادة

---

(١) الفجر ٢٧-٢٨.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ١٢ صفر ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٥-١١-٢٠١٥ م.

الإمام الحسن بن علي عليه السلام، والإمام علي بن موسى عليه السلام، كلُّها **ربيعٌ يهيئ القلوب المنتظِرة للرحمة والفقاهة.**

نتيجة هذه الدروس والأبحاث هو نجاة الناس في عصر الغيبة من ظلمات الجهل والشُّبُهات.

اغتنموا هذه الأيام، انقضت العشرة الأخيرة من صفر العام الماضي كأن لم تكن، **فهنيئاً لمن استفادَ من هذه الفرصة،** وعرَّفَ قلباً على الله تعالى، وبذرَ بذور معرفة إمام الزمان، وهذه السَّنَةُ أيضاً ستنقضي، فلا تخسروا هذه الفرصة.

مسؤوليتنا ثقيلةٌ، إذا كنتم تتفكرون في هذا الدعاء الذي نقرأه كل يوم، فإن الأمر باعثٌ على الذهول، ما هي هذه الكلمات؟

اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه: افعل بي يا إلهي ما يجعلني من أنصاره وأعوانه، والمهم هو (والذابين عنه): **اجعلني ممن يذبّ ويدفع عنه عليه السلام.**

إنّ زمن الغيبة هو عصر الامتحان الكبير لكم، لأن **مسؤولية كفالة أيتام أمير المؤمنين** عليه السلام في عصر الغيبة **بعُهدَةِ من تَلَبَّسَ بلباس خدمته** عليه السلام.

اسعوا أن تجدوا منطقةً محرومة، **فالنفوسُ مستعدةٌ هذه الأيام،** وينبغي الاستفادة من هذا الاستعداد في **ربيع الأربعين ونسيم شهادة أركان الدين،** لأنّ القلوب مستعدة، وينبغي **زرع بذور المعرفة والطاعة،** ومعرفة الله تعالى، ومعرفة وليّ العصر، مَن مِنه الوجود، ومَن بِهِ الوجود.

إذا تمكنتم في هذه الأيام أن تُعَرِّفُوا شخصاً بِمَن مِنهُ الوجود، ومَن به

الوجود، فإن لكم أجر ١٠٠ سنةٍ، صلاة ليلها وصوم نهارها، يُكتب في صحيفتكم. ماذا فعل أصحابه؟

قـــوم إذا نـــودوا لدفع ملمّـــــة * * والناس بين مدعّس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا * * يتهـــافتون على ذهاب الأنفس

لبسوا القلوب على الدروع، وذهبوا للميدان ليُعطوُا أرواحهم ويحيوا هذا الدين وهذا المذهب، **والمهم هو فقه الأحاديث لا روايتها، بل درايتها**، ونحن نكتفي بروايتين، وتتم الحجة بهذا على الجميع، وإن توفرت لنا فرصةٌ نبحث في فقه هاتين الروايتين باختصار، **وفي كل جملةٍ بابٌ من العلم**.

عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: **مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا عَالِماً بِشَرِيعَتِنَا، وَأَخْرَجَ ضُعَفَاءَ شِيعَتِنَا مِنْ ظُلْمَةِ جَهْلِهِمْ إِلَى نُورِ العِلْمِ الَّذِي حَبَوْنَاهُ [بِهِ]، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ نُورٍ، يُضِيءُ لِأَهْلِ جَمِيعِ تِلْكَ العَرَصَاتِ، وَ[عَلَيْهِ] حُلَّةٌ لَا يَقُومُ لِأَقَلِّ سِلْكٍ مِنْهَا الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا.**

ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ [مِنْ عِنْدِ الله]: يَا عِبَادَ الله هَذَا عَالِمٌ مِنْ بَعْضِ تَلَامِذَةِ آلِ مُحَمَّدٍ، أَلَا فَمَنْ أَخْرَجَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْرَةِ جَهْلِهِ فَلْيَتَشَبَّثْ بِنُورِهِ، لِيُخْرِجَهُ مِنْ حَيْرَةِ ظُلْمَةِ هَذِهِ العَرَصَاتِ إِلَى نَزْهِ الجِنَانِ.

فَيُخْرِجُ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَّمَهُ فِي الدُّنْيَا خَيْراً، أَوْ فَتَحَ عَنْ قَلْبِهِ مِنَ الجَهْلِ قُفْلًا، أَوْ أَوْضَحَ لَهُ عَنْ شُبْهَةٍ[1].

ودراية هذه الرواية مهمة، وفي كلِّ جملةٍ منها بحثٌ، ونحن نتعرض لبعضها

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٣٣٩.

على نحو الإشارة.

مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا عَالِماً بِشَرِيعَتِنَا: العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من أراد أن يهديه، والشرط الأول أن يكون **من شيعتنا وأتباعنا**، والشرط الثاني أن يكون عالماً بشريعتنا.

وَأَخْرَجَ ضُعَفَاءَ شِيعَتِنَا مِنْ ظُلْمَةِ جَهْلِهِمْ إِلَى نُورِ العِلْمِ الَّذِي حَبَوْنَاهُ [بِهِ]: فالعلم ليس بالدّرس فقط، الدرس هو المقتضي، أما العلَّةُ التامة فبعد أن يصبح المقتضي توأماً مع شرائطه، والشرائط على قسمين: **مكمّلُ الفاعل، ومتمّمُ القابل، وثالثاً رفع الموانع**، حينها يظهر الأثر.

جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ: وله خصوصيتان، إحداهما على الرأس والأخرى على البدن، وكلمات الأئمة في قمّة الفصاحة والبلاغة، وفيها بيان تمام الدقائق.

وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ نُورٍ يُضِيءُ لِأَهْلِ جَمِيعِ تِلْكَ العَرَصَاتِ: بين النور والضياء فرقٌ، وفِقه الحديث في غاية الإشكال، ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ **الشَّمْسَ ضِيَاء وَالقَمَرَ نُوراً**﴾، وتعبيره هنا عليه السلام: **تَاجٌ مِنْ نُورٍ يُضِيءُ لِأَهْلِ جَمِيعِ تِلْكَ العَرَصَاتِ**، فأيُّ نورٍ لهذا التاج حتى يضيء كلّ عرصات المحشر؟ هذا في الرأس.

أما البدن: **وَ[عَلَيْهِ] حُلَّةٌ لَا يَقُومُ لِأَقَلِّ سِلْكٍ مِنْهَا الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**: فلنعرف الدنيا أولاً حتى نفهم الحديث، ونص القرآن ﴿**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ**﴾[1]، فكلُّ هذه الكواكب التي يصلنا نورها بعد مليارات السنوات الضوئية من مسير النور، وهو الذي يسير في كل ثانية ٣٠٠ ألف كيلومتر، كل

(١) الصافات٦.

هذه الدنيا بما فيها **لا تساوي أقلّ سلكٍ من تلك الحلة!** هذا الرأس وهذا البدن..

أمّا ما يحيّرُ أهل المحشر شاؤوا أم أبوا فهو قوله عليه السلام:

ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ [مِنْ عِنْدِ الله]: يَا عِبَادَ الله هَذَا عَالِمٌ مِنْ بَعْضِ تَلَامِذَةِ آلِ مُحَمَّدٍ أَلَا : و(ألا) هنا للتنبيه، وفيها لطائف من جهة دراية الحديث.

فَمَنْ أَخْرَجَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْرَةِ جَهْلِهِ فَلْيَتَشَبَّثْ بِنُورِهِ: أيُّ نورٍ هذا، كلُّ مَن استفاد منه يتشبث به، ﴿الله نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ ينال مثل هذا النور.

لِيُخْرِجَهُ مِنْ حَيْرَةِ ظُلْمَةِ هَذِهِ العَرَصَاتِ إِلَى نَزْهِ الجِنَانِ، فَيُخْرِجُ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَّمَهُ فِي الدُّنْيَا خَيْراً: وهذه الجملة الأولى، وهنا ثلاث مطالب: الأول: **مَنْ كَانَ عَلَّمَهُ فِي الدُّنْيَا خَيْراً**، وكلمة الخير إشارة إلى بيان عيسى عليه السلام: **إِنَّ مُعَلِّمَ الخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ** دَوَابُّ الأَرْضِ، وَحِيتَانُ البَحْرِ، وَكُلُّ ذِي رُوحٍ فِي الهَوَاءِ، **وَجَمِيعُ أَهْلِ السَّماءِ وَ الأَرْض**(١)، هذا أثر تعليم الخير.

أَوْ فَتَحَ عَنْ قَلْبِهِ مِنَ الجَهْلِ قُفْلًا: والتعبير عجيبٌ، وهنا إشارة الى تلك الآية ﴿**أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها**﴾، فما هو مفتاح قفل الجهل؟ **كلماتُ أهل بيت العصمة**، بيِّنوا الحقيقة للناس، اقرؤوا لهم كلمات ومواعظ المعصومين الأربعة عشر، **افتحوا قلوبَهم من أقفال الجهالات.**

أَوْ أَوْضَحَ لَهُ عَنْ شُبْهَةٍ: هذه إشارات عن التبليغ: تعليم الخير وفتح أقفال الجهالات وإزالة الشبهات، اجعلوا هذا الحديث رسالة لسَفَرِكم، فما تكون النتيجة وما الثمرة؟

---

(١) بصائر الدرجات ج١ ص٣.

كربلاء عرش الله!

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

هذه أيام التعطيل في شهر صفر، وعليكم جميعاً أن تسعوا لتكون **حياتكم مرآةً ومصداقاً للقرآن الكريم**: فأيام التحصيل للتفقه في الدين، وأيام التعطيل لتبليغ شرائع الدين، **هذه الحياة هي نهج القرآن.**

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ هذا أولاً في أيام التحصيل، ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم﴾ هذا ثانياً في أيام التعطيل، فلا تدعوا هذه الفرصة تفوتكم، واعرفوا قيمتها.

هذا الحديث محيرٌ للعقول، والسَّنَدُ محكَمٌ، أما المتن: فخطاب الله تعالى لموسى بن عمران عن أمرين، إن أتى بواحدٍ منهما **فله أجرٌ يفوق عبادة مئة عام بصيام نهارها وقيام ليلها،** قيامٌ بالصلاة من الليل للصباح، وصومٌ كلّ يوم!

أحد هذين العَمَلين في كفة، ومئة عامٍ من العمل بلياليه وأيامه في كفةٍ أخرى!

المخاطَب هو موسى بن عمران، والمخاطِب هو الله تعالى، إنّه أمرٌ محير، قال: ربي هناك عملٌ له هذا الثواب؟ بقيام ليله وصيام نهاره؟ جاء الجواب: نعم، سأل: ما هو؟ جاء الجواب:

١. رد الآبق: بأن يتوب العاصي.

٢. رد الضال وارشاده: أن تُعَرِّفَ شخصاً على إمام زمانه.

نحن لم نعرف قدر العمر! **وهذا التعطيل فرصةٌ لاستغلال هذه الجوهرة!**

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء١١ صفر ١٤٣٩ هـ الموافق ١-١١-٢٠١٧ م.

وينبغي أن يكون **برنامج كلّ سفرٍ أموراً ثلاثة:**

الأول: إحكام العقائد، والثاني: تهذيب الأخلاق، والثالث: تعليم الأحكام، هذا هو العمل، أما الأثر والجزاء: فإنّ من أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعا﴾، وقال الإمام عليه السلام أنّ **تأويلها الأعظم** هو أنّ تُخرِجَ نفساً: **مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى**[1]، وكلاهما نكرة: (**ضَلَالٍ**) و(**هُدًى**)، فقد يقال: (من الضّلال إلى الهدى)، لكن متن الحديث ليس كذلك، بل: (**مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى**)، يعني أن **تُعَلِّمَه مسألةً واحدةً من مسائل الصلاة أو العبادة أو المعاملات** أو العقود أو الإيقاعات والأحكام.

كذلك أن يتوبَ عاصٍ، أيٌّ من هذا يصبح كعبادة مئة سنةٍ بقيام لياليها وصيام أيامها، وهذا هو برنامج التعطيل، لكن المهم هو أن **عمرنا قد انقضى ولم نفهم أهمية ذلك وقدره!**

المرحوم الحائري فَحلٌ، وهذه الحوزة إحدى ثمرات شجرة وجوده، كان في مجلس الميرزا الشيرازي يقرأ العزاء، والميرزا الشيرازي يلطم على صدره، هكذا كان الأمر ذلك اليوم، وهذا حال هذه الأيام!

للأسف لم نعرف سيد الشهداء عليه السلام.

إن فقه الحديث مهم، فرواية الحديث شيءٌ ودرايته شيء آخر، وقبل الحديث إقرؤوا القرآن لتعرفوا حقيقة الإيمان والمؤمن، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ وإنما تفيد الحصر:

---

(١) الكافي ج٢ ص٢١١.

١. ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

٢. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

٣. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾

٤. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: (أي **ممّا علّمناهم يبثّون**).

هذا الإيمان وهذه علاماته، فالمؤمنون الذي نزلت في وصفهم سورةٌ في القرآن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ هذا أول أمرهم، أما آخره: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. هذا المؤمن وهذا الإيمان.

والآن نطرح الرواية، وهي عن ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام:

عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلَاةُ الإِحْدَى وَالْخَمْسِينَ، **وَزِيَارَةُ الأَرْبَعِينَ**، وَالتَّخَتُّمُ فِي اليَمِينِ، وَتَعْفِيرُ الجَبِينِ، وَالْجَهْرُ بِ بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ[1].

فزيارة الأربعين علامة الإيمان، والإيمان في القرآن هو ما تقدم، **وهذه الزيارة لا قريب وبعيد فيها**، كلُّكُم بعدَ هذا المجلس توضؤوا واذهبوا إلى مكانٍ مكشوفٍ مرتفع، وقولوا ثلاث مرات: **صلى الله عليك يا أبا عبد الله، تصبحون من زوار الأربعين**، ومن المؤمنين أصحاب علامة الإيمان.

لم يعرف الناس من هو الامام الحسين عليه السلام، وجملةٌ واحدةٌ تُحَيِّرُ العقول، وهي من كلام رأس ورئيس المذهب وهي: **أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْدِ**،

---

(١) الكافي ج٢ ص٢١١.

وَاقْشَعَرَّتْ لَهُ أَظِلَّةُ العَرْشِ: والقشعريرة في اللغة رجفةٌ خاصة.

وَبَكَى لَهُ.. مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى[1]: فما هي دائرة (**مَا يُرَى**)؟ كلُّ شيءٍ من السماء للأرض، من أعلى عليين إلى أسفل سافلين، أما (**مَا لَا يُرَى**): فلا أحد يعلم ما في ذلك العالم إلا الله، كلُّ ما يُرى وكل ما لا يُرى قد بكاه في ذلك الوقت، **فمن زار الحسين بكربلاء كان كمن زار الله في عرشه.**

هذه عاشوراء، و**كربلاء صارت عرش الله**، وزيارته صارت زيارة الذات المقدسة لله، هذه جملةٌ، وجملةٌ أخرى: **أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الخُلْدِ**، فأين منشأ هذه الجملة؟ منشؤها في رؤيا أم سلمة، لمّا سمع أهلُ المدينة صوت بكاءٍ يرتفع فجأة من بيت النبي صلى الله عليه وآله، فاجتمعوا جميعاً، وسألوا أم سلمة عن ذلك، قالت: رأيت الآن خاتم النبين في الرؤيا على حالٍ لم أره عليه أبداً، حاسِرَ الرأس والقدمين، يعلوه الغبار، وبيده زجاجةٌ من الدم.

قلت: يا رسول الله ما هذه الحالة؟

قال: هذه الزجاجة أعطاني الله إياها، فيها دم الحسين عليه السلام مِن محلّ قتله، أوصِلُها إلى أعلى عليين، ويقول سادس الأئمة عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وضع زجاجة الدم في أظلة العرش، ومنذ أن وُضِعَت هناك **اهتزت قوائم العرش وستبقى إلى يوم القيامة.. هذا دمه.. وهذه كربلاؤه..**

عَنِ الحُسَيْنِ بْنِ بِنْتِ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ فِي آخِرِ زَمَانِ بَنِي مَرْوَانَ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ عليه السلام مُسْتَخْفِياً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى كَرْبَلَاءَ،

(١) أُلقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ٢٢ ذي الحجة ١٤٣٨ هـ الموافق ١٣-٩-٢٠١٧ م.

فَاخْتَفَيْتُ فِي نَاحِيَةِ القَرْيَةِ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ **أَقْبَلْتُ نَحْوَ القَبْرِ**، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ أَقْبَلَ نَحْوِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: **انْصَرِفْ مَأْجُوراً فَإِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ.**

فَرَجَعْتُ فَزِعاً حَتَّى إِذَا كَادَ يَطْلُعُ الفَجْرُ أَقْبَلْتُ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ مِنْهُ خَرَجَ إِلَيَّ الرَّجُلُ فَقَالَ لِي: **يَا هَذَا إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ.**

فَقُلْتُ لَهُ: عَافَاكَ الله، وَلِمَ لَا أَصِلُ إِلَيْهِ؟ وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الكُوفَةِ أُرِيدُ زِيَارَتَهُ، **فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَافَاكَ الله**، وَأَنَا أَخَافُ إِنْ أَصْبَحَ فَيَقْتُلُونِّي أَهْلُ الشَّامِ إِنْ أَدْرَكُونِي هَاهُنَا.

قَالَ: فَقَالَ لِيَ: اصْبِرْ قَلِيلاً، **فَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ** عليه السلام **سَأَلَ الله أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَأَذِنَ لَهُ، فَهَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ فِي سَبْعِينَ الفَ مَلَكٍ**[1].

موسى عليه السلام يطلب حاجته، وبعد مدة يجيز الله له أن يأتي تحت قبة الحسين عليه السلام لتُستجاب حاجته، **هذا سيد الشهداء.. فَمَن عرفه؟**

تراب قبره آيةٌ من آيات القرآن، فالقرآن شفاءٌ وتربته شفاء، وتحت قبته إجابة دعاء الأنبياء والأولياء.

وخِتام الكلام فصلُ الخطاب في المحشر، ففي شدّة يوم الحساب التي تصل إلى حدِّ أنّ الجميع من آدم إلى عيسى بن مريم، الجميع يقولون: وانفساه.. في هذا اليوم ينزل جبرئيل على خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، ويأتي مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قبر الصديقة الكبرى، ويخرجونها من قبرها، ويُركبونها على هودجٍ ظاهره عفو الله، وباطنه رحمة الله، ويحضرونها إلى يمين عرش الله، **فتُخرِجُ قميصَهُ القديم الملطّخ**

---

(١) كامل الزيارات ص١١٢.

بالدم وتضعه على رأسها. فصل خطاب المحشر في هذه الكلمة.

في اليوم الأول الذي جاء فيه للدنيا أخذته الصديقة الزهراء عليها السلام ووضعته في حجر خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، فكان النبي صلى الله عليه وآله يضع لسانه في فمه فيكتفي به ولا يحتاج الحليب، **وبمهده أعيد لفطرس ريشه وجناحه حتى عرج إلى السماء وصعد للملأ الأعلى!** هذا يومه الأول.

أما يومه الأخير، فليس عندَ أحدٍ خبرٌ عن ذلك، المطلب يندرج في هذه الآية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ لكن إلى أي حَدٍ كان اطمئنان هذه النفس؟ إلى حدٍّ حَيَّرَ جبرئيل عليه السلام.

بعد ما جرى في نهر العلقمي، وبعدما وقف على نعش أشبه الناس خلقاً وخُلُقا ومنطقاً برسول الله، وبعد الصلاة على جنازة طفله ذي الستة أشهر، كان إطمئنان نفسه إلى حد قوله: **رضاً بقضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود سواك، يا غياث المستغيثين!** هذا اطمئنان نفسه.

اعملوا على **تشجيع جميع الهيئات والمواكب للخروج أيام الأربعين،** ففي خروج كل هيئةٍ وموكبٍ تسليةٌ لقلب إمام الزمان، وهو الذي يعلم ما الذي جرى على جده، حتى قال:

فَلَئِنْ أَخَّرَتْنِي الدُّهُورُ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ الْمَقْدُورُ.. لَأَنْدُبَنَّكَ صَبَاحاً وَمَسَاءً.. الليل بكاء! والنهار بكاء! لكن أيُّ بكاء؟!

لَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَماً: حتى لو نزل الدَّمُ بدل الدمع على رأسك المقطوع سأبكيك!

السلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليك مني سلام الله ما بقي الليل والنهار.

أنتم يا زوار الأربعين، كلُّكُم في ضيافة الامام عليه السلام، اقرؤوا سورة ﴿قل هو الله احد﴾ في الطريق ليلاً ونهاراً. والحمد لله رب العالمين

الإمام الكاظم عليه السلام
الإمام المعذّب في قعر السجون

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

إنما يُعرَفُ الإمام بالعلم وإجابة الدعوة[٢].

إنّ أهم مبحثٍ بين كلّ المباحث هو مبحث الإمامة، ووجهُ هذه الدعوى أن **الإمام حرفُ ربطٍ بين الإنسان وخالق العالم**، فلو لم يكن الإمام لم تكن هناك إنسانيةٌ مطلقاً.

نحن لم نفهم هذه المباحث: **أَنْتُمُ السَّبِيلُ الأَعْظَمُ وَالصِّرَاطُ الأَقْوَم**[٣].

وأيّ معانٍ في كلمة (**السَّبِيلُ**)؟! وأهمُّ منها وصفها ب(**الْأَعْظَمُ**)! ثم أي مباحث في (**الصِّرَاطُ**)؟! وأيُّ دقائق في (**الْأَقْوَم**)؟!

على كل حال كلُّنا عوام! ومنشأ ذلك أنّا **غفلنا عن فقه دقائق ولطائف الروايات**، وكل واحدةٍ منها بحرٌ عميق!

إن الإمام يربط بين الخالق والخلق: **بِيُمْنِهِ رُزِقَ الوَرَى، وَبِوُجُودِهِ ثَبَتَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاء**: هذا مقامه في عالم التكوين!

أما في عالم التشريع، فإنّ فقه هذا الحديث يحتاجُ إلى كتابٍ ومجالس، ولا أقلّ

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ٢٤ رجب ١٤٣٥هـ الموافق ٢٤-٥-٢٠١٤م.

(٢) إشارة إلى ما في الحديث: **فَدَلَالَةُ الْإِمَامِ فِيمَا هِيَ؟ قَالَ: فِي الْعِلْمِ وَاسْتِجَابَةِ الدَّعْوَة** (عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٠٠).

(٣) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٧٤.

من أن **نغتنم ونغترف شيئاً من هذا البحر** ببركة صاحب يوم الغد الذي لم نعرفه أبداً!

إنّ الإمام هو الرائد والمهيمن، والإمامة هي الريادة والهيمنة، فهناك مُقتَدَىً ومُقتَدٍ، إمامٌ ومأمومٌ، والنسبة هي الإمامة.

إن كلّ إنسان مركبٌ، وقد جمعت فيه الجمادات والنباتات والحيوانات: فعناصر البدن من مواد الجماد، والرشد والنمو من آثار النبات، والشهوة والغضب من نتائج حيوانيتنا، **وما يكون به الإنسان إنساناً جوهران: أحدهما العقل، وثانيهما الإرادة.**

فماذا صنع الإله الحكيم على الإطلاق؟! ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ فالتركيب الأوّل من الروح والبدن، وهناك العقل والحواس: **إذا غلب الهوى فمصيره في أسفل السافلين، وإذا غلب العقل فثمرته أعلى عليين،** ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوى﴾[1]، فالجنة مأوى مثل هذا الإنسان.

وعلى أيِّ حال: الأول هو العقل والثاني هو الإرادة، **والإمام هو إمام العقل والإرادة عند البشر**، والإمامة مقولة مشكّكَة، فينبغي في **الإمامة العامة أن يكون شخص الإمام في النقطة الأعلى التي لا تُتَصَوَّرُ نقطةٌ فوقها من حيث العلم**، وعلى هذا قامت أدق البراهين، لأن دعامة الإنسان العقل، وكمال العقل بالعلم، فينبغي أن **يكون الإمام في نهاية نهايات العلوم**، ومن جهة الإرادة ينبغي أن تصل الإرادة

(١) النازعات ٤٠-٤١.

إلى حدٍّ تفنى في إرادته تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١]، فمثل هذا يصبح إماماً!

للأسف، قد انقضى العمر ولم نفهم جواهر الزيارة الجامعة: **بِكُمْ يُنَزِّلُ الغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِه**[٢]، هذا في نظام الكون، فلولا الحجة لساخت الأرض بأهلها.

أما في نظام الشرع: **بِنَا عُرِفَ الله، وَبِنَا عُبِدَ الله، نَحْنُ الأَدِلَّاءُ عَلَى الله، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ الله**[٣].

ولقد **كان الإمام أبو إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم** عليه السلام **مظهر ذلك العلم وتلك القدرة.**

إنه يثير الحيرة فعلاً، ومقامه يحير العقل! **وللأسف، فإنّا لم نعرفه أبداً، ولو كنّا قد عرفناه ما كان حال بلدنا غداً كما هو عليه هذه الأيام! الأسواق مفتوحةٌ وكلٌّ مشغولٌ بنفسه!** وإنما صرنا كذلك لأنّا لم نعرف من الذي فُقد في مثل يوم غد، وأيّ جوهر كان!

لقد كانت مدة حياته خمسة وخمسين سنة، وقد شرعت مرحلة الإمامة الفعلية في العشرين من عمره، وابتُلِيَ بالمنصور الدوانيقي، واختُبِرَ بحكومة هارون، ثم **في أيِّ سجنٍ كان لسبع سنوات؟!** مَن كان أسيراً لمن؟! وأيُّ تسليمٍ ورضىً كان عنده؟!

---

(١) يس ٨٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦١٥.

(٣) التوحيد للصدوق ص١٥٢.

لهارون أعدى أعدائه جملةٌ تُعَدُّ حجّةً لما سأله ابنه المأمون: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ **أَعْظَمْتَهُ وَأَجْلَلْتَهُ وَقُمْتَ مِنْ مَجْلِسِكَ إِلَيْهِ فَاسْتَقْبَلْتَهُ وَأَقْعَدْتَهُ فِي صَدْرِ المَجْلِسِ، وَجَلَسْتَ دُونَهُ**، ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِأَخْذِ الرِّكَابِ لَه؟

قَالَ: **هَذَا إِمَامُ النَّاسِ وَحُجَّةُ الله عَلَى خَلْقِهِ وَ خَلِيفَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ**.. يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَأَحَقُّ بِمَقَامِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنِّي وَمِنَ الخَلْقِ جَمِيعاً[1].

فمَن كان حتى انعكست صورته هكذا في قلب هارون؟!

أما ما ورد في زيارته: .. **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ الله فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ الهُدَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَلَمَ الدِّينِ وَالتُّقَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَازِنَ عِلْمِ النَّبِيِّينَ، السَّلَام عَلَيْكَ يَا خَازِنَ عِلْمِ المُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَائِبَ الأَوْصِيَاءِ السَّابِقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَعْدِنَ الوَحْيِ المُبِينِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ العِلْمِ اليَقِينِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْبَةَ عِلْمِ المُرْسَلِين**[2].

ذِكرُها يحيّر العقل! اقرؤوا سورة النور وافهموا آية النور: ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، **ونور النور هو موسى بن جعفر! السلام عليك يا نور الله**، ما الذي يمكن قوله؟! فكلُّ جملةٍ منها بحرٌ.

المطلوب منا جميعاً أن نعرفه وأن نُعرِّفَه للناس، ولضيق الوقت نكتفي بحديثٍ واحدٍ صحيح السند، والشيخ الأنصاري يرفع يده عن الاحتياط الفقهي بمثل هذا الحديث ويفتي بضرصٍ قاطع.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٩١.

(٢) بحار الأنوار ج٩٩ ص١٤.

عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ قَالَ: **اسْتَدْعَى الرَّشِيدُ رَجُلًا يُبْطِلُ بِهِ أَمْرَ أَبِي الحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ** عليه السلام **وَيَقْطَعُهُ وَيُخْجِلُهُ فِي المَجْلِسِ**، فَانْتُدِبَ لَهُ رَجُلٌ مُعَزِّمٌ، فَلَمَّا أُحْضِرَتِ المَائِدَةُ عَمِلَ نَامُوساً عَلَى الخُبْزِ، فَكَانَ كُلَّمَا رَامَ خَادِمُ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام تَنَاوُلَ رَغِيفٍ مِنَ الخُبْزِ طَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، **وَاسْتَفَزَّ هَارُونَ الفَرَحُ وَالضَّحِكُ لِذَلِكَ**.

هارون مع حكمه للأقاليم وثروته، أحضر مثل هذا الرجل القادر، ولما صار الغذاء يطير بسحر هذا الساحر، وكان كلّ المجلس قلقاً، وهارون يضحك بكامل سروره فرحاً من تأثير هذا المجلس في الدولة:

فَلَمْ يَلْبَثْ أَبُو الحَسَنِ عليه السلام أَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى أَسَدٍ مُصَوَّرٍ عَلَى بَعْضِ السُّتُورِ فَقَالَ لَهُ: **يَا أَسَدَ اللهِ خُذْ عَدُوَّ اللهِ**.

قَالَ: **فَوَثَبَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ كَأَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنَ السِّبَاعِ، فَافْتَرَسَتْ ذَلِكَ المُعَزِّمَ**، فَخَرَّ هَارُونُ وَنُدَمَاؤُهُ عَلَى وُجُوهِهِمْ مَغْشِيّاً عَلَيْهِمْ، **وَطَارَتْ عُقُولُهُمْ خَوْفاً مِنْ هَوْلِ مَا رَأَوْهُ**.

لمّا أفاق هارون وندماؤه لم يجدوا غير الصورة على الستار.

ماذا فعل موسى عليه السلام؟ لقد رمى عصاه فابتلعت سِحر السَّحَرة، وكانت جِسماً، أمّا ما فعله الإمام عليه السلام فكان مِن صورةٍ، والتفاوت بينهما كما بين الأرض والسماء.

فَلَمَّا أَفَاقُوا مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ حِينٍ قَالَ هَارُونُ لِأَبِي الحَسَنِ عليه السلام: أَسْأَلُكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَّا سَأَلْتَ الصُّورَةَ أَنْ تَرُدَّ الرَّجُلَ.

فَقَالَ: **إِنْ كَانَتْ عَصَا مُوسَى رَدَّتْ مَا ابْتَلَعَتْهُ مِنْ حِبَالِ القَوْمِ وَعِصِيِّهِمْ، فَإِنَّ**

هَذِهِ الصُّورَةَ تَرُدُّ مَا ابْتَلَعَتْهُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ[١].

هذا معنى أنّ **الإمام يعرف بالعلم وإجابة الدعوة.**

غداً يومُ خروجه من السجن، لكن بأيِّ كيفية؟ **خرج على النعش**، هناك على جسر بغداد، كيف كان بَدَنُه؟ **ذِي السَّاقِ المَرْضُوضِ بِحَلَقِ القُيُودِ!**

كان الحديد سبع سنوات على قدمه، فماذا يفعل بالعظم؟! وأين كان ذلك؟

فِي قَعْرِ السُّجُونِ وَظُلَمِ المَطَامِيرِ، فما هو المطمور؟ تلك الأماكن التي تُحفَرُ تحت الأرض يسمونها مطمورة، سجنٌ تحت الأرض.

فما هي وظيفة الشيعة في هذه الدولة غداً أمام هذه الساق المرضوضة وظُلَم المطامير؟

السعداء هم أهل العراق، وأيُّ سعادة، والأمرُ محيِّرٌ فعلاً، هنيئاً لهم، **لو كنت هناك لقبّلتُ أقدامَكُم، أقدامُكُم تاجُ رأسنا يا زوار الكاظمين.**

يُقتَلون مع نسائهم وأولادهم، ويكملون طريقهم!

يا شباب إيران الغيارى، قوموا بما ينبغي **لئلا تخجلوا غداً أمام النبي** صلى الله عليه وآله **!**

ينبغي على كل الهيئات أن يخرجوا، ويلطموا رؤوسهم وصدورهم، لتشييع جنازة المنادى عليه.. والباقي لا يمكن بيانه.. لا إله إلا الله.

---

(١) الأمالي للصدوق ص١٤٨.

الإمام الهادي عليه السلام

الإمام الهادي.. بحرٌ من العلم الزخّار

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

ثالث أيام هذا الشهر **شهادةُ أمينِ وحي الله تعالى**، مَن كانت عظمته العلميّة والعمليّة **تحيِّرُ عقلَ المتبحرين في مختلف العلوم**.

المهم هو أنّ وظيفتكم **معرفة الإمام، وطريق معرفته بالعلم**، وقد مرّ العمر وما غُصنَا في كلماتهم عليهم السلام، **ولم نحصَل حتى على قطرةٍ من بحر علمهم الزخار**.

الإعجاز العلمي هو أن أساس الدين ثلاث كلمات:

الكلمة الأولى: معرفة الله، والكلمة الثانية: معرفة رسول الله، والكلمة الثالثة: **معرفة خليفة الله ورسوله**، وهذه المباحث الثلاثة العميقة، تتبين على يد مستخرج اللئالي من بحر الحكمة الإلهية هذا، لذا أقرَأُ متن كلامه عليه السلام، ثم مَن كان أهلاً يتأمل ويرى أيّ أبواب تُفتَحُ منه:

فَتْحُ بْنُ يَزِيدَ الجُرْجَانِيُّ، قَالَ: ضَمَّنِي وَأَبَا الحَسَنِ الطَّرِيقُ حِينَ مُنْصَرَفِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى خُرَاسَانَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى العِرَاقِ، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: **مَنِ اتَّقَى الله يُتَّقَى، وَمَنْ أَطَاعَ الله يُطَاعُ**.

جُمِعَت في هاتين الجملتين كلُّ الوظائف العمليّة تجاه الخالق، سواءٌ القلبية والروحية، أو العملية، والإعجاز في العلم أن المطلب قد بُيِّن وقد بُيِّنَت ثمرته

---

(١) ألقيَ هذا البحث الأربعاء ٣٠ جمادى الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ٣٠-٤-٢٠١٤ م.

أيضاً، فمن اتقى الله اتقاه الجميع، فالأول هو العمل القلبي، والثاني هو ثمرة ذلك العمل:

وَمَنْ أَطَاعَ اللهَ يُطَاعُ: فمن أطاع الله يكون مُطاعاً، لا مطاعاً من البشر، **بل مطاعاً بقولٍ مطلق**، فثمرة الطاعة لله أن يصبح المُطيعُ **مطاعاً على الاطلاق**، وهذه بحارٌ من العلم والحكمة.

وبعد أن قال هذه الجملة قال: أَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ، وَأَوَّلُ مَا ابْتَدَأَنِي بِهِ أَنْ قَالَ: **يَا فَتْحُ مَنْ أَطَاعَ الخَالِقَ لَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ المَخْلُوقِ، وَمَنْ أَسْخَطَ الخَالِقَ فَأَيْقِنَ أَنْ يُحِلَّ بِهِ الخَالِقُ سَخَطَ المَخْلُوقِ**: ولما أنهى هذه المرحلة بدأ بالمرحلة التي ينبغي أن يدركها إبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى المسيح عليهم السلام:

وَإِنَّ الخَالِقَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ: قول هذه العبارة يحيّر العقل، وقد **أبطل بهذا النفي والاستثناء كلَّ ما حاكه البشر عن الله تعالى**، فالواصف هو، والموصوف هو، وما نُسِبَ لله تعالى من غيره من الواصفين كلُّهُ مردود، ثم ذكر البرهان، فإن **المدّعى توأمٌ للبرهان والاستدلال** الذي تدركه كلّ العقول عندما تصل إلى البلوغ:

وَأَنَّى يُوصَفُ الخَالِقُ الَّذِي تَعْجِزُ الحَوَاسُّ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ، وَالخَطَرَاتُ أَنْ تَحُدَّهُ، وَالْأَبْصَارُ عَنِ الإِحَاطَةِ بِهِ: والمدرَك على أقسامٍ ثلاثة ليس لها رابعٌ: إما مدرَكٌ بالحسّ، وهو إدراك المحسوسات، وإما مُدرَكٌ بالوهم، وهو إدراك الموهومات، فإنّ الصور الجزئية مدركاتٌ للحواس، والمعاني الجزئية مدركاتٌ للأوهام، وأما الحقائق الكليّة فهي مدركات الخطرات، وههنا تُطفَأ الأنوار الثلاثة: الحواس من الإحساس، والأوهام من التوهم، والعقول من

التعقُّل، ذاك المدَّعَى وهذا برهانه. ثم يوضحه أيضاً:

جَلَّ عَمَّا يَصِفُهُ الوَاصِفُونَ، وَتَعَالَى عَمَّا يَنْعَتُهُ النَّاعِتُونَ: جلّ وتعالى: الحُس يريد إدراكَه، وكلُّ الحواس مخلوقةٌ منه، فكيف يمكن أن يتمكن المخلوق من نَيل الخالق؟ وإذا أرادت الأوهام أن تتوهمه فهي أيضاً مصنوعةٌ منه، فأيُّ مصنوعٍ يمكنه إدراك الصانع؟ هذا البِناء لا يدرك البَنَّاء، وهذه الخريطة لا تُحِيطُ براسِمِها، وهذه الصورة لا تُدرِكُ مصوِّرَها.

نَأَى فِي قُرْبِهِ، وَقَرُبَ فِي نَأْيِهِ، فَهُوَ فِي نَأْيِهِ قَرِيبٌ، وَفِي قُرْبِهِ بَعِيدٌ: فهو بعيدٌ في عين قربه، وقريبٌ في عين بعده، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾، ومعيّته في حدِّ أن قربه يعني أنّه **معك في كل ذرةٍ من ذرات وجودك، ولو لم يكن لم تكن**، ولكن في عين الوقت مع كونه قريباً إلى هذا الحدّ، فإنه بعيدٌ إلى حدّ أن كل الموجودات مَحوٌ هناك، **أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُور**.

من جهةٍ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، ومن جهةٍ أخرى: **أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُور!**

والقيامة الكبرى في العلم هنا:

كَيَّفَ الكَيْفَ فَلَا يُقَالُ: كَيْفَ؟ وَأَيَّنَ الأَيْنَ فَلَا يُقَالُ: أَيْنَ؟ هو مُكَيِّف كلّ الكيفيات، فمَن كان مُكيّفَ الكّيف، كيف يمكن أن يقال (كيف هو)؟ فكلُّ كيفٍ من صناعته، وهو مؤيّن الأين، وخالق الأين والأينية، فكيف يقال عنه: أين؟

هذا هو الإمام العاشر، وهذه علامة الأنبياء من آدم إلى عيسى بن مريم، غاية الأمر **أنا كلّنا جاهلون، فمتى عرفناه؟!** ثم قال:

إِذْ هُوَ مُنْقَطِعُ الكَيْفِيَّةِ وَالْأَيْنِيَّةِ: روحي وأرواح العالمين لتراب مرقده الفداء، **بهم** عليهم السلام **يُعرَفُ الله**، فلو لم تصدر هذه البيانات منهم **لكنا في غوغاء المتوهمين، وفي أفكار المتفكرين**، وكلُّه مستغرقٌ **ومحجوبٌ عنه تعالى**، وهو عليه السلام الذي أفهمنا معنى: **الله أكبر**.

هُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ: لم يعد هناك وقتٌ لشرح هذه الكلمات، ابتدأ أولاً بـ: هو، لماذا؟ **هو يعرف، يا هو، يا من لا هو إلا هو.**

هوَ هو، وغيره كله (هذا)، و(هو) تنحصر بواحدٍ، ثم وصل إلى **(الْوَاحِدُ)** ثم **(الْأَحَدُ)**، وفي هذا الترتيب أيضاً (شقُّ القمر) فهو (واحدٌ أحد).

الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، فَجَلَّ جَلَالُهُ[1].

هذا إمام المذهب، إلى هذا الحدِّ **مجهولُ القدر حتى عندنا نحن**، فكيف إذا وصلت النوبة للآخرين؟! ثم في تتمة الحديث له كلامٌ عن الخاتم صلى الله عليه وآله، وقد أبطل عليه السلام جذور الوهابية بجملةٍ أخرى، وله كلامٌ أيضاً عن الإمامة، وقد أبطل كل المذاهب الأربعة بآيتين، هذا هو أمين الوحي.

إنّ وظيفة أهل العلم أن يُخرِجُوا الناس من خلف سحائب الجهل، إنّ مسؤوليتنا ثقيلة، فإذا سُئلنا أنا وأنت غداً ما الذي قدّمناه له عليه السلام **فماذا سنقول؟**

هنيئاً لمن يذهب إلى البلاد، ويعرف الناس به عليه السلام، **رحم الله من أحيا أمرَنا.**

هنيئاً لمن يرفع راية العزاء في يوم مصيبته، ويواسي وليّ العصر، ويضرب الصدر والرأس على أبيه عليه السلام، هنيئاً لمن يؤدي وظيفته العملية، وما حال من

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٣٨٦.

جلس جانباً بعيداً عن دوره ووصفه!

ينقل قطب الدين الراوندي علم الأعلام عن أبي هاشم الجعفري، قال: قلت: يا ابن رسول الله، أنا ساكنٌ في بغداد، وأنت في سرّ من رأى، فإذا أردتُ أن آتي لزيارتك وأعود إلى بيتي يستغرق ذلك أربعة أيام، فماذا أفعل مع شوق رؤياك وضعف بدني ودابتي العاجزة؟!

ولما رأى أنّ هذا المشتاق يتحدث هكذا بنيةٍ صادقةٍ قال له جملة واحدة هي: **قَوَّاكَ الله يَا أَبَا هَاشِمٍ وَقَوَّى بِرْذَوْنَك**[1]، بمجرد أن قال الإمام عليه السلام هذه الجملة صار هذا الرجل يصلي صلاة الصبح في بغداد، وصلاة الظهر في سامراء مقتدياً بالإمام العاشر، والعصر في بيته في بغداد، بهذه الجملة.

يروي أبو هاشم أيضاً فيقول: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام إِلَى ظَاهِرِ سُرَّ مَنْ رَأَى نَتَلَقَّى بَعْضَ القَادِمِينَ، فَأَبْطَئُوا، فَطُرِحَ لِأَبِي الحَسَنِ عليه السلام غَاشِيَةُ السَّرْجِ فَجَلَسَ عَلَيْهَا.. **فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ قُصُورَ يَدِي وَضِيقَ حَالِي، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَمْلٍ فَنَاوَلَنِي مِنْهُ أَكُفّاً** وَقَالَ: اتَّسِعْ بِهَا يَا أَبَا هَاشِمٍ، وَاكْتُمْ مَا رَأَيتَ.

فَخَبَأْتُهُ مَعِي، وَرَجَعْنَا **فَأَبْصَرْتُهُ فَإِذَا هُوَ يَتَّقِدُ كَالنِّيرَانِ ذَهَباً أَحْمَرَ.**

فَدَعَوْتُ صَائِغاً إِلَى مَنْزِلِي وَقُلْتُ لَهُ: اسْبُكْ لِي هَذَا، فَسَبَكَهُ وَقَالَ: **مَا رَأَيْتُ ذَهَباً أَجْوَدَ مِنْهُ**[2].

ذاك لسانهُ ودعوته، وهذه يدُه وفعله.

---

(١) الخرائج والجرائح ج٢ ص٦٧٢.

(٢) الخرائج والجرائح ج٢ ص٦٧٣.

الإمام الهادي.. أمينُ الله على وحيه

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

كان البحث في فروع نقل الخمس من بلدٍ لآخر..

ومِنَ الجهة العلمية فإنّ **القدر المتيقن من نواب إمام العصر في زمان الغيبة هو الأعلم من سائر العلماء**، فالأعلم هو المتيقن، ومع وجود الأعلم يكون **غير الأعلم مشكوكاً**، ومقتضى الأصل الاقتصار على القدر المتيقن في من ثبتت ولايته، فالكبرى هي الرجوع للأعلم.

أما من جهة الصغرى، فمن هو الأعلم؟ **وما هي طريق تشخيص الأعلم؟** هل الأعلم هو الأكثر اطّلاعاً؟ أم الأكثر تأليفاً كما ادّعى كاشف الغطاء؟

الحقُّ في المسألة أن كثرة التأليف ليست المناط، ولا الأمور الأخرى التي ذُكِرَت هي المناط، **فمناط الأعلمية هو كونه الأدقّ نظراً في المسائل الفقهية**، فكلُّ من كانت دقّة نظره وعمق فكره أكبر فهو أعلم العلماء، هذه الكبرى وهذه الصغرى.

العلمية واضحةٌ، مَن كان من أهل العلم فإنّه قادرٌ شاء أم أبى على تشخيص أنّ هذا **الدرس أدق أو ذاك الدرس، هذا الفكر أو ذاك الفكر**، هذه هي الطريق، فلا كثرة التأليف هي المناط ولا الشهرة والاسم، فتمام المناط هو عبارةٌ

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأحد ٢ رجب ١٤٣٧ هـ الموافق ١٠-٤-٢٠١٦ م، وبعدما تعرَّض سماحة الشيخ لبعض المسائل الفقهية تعرَّض لجملةٍ من المطالب الاعتقادية ثم عرّج على ذكرى شهادة الإمام الهادي عليه السلام.

عن **تحصيل السَّعة العلمية والدقة النظرية.**

لم يكن عند المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي أيّ مؤلّف، لكن بعد وفاة المرحوم السيد أبو الحسن الاصفهاني، فإن السيد الميلاني أرجعَ أقاربه للسيد الشيرازي، **لأنه كان أدقّ نظراً.**

هذه المسألة هي المدار في التقليد من حيث الكبرى حيث ينبغي الرجوع للأعلم، ومن حيث الصغرى فإنّ الأعلمية والأدقية هي في الآراء العلمية، كما لو صِرتَ مريضاً وتعدد الأطباء، فلمن ينبغي الرجوع؟ **للأعلم في الطب في هذا المرض.**

ولو كان الأعلم تقياً، فإن كون غيره أتقى ليس مرجحاً لغيره، نعم **لو كانا في مستوىً واحدٍ في العلميّة فإن الأتقى مرجح،** لكن هذه الأرجحية لا تعيّن الرجوع إليه، فإن كان الآخر الأعلم تقياً فإنه يكفي بمقدار كونه عادلاً، ولا يلزم الأعدل، لكن **الأعلمية لازمة.**

هذا ثابتٌ بالفطرة في كل الأمور، فمَن مرِضَ عليه الرجوع للخبراء في الطب، ومن ابتُلي بمعاملات الأرض ينبغي أن يرجع للمهندس المعماري، وفي كل هذا **إن كان هناك اختلافٌ بين الأعلم وغير الأعلم فإنّ الفطرة حاكمةٌ بالتبعيّة للأعلم.**

وهذه الفطرة في الفقه هي الأصل في المطلب، ويمكن استفادة ذلك من الآيات: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجات﴾.

أما هذه الدنيا، **فقد اختلط الحابل فيها بالنابل، فصار عليٌّ جليس بيته وهو**

أعلم من في الأرض!

يُروى أن الخضر لما لاقى موسى عليه السلام: أَقْبَلَ طَائِرٌ عَلَى هَيْئَةِ الخُطَّافِ، فَنَزَلَ عَلَى البَحْرِ، وَأَخَذَ بِمِنْقَارِهِ فَرَمَى بِهِ إِلَى الشَّرْقِ، ثُمَّ أَخَذَ ثَانِيَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى الغَرْبِ، ثُمَّ أَخَذَ ثَالِثَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى الشَّمَالِ، ثُمَّ أَخَذَ رَابِعَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى الجَنُوبِ، ثُمَّ أَخَذَ خَامِسَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَخَذَ سَادِسَةً وَرَمَى بِهَا إِلَى الأَرْضِ، ثُمَّ أَخَذَ مَرَّةً أُخْرَى فَرَمَى بِهَا إِلَى البَحْرِ.

وَجَعَلَ يُرَفْرِفُ وَطَارَ.. إِذْ بَعَثَ الله مَلَكاً فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ.. قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ (أي الطائر): وَحَقِّ مَنْ شَرَّقَ المَشْرِقَ، وَغَرَّبَ المَغْرِبَ، وَرَفَعَ السَّمَاءَ، وَدَحَى الأَرْضَ، لَيَبْعَثَنَّ الله فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَبِيّاً اسْمُهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وَلَهُ وَصِيٌّ اسْمُهُ عَلِيٌّ عليه السلام **وَعِلْمُكُمَا جَمِيعاً فِي عِلْمِهِ، مِثْلُ هَذِهِ القَطْرَةِ فِي هَذَا البَحْرِ**[1].

هذا عليٌّ عليه السلام، لكن بعد رسول الله **جلس عُمَرُ مكانه! أجلسوه وهو لم يكن يعرف مسائل الصلاة!** لم يكن يعرف مسألة الكلالة في الإرث!

هذه الفطرة.. لقد **كان عليٌّ** عليه السلام **الأعلمَ في كلّ شيء**، لكنّ المسلمين بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله **عَمِلُوا خلاف هذه الفطرة**، ومن العجائب أنّ صحيح البخاري ينقل في ثلاث موارد عن الخاتم صلى الله عليه وآله نفسه: **عليٌّ مني وأنا من علي.**

فبماذا يجيب شيخ الأزهر؟ ان اجتمع كل علماء الحجاز وأجابوا على هذا السؤال.. **فأنا أوّلُ سني!**

---

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن شاذان القمي ص١٥٣.

من جهةٍ **عليٌّ أعلمُ الكلّ بإجماع الكل!** ومن جهةٍ أخرى أبو بكر يقول بإقراره: **وُلِّيتُكُم ولست بخيركم!** ان زغت فقوِّمُوني!

هذا إقرار أبي بكر، أما عمر فكان فعله أسوأ من أبي بكر، فقد صار خليفةً وهو لا يعرف الصلاة! ثمّ عثمان.. وأمره غير قابل للبيان!

فلنعلم قيمة هذه النعمة التي نحن فيها، ولا نحيد عن طريق عليٍّ وأولاده!

غداً شهادة الإمام العاشر عليه السلام، فهل عرفنا نحن الإمام العاشر؟

ورد في حديث اللوح تعبيرُ الله تعالى عن الإمام العاشر عليه السلام بأنّه: **أَمِينِي عَلَى وَحْيِي**: أي أنّ الوحي المنزل على ١٢٤ ألف نبي **كلُّه عند الإمام العاشر** عليه السلام، فثبت بقول الله تعالى (**أَمِينِي عَلَى وَحْيِي**) أنّ **أمين كلّ الوحي من آدم** عليه السلام **إلى الخاتم** صلى الله عليه وآله **هو الإمام علي النقي** عليه السلام.

فهل فَهِمنا هذه الكلمة؟ ما هي معرفتنا نحن بإمامنا العاشر؟ قبل أن تصل النوبة للآخرين.

لقد صمّم المتوكل على إذلال الإمام عليه السلام، والمتوكل العباسي بلا دين، وكان قد بنى الملوية في سامراء، وكان يصعد بالحصان إلى قمتها، وكلّ رجال البلد كانوا أسفلها، وكان يعطي أمراً أن يكونوا جميعاً مشاةً وهو الراكبُ وحده، وكان الإمام العاشر يسير مشياً في ركاب المتوكل، فسأله عن حاله فأجاب: **أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ نَاقَةِ صَالِحٍ ﴿تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾**[1]، وهذا وعدٌ ليس في طريقه كذب، وفي الليلة الثالثة قَتَلَ ابنُ المتوكل أباه، هذه هي

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ص٣٦٣.

الإحاطة.

في أيام المتوكل كانت أمور الجيش قد أنيطت بالأتراك، وكان رأس ورئيس الترك (بغاء) ويروي أبو هاشم الجعفري أنّ الإمام عليه السلام قال:

اخْرُجُوا بِنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى تَعْبِيَةِ هَذَا التُّرْكِيِّ، فَخَرَجْنَا فَوَقَفْنَا، فَمَرَّتْ بِنَا تَعْبِيَتُهُ، فَمَرَّ بِنَا تُرْكِيٌّ فَكَلَّمَهُ أَبُو الحَسَنِ عليه السلام بِالتُّرْكِيَّةِ، فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، فَقَبَّلَ حَافِرَ دَابَّتِهِ، قَالَ: فَحَلَّفْتُ التُّرْكِيَّ وَقُلْتُ لَهُ: مَا قَالَ لَكَ الرَّجُلُ؟

قَالَ: هَذَا نَبِيٌّ. قُلْتُ: لَيْسَ هَذَا بِنَبِيٍّ. قَالَ: **دَعَانِي بِاسْمٍ سُمِّيتُ بِهِ فِي صِغَرِي فِي بِلَادِ التُّرْكِ مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ إِلَى السَّاعَة**[1].

أيُّ إحاطةٍ هي هذه؟ الإمام العاشر عليه السلام في سامراء مطَّلِعٌ على كلّ شيء، غاية الأمر، أن **الجهل قد أصاب الجميع!**

ولو كان هناك عِلمٌ لكان ينبغي على هذه الدولة أن تكون من رأسها لقدمها صفاً ولواءً واحداً في العزاء والمأتم!

قولُ هذه العبارة سهلٌ، لكن معرفتها من أصعب الأمور: **أَمِينِي عَلَى وَحْيِي**، عليُّ بن محمد الهادي عليه السلام.

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ص٣٦٠.

الإمام العسكري عليه السلام
الإمامُ محيطٌ بعوالم الوجود

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

ونحن على مشارف شهادة الأمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، **فإنّ معرفة الامام من أوجب الواجبات**. وهنا **بحثان**:

أحدهما: البحث الكبروي: **من هو الإمام؟**

ثانيهما: البحث الصغروي: **من هو الإمام الحادي عشر؟**

وكلُّ واحدٍ منهما بحرٌ لا يُدرك قعره. أما: **من هو الإمام؟**

الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِه[2]، ولهذه الجملة شرحٌ مفصل، فهناك تعابير ثلاثة: الأول هو الزمان: وهو وعاء الزمانيات والماديات، والثاني هو الدهر: وهو وعاء المجردات، والثالث هو السرمد، ولكلّ عبارةٍ شرحٌ مفصل، **فالإمام واحدُ دهره، لا واحدُ زمانه فقط،** فيكون الزمان والزمانيات مشمولان، **وكذلك المُجرَّدات عن الزمان، كلّها تحت سيطرة أوامر وليّ العصر**. ويكون المستثنى هو (السرمد) فقط، وهو المرتبط بذي الجلال والاكرام.

لذا قال: **الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِه،** لا واحد زمانه، لأنه يشمل الزمانيات والمجرّدات فهي تحت سيطرة قطب دائرة الوجود، **هذه الكبرى.**

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم الأحد ٧ ربيع الأول ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٦-١١- ٢٠١٧ م.

(٢) عن الإمام الرضا عليه السلام كما في الكافي ج١ ص٢٠١.

أما الصغرى: مَن هو الامام الحادي عشر؟

الأمر محيِّرٌ، شابٌ في سن الثمانية والعشرين، **ورد التعبير عنه في حديث اللوح بما يحيّر العقل،** حتى توقف في فهم هذه الكلمة أمثال الشيخ الطوسي والشيخ الأنصاري، وتعبير حديث اللوح عن الإمام الحادي عشر هو:

الخَازِن لِعِلْمِي(١): إن قول هذه الجملة **يُحيِّرُ العقول،** غاية الامر أنه لا فقه! **فَفِقهُ الله الأكبر معرفة الامام.**

إنّ علمَ الله تعالى هو **العلمُ الذي لا يعزب عنه مثقال ذرّة،** فالعلم الربوبي يحير العقل! وتعبير حديث اللوح عن الإمام الحادي عشر محيّر: **الخَازِن لِعِلْمِي!**

ذاك العلم الذي ﴿**وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ كلُّه مخزونٌ عند هذا الشاب ذي الثمانية والعشرين عاماً، فهو **الخَازِن لِعِلْمِي**.

ينبغي أولاً معرفة كلمة (الخازن)، وثانياً (علمي).

الخزينة والخزانة محيطةٌ، **فهو** عليه السلام **المُحيط.. لكن بأيِّ مُحَاطٍ؟ إنه محيطٌ** (**بعلم الله**)، وعلم الله تعالى **لا حدَّ له ولا عدَّ له، فما هو مقام المحيط بما لا حدَّ له ولا عدَّ له؟** هذا تعبير حديث اللوح.

أما العبارة التي وردت في زيارته المعتبرة فإنها تحيّر العقل أيضاً: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ الله فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْض**: هذا هو الإمام الحادي عشر، إنه نور الله، إذا فهمنا آية النور: ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

الزيارة هي الصغرى في القياس، والآية هي الكبرى، ونتيجة هذا القياس

---

(١) الكافي ج١ ص٥٢٧.

من الشكل الأول هو أن هذا **الشاب ذو الثمانية والعشرين عاماً محيطٌ بتمام عوالم الوجود.. هذه شَمّةٌ من حديث اللوح وَمِمَّا ظهر من مقامه.**

روى أبو هاشم: إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ عليه السلام (العسكري) رَكِبَ يَوْماً إِلَى الصَّحْرَاءِ فَرَكِبْتُ مَعَهُ، فَبَيْنَا نَسِيرُ وَهُوَ قُدَّامِي وَأَنَا خَلْفَهُ **إِذْ عَرَضَ لِي فِكْرٌ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَيَّ** قَدْ حَانَ أَجَلُهُ، فَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ قَضَاؤُهُ، فَالتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: **يَا أَبَا هَاشِمٍ الله يَقْضِيهِ.** ثُمَّ انْحَنَى عَلَى قَرَبُوسِ سَرْجِهِ فَخَطَّ بِسَوْطِهِ خَطَّةً فِي الأَرْضِ وَقَالَ: **انْزِلْ فَخُذْ وَاكْتُمْ.**

فَنَزَلْتُ فَإِذَا سَبِيكَةُ ذَهَبٍ، قَالَ: فَوَضَعْتُهَا فِي خُفِّي وَسِرْنَا فَعَرَضَ لِيَ الفِكْرُ.

فَقُلْتُ: **إِنْ كَانَ فِيهَا تَمَامُ الدَّيْنِ، وَإِلَّا فَإِنِّي أُرْضِي صَاحِبَهُ بِهَا، وَيَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ الآنَ فِي وَجْهِ نَفَقَةِ الشِّتَاءِ** وَمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ مِنْ كِسْوَةٍ وَغَيْرِهَا.

فَالتَفَتَ إِلَيَّ ثُمَّ انْحَنَى ثَانِيَةً وَخَطَّ بِسَوْطِهِ خَطَّةً فِي الأَرْضِ مِثْلَ الأُولَى ثُمَّ قَالَ: **انْزِلْ فَخُذْ وَاكْتُمْ.** قَالَ: **فَنَزَلْتُ وَإِذَا سَبِيكَةُ فِضَّةٍ فَجَعَلْتُهَا فِي خُفِّيَ الآخَرِ**[1].

ماذا تعني هذه الجملة: **يَا أَبَا هَاشِمٍ الله يَقْضِيهِ؟ ثم هكذا يقلِبُ التراب إلى ذهبٍ وفضة! فمتى عرفناه** عليه السلام، هذه القضية محيرة، فهو **أولاً محيطٌ بتمام الأفكار، وثانياً: مُقَلِّبُ جواهر الوجود.**

لقد قال أنّ الله يقضي دينك، وانحنى فخطّ بسوطه الأرض، ومعنى ذلك: **أنا يد الله، أنا يدُ قدرة الله الذي يقضي دينك،** هذا هو الامام الحادي عشر، وحياته تُحيِّر العقل.

---

(١) الخرائج و الجرائح ج١ ص٤٢١.

وظيفتكم جميعاً إرشاد الناس، ببيان عظمته، فهو **الخَازِن لِعِلْمِي**، ماذا يعني ذلك؟ إنّ كل خزينةٍ محيطةٌ وما يُخَزَّن فيها مُحاطٌ به، **فهل للشيخ الطوسي والشيخ الأنصاري قدرة إدراك مقام مَن كان محيطاً بعلم الله؟**

هذا البلدُ بلدُ إمام الزمان، وكلّكم قد جلستم على مائدة سفرة إحسانه، فماذا فعلتم لأجل أبيه؟!

نحن يا وليَّ العصر ليس لنا إلا القصور والتقصير.

إن شاء الله تخرج كل الهيئات يوم شهادته، ولا يَدَعوا هذه الفرصة تفوتهم، **ففي خروج كل هيئة تسليةٌ لوليّ العصر وهو قطب دائرة الإمكان.**

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه، في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظا وقائداً وناصراً، حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً. آجرك الله يا بقية الله بمصابك بأبيك أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

الإمام المهدي عليه السلام

المهديّ.. محقِّقُ كلّ حق

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

مع اقتراب تعطيل الدروس، وأيام شعبان وشهر رمضان، ينبغي على كلِّ واحدٍ منكم أن يهيء نفسَهُ، **لأنَّ المسؤولية ثقيلةٌ جداً، وسيأتي يوم الحسرة والندامة.**

إنّ رأس المال الغالي الذي لا يمكن معرفة قيمته آخِذٌ في الزوال، فينبغي تحديدُ أفضل عَمَلٍ اليوم، وينبغي تحصيل أعلى مقامٍ ممكن، وطريق معرفة ذلك هم هُداة الأمر عليهم السلام.

هذه **الرواية محيّرةٌ لأهل الفقه والرجال والحديث:** يَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَة، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: **عَالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ أَلْفَ عَابِدٍ**[2].

السند في كمال الاعتبار، فَرِجالُهُ موثَّقُون، ويشتمل على ابن أبي عمير، وهو الذي أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه، أمّا **مضمون الحديث الذي يحير كلّ فقيهٍ متبحّر،** فإنّه يدلّ على أنّ **عبادة سبعين ألف عابدٍ ممن قُبِلَت عبادتهم عند الله** في كفة الميزان يوم غدٍ **تكون مرجوحةً، ويَرجُحُ عليها عِلمُ عالمٍ يُنتَفَعُ بعلمه، فأيُّ فرصةٍ هذه التي تذهب من يدنا؟**

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم ١٨ رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٩-٥-٢٠١٣ م.

(٢) بصائر الدرجات ج١ ص٦.

إنّ في هذا الزمن **مسؤوليةٌ صعبةٌ، وهي حِفظُ أيتام أهل البيت من الشبهات**، مع المشاكل المادية والشبهات الاعتقادية، **فما أهمية صيانة هؤلاء الأيتام في هذا الزمن لمن تفقه خلال العام**، وما يوجب ذلك عليهم؟

قال تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، و﴿الم﴾ من الحروف التي يتركب منها الإسم الأعظم المخفي، وهو معهم عليهم السلام، فتبدأ الآية بمثل هذه الجملة، ثم بإسم الإشارة البعيد ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾، وتخصُّ عدم الريب بطبقةٍ خاصّة، حيث حُرِمَ الجميع إلا هذه الطائفة ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فَمَن هم هؤلاء؟ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

وفي نظم وترتيب كلام الله إشاراتٌ لأهل التحصيل والتأويل، فذَكَرَ أولاً الإيمان بالغيب، وثانياً إقامة الصلاة، وثالثاً ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ وكان بيان الإمام: **مِمَّا عَلَّمْنَاهُمْ يَبُثُّون**.

هذه **وظيفتكم فرداً فرداً**، أن تستفيدوا من فرصة هذه العطلة، **لتحكيم العقائد، وتهذيب الأخلاق، وتعليم الأحكام**، انشروا هذه الأمور الثلاثة فهي الحدُّ الأعلى **للاستفادة يوم الحسرة الكبرى، وحَصِّلُوا شأناً عند الله في هذه الأيام.**

ما هي الطريق لذلك؟ ماذا ينبغي أن تعملوا؟ إنّ أنفاسَنا لا تنفع، وفي هذا الزمن ينبغي الحصول على مساعدةٍ، فما هي طريق المساعدة؟

إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما أبداً.

---

(١) البقرة١-٣.

تمسّكوا بالقرآن، وبإمام الزمان فهو روح القرآن، وإلى أيّ مكانٍ ذهبتم أوصوا الناس أولاً أن يقرؤوا القرآن كل يوم ولا يتركونه، لأنّه دون **بَذرة الهداية والتعليم لا يمكن الوصول إلى الثمرة أبداً، فالقرآن ربيع القلوب**، يحي قلبَكم وقلبَ من يستمع إليكم بعد رياح الربيع، فتدخل الآية المحكمة والفريضة العادلة والسنة القائمة للقلوب وتثمر.

يجب أن **يكون الهدف أمرين لا ثالث لهما: أحدهما الله تعالى، والآخر طريق الله**، وينبغي أن يُشطَبَ على كلّ أحدٍ وشيءٍ غير الله وصراط الله.

الله سبحانه وتعالى مَن مِنهُ الوجود، وإمام الزمان مَن بِهِ الوجود، هذا الابتداء، وما يُبتَدَأُ به، وليس لأحدٍ آخر أثرٌ ولا محلٌّ ولا مكانة.

عَرِّفُوا الناس بالله تعالى، وبَيِّنوا لهم آيات الله ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ** حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَق﴾.

للأسف أنّا لم نفهم القرآن، إنّ **طريق التبليغ والهداية هي آيات الله في الآفاق والأنفس**، فأروها لهم حتى **تُزيلَ الحجب وتستيقظ الفطرة** ﴿وَفي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ﴾.

إنّ النظر في آيات السماوات والأرض يُعَرِّفُ النفوس والقلوب بالحق.

عرِّفُوا الناس بإمام الزمان، وبطريق معرفته، فما هي طريق معرفته؟ ما هي الطريق إليه؟ لأن **الوصول إلى الله بغيره محال**.

أَنْتُمُ السَّبِيلُ الْأَعْظَمُ، وَالصِّرَاطُ الْأَقْوَم: اقرؤوا الزيارات وافهموها وبيِّنوها

للناس، من هو عليه السلام؟ سنقرأ متن عدَّةِ كلماتٍ من الزيارات، عسى أن يُشرِقَ نورُ معرفةِ الله تعالى في القلوب:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ الله: وعندما يظهر تُظَلِّلُه غمامةٌ، وينادي منادٍ: **هَذَا المَهْدِيُّ خَلِيفَةُ الله فَاتَّبِعُوه**: فماذا يعني (خليفة الله)؟

يا من لا يعلم ما هو إلا هو، فمَن كان خليفةً ومستخلَفاً عنه تعالى هل يمكن وصف مقامه؟ هذا أولاً.

وثانياً (وخليفة آبائه المهديين) فكلّ ما كان عندهم جُمِعَ في وجوده عليه السلام.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ الله الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ: فلا طريق لله تعالى إلا من طريقه.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَبِيلَ الله الَّذِي مَنْ سَلَكَ غَيْرَهُ هَلَكَ: وليس هناك من استثناء، فهو حصرٌ مطلق.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ الله الَّذِي لَا يُطْفَى: في كلّ القرآن سورةٌ واحدة عن النور، وفيها آيةٌ عن النور، **والنور في تلك الآية هو الحجة بن الحسن صاحب الزمان** عليه السلام.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ الله الَّتِي لَا تَخْفَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ الله عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ: فليس من أحدٍ خارجٌ عنها، من حَمَلَةِ العرش إلى أسفل السافلين.

السَّلَامُ عَلَيْكَ سَلَامَ مَنْ عَرَفَكَ بِمَا عَرَّفَكَ بِهِ الله، وَنَعَتَكَ بِبَعْضِ نُعُوتِكَ الَّتِي

أَنْتَ أَهْلُهَا وَفَوْقَهَا[1]: هذه إشاراتٌ فقط، ماذا تعني هذه الجملة؟ تعني أن كلّ ما عرَّفهُ الله عنه فهو (بعض نعوته)، وأنّه هو فوق كلّ ذلك! فهل عرفناه؟!

فكلُّ ما قاله الله تعالى دون مقامك.

يا ولي العصر، سامحنا، فلم نعرفك، ولم نُعرِّف الناس بك، مَرَّ العمرُ ولم نفهم. وختم الكلام هنا: **أَشْهَد.. أَنَّكَ خَازِنُ كُلِّ عِلْم!**

تدبروا في القرآن ﴿وَما أُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَليلاً﴾، فكلُّ علوم الأولين والآخرين قليلة، بينما صار عليه السلام خازناً لكل علم، فما من علمٍ إلا وفي مخزن وجوده.

وَفَاتِقُ كُلِّ رَتْقٍ، وَمُحَقِّقُ كُلِّ حَقٍّ: هذه الكلمة التي ليس له فيها شريكٌ من الأولين والآخرين، فكلُّهُم محقّقون، لكن لبعض الحق، ومبطِلون، لكن لبعض الباطل، أمّا **الوحيد الذي يحقق طبيعيّ الحق في العالم فهو** عليه السلام، **كُلِّيٌّ منحَصِرٌ بفرد**، يُزيلُ كلّ فردٍ من أفراد الباطل.

هذا هو عليه السلام، مُحِقُّ كلّ حقٍ، ومبطل كلّ باطل.

وعندما جاء إلى الدنيا قال هذه الكلمة: **﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾**.

إن شاء الله تحيون اسمه في أيام التعطيل هذه، في المدارس والمجالس، فإذا نَظَرَ نظرةً يقلب العالم.

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه، في هذه

---

(١) المزار الكبير لابن المشهدي ص٥٨٦.

الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً، حتى تسكنه أرضك طوعاً، وتمتعه فيها طويلاً، **اللهم لا تفرّق بيننا وبينه أبداً.**

المهدي طاووس أهل الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

اللَّهُمَّ بِحَقِّ لَيْلَتِنَا هَذِهِ وَمَوْلُودِهَا: أيُّ ليلة هذه الليلة؟

إنّ أهمية كلِّ ظرفٍ ترتبط بمظروفه، وليلة نصف شعبان **ظَرفُ وجودِ وميلاد من لا يُدرَك ولا يوصف**، وللأسف فإنّ العمر قد انقضى ولم نَعرف ولم نصل!

العقل مبهوتٌ وحيرانٌ في شخصية إنسانٍ وردت في شأنه كلمتان:

الكلمة الأولى: **الْمُنْتَهَى إِلَيْهِ مَوَارِيثُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَدَيْهِ مَوْجُودَةٌ آثَارُ الْأَصْفِيَاء**، ولا يتأتّى شرح هاتين الكلمتين مِن كلّ أحد.

أما الكلمة الأولى: **الْمُنْتَهَى إِلَيْهِ مَوَارِيثُ الْأَنْبِيَاءِ**، فما هي مواريث الأنبياء؟

الإرث الأوّل: إرث آدم، وهو ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾.

والإرث الثاني: ما كان عند نوحٍ فكلّه عنده.

والثالث إرث إبراهيم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ **بِكَلِمَاتٍ** فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٢)، وكلُّ هذه

---

(١) ألقيَ هذا البحث يوم السبت ١٤ شعبان ١٤٣٧ هـ الموافق ٢١-٥-٢٠١٦ م.

(٢) البقرة ١٢٤.

الكلمات في صدره.

والرابع إرث موسى كليم الله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾[١]، وهو الذي تمنى أن يعيطه الله تعالى مقامات الحجة بن الحسن، فأُجِيب: **أين أنت وأين هو؟**

هذا إمام الزمان، وظيفتكم جميعاً معرفته، وتعريف الناس به.

عيسى بن مريم تمنى أن يبقى حياً حتى يصلي خلفه، وقد اتفق العامة والخاصة على أن **مَن أمَّ قوماً وفيهم مَن هو أفضل منه لا يزال أمرُهم إلى سفال.**

فعندما يظهر عليه السلام يكون **افتخارُ عيسى بن مريم** عليه السلام **وشَرَفُه أن يكون أوّل مأمومٍ لهذا الإمام**، ويكونُ حاملَ لواء جيشه، وهو الذي قال فيه تعالى: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ **وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾، فهو في القرآن كلمة الله وروح الله ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ **مِن رُّوحِي**﴾، وهو الذي تكلم في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[٢].

العقل حيرانٌ، فعنده عليه السلام مواريث الأنبياء من آدم عليه السلام للخاتم صلى الله عليه وآله، ومواريث تمام الأوصياء من هبة الله شيث إلى أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، **وكلُّ هؤلاء قد بيّنوا حرفين من العلم، لكنّه** عليه السلام **يأتي بـ ٢٨ حرفاً من العلم**، ويضع يده على رؤوس العباد، وكلُّ رأسٍ يخرج من تحت يده يصبح فيه عقل أربعين رجلاً، **هذه بركة يده.**

---

(١) مريم٥٢.

(٢) مريم٣٠.

نص القرآن: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾، **وفي التفسير المعتبر** عن الإمام المعصوم أنّ **نور الرب الذي أشرق على الأرض هو الإمام الحجة** بن الحسن عليه السلام، فأيُّ مقامٍ هو هذا؟

لقد نقل العامة والخاصّة الرواية التالية: **المَهْدِيُّ طَاوُسُ أَهْلِ الجَنَّة**، الجنة التي هي مركز الجمال والكمال، وهي التي يُعطى لأهل الخلد فيها ما هو أعلى من جمال يوسف، كلُّ ذلك يُمحَى أمام جماله.

في الجنة التي تضمُّ آدم إلى الخاتم صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين إلى الحسن بن علي العسكري عليهم السلام، **طاووس أهل هذه الجنة هو صاحب العصر!** ههنا يحار العقل.

يذكر الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد هذا الدعاء لهذه الليلة:

اللَّهُمَّ بِحَقِّ لَيْلَتِنَا وَمَوْلُودِهَا: أيُّ مولود؟ الذي إذا ولد: بَعَثَ الله مَلَكاً فَكَتَبَ عَلَى عَضُدِهِ **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً﴾**، وكلُّ كمالات البشر من آدم للخاتم صلى الله عليه وآله تنتهي إلى كلمتين: الصدق والعلم للروح، والعدل للجسم.

المسيح كلمة الله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ﴾، وهذه الكلمة قد تمّت هذه الليلة **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾**.

في هذه الليلة أشرَقَت الأرض بنور ربها وهو الحجّة بن الحسن عليه السلام، وهو الذي جُمِعَ فيه شيئان من الخاتم صلى الله عليه وآله: **اسْمُهُ اسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي**، وهذه لم تُجمَع لأحدٍ حتى للأئمة عليهم السلام، وأُعطِيَ اسمُ الخاتم وكنيته حصراً لمولود هذه الليلة.

لكن الأهم من ذلك، اقرؤوا القرآن وتأملوا قوله تعالى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالقَمَرَ نُوراً﴾ فعبر عن الشمس بالضياء، وعن القمر بالنور، لكن أين نور

القمر وأين ضياء الشمس من نور الله تعالى وضيائه؟ **وإمام الزمان هو نور الله وضياؤه المُشرِق**، فهو شمسٌ وقمرٌ لكن ليسَ قمر السماء، ولا شمس الفلك، إنما **شمس الله وقمر الله**، هذا ولي العصر، **فأين مَن يعرفه؟!** وأيُّ عقلٍ تصل يده إلى مقامه؟

هنيئاً لأولئك الذين صاروا في محلّ ومورد عنايته، وهنيئاً لمن يكون قرب قبر جده الحسين عليه السلام هذه الليلة، فهو أيضاً عليه السلام هذه الليلة قرب قبره عليه السلام.

دلّ الحديث الصحيح السند والذي يحيِّرُ العقل أنّه ما مِن ملكٍ مقرّب كجبرائيل وميكائيل وإسرافيل، ولا نبيٍّ مرسَلٍ كموسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام، إلا ولهم حاجةٌ واحدةٌ وهي أن يأذن الله تعالى لهم بزيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام.

عَنِ الحُسَيْنِ بْنِ بِنْتِ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ فِي آخِرِ زَمَانِ بَنِي مَرْوَانَ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ عليه السلام مُسْتَخْفِياً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى كَرْبَلَاءَ، فَاخْتَفَيْتُ فِي نَاحِيَةِ القَرْيَةِ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ **أَقْبَلْتُ نَحْوَ القَبْرِ**، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ أَقْبَلَ نَحْوِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: **انْصَرِفْ مَأْجُوراً فَإِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ.**

فَرَجَعْتُ فَزِعاً حَتَّى إِذَا كَادَ يَطْلُعُ الفَجْرُ أَقْبَلْتُ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ مِنْهُ خَرَجَ إِلَيَّ الرَّجُلُ فَقَالَ لِي: **يَا هَذَا إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ.**

فَقُلْتُ لَهُ: عَافَاكَ الله، وَلِمَ لَا أَصِلُ إِلَيْهِ؟ وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الكُوفَةِ أُرِيدُ زِيَارَتَهُ، **فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَافَاكَ الله**، وَأَنَا أَخَافُ إِنْ أَصْبَحَ فَيَقْتُلُونِّي أَهْلُ الشَّامِ إِنْ أَدْرَكُونِي هَاهُنَا.

قَالَ: فَقَالَ لِيَ: اصْبِرْ قَلِيلاً، **فَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ** عليه السلام **سَأَلَ الله أَنْ يَأْذَنَ لَهُ**

فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَأَذِنَ لَهُ، فَهَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ فِي سَبْعِينَ الفَ مَلَكٍ[1].

فهذه حاجة موسى بن عمران يطلبها تحت قبّة سيّد الشهداء، وهو الذي جُعِلَت إجابة الدعاء تحت قبّته، **هذا إمام الزمان وهذا جده** عليهما السلام.

في هذه الليلة يأتي للدنيا من كان موعود ١٢٤ ألف نبيّ، **يأتي للدنيا من بوجوده تمّت الكلمة، وعظمت النعمة**، ولما جاء للدنيا ﴿**تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ**﴾، فقد تجلى صدق وعدل الله تعالى في وجود مولود نصف شعبان.

هذه الليلة، في الساعة الحادية عشر، ينبغي على الجميع تلاوة دعاء الفرج، باسم الامام الحادي عشر عليه السلام، عسى أن يكون بين كلّ هذه النفوس التي ترفَعُ يديها للدعاء شخصٌ مورد عنايته عليه السلام، وببركة نفسه ينظر إلينا جميعاً نظرة لطف.

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً.

المهدي ضياء الله ونوره

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

ليلة النصف من شعبان على الأبواب، **لا الظَّرفُ فيها قابلٌ للبيان ولا المظروف!**

إنّ أهمية الزمان تُعرَفُ بوقوع الحدث فيه، والمظروف في ليلة النصف من

---

(١) كامل الزيارات ص١١٢.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم الثلاثاء ١٤ شعبان ١٤٣٩ هـ الموافق ١-٥-٢٠١٨ م.

شعبان هو **أملُ جميع الأنبياء من آدم للخاتم** صلى الله عليه وآله.

ونحن **لسنا أبداً في المرتبة التي نُدرِكُ فيها عظمة تلك الليلة، ولا المولود الذي وُلِدَ فيها.**

وإن أراد أحدٌ معرفته ففي كلمتين: **ضياء الله المشرق ونوره المتألق.**

يحار الجميع في هاتين الكلمتين، من الشيخ الطوسي الى الشيخ الأنصاري.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً**﴾، فالشمس ضياءٌ والقمر نورٌ، لكن **الإمام** عليه السلام **ضياءٌ ونورٌ معاً**، ولكن أيّ ضياء؟! **ضياء الله ونور الله!**

في القرآن المجيد سورةٌ باسم سورة النور، وهذه السورة مشتملةٌ على آية النور، وتفسير تلك الآية قد ورد عن سادس الائمة عليه السلام في الآية المباركة ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ أنه **القائم المهدي** عليه السلام.

الذات القدوس تعالى يهدي لنوره من يشاء، عندما: **يَخْرُجُ المَهْدِيُّ وَعَلَى رَأْسِهِ غَمَامَةٌ فِيهَا مُنَادٍ يُنَادِي: هَذَا المَهْدِيُّ خَلِيفَةُ الله فَاتَّبِعُوهُ**[1]، هذا المهدي، لكن أيُّ مهدي؟! خليفة الله.

إنّ ظهورَه وظهورَ حكومة الله تعالى للوجود فوق التقرير والبيان: **بِيُمْنِهِ رُزِقَ الوَرَى، وَبِوُجُودِهِ ثَبَتَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاء..**

لا شكَّ أن الامام ينبغي أن يكون بحكم العقل والشرع **أفضل من المأموم،**

(١) كشف الغمة ج٢ ص٤٧٠.

ودليل هذا المدعى في نص القرآن: ﴿أَفَمَنْ يَهْدي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى﴾[1]، والمهم هو فقه الحديث، وهاتان الجملتان كافيتان اليوم لأهل التدبر.

من هو عيسى؟ قال تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ﴾[2]، وعيسى هذا بعدما رفعه الله، وأيُّ رَفعٍ كان رَفعُه؟! ﴿وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا﴾[3]، ينزل من مقام القرب عند الله ويكون نزوله عين صعوده، **ينزل فيقتدي بوليّ الله الأعظم!**

إمامُ الزمان هو من يفتخر المسيح كلمةُ الله وروحُ الله أن يكون مأموماً له عند الوفود إلى الله تعالى.

هذا **برهانٌ على أفضلية إمام الزمان على أنبياء أولي العزم**: نوحٌ وموسى وعيسى وخليل الله عليهم السلام، فكلُّهم **تحت شعاع شمس سماء الولاية**، وهذا هو المقام الأول.

وقد اتفق العامة والخاصة على هذه الكبرى التي هي مورد إجماع كلّ المسلمين، أنّ **الإمام أفضل من المأموم**، ونتيجة هذه الكبرى في مقام التطبيق على الصغرى **أفضليّة وليّ العصر على الأنبياء والمرسلين أولي العزم من الرسل**، يستثنى منهم شخصٌ واحدٌ وهو جدّه الأمجد صلى الله عليه وآله.

---

(١) يونس٣٥.

(٢) آل عمران ٤٥.

(٣) مريم٥٧.

أما موسى بن عمران، فمن هو؟ قال تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْليماً**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَنادَيْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ **وَقَرَّبْناهُ نَجِيًّا**﴾[٢]، وموسى نفسه هو الذي خاطبه الله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾[٣]، ولما تجاوز مقام كليم الله، وكُشِفَ له الحجاب عن مقام المهدي ولي العصر عليه السلام وشاهده، **تمنى هذا المقام!** لكن قال له الله: أين أنت وأين هذا المقام؟

هذا المقام مختصٌ بوليّ العصر صاحب الزمان، من نسل النبي الخاتم الذي يملأ الله الأرض به عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

والمهم هو أن مقامه عليه السلام ليس قابلاً للوصف! لماذا؟ لقد **قام البرهان الناطق أن أصحابه أنفسهم غير قابلين للوصف!**

يضع يده على رؤوسهم **فيعطي كلَّ واحدٍ منهم عقلَ أربعين رجلاً**، ويعطي لكلِّ واحدٍ **قبضةَ سيف عليها كلمةٌ من العلم الربوبي**، ومن تلك الكلمة يُفتَح ألف باب من العلم، فيصبح كلُّ واحد من أصحابه عنده عقل أربعين رجلاً! فقيمة كلّ واحدٍ منهم فوق إدراك وتصوّر كل أهل العالم!

والمهم هو فهم هذا المقام: **نُورُكَ الْمُتَأَلِّقُ، وَضِيَاؤُكَ الْمُشْرِق**: ضياء الله ونور الله كلاهما اجتمعا في وجوده، وهذا برهان ناطقٌ أن المنادي ينادي: **هَذَا الْمَهْدِيُّ خَلِيفَةُ اللهِ فَاتَّبِعُوهُ**، فيُعَرِّفُه للناس أنه إمامُ الزمان ليعرفوه.

يصل الخطاب لموسى بن عمران أنك إن فعلتَ أحد أمرين كان أفضل من

(١) النساء١٦٤.

(٢) مريم٥٢.

(٣) طه١٢.

صيام ماءة عام كلّ يوم وقيام كل ليلة حتى الصباح، يسأل موسى الله تعالى عن هذين العملين، ليأتي الجواب: أن تَرُدَّ آبقاً عن بابي، أو ضالاً عن فنائي، ثم يسأل عليه السلام عن تفسير هاتين الكلمتين، فيأتيه الخطاب: أما رد الآبق فتوبة العاصي، وأما إرشاد الضال **فالهداية إلى إمام الزمان**.

اعرفوه وعرفوه للناس: **هو ضياء الله، وضياء الله مشرقٌ على كلّ ما سِواه، بِيُمْنِهِ رُزِقَ الوَرَى، وَبِوُجُودِهِ ثَبَتَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاء**، وإذا ارتفع ظلُّه آناً عن العالم تنعدم كل السماوات والكواكب وطبقات الارض.

أما ظهوره، فمتى؟

إن تاريخ ظهوره ليس مُعَيّناً، فهي تلك الساعة التي ﴿إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاَّ هُو﴾، أما **وقت ظهوره فهو يوم عاشوراء**، في الوقت الذي يُرفع فيه ستار الخيمة **فيُرى الرأسُ المقطوعُ مرفوعاً على القنا**.

في ذلك الحين يتكئ على الكعبة وتخرج جملةٌ من لسانه المبارك: **يا لثارات الحسين**..

الفصل الخامس: قبساتٌ متنوّعة

لماذا القتل الجماعي لشيعة باكستان والبحرين؟

بسم الله الرحمن الرحيم(1)

إنّ وظيفة رجال الدين والحوزة العلمية، وخاصّة حوزة قم المقدسة، التي تُعَدُّ اليومَ مرجعاً لجميع أبناء الشيعة في أكناف العالم، تتلخصُّ في كلمةٍ واحدة، لكنَّ تلك الكلمة عبارةٌ عن كُتُبٍ في الواقع، وتلك الكلمة هي: **كفالة أيتام آل محمد** عليهم السلام، فما هي الكفالة؟ وما هو حدُّ الأيتام؟ ومَن هو طرف الإضافة للأيتام؟

إن أيتام آل محمد عليهم السلام **في باكستان يُقتلون قتلاً عاماً**، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، فما هو جُرمُ هؤلاء؟ ألأنهم انتسبوا إلى هذا المذهب يعانون هذه الأمور؟ ماذا يحصل على هؤلاء الأيتام في البحرين أيضاً؟

المسألة مهمةٌ إلى حدٍّ كبير، فقد دلّت الروايات على أن الله سبحانه وتعالى يكتب لمن يمسح بيده على رأس يتيمٍ من الحسنات بعدد ما يمرّ تحت يده من شَعر، **ويعطيه نوراً بعدده يطوي به ظُلُمات يوم القيامة**، هذا أثر المسح على رأس اليتيم العادي.

وعندما ضُرب أمير المؤمنين عليه السلام ضربةً صرخ بعدها جبرائيل بين السماء والأرض: **تهدّمت والله أركان الهدى**، في ذلك الوقت قال عليه السلام: **اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ.. لَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُم**، وليس اليتيم في كلام أمير المؤمنين عليه السلام محصوراً بيتيم الأب والأم، لقد كان يقول: **الله الله في الأيتام**، كما كان يقول: **الله الله في**

---

(1) ألقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الثاني ١٤٣٤ هـ الموافق ٣-٣-٢٠١٣ م.

القرآن.

هذا حال اليتيم العادي، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: **أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيم كَهَاتَيْن**، وهو القائل: أَشَدُّ مِنْ يُتْمِ الْيَتِيمِ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ **يُتْمُ يَتِيمٍ انْقَطَعَ عَنْ إِمَامِه**، هذا نص كلام النبي صلى الله عليه وآله، **وأيتامُهُ الآن يقتلون قتلاً جماعياً!**

ماذا ينبغي أن تفعل الحوزة العلمية؟ الخدمة البسيطة التي تتيسر لنا فعلاً هي أن تعطّل الحوزة يوم السبت احتراماً لدماء الشهداء في باكستان، والمظلومين في البحرين، **وينبغي أن تأخذ كل الحوزات العلمية دورَها، فأولئك الأيتام لا ظَهرَ لهم**، وقد فقدوا أباهم وأمهم.

هنيئاً لأولئك الآباء والأمهات، وسلامنا لكل أصحاب العزاء في باكستان، أما الرجال **فهم يقيناً في أحضان أمير المؤمنين** عليه السلام، وأما النساء ففي حضن الصديقة الكبرى عليها السلام، وأما المصيبة فعلى رأس الأطفال المظلومين!!

بعد الحرب العالمية الثانية، عقدت الأمم المتحدة جلسةً في باريس، أصدر فيها الحقوقيون والمفكرون بياناً حول تنظيم حقوق الإنسان، **ونشرت الأمم المتحدة هذا البيان**، ومواده ثلاثون مادة، ونَصَّ البيانُ أنّ كلّ **زعماء الدول مسؤولين عن تنفيذ هذه المواد** وعدم تجاوزها.

ونصّت المادة الأولى على أن **كلَّ أفراد نوع الإنسان يولدون أحراراً**، وأنّهم **متساوون في الحرية والحقوق**، أي أنّ **رئيس جمهورية أمريكا كالمرأة التي تُقتَلُ في المكان الفلاني في باكستان، متساوون في الحقوق**، وعليهم أن يعيشوا معاً كأخوة.

هذا القانون تعهد بالالتزام به كافة الرؤساء وكان تطبيقه من مسؤوليتهم!!

فهل فعلاً كان رؤساء الجمهوريات في أوروبا وأمريكا وملكة بريطانيا متساوين في الحرمة والحقوق مع أولئك الذين يقطنون في الدول التي استعمروها بواسطة أذنابهم من الحكام والأمراء؟!

ونصّت المادة الثالثة لشرعة حقوق الانسان أنّ **لكل فردٍ مهما كانت ملّته أن يحيا بحريةٍ وأمانٍ دون أيّ تمييز، فهل يتمتع شيعة باكستان والبحرين بالأمن تحت سلطة أذنابكم؟** هل قامت مؤسسة الأمم المتحدة التي تعهدت بحفظ هذا الميثاق كلمةً كلمة بفعل شيء مقابل ما يحصل؟

لقد صادرت أُسَرٌ معينة قرار دولٍ كاملة، على مرأى ومسمع من كل الدنيا التي تتبع أوامر أميركا وأوروبا، فبأي منطقٍ وبأي شُرعةٍ من حقوق الإنسان يحصل ذلك؟ ثم يُعطَى هؤلاء الحكام الكراسي في الأمم المتحدة!!

أليس هناك من يسأل ذلك الذي يدّعي أنه أمين عام الأمم المتحدة عن ذلك؟ وأنّ ذلك الجالس على الكرسيّ يأخذ وعائلته ثروةَ بلدٍ بأكمله ويضع المليارات في حسابه؟ وتبقى في المقابل جماعاتٌ في السجون بلا محاكمةٍ لسنوات!! ويُحرَمُون من كلّ الحقوق الإنسانية، **فهل هذه شرعة الأمم المتحدة؟ هذا حال الدنيا اليوم.**

وتنص المادة الثانية على أنّه **لا فرق بين كافة البشر على اختلاف اللون والمذهب والعقيدة** الدينية والسياسية، **ولا تمييز بينهم في الحقوق والحريات.**

فمِن جهةٍ ينشرون هذا الكلام، ومن جهةٍ أخرى يرسلون السلاح والمال فيُقتل به الأطفال والنساء، هذا حال الأمم المتحدة.

لن يبقى للأمم المتحدة ماءُ وجهٍ، فقد ذَهَبَ مع الريح.

فتجد هذه الحقوق في يد الجميع عندهم، بيد من يملك حق النقض الفيتو ويرسل السلاح وملايين الدولارات لقتل الناس، ويجلس في الأمم المتحدة ومنشور الأمم المتحدة بيده، وفي المقابل يجلس ذلك الذي يُقتل أهلُه وقومُه بنفس الطريقة وبيده المنشور أيضاً!!

هذه أوّل شرعةٍ لحقوق الإنسان دوّنت في باريس، **فما يجري وقاحةٌ وانعدامٌ للخجل.**

قبل أكثر من ألف سنةٍ على تدوين شرعة حقوق الإنسان، عاش شخصٌ كانت تحت يده امبراطورية الروم وممالك إيران، **وبيده كلّ ثروة العالم**، وكان يجلس ليفطر على خبز شعيرٍ وملح، ويقول: **لَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ!!**

فهل هذا هو عدم التمييز أم ذاك؟!

لقد طارت حقوق الإنسان عندكم مع الريح، وكان عليه السلام **هو الذي أحياها،** لقد كانت الدنيا في قبضته، فنادى السبطَ الأكبرَ للنبي صلى الله عليه وآله وأعطاه ثلاث دنانير، ونادى عبداً حبشياً وأعطاه ثلاث دنانير أيضاً، **هذه حقوق الإنسان أم الأمم المتحدة التي تنادون بها؟**

حقوق الإنسان أن يأتي مع خَدَمَته إلى وسط السوق عندما كانت امبراطورية الروم ومملكة إيران في يده، فيشتري قميصاً بأربعة دراهم، وقميصاً بدرهمين، ويعطي الأول لخادمه ويلبس قميص الدرهمين، فيقول الخادم: أنت

أمير المؤمنين، البس أنت هذا القميص، فيقول له: أنت شاب، وأمامك عُمْرٌ لتقضيه، فهل هذه مراعاة الحقوق أم تلك؟

أيها المظلومون، إن مُحيي حقوق الإنسان ومُطبِّقها هو الذي مَرَّ بشيخٍ مكفوفٍ كبيرٍ يسأل، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَصْرَانِيٌّ..

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين عليه السلام: **اسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبِرَ وَعَجَزَ مَنَعْتُمُوهُ، أَنْفِقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ**. فسجَّلَ إسمَ النصرانيّ إلى جانب أولاده عليهم السلام في بيت المال.

فأين هي حقوق الإنسان من هذا القتل والتعذيب في باكستان وغيرها؟

إنّ حقوق الإنسان تتجسد في مَن قال عندما سمع عن سلب خلخالٍ من قَدَمِ ابنة يهوديٍّ:

فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً، مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ عِنْدِي بِهِ جَدِيراً!!

أين هي حقوق الإنسان؟ للأسف فإنّ **أول المظلومين لم يُعرَف بعد**، وهو مَن كان **قيام الإنسانية في وجوده**، وفي ذلك اليوم الذي كانت الدنيا في قبضته وقدرته، وكانت تصله كنوز العالم فتُفَرِّغُ قوافلُ الجمالِ المالَ في بيت المال تحت يده، **كان يسقي ويصرف على نفسه مِن عَمَلِ يده ثم يوزع ما يزيد**، قسماً في الليل وقسماً في النهار، وقسماً في العلن وقسماً في السر: **﴿الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾**.

فهل هذه حقوق الإنسان أم تلك؟

الوهابية كفرٌ بلباس الإسلام!

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

قال تعالى ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ﴾[٢].

روي في مصادر العامة: أخرج أبو داود وأبو نعيم وابن عساكر والديلمي عن أبي ليل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾، وعليٌّ بن أبي طالب وهو أفضلهم**[٣].

هذه الرواية من مصادر العامة وتتميَّز بتعدُّد طرقها، ولو لم تكن إلا هي لكانت عبرةً لهذه الأمة، فإن المؤمنين على درجات، وعليٌّ عليه السلام في أعلاها، وفي **أعلى مراتب الصدّيقين، بل أفضلهم!**

ثم إن معاوية منشأ الضلال قد منع ذكر فضائل علي عليه السلام، وأعطى مبالغ من بيت المال للمحدِّثين لجعل الأحاديث واختلاقِها، ومن ذلك أنّ قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[٤]، قد نزل في ابن

(١) أُلقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ٥ رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ١٥-٥-٢٠١٣ م، بعد الذي تعرَّض له قبرُ الصحابي الجليل حجر بن عدي قرب دمشق.

(٢) يس ٢٠.

(٣) الدر المنثور للسيوطي ج٥ ص٢٦٢.

(٤) لقمان ٦.

ملجم!! ومن هنا تتضح جذور ومناشئ أحاديث العامة.

وما اكتفوا بقتل عليٍّ عليه السلام **وجملةٍ من أصحابه حتى هدموا قبر بعضهم في دمشق**، هذه حقائقُ يجب أن يعرفها العالم.

لقد نقل ابن الأثير هذه الرواية وهو يعدُّ من أكبر شخصيات الحديث والعلم عند مختلف المذاهب الإسلامية، ويتضح من ذلك أنّ: **الوهابية كفرٌ بلباس الإسلام! وإلحادٌ في صورة إيمان!**

يروون أن معاوية دخل على عائشة فقالت: **ما حملك على قتل حِجر وأصحابه؟**

فقال: **يا أم المؤمنين أني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة، وأن بقاءهم فساداً للأمة!!**

فقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: **سيُقتَلُ بعذراء ناسٌ يغضب الله لهم وأهل السماء**[1].

فمن هو هذا **الرجل الذي يغضب الله لقتله وأهل السماء**؟ وهل تتمكن الوهابية السعودية من تبرير ما فَعَلَت؟

يروون أن ابن عمر كان في السوق فنُعِيَ إليه حِجرٌ فأطلق حبوته وقام وقد غَلَبَه النحيب!

ولما بلغ الربيع بن زياد الحارثي وكان عاملاً لمعاوية على خراسان قتل حجر

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٢ ص٢٢٦.

دعا الله عز وجل وقال: اللهم ان كان للربيع عندك خيرٌ فاقبضه إليك وعجل، فلم يبرح من مجلسه حتى مات[١].

قبرُ مَن هذا الذي هُدِمَ بخلاف فتوى أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل؟ بخلاف إجماع المذاهب الأربعة. ومَن الذي أُهِين بفعلهم؟

لقد وضع الإلحادُ يدَه بِيَدِ الكفر اليوم للضغط على الشيعة.

يقول ابن الأثير فيمن أهانوا قبره في أطراف دمشق: **وكان مُجَابَ الدَّعوة.**

أي أنّ الله تعالى لم يكن يردّ دعاءه، **وهو تلميذُ الصدِّيق الأكبر، أفضل الصديقين الثلاثة.**

في ليلة العشرين من شهر رمضان المبارك، بعد أن ضُرِبَ مَن صرخ لضربته جبرائيل: **تهدمت والله أركان الهدى،** قام إليه حجر بن عدي الطائي وقال:

فيا أسفى على المولى التقي ❊ ❊ أبو الأطهار حيدرة الزكي

قتلــه كافر حنث زنيـــم ❊ ❊ لعين فــاسق نغل شقــي

فيلعن ربنا من حاد عنكم ❊ ❊ ويبرء منكـــم لعنـاً وبي

لأنكم بيوم الحشر ذخري ❊ ❊ وأنتم عترة الهــادي النبي

فلما بَصُرَ به وسَمِعَ شِعره قال له: **كيف لي بك إذا دُعيتَ إلى البراءة مني، فما عساك أن تقول؟**

فقال: **والله يا أمير المؤمنين، لو قُطِّعتُ بالسيف إرباً إرباً، وأضرم لي النار،**

---

(١) أسد الغابة لابن الاثير ج١ ص٣٨٦.

وألقيتُ فيها، لآثرت ذلك على البراءة منك.

فقال: **وُفِّقتَ لكلِّ خيرٍ يا حجر، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيّك**[1].

هل وصل أحدٌ في العالم لهذا المقام الذي يدعو له أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الدعاء المحيِّر للعقول؟

غداً ليلة الرغائب، ليلة الجمعة الأولى من شهر رجب، **فليدعُ المؤمنون في المساجد أن يدفع الله شرَّ الملحدين والكفار عن شيعة سوريا والبحرين.**

إنّ وظيفة الجميع اليوم أن **يدعوا لنجاة شيعة سوريا والبحرين.**

إلهي بضلع فاطمة الكسير، وبحرقة قلب عليٍّ المرتضى قُربَ قَبرِ الصديقة الكبرى، **خَلِّص شيعة الدنيا من شَرِّ الكفار والملحدين.**

بعضُ دعاة الوحدة: نساءٌ لَبسنَ عِمَّةً وعباءة!

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

ثبت أن (ذي القربى) في آية الخمس هو الإمام عليه السلام: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالَمساكِينِ وَابْنِ السَّبيل﴾، فسَهم ذي القربى للإمام عليه السلام، وسهم الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله ينتقل إليه أيضاً بمقتضى الروايات المعتبرة، وقد فَرَغنا من هذه الجهة.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٢ ص٢٩٠.

(٢) ألقيَ هذا البحث يوم الإثنين ١٤ ربيع الثاني ١٤٣٧ الموافق ٢٥-١-٢٠١٦ م، وكان بحثاً فقهياً حول تحديد (ذي القربى) في آية الخمس جرَّ إلى بعض المفردات العقائدية.

وههنا بحثٌ: أَنَّهُ **لو كان ذو القربى عبارة عن الإمام، فبناء على ذلك لا يشمل الصديقة الكبرى، لأنها ليست داخلة في الأئمة.**

وجواب هذا السؤال: أنّ (ذي القربى) **يشمل الصدِّيقة الكبرى بنصّ القرآن، ويشمل الإمام أيضاً**، فجميع الأئمة من الإمام الحسن إلى إمام الزمان عليهم السلام هم ذوو القربى بِتَوَسُّط فاطمة الزهراء عليها السلام، المهمّ هو هذا.

وهذا هو مقتضى نصّ القرآن، والمطلب مهمٌ إلى حدٍّ أنّ **الفخر الرازي** قد **أُسقِطَ في يده فيه ووقف عاجزاً**، ومثله الزمخشري وابن مسعود وأساطين مفسري العامة، فقد **اعترفوا أن الحقّ** في قوله تعالى ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّه﴾ **هو فدك**، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله **قد أُمِرَ بإعطاء فدك لذي القربى**، وصغرى هذا الأمر بحسب عمل الخاتم صلى الله عليه وآله هو **الإعطاء لفاطمة الزهراء** عليها السلام.

غاية الأمر أنّا **لم نعرف قدرة هذا المذهب، فقضيّة فدك برهانٌ قاطعٌ على بطلان كل مذاهب العامة، وبرهانٌ قاطعٌ على أحقية مذهب الشيعة.**

إنّ بعض الأمين والجهلة اليوم يتجاوزون حتى عن دم بضعة الخاتم دون خجلٍ في سبيل الوحدة!!

إنّ النور والظلمة ليسا قابلين للصلح!

عُمَرُ عابدُ الصنم، شاربُ الخمر، وهذا مورد تصديق أعاظم الخاصة، وعبادته للصنم أمرٌ مُسَلَّمٌ بلا إشكال.

أما جهله، فقد صار خليفةً وهو لا يعرف تَيمُّم الصلاة، وعمار بن ياسر علّمه ذلك!

للأسف فإن **العلم أصبح قليلاً والخوف أصبح كبيراً!** والجهلُ يولِّدُ الخوف.

للأسف أننا لم نعرف أنفسنا **ولم نعرف الميراث الذي وَصَلَنا**، هذا ميراث الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي، فهذا هو الرجل..

وهذه الأيام أيامُ الجُبَنَاء! الذين يُضَيِّعُون المذهب بجهلهم! الذين يخضعون للسُّنيّ.

جَلَسَ هذا الرجل (العلامة الحلي) صباحاً، ولمّا أذن المؤذن ظهراً كانت قد تغيّرت البلاد، فقد أعطى سلطان ذلك الوقت أمراً بأن يُذكَرَ عليٌّ بن أبي طالبٍ في كلّ البلاد وعلى المنابر، هذا فنُّ العلاّمة.. أما نحن عديمي القيمة فإنّا **نضيّع أنفسنا مقابل ثلّةٍ من السُنَّة الجهلة!**

هذه مصيبتنا، **وكلُّ هذا في سبيل الوحدة، لكن لا يفهمون أن الوحدة مستحيلةٌ بين النور والظلمة! الوحدةُ مستحيلةٌ بين عليٍّ وأبي بكر!** فمَن هذا ومَن ذاك؟!

أما عليٌّ فهو القائل باتفاق العامة والخاصة: **سَلوني قبل أن تفقدوني**، أمّا ذاك فمَن هو؟ مَن كان اعترافه: **وُلّيتكم ولست بخيركم**.

في اليوم الذي جلس فيه أبو بكر على الكرسي جاءت امرأة أسقطت سمعته! إن كان عند الأزهر جوابٌ فليجيبوا، جاءت وقالت: ما ميراث الجدّة؟ تحيّر أبو بكر.. جاهلٌ جلس مكان من قال عنه تعالى ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ

وَكانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظيما﴾[1].

إنّ إنسانية الإنسان بأمرين، أحدهما العلم، وثانيهما الخُلُق، وفي القرآن الكريم **وصف الله العليُّ العظيم عِلمَ نبيّه بالعظمة وخُلُقَه بالعظمة**، فقال في خُلُقه ﴿**إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم**﴾، وفي علمه ﴿**وَعَلَّمَكَ** ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ **فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظيماً**﴾، **فمن أجلسوا في مكانه؟**

عندما تغيب الشمس يجلس مكانها القمر، وفي السوق تحلّ الفضة بدل الذهب، أما وِفق مسلك العامة، فبدلاً من أن يجلس مكان من كان مُعَلِّماً لتمام الأنبياء والمرسلين مَن كان أقربهم له صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، جلس من كان يقول: **كلُّ الناس أعلم من عُمَر حتى المخدّرات في الحجال!** هذا إقراره وباعتراف الفخر الرازي.

على أيّ حال، المسألة مفصلةٌ جداً، والنكتة المهمة هي أنّه ينبغي أن **تصيروا فقهاء فتكونوا رجالاً**.. إن لم تصيروا فقهاء فلستم رجالاً!

الرجل لا يكون منفعلاً (متأثِّراً)، بل يكون فاعلاً (مؤثِّراً)! **وهؤلاء المنفعلون (المتأثرون) بالعامة نساءٌ لكن يلبِسن عِمّة وعباءة!**

وليس هذا الكلام مخالفاً للتقية، بل هذا من الحكمة، وقد قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

لما نصّب النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ علياً عَلَيْهِالسَّلَامُ لم ينصبه لكي نخسر أنا وأنت علي بن أبي طالب! وظيفتنا هي الكلام بالحكمة.

هذا من جهة: أنا مدينة العلم وعليٌ بابها.. سلوني قبل أن تفقدوني..

---

(١) النساء١١٣.

ومن جهةٍ أخرى: أنظروا في صحيح مسلم (باب التيمم) فهو حجةٌ على تمام العامة، جاء شخصٌ (لعمر) وسأله أني قد أجنبت فماذا أفعل؟

قال مِن على منبر النبي ﷺ: أنا أيضا أجنبت فلم أصلِّ شهراً!

ثم قام أحدهم فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾ وقرأ الآية إلى أن وصل إلى قوله تعالى ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾ عندها تَعَرَّفَ خليفة النبي على التيمم!

هكذا تكلموا فتعجز الدنيا كلها وفق الدليل، أيها الفخر الرازي هذا ليس لعبةً، لقد نقل كلُّ أعاظم المفسرين نص القرآن: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّه﴾، فمن هم ذو القربى؟ لقد نادى النبي ﷺ الزهراء عليها السلام وأعطاها فدكاً.

أنظروا صحيح البخاري، صحيح البخاري موجودٌ، كونوا رجالاً، هذا هو الفن: **أن تُثبِتَ غصب أبي بكر وعمر بالبرهان، وتُثبِتَ الظلم الذي ليس له سابقةٌ على مر التاريخ**[1].

---

(١) مع بداية البحث اللاحق لهذه الجلسة، عاد سماحة الشيخ وتعرَّض لما ذكره فيها مجدداً، وبعد أن نعى الفقه والفقهاء في أيامنا، عرّج على الشهيد الأول وبَيّن عظمته، ثم تحدث عن قتله وتعليق جنازته ليخلص بقوله: **السُّنة أشقياء هكذا**.. ثم تحدث عن (**بعض العوام الذين يلبِسون العمامة ويعترضون علينا**) من جهة التركيز على طرح المباحث عن العامة إلى هذا الحدّ، ليربط هذه الأبحاث بما جرى مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى بقي ٢٥ سنة وحاله: **في العين قذىً وفي الحلق شجى.. ثم عاد ليصف هؤلاء المعترضين بـ(العمائم الجاهلة)**، خاتماً بمصيبة الزهراء عليها السلام، ليصبح الدرس أشبه بمجلس عزاءٍ خَتَمَهُ ببيتٍ لمن عبر عنه بـ(أستاذ الكلّ في الكلّ) الشيخ الأصفهاني: **ولست أدري خبر المسمار * * سَل صدرها خزانة الأسرار.**

سَكرةُ الموت.. وحسرةُ الفوت!!

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

إنَّ لِبَاب مدينة العلم، أمير المؤمنين عليه السلام عبارَةٌ في نهج البلاغة عن الموت وما بعده: **فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِم: اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ المَوْتِ وَحَسْرَةُ الفَوْت.**

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أَيُّ المُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟

قَالَ: **أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ اسْتِعْدَاداً**[٢].

فإذا كان غيرَ قابل للوصف في بيان علي عليه السلام ! فأيُّ بيانٍ يمكنه أن يبيّن حال خروج الروح منا؟!

على أنّ تَتَبُّعَ الروايات يوضحُ كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ فيها كلاماً ليحيى بن زكريا عن الموت، وهو الذي سَلَّمَ الله عليه ثلاث مرات: ﴿**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً**﴾[٣]، فصلى عليه ذات القدوس، رب الأرباب، مالك الملك يوم يموت.. هكذا كان كلامه عليه السلام عن الموت:

روى ثقة الإسلام الكليني أعلى الله مقامه في الكافي، والرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ جَاءَ إِلَى قَبْرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليه السلام وَكَانَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُحْيِيَهُ لَهُ، فَدَعَاهُ فَأَجَابَهُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ القَبْرِ، فَقَالَ لَهُ: **مَا تُرِيدُ مِنِّي؟**

---

(١) أُلقيَ هذا البحث يوم الأربعاء ١٦ ذي الحجة ١٤٣٦ هـ الموافق ٣٠-٩-٢٠١٥ م.

(٢) الكافي ج٣ ص٢٥٨.

(٣) مريم ١٥.

الداعي عيسى بن مريم عليه السلام كلمة الله وروحه، والمدعوّ يحيى بن زكريا.

فَقَالَ لَهُ: **أُرِيدُ أَنْ تُؤْنِسَنِي كَمَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا.**

فَقَالَ لَهُ: **يَا عِيسَى مَا سَكَنَتْ عَنِّي حَرَارَةُ المَوْتِ!**

إذا كان هذا حال يحيى، فما حالنا نحن؟! هذه الروايات محيرة!

وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُعِيدَنِي إِلَى الدُّنْيَا، وَتَعُودَ عَلَيَّ حَرَارَةُ المَوْتِ، فَتَرَكَهُ فَعَادَ إِلَى قَبْرِه[1].

إذا كان الموت قد فَعَلَ هذا بيحيى، فماذا سيفعل بالآخرين؟!

وهذه رواية أخرى في الكافي، وسندها قوي: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ يَزِيدَ الكُنَاسِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ فِتْيَةً مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مُتَعَبِّدِينَ وَكَانَتِ العِبَادَةُ فِي أَوْلَادِ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَإِنَّهُمْ خَرَجُوا يَسِيرُونَ فِي البِلَادِ لِيَعْتَبِرُوا فَمَرُّوا بِقَبْرٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ قَدْ سَفَى عَلَيْهِ السَّافِي، لَيْسَ يُبَيَّنُ مِنْهُ إِلَّا رَسْمُهُ فَقَالُوا: **لَوْ دَعَوْنَا اللهَ السَّاعَةَ فَيَنْشُرَ لَنَا صَاحِبَ هَذَا القَبْرِ فَسَاءَلْنَاهُ كَيْفَ وَجَدَ طَعْمَ المَوْتِ.**

فَدَعَوُا اللهَ وَكَانَ دُعَاؤُهُمُ الَّذِي دَعَوُا اللهَ بِهِ: أَنْتَ إِلَهُنَا يَا رَبَّنَا لَيْسَ لَنَا إِلَهٌ غَيْرُكَ، وَالبَدِيعُ الدَّائِمُ غَيْرُ الغَافِلِ، وَالحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، لَكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ شَأْنٌ، تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ، **انْشُرْ لَنَا هَذَا المَيِّتَ بِقُدْرَتِكَ.**

قَالَ: **فَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ القَبْرِ رَجُلٌ أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ**

(١) الكافي ج٣ ص٢٦٠.

التُّرَابِ، فَزِعاً شَاخِصاً بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا يُوقِفُكُمْ عَلَى قَبْرِي؟

فَقَالُوا: دَعَوْنَاكَ لِنَسْأَلَكَ: **كَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ المَوْتِ؟**

فَقَالَ لَهُمْ: **لَقَدْ سَكَنْتُ فِي قَبْرِي تِسْعاً وَتِسْعِينَ سَنَةً مَا ذَهَبَ عَنِّي أَلَمُ المَوْتِ وَكَرْبُهُ، وَلَا خَرَجَ مَرَارَةُ طَعْمِ المَوْتِ مِنْ حَلْقِي**.

فَقَالُوا لَهُ: مِتَّ يَوْمَ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى مَا نَرَى أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ؟

قَالَ: لَا، **وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعْتُ الصَّيْحَةَ: اخْرُجْ، اجْتَمَعَتْ تُرْبَةُ عِظَامِي إِلَى رُوحِي فَبَقِيَتْ فِيهِ، فَخَرَجْتُ فَزِعاً شَاخِصاً بَصَرِي مُهْطِعاً إِلَى صَوْتِ الدَّاعِي فَابْيَضَّ لِذَلِكَ رَأْسِي وَلِحْيَتِي**[1].

لم يكن رأسه ولحيته قد ابيض قبل الموت، لكنه ابيضّ لما خرج فزعاً!

هذا يبيّن كلامه سلام الله عليه: **فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِم!**

فإذا كان يحيى بن زكريا مع ما ثبت له من تلك المقامات ممن لم تسكن عنه حرارة الموت! فما هو حال الآخرين؟!

هنيئاً لمن ذهبوا من الدنيا وحملوا مِن أفضل زاد: **﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، فما الذي ينبغي فعله للهروب من الفقر في يوم المصيبة هذا؟!**

لقد بيّنت ذلك النصوص الشريفة، ومِن ذلك أمور:

الأول: الصدقة الجارية.

الثاني: السُنَّةُ الحسنة: **مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْر مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى**

---

(١) الكافي ج٣ ص٢٦٠.

يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

اغتنموا أيام العطل، واذهبوا إلى المناطق المحرومة من التربية والتعليم الديني، فإن أرجعتم أحداً لله بالتوبة كان ذلك أفضل ذخيرةٍ للموت!

انظروا من كان بعيداً عن أحكام الدين أو مبتلىً بشبهةٍ من أهل الشبهات، واعمَلوا على إحكام عقيدته ومحو الشبهة من نظره، فهذه هي ذخيرة الموت!

للأسف فقد انقضى العمر **ولم نفهم ما الذي أمامنا وينتظرنا.**

إنّ الشدة عظيمةٌ إلى حدّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: **آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَطُولِ الطَّرِيقِ وَبُعْدِ السَّفَرِ!**

إذا كان هذا كلامه عليه السلام، وهو مَن كان يتململ تململَ السليم ويبكي بكاء الحزين، فماذا نعمل نحن المساكين؟!

علينا أن **نتوجه إلى وليّ العصر ليساعدنا،** فما حالنا إن لم يساعدنا عند الحاجة؟

لا تتركوا دعاء العهد عند الصباح، علّ وعسى ينظر إلينا في يوم من الأيام، فإذا نظر إلينا حُلّت كل مشاكلنا، **وهنيئاً لمن كانَ محطّ عنايته ومورد لطفه** عليه السلام.

روايةٌ أخرى في كتاب الكافي الشريف أيضاً وسندها تامٌّ وهو حجّةٌ في مقام الفتوى: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام اشْتَكَى عَيْنَهُ فَعَادَهُ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فَإِذَا هُوَ يَصِيحُ: كان الوجع إلى حد أن مثله عليه السلام كان يصيح من الوجع!

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: **أَ جَزَعاً أَمْ وَجَعاً؟**

فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا وَجِعْتُ وَجَعاً قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ.

فَقَالَ: **يَا عَلِيُّ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا نَزَلَ لِقَبْضِ رُوحِ الكَافِرِ نَزَلَ مَعَهُ سَفُّودٌ مِنْ نَارٍ فَيَنْزِعُ رُوحَهُ بِهِ فَتَصِيحُ جَهَنَّمُ.**

فَاسْتَوَى عَلِيٌّ عليه السلام جَالِساً فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ، فَلَقَدْ أَنْسَانِي وَجَعِي مَا قُلْتَ.**

ثُمَّ قَالَ: هَلْ يُصِيبُ ذَلِكَ أَحَداً مِنْ أُمَّتِك؟

قَالَ: **نَعَمْ، حَاكِمٌ جَائِرٌ، وَآكِلُ مَالِ اليَتِيمِ ظُلْماً، وَشَاهِدُ زُورٍ**[1].

فهذا السفود من النار أيضاً يُستعمَلُ في قبض الأرواح في هذه الأمة!

والحمد لله رب العالمين

(١) الكافي ج٣ ص٢٥٣.

كتبٌ للمؤلف

كُتُبٌ للمؤلف من سلسلة (العلم والإيمان):

١. عرفانُ آل محمد عليهم السلام.
٢. الإلحاد في مَهَبِّ الريح.
٣. قبساتُ الهدى: وقفاتٌ مع فِكر الدكتور شريعتي.
٤. تنزيهُ التَشَيُّع من خِرقَةِ التَصَوُّف.
٥. الثالوث والكُتُبُ السماويّة.
٦. الثالوث صليبُ العقل.
٧. أنوارُ الإمامة.

وأبحاثٌ أخرى قيد الإعداد، يمكن متابعتها عبر موقع (العلم والإيمان):

www.aliiman.net

الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

في هذا الكتاب

أبحاثٌ حول الإمامة ومَعرِفَةِ المعصومين عليهم السلام، ألقاها عَلَمٌ من أعلام مَذهَبِ الحقّ، وِفق أدقّ موازين العِلم، خاطَبَ فيها المؤمِنَ ليتعمَّقَ في معرفة هذه العقيدة، وأعلامَ المخالفين ليتبيّن أنّ الإمامة أُسُّ الإسلام النامي، وفَرعُهُ السامي، لا تُناسِبُ غيرَ المعصوم، حيث يتوقف عليها تحقيقُ غَرَض السماء، مِن بعثة الأنبياء.

❁ ❁ ❁

ليس ما في هذا الكتاب تقريراتٌ لأبحاثِ شيخنا الوحيد وفّقه الله، إنما هي فَوائدُ مِن مَجلس بحثه، وثِمَارٌ تساقطت منه حفظه الله، عَلَّ الله يهدي بها لدينه من يشاء من خَلقه، وينفَعُ بها من يشاء من عباده.

